الميزان في تفسير القرآن

للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

المجلد السابع عشر

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

الميزان فی تفسير القرآن

كاتب:

محمد حسين طباطبايی

نشرت فی الطباعة:

علامه طباطبايی

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

تفسیر المیزان المجلد ۱۷

اشاره

سرشناسه : طباطبائی، سیدمحمدحسین، ۱۲۸۱ - ۱۳۶۰.

عنوان و نام پدیدآور : تفسیر المیزان/ محمدحسین طباطبائی؛ ترجمه ناصر مکارم شیرازی... [و دیگران].

وضعیت ویراست : [ویراست ۲؟]

مشخصات نشر : قم: بنیاد علمی و فکری علامه طباطبائی ؛ تهران: مرکز نشر فرهنگی رجا: امیرکبیر، ۱۳۶۳-

مشخصات ظاهری : ۲۰ج.

شابک : ۱۶۰۰۰ریال(دوره کامل)

یادداشت : جلد۱۱ و ۱۹ کتاب توسط سید محمدباقر موسوی همدانی ترجمه شده است.

یادداشت : ج.۱۱ (چاپ صد و بیست و هشتم: ۱۳۶۳).

یادداشت : ج.۱۹ (چاپ اول؟: ۱۳۶۳).

یادداشت : عنوان عطف: ترجمه تفسیر المیزان.

عنوان عطف : ترجمه تفسیر المیزان.

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مکارم شیرازی، ناصر، ۱۳۰۵ -، مترجم

رده بندی کنگره : BP۹۸/ط۲۵م ۹۰۴۱ ۱۳۶۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۲۶

شماره کتابشناسی ملی : م ۶۳-۳۵۴۹

ص :۱

اشاره

(۳۵) سوره فاطر مکیه و هی خمس و أربعون آیه(۴۵)

[سوره فاطر (۳۵): آیه ۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فٰاطِرِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ جٰاعِلِ اَلْمَلاٰئِکَهِ رُسُلاً أُولِی أَجْنِحَهٍ مَثْنیٰ وَ ثُلاٰثَ وَ رُبٰاعَ یَزِیدُ فِی اَلْخَلْقِ مٰا یَشٰاءُ إِنَّ اَللّٰهَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۱)

(بیان)

غرض السوره بیان الأصول الثلاثه:وحدانیته تعالی فی ربوبیته و رساله الرسول و المعاد إلیه و تقریر الحجه لذلک و قد توسل لذلک بعد جمل من نعمه العظیمه السماویه و الأرضیه و الإشاره إلی تدبیره المتقن لأمر العالم عامه و الإنسان خاصه.

و قد قدم علی هذا التفصیل الإشاره الإجمالیه إلی انحصار فتح الرحمه و إمساکها و هو إفاضه النعمه و الکف عنها فیه تعالی بقوله:« مٰا یَفْتَحِ اللّٰهُ لِلنّٰاسِ مِنْ رَحْمَهٍ فَلاٰ مُمْسِکَ لَهٰا »الآیه.

و قدم علی ذلک الإشاره إلی وسائط هذه الرحمه المفتوحه و النعم الموهوبه و هم الملائکه المتوسطون بینه تعالی و بین خلقه فی حمل أنواع النعم من عنده تعالی و إیصالها إلی خلقه فافتتح السوره بذکرهم.

ص :۵

و السوره مکیه کما یدل علیه سیاق آیاتها،و قد استثنی بعضهم آیتین و هما قوله تعالی:« إِنَّ الَّذِینَ یَتْلُونَ کِتٰابَ اللّٰهِ »الآیه و قوله:« ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتٰابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنٰا » الآیه و هو غیر ظاهر من سیاق الآیتین.

قوله تعالی:« اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فٰاطِرِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ » الفطر -علی ما ذکره الراغب- هو الشق طولا فإطلاق الفاطر علیه تعالی بعنایه استعاریه کأنه شق العدم فأخرج من بطنها السماوات و الأرض فمحصل معناه أنه موجد السماوات و الأرض إیجادا ابتدائیا من غیر مثال سابق،فیقرب معناه من معنی البدیع و المبدع و الفرق بین الإبداع و الفطر أن العنایه فی الإبداع متعلقه بنفی المثال السابق و فی الفطر بطرد العدم و إیجاد الشیء من رأس لا کالصانع الذی یؤلف مواد مختلفه فیظهر به صوره جدیده لم تکن.

و المراد بالسماوات و الأرض مجموع العالم المشهود فیشملهما و ما فیهما من مخلوق فیکون من قبیل إطلاق معظم الأجزاء و إراده الکل مجازا،أو المراد نفس السماوات و الأرض اعتناء بشأنهما لکبر خلقتهما و عجیب أمرهما کما قال :«لَخَلْقُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ أَکْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّٰاسِ:» المؤمن-۵۷.

و کیف کان فقوله:« فٰاطِرِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ »من أسمائه تعالی أجری صفه لله و المراد بالوصف الاستمرار دون الماضی فقط لأن الإیجاد مستمر و فیض الوجود غیر منقطع و لو انقطع لانعدمت الأشیاء.

و الإتیان بالوصف بعد الوصف للإشعار بأسباب انحصار الحمد فیه تعالی کأنه قیل:الحمد لله علی ما أوجد السماوات و الأرض و علی ما جعل الملائکه رسلا أولی أجنحه فهو تعالی محمود ما أتی فیما أتی إلا الجمیل.

قوله تعالی:« جٰاعِلِ الْمَلاٰئِکَهِ رُسُلاً أُولِی أَجْنِحَهٍ مَثْنیٰ وَ ثُلاٰثَ وَ رُبٰاعَ » الملائکه جمع ملک بفتح اللام و هم موجودات خلقهم الله و جعلهم وسائط بینه و بین العالم المشهود وکلهم بأمور العالم التکوینیه و التشریعیه عباد مکرمون لا یعصون الله فیما أمرهم و یفعلون ما یؤمرون.

فقوله تعالی:« جٰاعِلِ الْمَلاٰئِکَهِ رُسُلاً »یشعر بل یدل علی کون جمیع الملائکه -و الملائکه جمع محلی باللام مفید للعموم-رسلا وسائط بینه و بین خلقه فی إجراء

أوامره التكوينيه و التشريعيه.

و لا موجب لتخصيص الرسل فی الآيه بالملائكه النازلين على الأنبياء(ع)و قد أطلق القرآن الرسل على غيرهم من الملائكه كقوله تعالى :«حَتّٰى إِذٰا جٰاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنٰا:» الأنعام:-۶۱،و قوله :«إِنَّ رُسُلَنٰا يَكْتُبُونَ مٰا تَمْكُرُونَ:» يونس:-۲۱، و قوله :«وَ لَمّٰا جٰاءَتْ رُسُلُنٰا إِبْرٰاهِيمَ بِالْبُشْرىٰ قٰالُوا إِنّٰا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَهِ:» العنكبوت:-۳۱.

و الأجنحه جمع جناح و هو من الطائر بمنزله اليد من الإنسان يتوسل به إلى الصعود إلى الجو و النزول منه و الانتقال من مكان إلى مكان بالطيران.

فوجود الملك مجهز بما يفعل به نظير ما يفعله الطائر بجناحه فينتقل به من السماء إلى الأرض بأمر الله و يعرج به منها إليها و من أي موضع إلى أي موضع،و قد سماه القرآن جناحا و لا يستوجب ذلك إلا ترتب الغايه المطلوبه من الجناح عليه و أما كونه من سنخ جناح غالب الطير ذا ريش و زغب فلا يستوجبه مجرد إطلاق اللفظ كما لم يستوجبه فی نظائره كألفاظ العرش و الكرسی و اللوح و القلم و غيرها.

و قوله:« أُولِي أَجْنِحَهٍ مَثْنىٰ وَ ثُلاٰثَ وَ رُبٰاعَ »صفه للملائكه،و مثنى و ثلاث و رباع ألفاظ داله على تكرر العدد أی اثنين اثنين و ثلاثه ثلاثه و أربعه أربعه كأنه قيل:جعل الملائكه بعضهم ذا جناحين و بعضهم ذا ثلاثه أجنحه و بعضهم ذا أربعه أجنحه.

و قوله:« يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مٰا يَشٰاءُ »لا يخلو من إشعار بحسب السياق بأن منهم من يزيد أجنحته على أربعه.

و قوله:« إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »تعليل لجميع ما تقدمه أو الجمله الأخيره و الأول أظهر.

(بحث روائی)

فی البحار،عن الإختصاص بإسناده عن المعلى بن محمد رفعه إلى أبی عبد الله(ع) قال: إن الله عز و جل خلق الملائكه من نور ،الخبر.

و فی تفسیر القمی،قال الصادق(ع): خلق الله الملائکه مختلفه و قد أتی رسول الله ص جبرئیل-و له ستمائه جناح علی ساقه الدر- مثل القطر علی البقل-قد ملأ ما بین السماء و الأرض-و قال إذا أمر الله عز و جل-میکائیل بالهبوط إلی الدنیا-صارت رجله فی السماء السابعه-و الأخری فی الأرض السابعه،و إن لله ملائکه أنصافهم من برد و أنصافهم من نار-یقولون:یا مؤلفا بین البرد و النار-ثبت قلوبنا علی طاعتک-.

و قال:إن لله ملکا بعد ما بین شحمه أذنه إلی عینه-مسیره خمسمائه عام بخفقان الطیر-.

و قال:إن الملائکه لا یأکلون و لا یشربون و لا ینکحون-و إنما یعیشون بنسیم العرش،و إن لله عز و جل ملائکه رکعا إلی یوم القیامه-و إن لله عز و جل ملائکه سجدا إلی یوم القیامه-.

ثم قال أبو عبد الله(ع):قال رسول الله ص:ما من شیء مما خلق الله عز و جل أکثر من الملائکه-و إنه لیهبط فی کل یوم أو فی کل لیله-سبعون ألف ملک، فیأتون البیت الحرام فیطوفون به-ثم یأتون رسول الله ص-ثم یأتون أمیر المؤمنین(ع) فیسلمون-ثم یأتون الحسین(ع)فیقیمون عنده-فإذا کان عند السحر وضع لهم معراج إلی السماء-ثم لا یعودون أبدا-.

و قال أبو جعفر(ع):إن الله عز و جل خلق إسرافیل و جبرائیل و میکائیل- من تسبیحه واحده،و جعل لهم السمع و البصر و جوده العقل و سرعه الفهم-.

و قال أمیر المؤمنین(ع)فی خلقه الملائکه:و ملائکه خلقتهم و أسکنتهم سماواتک-فلیس فیهم فتره،و لا عندهم غفله،و لا فیهم معصیه،هم أعلم خلقک بک و أخوف خلقک منک،و أقرب خلقک منک،و أعملهم بطاعتک،لا یغشاهم نوم العیون و لا سهو العقول،و لا فتره الأبدان-لم یسکنوا الأصلاب،و لم تضمهم الأرحام،و لم تخلقهم من ماء مهین أنشأتهم إنشاء-فأسکنتهم سماواتک و أکرمتهم بجوارک،و ائتمنتهم علی وحیک،و جنبتهم الآفات،و وقیتهم البلیات،و طهرتهم من الذنوب،و لو لا قوتک لم یقووا،و لو لا تثبیتک لم یثبتوا،و لو لا رحمتک لم یطیعوا،و لو لا أنت لم یکونوا-.

أما إنهم على مكانتهم منك و طاعتهم إياك-و منزلتهم عندك و قله غفلتهم عن أمرك- لو عاينوا ما خفى عنهم منك لاحتقروا أعمالهم،و لآزروا على أنفسهم،و لعلموا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك-سبحانك خالقا و معبودا-ما أحسن بلاءك عند خلقك.

و فى البحار،عن الدر المنثور،عن أبى العلاء بن سعد:أن رسول الله ص قال يوما لجلسائه: أطت السماء و حق لها أن تئط-ليس منها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد.ثم قرأ« وَ إِنّا لَنَحْنُ الصّافُّونَ وَ إِنّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ».

و عن الخصال،بإسناده عن محمد بن طلحه يرفعه إلى النبى ص قال: الملائكه على ثلاثه أجزاء فجزء لهم جناحان-و جزء لهم ثلاثه أجنحه و جزء لهم أربعه أجنحه:.

أقول:و رواه فى الكافى،بإسناده عن عبد الله بن طلحه مثله

،و لعل المراد به وصف أغلب الملائكه حتى لا يعارض سياق الآيه و الروايات الأخر.

و عن التوحيد،بإسناده عن أبى حيان التيمى عن أبيه عن أمير المؤمنين(ع) قال: ليس أحد من الناس إلا و معه ملائكه حفظه-يحفظونه من أن يتردى فى بئر-أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء-فإذا حان أجله خلوا بينه و بين ما يصيبه -الخبر.

و عن البصائر،عن السيارى عن عبد الله بن أبى عبد الله الفارسى و غيره رفعوه إلى أبى عبد الله(ع)قال: إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول-جعلهم الله خلف العرش-لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم.ثم قال:إن موسى(ع) لما أن سأل ربه ما سأل-أمر واحدا من الكروبيين-فتجلى للجبل فجعله دكا.

و عن الصحيفه السجاديه ،و كان من دعائه على حمله العرش و كل ملك مقرب:اللهم و حمله عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك،و لا يسأمون من تقديسك،و لا يستحسرون عن عبادتك،و لا يؤثرون التقصير على الجد فى أمرك،و لا يغفلون عن الوله إليك، و إسرافيل صاحب الصور الشاخص-الذى ينتظر منك الإذن و حلول الأمر-فينبه بالنفخه صرعى رهائن القبور،و ميكائيل ذو الجاه عندك و المكان الرفيع من طاعتك-و جبريل الأمين على وحيك-المطاع فى سماواتك المكين لديك المقرب عندك،و الروح الذى هو على ملائكه الحجب -و الروح الذى هو من أمرك-.

اللهم فصل عليهم و على الملائكه الذين من دونهم-من سكان سماواتك و أهل الأمانه على رسالاتك،و الذين لا يدخلهم سأمه من دءوب-و لا إعياء من لغوب و لا فتور- و لا تشغلهم عن تسبيحك الشهوات-و لا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات،الخشع الأبصار فلا يرومون النظر إليك،النواكس الأذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك- المستهترون بذكر آلائك-و المتواضعون دون عظمتك و جلال كبريائك،و الذين يقولون إذا نظروا إلى جهنم-تزفر على أهل معصيتك-سبحانك ما عبدناك حق عبادتك-.

فصل عليهم و على الروحانيين من ملائكتك-و أهل الزلفه عندك-و حمال الغيب إلى رسلك و المؤتمنين على وحيك-و قبائل الملائكه الذين اختصصتهم لنفسك-و أغنيتهم عن الطعام و الشراب بتقديسك-و أسكنتهم بطون أطباق سماواتك،و الذين هم على أرجائها إذا نزل الأمر بتمام وعدك-.

و خزان المطر و زواجر السحاب-و الذى بصوت زجره يسمع زجل الرعود، و إذا سبحت به حفيفه السحاب التمعت صواعق البروق،و مشيعى الثلج و البرد- و الهابطين مع قطر المطر إذا نزل،و القوام على خزائن الرياح،و الموكلين بالجبال فلا تزول،و الذين عرفتهم مثاقيل المياه-و كيل ما يحويه لواعج الأمطار و عوالجها-و رسلك من الملائكه إلى أهل الأرض-بمكروه ما ينزل من البلاء و محبوب الرخاء-.

و السفره الكرام البرره و الحفظه الكرام الكاتبين،و ملك الموت و أعوانه، و منكر و نكير،و مبشر و بشير،و رؤمان فتان القبور،و الطائفين بالبيت المعمور، و مالك و الخزنه،و رضوان و سدنه الجنان،و الذين لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون،و الذين يقولون:سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار،و الزبانيه الذين إذا قيل لهم:«خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه»ابتدروه سراعا و لم ينظروه،و من ألهمنا ذكره و لم نعلم مكانه منه و بأى أمر وكلته،و سكان الهواء و الأرض و الماء، و من منهم على الخلق-.

فصل عليهم يوم تأتى كل نفس معها سائق و شهيد-و صل عليهم صلاه تزيدهم كرامه على كرامتهم-و طهاره على طهارتهم. الدعاء.

و فى البحار،عن الدر المنثور،عن ابن شهاب: أن رسول الله ص سأل جبرئيل

أن يتراءى له فى صورته-فقال جبرئيل:إنك لن تطيق ذلك.قال:إنى أحب ذلك- فخرج رسول الله ص إلى المصلى فى ليله مقمره-فأتاه جبرئيل فى صورته-فغشى على رسول الله ص حين رآه-ثم أفاق و جبرئيل مسنده-و واضع إحدى يديه على صدره و الأخرى بين كتفيه-فقال رسول الله ص:ما كنت أرى أن شيئا ممن يخلق هكذا- فقال جبرئيل:فكيف لو رأيت إسرافيل-إن له لاثنى عشر جناحا-جناح فى المشرق و جناح فى المغرب-و إن العرش على كاهله،و إنه ليتضأل الأحيان لعظمه الله حتى يصير مثل الوصع (١)حتى ما يحمل عرشه إلا عظمته.

و فى الصافى،عن التوحيد،بإسناده عن أمير المؤمنين(ع)فى حديث قال: و قوله فى آخر الآيات:« مٰا زٰاغَ الْبَصَرُ وَ مٰا طَغىٰ- لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ »رأى جبرئيل فى صورته مرتين هذه المره و مره أخرى-و ذلك أن خلق جبرئيل عظيم-فهو من الروحانيين-الذين لا يدرك خلقهم و صفتهم إلا الله.

و عن الخصال،بإسناده عن محمد بن مروان عن أبى عبد الله(ع)قال:قال رسول الله ص: إن جبرئيل أتانى فقال:إنا معشر الملائكه لا ندخل بيتا فيه كلب-و لا تمثال جسد و لا إناء يبال فيه.

أقول:و هناك روايات أخرى فى صفه الملائكه فوق حد الإحصاء وارده فى باب المعاد و معراج النبى ص و أبواب متفرقه أخرى،و فيما أوردناه أنموذج كاف فى ذلك.

و فى العيون،فى باب ما جاء عن الرضا(ع)من الأخبار المجموعه بإسناده عنه (ع)قال:قال رسول الله ص: حسنوا القرآن بأصواتكم-فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا،و قرأ« يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مٰا يَشٰاءُ ».

و فى التوحيد،بإسناده عن زراره عن عبد الله بن سليمان عن أبى عبد الله(ع)قال:

سمعته يقول: إن القضاء و القدر خلقان من خلق الله-يزيد فى الخلق ما يشاء.

و فى المجمع،:فى قوله تعالى:« يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مٰا يَشٰاءُ »:روى أبو هريره عن النبى

١- ١) بفتح الصاد و سكونها طائر أصفر من العصفور.

ص قال: هو الوجه الحسن و الصوت الحسن و الشعر الحسن.

أقول:و الروايات الثلاث الأخيره من قبيل الجرى و الانطباق.

(كلام فى الملائكه)

تكرر ذكر الملائكه فى القرآن الكريم و لم يذكر منهم بالتسميه إلا جبريل و ميكال و ما عداهما مذكور بالوصف كملك الموت و الكرام الكاتبين و السفره الكرام البرره و الرقيب و العتيد و غير ذلك.

و الذى ذكره الله سبحانه فى كلامه-و تشايعه الأحاديث السابقه-من صفاتهم و أعمالهم هو أولا:أنهم موجودات مكرمون هم وسائط بينه تعالى و بين العالم المشهود فما من حادثه أو واقعه صغيره أو كبيره إلا و للملائكه فيها شأن و عليها ملك موكل أو ملائكه موكلون بحسب ما فيها من الجهه أو الجهات و ليس لهم فى ذلك شأن إلا إجراء الأمر الإلهى فى مجراه أو تقريره فى مستقره كما قال تعالى لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ:» الأنبياء:-٢٧.

و ثانيا:أنهم لا يعصون الله فيما أمرهم به فليست لهم نفسيه مستقله ذات إراده مستقله تريد شيئا غير ما أراد الله سبحانه فلا يستقلون بعمل و لا يغيرون أمرا حملهم الله إياه بتحريف أو زياده أو نقصان قال تعالى :«لاٰ يَعْصُونَ اللّٰهَ مٰا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مٰا يُؤْمَرُونَ:» التحريم:-۶.

و ثالثا:أن الملائكه على كثرتهم على مراتب مختلفه علوا و دنوا فبعضهم فوق بعض و بعضهم دون بعض فمنهم آمر مطاع و منهم مأمور مطيع لأمره،و الآمر منهم آمر بأمر الله حامل له إلى المأمور و المأمور مأمور بأمر الله مطيع له،فليس لهم من أنفسهم شيء البته قال تعالى :«وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ:» الصافات:-١۶۴ و قال :«مُطٰاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ:» التكوير:-٢١،و قال :«قٰالُوا مٰا ذٰا قٰالَ رَبُّكُمْ قٰالُوا الْحَقَّ:» سبأ:-٢٣.

و رابعا:أنهم غير مغلوبين لأنهم إنما يعملون بأمر الله و إرادته «وَ مٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِي الْأَرْضِ:» فاطر:-۴۴،و قد قال الله :«وَ اللّٰهُ غٰالِبٌ عَلىٰ

أَمْرِهِ:» یوسف:-٢١،و قال :«إِنَّ اللّٰهَ بٰالِغُ أَمْرِهِ:» الطلاق:-٣.

و من هنـا یظهر أن الملائکه موجودات منزهه فی وجودهم عن المـاده الجسـمانیه التی هی فی معرض الزوال و الفساد و التغیر و من شأنهـا الاسـتکمال التـدریجی الـذی تتوجه به إلی غایتهـا،و ربما صادفت الموانع و الآفات فحرمت الغایه و بطلت دون البلوغ إلیها.

و من هنا یظهر أن ما ورد فی الروایات من صور الملائکه و أشکالهم و هیئاتهم الجسمانیه کما تقدم نبذه منها فی البحث الروائی السـابق إنمـا هو بیـان تمثلاتهم و ظهوراتهم للواصـفین من الأنبیاء و الأئمه(ع)،و لیس من التصور و التشـکل فی شـیء ففرق بین التمثـل و التشـکل فتمثل الملک إنسانا هو ظهوره لمن یشاهـده فی صوره الإنسان فهو فی ظرف المشاهـده و الإدراک ذو صوره الإنسان و شـکله و فی نفسه و الخارج من ظرف الإدراک ملک ذو صوره ملکیه و هذا بخلاف التشـکل و التصور فإنه لو تشکل بشکل الإنسان و تصور بصورته صار إنسانا فی نفسه من غیر فرق بین ظرف الإدراک و الخارج عنه فهو إنسان فی العین و الذهن معا؟و قد تقدم کلام فی معنی التمثل فی تفسیر سوره مریم.

و لقد صدق الله سبحانه ما تقدم من معنی التمثل فی قوله فی قصه المسیح و مریم :

«فَأَرْسَلْنٰا إِلَیْهٰا رُوحَنٰا فَتَمَثَّلَ لَهٰا بَشَراً سَوِیًّا:» مریم:-١٧ و قد تقدم تفسیره.

و أمـا مـا شـاع فی الأـلسن أن الملـک جسم لطیـف یتشـکل بأشـکال مختلفه إلاـ الکلب و الخنزیر،و الجن جسم لطیـف یتشـکل بأشـکال مختلفه حتی الکلب و الخنزیر فممـا لاـ دلیـل علیه من عقل و لا نقل من کتاب أو سـنه معتبره،و أما ما ادعاه بعضـهم من إجماع المسلمین علی ذلک فمضافا إلی منعه لا دلیل علی حجیته فی أمثال هذه المسائل الاعتقادیه.

[سوره فاطر (٣۵): الآیات ٢ الی ٨]

اشاره

مٰا یَفْتَحِ اَللّٰهُ لِلنّٰاسِ مِنْ رَحْمَهٍ فَلاٰ مُمْسِکَ لَهٰا وَ مٰا یُمْسِکْ فَلاٰ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (٢) یٰا أَیُّهَا اَلنّٰاسُ اُذْکُرُوا نِعْمَتَ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ هَلْ مِنْ خٰالِقٍ غَیْرُ اَللّٰهِ یَرْزُقُکُمْ مِنَ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فَأَنّٰی تُؤْفَکُونَ (٣) وَ إِنْ یُکَذِّبُوکَ فَقَدْ کُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ وَ إِلَی اَللّٰهِ تُرْجَعُ اَلْأُمُورُ (۴) یٰا أَیُّهَا اَلنّٰاسُ إِنَّ وَعْدَ اَللّٰهِ حَقٌّ فَلاٰ تَغُرَّنَّکُمُ اَلْحَیٰاهُ اَلدُّنْیٰا وَ لاٰ یَغُرَّنَّکُمْ بِاللّٰهِ اَلْغَرُورُ (۵) إِنَّ اَلشَّیْطٰانَ لَکُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمٰا یَدْعُوا حِزْبَهُ لِیَکُونُوا مِنْ أَصْحٰابِ اَلسَّعِیرِ (۶) اَلَّذِینَ کَفَرُوا لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِیدٌ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَهُمْ مَغْفِرَهٌ وَ أَجْرٌ کَبِیرٌ (٧) أَ فَمَنْ زُیِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اَللّٰهَ یُضِلُّ مَنْ یَشٰاءُ وَ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ فَلاٰ تَذْهَبْ نَفْسُکَ عَلَیْهِمْ حَسَرٰاتٍ إِنَّ اَللّٰهَ عَلِیمٌ بِمٰا یَصْنَعُونَ (٨)

(بیان)

لما أشار إلى الملائکه و هم وسائط فی وصول النعم إلى الخلیقه أشار إلى نفس النعم إشاره کلیه فذکر أن عامه النعم من الله سبحانه لا غیر فهو الرازق لا یشارکه فیه أحد،ثم احتج بالرازقیه على الربوبیه ثم على المعاد و أن وعده تعالى بالبعث و عذاب الکافرین و مغفره المؤمنین الصالحین حق،و فی الآیات تسلیه للنبی ص.

قوله تعالى:« مَا یَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَهٍ فَلاَ مُمْسِکَ لَهَا وَ مَا یُمْسِکْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ »إلخ المعنى أن ما یؤتیه الله الناس من النعمه و هو الرزق فلا مانع عنه

ص: ۱۴

و ما يمنع فلا مؤتى له فكان مقتضى الظاهر أن يقال:ما يرسل الله للناس إلخ.كما عبر فى الجمله الثانيه بالإرسال لكنه عدل عن الإرسال إلى الفتح لما وقع مكررا فى كلامه أن لرحمته خزائن كقوله :«أَمْ عِنْدَهُمْ خَزٰائِنُ رَحْمَهِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهّٰابِ:» -ص:-٩ و قوله :

«قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزٰائِنَ رَحْمَهِ رَبِّى إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَهَ الْإِنْفٰاقِ:» الإسراء:-١٠٠ و التعبير بالفتح أنسب من الإرسال فى الخزائن ففيه إشاره إلى أن الرحمه التى يؤتاها الناس مخزونه فى خزائن محيطه بالناس لا يتوقف نيلهم منها إلا إلى فتحها من غير مئونه زائده.

و قد عبر عن الرزق الذى هو النعمه بالرحمه للدلاله على أن إفاضته تعالى لهذه النعم ناشئه من مجرد الرحمه من غير توقع لنفع يعود إليه أو كمال يستكمل به.

و قوله:« وَ مٰا يُمْسِكْ فَلاٰ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ »أى و ما يمنع من الرحمه فلا مرسل له من دونه،و فى التعبير بقوله:« مِنْ بَعْدِهِ »إشاره إلى أنه تعالى أول فى المنع كما أنه أول فى الإعطاء.

و قوله:« وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »تقرير للحكم المذكور فى الآيه الكريمه بالاسمين الكريمين فهو تعالى لكونه عزيزا لا يغلب إذا أعطى فليس لمانع أن يمنع عنه و إذا منع فليس لمعط أن يعطيه،و هو تعالى حكيم إذا أعطى أعطى عن حكمه و مصلحه و إذا منع منع عن حكمه و مصلحه و بالجمله لا معطى إلا الله و لا مانع إلا هو،و منعه و إعطائه عن حكمه.

قوله تعالى:« يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خٰالِقٍ غَيْرُ اللّٰهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ »إلخ.لما قرر فى الآيه السابقه أن الإعطاء و المنع لله سبحانه لا يشاركه فى ذلك أحد احتج فى هذه الآيه بذلك على توحده فى الربوبيه.

و تقرير الحجه أن الإله إنما يكون إلها معبودا لربوبيته و هى ملكه تدبير أمر الناس و غيرهم،و الذى يملك تدبير الأمر بهذه النعم التى يتقلب فيها الناس و غيرهم و يرتزقون بها هو الله سبحانه دون غيره من الآلهه التى اتخذوها لأنه سبحانه هو الذى خلقها دونهم و الخلق لا ينفك عن التدبير و لا يفارقه فهو سبحانه إلهكم لا إله إلا هو لأنه ربكم الذى يدبر أمركم بهذه النعم التى تتقلبون فيها و إنما كان ربا مدبرا بهذه النعم لأنه

خالقها و خالق النظام الذی یجری علیها.

و بذلک یظهر أن المراد بالناس المخاطبین الوثنیون و غیرهم ممن اتخذ لله شریکا.

و قوله:« اُذْکُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَیْکُمْ »المراد بالذکر ما یقابل النسیان دون الذی الذکر اللفظی.

و قوله:« هَلْ مِنْ خٰالِقٍ غَیْرُ اللّٰهِ یَرْزُقُکُمْ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ » الرزق هو ما یمد به البقاء و مبدؤه السماء بواسطه الأشعه و الأمطار و غیرهما و الأرض بواسطه النبات و الحیوان و غیرهما.

و بذلک یظهر أیضا أن فی الآیه إیجازا لطیفا فقد بدلت الرحمه فی الآیه السابقه نعمه فی هذه الآیه أولا ثم النعمه رزقا ثانیا و کان مقتضی سیاق الآیتین أن یقال:هل من رازق أو هل من منعم أو هل من راحم لکن بدل ذلک من قوله:« هَلْ مِنْ خٰالِقٍ » لیکون إشاره إلی برهان ثان ینقطع به الخصام،فإنهم یرون تدبیر العالم لآلهتهم بإذن الله فلو قیل:هل من رازق أو منعم غیر الله لم ینقطع الخصام و أمکن أن یقولوا نعم آلهتنا بتفویض التدبیر من الله إلیهم لکن لما قیل:« هَلْ مِنْ خٰالِقٍ »أشیر بالوصف إلی أن الرازق و المدبر هو خالق الرزق لا غیر فانقطع الخصام و لم یمکنهم إلا أن یجیبوا بنفی خالق غیر الله یرزقهم من السماء و الأرض.

و قوله:« لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ »اعتراض بالتوحید یفید التعظیم نظیر قوله:« وَ قٰالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ ».

أی لا معبود بالحق إلا هو لأن المستحق للعباده هو الذی ینعم علیکم و یرزقکم و لیس إلا الله.

و قوله:« فَأَنّٰی تُؤْفَکُونَ »توبیخ متفرع علی ما سبغ من البرهان أی فإذا کان الأمر هکذا و أنتم تقرون بذلک فإلی متی تصرفون عن الحق إلی الباطل و من التوحید إلی الإشراک.

و فی إعراب الآیه أعنی قوله:« هَلْ مِنْ خٰالِقٍ غَیْرُ اللّٰهِ »إلخ.بین القوم مشاجرات طویله و الذی یناسب ما تقدم من تقریر البرهان أن« مِنْ »زائده للتعمیم،و قوله:

« غَيْرُ اللّٰهِ »صفه لخالق تابع لمحله،و كذا قوله:« يَرْزُقُكُمْ »إلخ.و« مِنْ خٰالِقٍ »مبتدأ محذوف الخبر و هو موجود،و قوله:« لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ »اعتراض،و قوله:« فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ »تفريع على ما تقدمه.

قوله تعالى:« وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ » تسليه للنبى ص أى و إن يكذبوك بعد استماع هذه البراهين الساطعه فلا تحزن فليس ذلك ببدع فقد كذبت رسل من قبلك كذبتهم أممهم و أقوامهم و إلى الله ترجع عامه الأمور فيجازيهم بما يستحقونه بتكذيبهم الحق بعد ظهوره فليسوا بمعجزين بتكذيبهم.

و من هنا يظهر أن قوله؟« فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ »من قبيل وضع السبب موضع المسبب و أن قوله:« وَ إِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ »معطوف على قوله:« فَقَدْ كُذِّبَتْ »إلخ.

قوله تعالى:« يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ فَلاٰ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا وَ لاٰ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ »خطاب عام للناس يذكرهم بالمعاد كما كان الخطاب العام السابق يذكرهم بتوحده تعالى فى الربوبيه و الألوهيه.

فقوله:« إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ »أى وعده أنه يبعثكم فيجازى كل عامل بعمله إن خيرا و إن شرا« حَقٌّ أى ثابت واقع،و قد صرح بهذا الوعد فى قوله الآتى:« اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِيدٌ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ ».

و قوله:« فَلاٰ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا »النهى و إن كان متوجها إلى الحياه الدنيا صوره لكنه فى الحقيقه متوجه إليهم،و المعنى إذا كان وعد الله حقا فلا تغتروا بالحياه الدنيا بالاشتغال بزينتها و التلهى بما ينسيكم يوم الحساب من ملاذها و ملاهيها و الاستغراق فى طلبها و الإعراض عن الحق.

و قوله:« وَ لاٰ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ » الغرور بفتح الغين صيغه مبالغه من الغرور بالضم و هو الذى يبالغ فى الغرور و من عادته ذلك،و الظاهر-كما قيل-إن المراد به الشيطان و يؤيده التعليل الواقع فى الآيه التاليه:« إِنَّ الشَّيْطٰانَ لَكُمْ عَدُوٌّ »إلخ.

و معنى غروره بالله توجيهه أنظارهم إلى مظاهر حلمه و عفوه تعالى تاره و مظاهر

ابتلائه و استدراجه و كيده أخرى فيرون أن الاشتغال بالدنيا و نسيان الآخره و الإعراض عن الحق و الحقيقه لا يستعقب عقوبه و لا يستتبع مؤاخذه،و أن أبناء الدنيا كلما أمعنوا فى طلبهم و توغلوا فى غفلتهم و استغرقوا فى المعاصى و الذنوب زادوا فى عيشهم طيبا و فى حياتهم راحه و بين الناس جاها و عزه فيلقى الشيطان عند ذلك فى قلوبهم أن لا كرامه إلا فى التقدم فى الحياه الدنيا،و لا خبر عما وراءها و ليس ما تتضمنه الدعوه الحقه من الوعد و الوعيد و تخبر به النبوه من البعث و الحساب و الجنه و النار إلا خرافه.

فالمراد بغرور الشيطان الإنسان بالله اغترار الإنسان بما يعامل به الله الإنسان على غفلته و ظلمه.

و ربما قيل:إن المراد بالغرور الدنيا الغاره للإنسان و أن قوله:« وَ لاٰ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ »تأكيد لقوله:« فَلاٰ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا »بتكراره معنى.

قوله تعالى:« إِنَّ الشَّيْطٰانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا »إلخ.تعليل للنهى المتقدم فى قوله:« وَ لاٰ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ »و المراد بعداوه الشيطان أنه لا شأن له إلا إغواء الإنسان و تحريمه سعاده الحياه و حسن العاقبه،و المراد باتخاذ الشيطان عدوا التجنب من اتباع دعوته إلى الباطل و عدم طاعته فيما يشير إليه فى وساوسه و تسويلاته و لذلك علل عداوته بقوله:« إِنَّمٰا يَدْعُوا حِزْبَهُ ».

فقوله؟« إِنَّمٰا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحٰابِ السَّعِيرِ »فى مقام تعليل ما تقدمه و الحزب هو العده من الناس يجمعهم غرض واحد،و اللام فى« لِيَكُونُوا »للتعليل فكونهم من أصحاب السعير عله غائيه لدعوته،و السعير النار المسعره و هو من أسماء جهنم فى القرآن.

قوله تعالى:« اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِيدٌ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ »هذا هو الوعد الحق الذى ذكره الله سبحانه،و تنكير العذاب للدلاله على التفخيم على أن لهم دركات و مراتب مختلفه من العذاب باختلاف كفرهم و فسوقهم فالإبهام أنسب و يجرى نظير الوجهين فى قوله:« مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ ».

قوله تعالى:« أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ »تقرير و بيان للتقسيم الذى تتضمنه الآيه السابقه أعنى تقسيم الناس إلى كافر

له عذاب شديد و مؤمن عامل بالصالحات له مغفره و أجر كبير و المراد أنهما لا يستويان فلا تستوى عاقبه أمرهما.

فقوله:« أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً »مبتدأ خبره محذوف أى كمن ليس كذلك،و الفاء لتفريع الجمله على معنى الآيه السابقه،و الاستفهام للإنكار،و المراد بمن زين له سوء عمله فرآه حسنا الكافر و يشير به إلى أنه منكوس فهمه مغلوب على عقله يرى عمله على غير ما هو عليه و المعنى أنه لا يستوى من زين له عمله السيئ فرآه حسنا و الذى ليس كذلك بل يرى السيئ سيئا.

و قوله:« فَإِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ »تعليل للإنكار السابق فى قوله:« أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً »أى الكافر الذى شأنه ذلك و المؤمن الذى بخلافه لا يستويان لأن الله يضل أحدهما بمشيته و هو الكافر الذى يرى السيئه حسنه و يهدى الآخر بمشيته و هو المؤمن الذى يعمل الصالحات و يرى السيئه سيئه.

و هذا الإضلال إضلال على سبيل المجازاه و ليس إضلالا ابتدائيا فلا ضير فى انتسابه إلى الله سبحانه.

و بالجمله اختلاف الكافر و المؤمن فى عاقبتهما بحسب الوعد الإلهى بالعذاب و الرحمه لاختلافهما بالإضلال و الهدايه الإلهيين و اختلافهما بالإضلال و الهدايه باختلافهما فى رؤيه السيئه حسنه و عدمها.

و قوله:« فَلاٰ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرٰاتٍ » الحسرات جمع حسره و هى الغم لما فأت و الندم عليه،و هى منصوبه لأنه مفعول لأجله و المراد بذهاب النفس عليهم هلاكها فيهم لأجل الحسرات الناشئه من عدم إيمانهم.

و الجمله متفرعه على الفرق السابق أى إذا كانت الطائفتان مختلفتين بالإضلال و الهدايه من جانب الله فلا تهلك نفسك حسرات عليهم إذ كذبوك و كفروا بك فإن الله هو الذى يضلهم جزاء لكفرهم و رؤيتهم السيئه حسنه و هو عليم بما يصنعون فلا يختلط عليه الأمر و لا يفعل بهم إلا الحق و لا يجازيهم إلا بالحق.

و من هنا يظهر أن قوله:« إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِمٰا يَصْنَعُونَ »فى موضع التعليل لقوله:

«فَلاٰ تَذْهَبْ نَفْسُکَ عَلَيْهِمْ حَسَرٰاتٍ »فلا ينبغى للرسول(ص)أن يهلك نفسه عليهم حسرات حيث ضلوا و حقت عليهم كلمه العذاب فإن الله هو الذى يضلهم لصنعهم و هو عليم بما يصنعون.

[سوره فاطر (۳۵): الآيات ۹ الى ۱۴]

اشاره

وَ اَللّٰهُ اَلَّذِی أَرْسَلَ اَلرِّيٰاحَ فَتُثِيرُ سَحٰاباً فَسُقْنٰاهُ إِلىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنٰا بِهِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا كَذٰلِكَ اَلنُّشُورُ (۹) مَنْ كٰانَ يُرِيدُ اَلْعِزَّةَ فَلِلّٰهِ اَلْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ اَلْكَلِمُ اَلطَّيِّبُ وَ اَلْعَمَلُ اَلصّٰالِحُ يَرْفَعُهُ وَ اَلَّذِينَ يَمْكُرُونَ اَلسَّيِّئٰاتِ لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرُ أُولٰئِكَ هُوَ يَبُورُ (۱۰) وَ اَللّٰهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوٰاجاً وَ مٰا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثىٰ وَ لاٰ تَضَعُ إِلاّٰ بِعِلْمِهِ وَ مٰا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لاٰ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاّٰ فِی كِتٰابٍ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اَللّٰهِ يَسِيرٌ (۱۱) وَ مٰا يَسْتَوِی اَلْبَحْرٰانِ هٰذٰا عَذْبٌ فُرٰاتٌ سٰائِغٌ شَرٰابُهُ وَ هٰذٰا مِلْحٌ أُجٰاجٌ وَ مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهٰا وَ تَرَى اَلْفُلْكَ فِيهِ مَوٰاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۱۲) يُولِجُ اَللَّيْلَ فِی اَلنَّهٰارِ وَ يُولِجُ اَلنَّهٰارَ فِی اَللَّيْلِ وَ سَخَّرَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذٰلِكُمُ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ لَهُ اَلْمُلْكُ وَ اَلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مٰا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (۱۳) إِنْ تَدْعُوهُمْ لاٰ يَسْمَعُوا دُعٰاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اِسْتَجٰابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لاٰ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (۱۴)

(بيان)

احتجاجات على وحدانيته تعالى فى ألوهيته بعد جمله من النعم السماويه و الأرضيه التى يتنعم بها الإنسان و لا خالق لها و لا مدبر لأمرها إلا الله سبحانه،و فيها بعض الإشاره إلى البعث.

قوله تعالى:« وَ اللّٰهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّيٰاحَ فَتُثِيرُ سَحٰاباً فَسُقْنٰاهُ إِلىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ »إلخ.

العنايه فى المقام بتحقق وقوع الأمطار و إنبات النبات بها، و لذلك قال:« اَللّٰهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّيٰاحَ »و هذا بخلاف ما فى سوره الروم من قوله :«اللّٰهُ الَّذِی يُرْسِلُ الرِّيٰاحَ فَتُثِيرُ سَحٰاباً:» الروم:-۴۸.

و قوله:« فَتُثِيرُ سَحٰاباً »عطف على« أَرْسَلَ »و الضمير للرياح و الإتيان بصيغه المضارع لحكايه الحال الماضيه و الإثاره إفعال من ثار الغبار يثور ثورانا إذا انتشر ساطعا.

و قوله:« فَسُقْنٰاهُ إِلىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ »أى إلى أرض لا نبات فيها« فَأَحْيَيْنٰا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا »و أنبتنا فيها نباتا بعد ما لم تكن،و نسبه الإحياء إلى الأرض و إن كانت مجازيه لكن نسبته إلى النبات حقيقيه و أعمال النبات من التغذيه و النمو و توليد المثل و ما يتعلق بذلك أعمال حيويه تنبعث من أصل الحياه.

و لذلك شبه البعث و إحياء الأموات بعد موتهم بإحياء الأرض بعد موتها أى إنبات النبات بعد توقفه عن العمل و ركوده فى الشتاء فقال:« كَذٰلِكَ النُّشُورُ »أى البعث فالنشور بسط الأموات يوم القيامه بعد إحيائهم و إخراجهم من القبور.

و فى قوله:« فَسُقْنٰاهُ إِلىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ »إلخ.التفات من الغيبه إلى التكلم مع الغير فهو تعالى فى قوله:« وَ اللّٰهُ الَّذِی أَرْسَلَ »بنعت الغيبه و فى قوله:« فَسُقْنٰاهُ »إلخ.بنعت التكلم مع الغير و لعل النكته فى ذلك هى أنه لما قال:« وَ اللّٰهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّيٰاحَ »أخذ لنفسه نعت

الغيبه و يتبعه فيه الإرسـال فـإن فعـل الغائب غائب،ثم لما قال:« فَتُثِيرُ سَحاباً »على نحو حكايه الحال الماضيه صار المخاطب كأنه يرى الفعل و يشاهد الرياح و هى تثير السحاب و تنشره فى الجو فصار كأنه يرى من يرسل الرياح لأن مشاهده الفعل كادت أن لا تنفـك عن مشاهـده الفاعـل فلمـا ظهر تعـالى بنعت الحضور غير سـياق كلامـه من الغيبه إلى التكلم و اختار لفظ التكلم مع الغير للدلاله على العظمه.

و قوله:« فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ »و لم يقل:فأحييناه مع كفايته و كذا قوله:

« بَعْدَ مَوْتِها »مع جواز الاكتفاء بما تقدمه للأخذ بصريح القول الذى لا ارتياب دونه.

قوله تعالى:« مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً »قال الراغب فى المفردات،:

العزه حاله مانعه للإنسان من أن يغلب من قولهم:أرض عزاز أى صلبه قال تعالى:

« أَ يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً »انتهى.

فالصـلابه هو الأصـل فى معنى العزه ثم توسع فاسـتعمل العزيز فيمن يقهر و لاـ يقهر كقوله تعـالى :«يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا:» يوسف:-۸۸.و كذا العزه بمعنى الغلبه قال تعالى :

«وَ عَزَّنِى فِى الْخِطابِ:» (ص):-۲۳ و العزه بمعنى القله و صـعوبه المنال،قال تعالى :«وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ:» حم السجده:-۴۱ و العزه بمعنى مطلق الصـعوبه قال تعالى :«عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ:» التوبه:-۱۲۸:«و العزه بمعنى الأـنفه و الحميه قال تعالى بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَ شِقاقٍ:» -ص:-۲ إلى غير ذلك.

ثم إن العزه بمعنى كون الشـىء قـاهرا غير مقهور أو غالبـا غير مغلوب تختص بحقيقه معناها بالله عز و جل إذ غيره تعالى فقير فى ذاته ذليـل فى نفسه لاـ يملـك لنفسه شـيئا إلاـ أن يرحمه الله و يؤتيه شـيئا من العزه كما فعل ذلك بالمؤمنين به قال تعالى :«وَ لِلّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ:» المنافقون:-۸.

و بـذلك يظهر أن قوله:« مَنْ كانَ يُرِيـدُ الْعِزَّةَ فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعـاً »ليس بمسوق لبيان اختصاص العزه بالله بحيث لا ينالها غيره و أن من أرادها فقـد طلب محالا و أراد ما لا يكون بل المعنى من كان يريـد العزه فليطلبها منه تعالى لأن العزه له جميعا لا توجـد عند غيره بالذات.

فوضع قوله:« فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً »فى جزاء الشرط من قبيل وضع السبب موضع

المسبب و هو طلبها من عنده أی اکتسابها منه بالعبودیه التی لا تحصل إلا بالإیمان و العمل الصالح.

قوله تعالی:« إِلَیْهِ یَصْعَدُ الْکَلِمُ الطَّیِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّٰالِحُ یَرْفَعُهُ » الکلم -کما قیل- اسم جنس جمعی یذکر و یؤنث،و قال فی المجمع،:و الکلم جمع کلمه یقال؟هذا کلم و هذه کلم فیذکر و یؤنث،و کل جمع لیس بینه و بین واحده إلا الهاء یجوز فیه التذکیر و التأنیث انتهی.

و المراد بالکلم علی أی حال ما یفید معنی تاما کلامیا و یشهد به توصیفه بالطیب فطیب الکلم هو ملاءمته لنفس سامعه و متکلمه بحیث تنبسط منه و تستلذه و تستکمل به و ذلک إنما یکون بإفادته معنی حقا فیه سعاده النفس و فلاحها.

و بذلک یظهر أن المراد به لیس مجرد اللفظ بل بما أن له معنی طیبا فالمراد به الاعتقادات الحقه التی یسعد الإنسان بالإذعان لها و بناء عمله علیها و المتیقن منها کلمه التوحید التی یرجع إلیها سائر الاعتقادات الحقه و هی المشموله لقوله تعالی :«أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً کَلِمَهً طَیِّبَهً کَشَجَرَهٍ طَیِّبَهٍ أَصْلُهٰا ثٰابِتٌ وَ فَرْعُهٰا فِی السَّمٰاءِ تُؤْتِی أُکُلَهٰا کُلَّ حِینٍ بِإِذْنِ رَبِّهٰا:» إبراهیم:-۲۵ و تسمیه الاعتقاد قولا و کلمه أمر شائع بینهم.

و صعود الکلم الطیب إلیه تعالی هو تقربه منه تعالی اعتلاء و هو العلی الأعلی رفیع الدرجات،و إذ کان اعتقادا قائما بمعتقده فتقربه منه تعالی تقرب المعتقد به منه،و قد فسروا صعود الکلم الطیب بقبوله تعالی له و هو من لوازم المعنی.

ثم إن الاعتقاد و الإیمان إذا کان حق الاعتقاد صادقا إلی نفسه صدقه العمل و لم یکذبه أی یصدر عنه العمل علی طبقه فالعمل من فروع العلم و آثاره التی لا تنفک عنه، و کلما تکرر العمل زاد الاعتقاد رسوخا و جلاء و قوی فی تأثیره فالعمل الصالح و هو العمل الحری بالقبول الذی طبع علیه بذل العبودیه و الإخلاص لوجهه الکریم یعین الاعتقاد الحق فی ترتب أثره علیه و هو الصعود إلیه تعالی و هو المعزی إلیه بالرفع فالعمل الصالح یرفع الکلم الطیب.

فقد تبین بما مر معنی قوله:« إِلَیْهِ یَصْعَدُ الْکَلِمُ الطَّیِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّٰالِحُ یَرْفَعُهُ » و أن ضمیر« إِلَیْهِ »لله سبحانه و المراد بالکلم الطیب الاعتقاد الحق کالتوحید،و بصعوده

تقربه منه تعالى،و بالعمل الصالح ما كان على طبق الاعتقاد الحق و يلائمه و أن الفاعل فى « يَرْفَعُهُ »ضمير مستكن راجع إلى العمل الصالح و ضمير المفعول راجع إلى الكلم الطيب.

و لهم فى الآيه أقوال أخر:

فقد قيل:إن المراد بصعود الكلم الطيب قبوله و الإثابه عليه كما تقدمت الإشاره إليه،و قيل:المراد صعود الملائكه بما كتب من الإيمان و الطاعات إلى الله سبحانه، و قيل:المراد صعودهم به إلى السماء فسمى الصعود إلى السماء صعودا إلى الله مجازا.

و قيل:إن فاعل« يَرْفَعُهُ »ضمير عائد إلى الكلم الطيب و ضمير المفعول للعمل الصالح و المعنى أن الكلم الطيب يرفع العمل الصالح أى أن العمل الصالح لا ينفع إلا إذا صدر عن التوحيد،و قيل:فاعل« يَرْفَعُهُ »ضمير مستكن راجع إليه تعالى و المعنى العمل الصالح يرفعه الله.

و جمله هذه الوجوه لا تخلو من بعد و الأسبق إلى الذهن ما قدمناه من المعنى.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرُ أُولٰئِكَ هُوَ يَبُورُ » ذكروا أن« اَلسَّيِّئاتِ »وصف قائم مقام موصوف محذوف و هو المكرات،و وضع اسم الإشاره موضع الضمير فى« مَكْرُ أُولٰئِكَ » للدلاله على أنهم متعينون لا مختلطون بغيرهم و المعنى و الذين يمكرون المكرات السيئات لهم عذاب شديد و مكر أولئك الماكرين هو يبور و يهلك فلا يستعقب أثرا حيا فيه سعادتهم و عزتهم.

و قد بان أن المراد بالسيئات أنواع المكرات و الحيل التى يتخذها المشركون وسائل لكسب العزه،و الآيه مطلقه،و قيل:المراد المكرات التى اتخذتها قريش على رسول الله ص فى دار الندوه و غيرها من إثبات أو إخراج أو قتل فرد الله كيدهم إليهم و أخرجهم إلى بدر و قتلهم و أثبتهم فى القليب فجمع عليهم الإثبات و الإخراج و القتل و هذا وجه حسن لكن الآيه مطلقه.

و وجه اتصال ذيل الآيه بصدرها أعنى اتصال قوله:« إِلَيْهِ يَصْعَدُ »إلى آخر الآيه بقوله:« مَنْ كٰانَ يُرِيدُ الْعِزَّهَ فَلِلّٰهِ الْعِزَّهُ جَمِيعاً »أن المشركين كانوا يعتزون بآلهتهم كما قال تعالى :«وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ آلِهَهً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا:» مريم:-٨١ فدعاهم الله سبحانه و هم يطلبون العز إلى نفسه بتذكيرهم أن العزه لله جميعا و بين تعالى ذلك بأن

توحیده یصعد إلیه و العمل الصالح یرفعه فیکتسب الإنسان بالتقرب منه عزه من منبع العزه و أما الذین یمکرون کل مکر سیئ لاکتساب العزه فلهم عذاب شدید و ما مکروه من المکر بائر هالک لا یصعد إلی محل و لا یکسب لهم عزا.

قوله تعالی:« وَ اللّٰهُ خَلَقَکُمْ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ ثُمَّ جَعَلَکُمْ أَزْوٰاجاً »إلخ.یشیر تعالی إلی خلق الإنسان فابتدأ خلقه من تراب و هو المبدأ البعید الذی تنتهی إلیه الخلقه ثم من نطفه و هی مبدأ قریب تتعلق به الخلقه.

و قیل المراد بخلقهم من تراب خلق أبیهم آدم من تراب فإن الشیء یضاف إلی أصله و قیل:بل المراد خلق آدم نفسه و قیل:بل المراد خلقهم خلقا إجمالیا من تراب فی ضمن خلق آدم من تراب و الخلق التفصیلی هو من نطفه کما قال: ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ .

و الفرق بین الوجوه الثلاثه أن فی الأول نسبه الخلق من تراب إلیهم علی طریق المجاز العقلی،و فی الثانی المراد بخلقهم خلق آدم و لا مجاز فی النسبه،و فی الثالث المراد خلق کل واحد من الأفراد من التراب حقیقه من غیر مجاز إلا أنه خلق إجمالی لا تفصیلی و بهذا یفارق ما قدمناه من الوجه.

و یمکن تأیید القول الأول بقوله تعالی :«خَلَقَ الْإِنْسٰانَ مِنْ صَلْصٰالٍ کَالْفَخّٰارِ:» الرحمن:-۱۴،و الثانی بنحو قوله :«وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسٰانِ مِنْ طِینٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاٰلَهٍ مِنْ مٰاءٍ مَهِینٍ:» السجده:-۸،و الثالث بقوله :«وَ لَقَدْ خَلَقْنٰاکُمْ ثُمَّ صَوَّرْنٰاکُمْ ثُمَّ قُلْنٰا لِلْمَلاٰئِکَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ:» الأعراف:-۱۱ و لکل وجه.

و قوله:« ثُمَّ جَعَلَکُمْ أَزْوٰاجاً أی ذکورا و إناثا،و قیل:أی قدر بینکم الزوجیه و زوج بعضکم من بعض،و هو کما تری،و قیل:أی أصنافا و شعوبا.و هو کسابقه.

و قوله:« وَ مٰا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثیٰ وَ لاٰ تَضَعُ إِلاّٰ بِعِلْمِهِ »من زائده لتأکید النفی، و الباء فی« بِعِلْمِهِ »للمصاحبه و هو حال من الحمل و الوضع،و المعنی ما تحمل و لا تضع أنثی إلا و علمه یصاحب حمله و وضعه،و ذکر بعضهم أنه حال من الفاعل و أن کونه حالا من الحمل و الوضع و کذا من مفعولیهما أی المحمول و الموضوع خلاف الظاهر و هو ممنوع.

و قوله:« وَ مٰا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لاٰ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ »أى و ما يمد و يزاد فى عمر أحد فيكون معمرا و لا ينقص من عمره أى عمر أحد إلا فى كتاب.

فقوله:« وَ مٰا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ »من قبيل قوله :«إِنِّي أَرٰانِي أَعْصِرُ خَمْراً:» يوسف:- ۲۶ فوضع معمر موضع نائب الفاعل و هو أحد بعنايه أنه بعد تعلق التعمير به يصير معمرا و إلا فتعمير المعمر لا معنى له.

و قوله:« وَ لاٰ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ »الضمير فى« عُمُرِهِ »راجع إلى« مُعَمَّرٍ »باعتبار موصوفه المحذوف و هو أحد و المعنى و لا ينقص من عمر أحد و إلا فنقص عمر المفروض معمرا تناقض خارق للفرض.

و قوله:« إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ »و هو اللوح المحفوظ الذى لا سبيل للتغيير إليه فقد كتب فيه أن فلانا يزاد فى عمره كذا لسبب كذا و فلانا ينقص من عمره كذا لسبب كذا و أما كتاب المحو و الإثبات فهو مورد التغير و سياق الآيه يفيد وصف العلم الثابت و لهم فى قوله:« وَ مٰا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لاٰ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ »وجوه أخر ضعيفه لا جدوى فى التعرض لها.

و قوله:« إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ »تعليل و تقرير لما فى الآيه من وصف خلق الإنسان و كيفيه إحداثه و إبقائه و المعنى أن هذا التدبير الدقيق المتين المهيمن على كليات الحوادث و جزئياتها المقرر كل شىء فى مقره على الله يسير لأنه الله العليم القدير المحيط بكل شىء بعلمه و قدرته فهو تعالى رب الإنسان كما أنه رب كل شىء.

قوله تعالى:« وَ مٰا يَسْتَوِي الْبَحْرٰانِ هٰذٰا عَذْبٌ فُرٰاتٌ سٰائِغٌ شَرٰابُهُ وَ هٰذٰا مِلْحٌ أُجٰاجٌ »إلى آخر الآيه قيل: العذب من الماء طيبه،و الفرات الماء الذى يكسر العطش أو البارد كما فى المجمع،و السائغ هو الذى يسهل انحداره فى الحلق لعذوبته و الأجاج الذى يحرق لملوحته أو المر.

و قوله:« وَ مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهٰا » اللحم الطرى الغض الجديد،و المراد لحم السمك أو السمك و الطير،البحرى و الحليه المستخرجه من البحر اللؤلؤ و المرجان و الأصداف قال تعالى :«يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجٰانُ:» الرحمن:-۲۲.

و فى الآيه تمثيل للمؤمن و الكافر بالبحر العذب و المالح يتبين به عدم تساوى المؤمن

و الكـافر فى الكمال الفطرى و إن تشاركا فى غالب الخواص الإنسانيه و آثارها فالمؤمن باق على فطرته الأصـليه ينال بها سـعاده الحيـاه الـدائمه و الكـافر منحرف فيهـا متلبس بمـا لا تسـتطيبه الفطره الإنسانيه و سـيعذب بأعماله فمثلهما مثل البحرين المختلفين عـذوبه و ملوحه فهمـا مختلفـان من حيث البقاء على فطره الماء الأصـليه و هى العـذوبه و الخروج عنها بالملوحه و إن اشتركا فى بعض الآثـار التى ينتفع بها،فمن كل منهما تأكلون لحما طريا و هو لحم السـمك و الطير المصـطاد من البحر و تسـتخرجون حليه تلبسونها كاللؤلؤ و المرجان و الأصداف.

فظاهر الآيه أن الحليه المسـتخرجه مشتركه بين البحر العذب و البحر المالح لكن جمعا من المفسرين استشكلوا ذلك بأن اللؤلؤ و المرجان إنما يستخرجان من البحر المالح دون العذب،و قد أجابوا عنه بأجوبه مختلفه.

منهـا أن الآيه مسوقه لبيان اشتراك البحرين فى مطلق الفائـده و إن اختص ببعضـها كأنه قيل:و من كل تنتفعون و تسـتفيدون كما تأكلون منهما لحما طريا و تستخرجون من البحر المالح حليه تلبسونها و ترى الفلك فيه مواخر.

و منهـا أنه شـبه المؤمن و الكـافر بالعـذب و الأجـاج ثم فضـل الأجـاج على الكافر بأن فى الأجاج بعض النفع و الكافر لا نفع فى وجوده فالآـيه على طريقه قوله تعالى:« ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجٰارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً »ثم قال :«وَ إِنَّ مِنَ الْحِجٰارَةِ لَمٰا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهٰارُ وَ إِنَّ مِنْهٰا لَمٰا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمٰاءُ وَ إِنَّ مِنْهٰا لَمٰا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ:» البقره:-۷۴.

و منها أن قوله:« وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهٰا »من تتمه التمثيل على معنى أن البحرين و إن اشتركا فى بعض المنافع تفاوتا فيما هو المقصـود بالـذات لأـن أحـدهما خـالطه مـا خرج بـه عن صـفاء فطرته و المـؤمن و الكـافر و إن اتفقـا أحيانـا فى بعض المكـارم كالشجاعه و السخاوه متفاوتان فيما هو الأصل لبقاء أحدهما على صفاء الفطره الأصليه دون الآخر.

و منها أنه لا مانع من أن يخرج اللؤلؤ من المياه العذبه و إن لم نره فالإشكال باختصاص الحليه بالماء المالح ممنوع.

و منها منع أصل الدعوى و هو كون الآيه« وَ مٰا يَسْتَوِي الْبَحْرٰانِ »إلخ.تمثيلا

للمؤمن و الكافر بل هی واقعه فی سیاق تعداد النعم لإثبات الربوبیه کقوله قبلا:« وَ اللّهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیٰاحَ »و قوله بعدا:« یُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهٰارِ »إلخ.فالآیه مسوقه لبیان نعمه البحر و اختلافه بالعذوبه و الملوحه و ما فیهما من المنافع المشترکه و المختصه.

و یؤید هذا الوجه أن نظیر الآیه فی سوره النحل واقعه فی سیاق الآیات العاده لنعم الله سبحانه و هو قوله :«وَ هُوَ الَّذِی سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْکُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِیًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْیَهً تَلْبَسُونَهٰا وَ تَرَی الْفُلْکَ مَوٰاخِرَ فِیهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ :النحل:-۱۴.

و الحق أن أصل الاستشکال فی غیر محله و أن البحرین یشترکان فی وجود الحلیه فیهما کما هو مذکور فی الکتب الباحثه عن هذه الشئون مشروح فیها (۱)قوله تعالی:« وَ تَرَی الْفُلْکَ فِیهِ مَوٰاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ » ضمیر« فِیهِ »للبحر،و مواخر جمع ماخره من المخر بمعنی الشق عدت السفینه ماخره لشقها الماء بجؤجؤتها.

قیل:إنما أفرد ضمیر الخطاب فی قوله:« تَرَی »بخلاف الخطابات المتقدمه و المتأخره لأن الخطاب لکل أحد یتأتی منه الرؤیه دون المنتفعین بالبحرین فقط.

و قوله:« لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ »أی مخر الفلک البحر بتسخیره لتطلبوا من عطائه و هو الرزق و رجاء أن تشکروا الله سبحانه،و قد تقدم أن الترجی الذی تفیده«لعل»فی کلامه تعالی قائم بالمقام دون المتکلم.

و قد قیل فی هذه الآیه:« وَ تَرَی الْفُلْکَ فِیهِ مَوٰاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ »و فی سوره النحل:« وَ تَرَی الْفُلْکَ مَوٰاخِرَ فِیهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ »فاختلفت الآیتان فی تقدیم « فِیهِ »علی« مَوٰاخِرَ »و تأخیره منه و عطف« لِتَبْتَغُوا »و عدمه.

و لعل النکته فی ذلک أن آیه النحل مصدره بکلمه التسخیر فهی مسوقه لبیان کیفیه التسخیر و الأنسب لذلک تأخیر« فِیهِ »لیتعلق بمواخر و یشیر إلی مخر البحر

---

۱ – ۱) و قد ذکر وجود الحلیه فی الماء العذب فی ماده صدف من دائره المعارف للبستانی و ذکر أیضا فی أمریکا Eneyclopodia و بریطانیا Encyclopoedia وجودها فیه و سمیت عده من الأنهار العذبه فی أمریکا و أوربا و آسیا یستخرج منها اللؤلؤ.

فيصرح بالتسخير بخلاف ما هاهنا ثم التسخير له غايات كثيره منها ابتغاء الفضل و الأنسب لذلك عطف« لِتَبْتَغُوا »على محذوف ليدل على عدم انحصار الغايه فى ابتغاء الفضل بخلاف ما هاهنا فإن الغرض بيان أنه الرازق المدبر ليرتدع المكذبون-و قد تقدم ذكر تكذيبهم- عن تكذيبهم و يكفى فى ذلك بيان ابتغائهم الفضل غايه من غير حاجه إلى العطف.

و الله أعلم.

و قال فى روح المعانى،فى المقام:و الذى يظهر لى فى ذلك أن آيه النحل سيقت لتعداد النعم كما يؤذن بذلك سوابقها و لواحقها و تعقيب الآيات بقوله سبحانه:« وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا »فكان الأهم هناك تقديم ما هو نعمه و هو مخر الفلك للماء بخلاف ما هنا فإنه إنما سيق استطرادا أو تتمه للتمثيل كما علمت آنفا فقدم فيه« فِيهِ » إيذانا بأنه ليس المقصود بالذات ذلك،و كان الاهتمام بما هناك اقتضى أن يقال فى تلك الآيه:« وَ لِتَبْتَغُوا »بالواو و مخالفه ما هنا لذلك اقتضت ترك الواو فى قوله:« لِتَبْتَغُوا »انتهى.

قوله تعالى:« يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهٰارِ وَ يُولِجُ النَّهٰارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى »إلخ.إيلاج الليل فى النهار قصر النهار بطول الليل و إيلاج النهار فى الليل قصر الليل بطول النهار،و المراد بالجملتين الإشاره إلى اختلاف الليل و النهار فى الطول و القصر المستمر فى أيام السنه بتغير الأيام و لذا عبر بقوله:« يُولِجُ » الدال على استمرار التغيير بخلاف جريان الشمس و القمر فإنه ثابت على حاله و لذا عبر فيه بقوله:« وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى »و العنايه صوريه مسامحيه.

و قوله:« ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ »بمنزله النتيجه لما تقدم أى إذا كان أمر خلقكم و تدبيركم برا و بحرا و أرضا و سماء منتسبا إليه مدبرا بتدبيره فذلكم الله ربكم الذى يملككم و يدبر أمركم.

و قوله:« لَهُ الْمُلْكُ »مستنتج مما قبله و توطئه و تمهيد لما بعده من قوله:« وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مٰا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ».

و قوله:« وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مٰا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ » القطمير على ما قاله الراغب الأثر على رأس النواه و ذلك مثل للشىء الطفيف،و فى المجمع،القطمير لفافه النواه و قيل:الحبه فى بطن النواه انتهى و الكلام على أى حال مبالغه فى نفى أصل الملك

و المراد بالذين تدعون من دون الله آلهتهم الذين كانوا يدعونها من الأصنام و أربابها.

قوله تعالى:« إِنْ تَدْعُوهُمْ لاٰ يَسْمَعُوا دُعٰاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجٰابُوا لَكُمْ »إلخ.

بيان و تقرير لما تقدم من قوله:« وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مٰا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ » أی تصديق كونهم لا يملكون شيئا أنكم إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لأن الأصنام جمادات لا شعور لها و لا حس و أرباب الأصنام كالملائكه و القديسين من البشر فی شغل شاغل من ذلک على أنهم لا يملكون سمعا من عند أنفسهم فلا يسمعون إلا بإسماعه.

و قوله:« وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجٰابُوا لَكُمْ »إذ لا قدره لهم على الاستجابه قولا و لا فعلا أما الأصنام فظاهر و أما أرباب الأصنام فقدرتهم من الله سبحانه و لن يأذن الله لأحد أن يستجيب أحدا يدعوه بالربوبيه قال تعالى :«لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّٰهِ وَ لاَ الْمَلاٰئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً:» النساء:-١٧٢.

و قوله:« وَ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ »أی يردون عبادتكم إليكم و يتبرءون منكم بدلا من أن يكونوا شفعاء لكم «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا:» البقره:-١۶۶.

فالآيه فی نفی الاستجابه و كفر الشركاء يوم القيامه فی معنى قوله :«وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَنْ لاٰ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَةِ وَ هُمْ عَنْ دُعٰائِهِمْ غٰافِلُونَ وَ إِذٰا حُشِرَ النّٰاسُ كٰانُوا لَهُمْ أَعْدٰاءً وَ كٰانُوا بِعِبٰادَتِهِمْ كٰافِرِينَ:» الأحقاف:-۶.

و قوله:« وَ لاٰ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ »أی لا يخبرک عن حقيقه الأمر مخبر مثل مخبر خبير و هو خطاب خاص بالنبی ص بعد الإعراض عن خطابهم لعدم تفقههم بالبيان الحق أو خطاب عام فی صوره الخطاب الخاص خوطب به السامع أی من كان كقوله:

« وَ تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوٰاخِرَ »الآيه السابقه،و قوله :«وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذٰا طَلَعَتْ» XالآيهX:

الكهف:-١٧،و قوله :«وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقٰاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ:» الكهف:-١٨.

(بحث روائی)

فی تفسير القمی،:فی قوله تعالى:« كَذٰلِكَ النُّشُورُ :»حدثنی أبی عن ابن أبی عمير

عن جميل بن دراج عن أبى عبد الله(ع)قال: إذا أراد الله أن يبعث الخلق-أمطر السماء على الأرض أربعين صباحا-فاجتمعت الأوصال و نبتت اللحوم.

أقول:و فى هذا المعنى عده روايات أخر.

و فى الدر المنثور،أخرج الطيالسى و أحمد و عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن مردويه و البيهقى فى الأسماء و الصفات عن أبى رزين العقيلى قال: قلت:يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى؟قال:أ ما مررت بأرض مجدبه-ثم مررت بها مخصبه تهتز خضراء؟قال:بلى.قال:كذلك يحيى الله الموتى و كذلك النشور.

و فى تفسير القمى،فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع)قال:قال رسول الله ص: إن لكل قول مصداقا من عمل يصدقه أو يكذبه-فإذا قال ابن آدم- و صدق قوله بعمله رفع قوله بعمله إلى الله،و إذا قال و خالف عمله قوله-رد قوله على عمله الخبيث و هوى به فى النار.

و فى التوحيد،بإسناده عن زيد بن على عن أبيه(ع)فى حديث قال: و إن لله تبارك و تعالى بقاعا فى سماواته-فمن عرج به إلى بقعه منها فقد عرج به إليه.أ لا تسمع الله عز و جل يقول:« تَعْرُجُ الْمَلاٰئِكَهُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ »و يقول فى قصه عيسى بن مريم(ع) « بَلْ رَفَعَهُ اللّٰهُ »و يقول عز و جل:« إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّٰالِحُ يَرْفَعُهُ :».

أقول:و عن الفقيه،مثله .

و فى نهج البلاغه،: و لو لا إقرارهن (١)له بالربوبيه-و إذعانهن له بالطواعيه (٢)لما جعلهن موضعا لعرشه و لا مسكنا لملائكته-و لا مصعدا للكلم الطيب و العمل الصالح من خلقه.

و فى تفسير القمى،فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع): فى قوله تعالى:« وَ مٰا يَسْتَوِي الْبَحْرٰانِ-هٰذٰا عَذْبٌ فُرٰاتٌ سٰائِغٌ شَرٰابُهُ وَ هٰذٰا مِلْحٌ أُجٰاجٌ »الأجاج المر.

و فيه": فى قوله:« وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ-مٰا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ »قال:الجلده الرقيقه التى على ظهر النوى.

١- ١) الضمير للسماوات.

٢- ٢) الطاعه

[سوره فاطر (۳۵): الآیات ۱۵ الی ۲۶]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلنّٰاسُ أَنْتُمُ اَلْفُقَرٰاءُ إِلَی اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ هُوَ اَلْغَنِیُّ اَلْحَمِیدُ (۱۵) إِنْ یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ وَ یَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِیدٍ (۱۶) وَ مٰا ذٰلِکَ عَلَی اَللّٰهِ بِعَزِیزٍ (۱۷) وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْریٰ وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلیٰ حِمْلِهٰا لاٰ یُحْمَلْ مِنْهُ شَیْءٌ وَ لَوْ کٰانَ ذٰا قُرْبیٰ إِنَّمٰا تُنْذِرُ اَلَّذِینَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَیْبِ وَ أَقٰامُوا اَلصَّلاٰةَ وَ مَنْ تَزَکّٰی فَإِنَّمٰا یَتَزَکّٰی لِنَفْسِهِ وَ إِلَی اَللّٰهِ اَلْمَصِیرُ (۱۸) وَ مٰا یَسْتَوِی اَلْأَعْمیٰ وَ اَلْبَصِیرُ (۱۹) وَ لاَ اَلظُّلُمٰاتُ وَ لاَ اَلنُّورُ (۲۰) وَ لاَ اَلظِّلُّ وَ لاَ اَلْحَرُورُ (۲۱) وَ مٰا یَسْتَوِی اَلْأَحْیٰاءُ وَ لاَ اَلْأَمْوٰاتُ إِنَّ اَللّٰهَ یُسْمِعُ مَنْ یَشٰاءُ وَ مٰا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِی اَلْقُبُورِ (۲۲) إِنْ أَنْتَ إِلاّٰ نَذِیرٌ (۲۳) إِنّٰا أَرْسَلْنٰاکَ بِالْحَقِّ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاّٰ خَلاٰ فِیهٰا نَذِیرٌ (۲۴) وَ إِنْ یُکَذِّبُوکَ فَقَدْ کَذَّبَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّنٰاتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْکِتٰابِ اَلْمُنِیرِ (۲۵) ثُمَّ أَخَذْتُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا فَکَیْفَ کٰانَ نَکِیرِ (۲۶)

(بیان)

لما بین لهم أن الخلق و التدبیر إلیه تعالی فهو ربهم له الملک دون الذین یدعون من دونه فهم لا یملکون شیئا حتی یقوموا بتدبیره،أخذ یبین ذلک ببیان آخر مشوب

ص: ۳۲

بالوعید و التهدید و هو أنه تعالی غنی عنهم و هم فقراء إلیه فله أن یذهبهم و یأت بخلق جدید إن شاء جزاء بما کسبوا.

ثم وجه الخطاب إلی النبی ص بما حاصله أن هذه المؤاخذه و الإهلاک لا یشمل إلا هؤلاء المکذبین دون المؤمنین الذین یؤثر فیهم إنذار النبی(ع)فبینهما فرق ظاهر و هو(ص)نذیر کالنذر الماضین و حاله کحال من قبله من المنذرین و إن یکذبوه فقد کذبت الأنبیاء الماضین مکذبو أممهم فأخذهم الله أخذا شدیدا و سیأخذ المکذبین من هذه الأمه.

قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا النّٰاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ إِلَی اللّٰهِ وَ اللّٰهُ هُوَ الْغَنِیُّ الْحَمِیدُ »لا ریب أن فی الآیه نوع تمهید بالنسبه إلی الآیتین التالیتین یتبین بها مضمونهما و هی مع ذلک مستقله فی مفادها.

بیان ذلک:أن السیاق یشعر بأن أعمال هؤلاء المکذبین کانت تکشف عن أنهم کانوا یتوهمون أن لهم أن یستغنوا عن الله سبحانه بعباده آلهتهم و أن لله إلیهم حاجه و لذلک یدعوهم إلی نفسه بالدعوه الإلهیه التی یقوم بها رسله فهناک غنی و فقر و لهم نصیب من الغنی و لله نصیب من الفقر تعالی عن ذلک.

فرد الله سبحانه زعمهم ذلک بقوله:« یٰا أَیُّهَا النّٰاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ إِلَی اللّٰهِ وَ اللّٰهُ هُوَ الْغَنِیُّ »فقصر الفقر فیهم و قصر الغنی فیه سبحانه فکل الفقر فیهم و کل الغنی فیه سبحانه،و إذ کان الغنی و الفقر و هما الوجدان و الفقدان متقابلین لا یرتفعان عن موضوعهما کان لازم القصر السابق قصر آخر و هو قصرهم فی الفقر و قصره تعالی فی الغنی فلیس لهم إلا الفقر و لیس له تعالی إلا الغنی.

فالله سبحانه غنی بالذات له أن یذهبهم و یستغنی عنهم و هم فقراء بالذات لیس لهم أن یستغنوا عنه بغیره.

و الملاک فی غناه تعالی عنهم و فقرهم أنه تعالی خالقهم و مدبر أمرهم و إلیه الإشاره بأخذ لفظ الجلاله فی بیان فقرهم و بیان غناه،و الإشاره إلی الخلق و التدبیر فی قوله:

« إِنْ یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ وَ یَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِیدٍ »و کذا توصیفه تعالی بالحمید و هو المحمود فی فعله

الذی هو خلقه و تدبیره.

فیعود معنی الکلام إلی نحو من قولنا:یا أیها الناس أنتم بما أنکم مخلوقون مـدبرون لله الفقراء إلی الله فیکم کل الفقر و الحاجه و الله بما أنه الخالق المدبر،الغنی لا غنی سواه.

و علی هـذا لا ضـیر فی قصـر الفقر فی الناس سواء أریـد به المکذبون خاصه أو عامه الناس مع کون غیرهم من المخلوقات فقراء إلی الله کمثلهم و ذلـک أن عموم عله الحکم یعمم الحکم فکـأنه قیل:أنتم معاشـر الخلیقه الفقراء إلی خالقکم المـدبر لأمرکم و هو الغنی الحمید.

و قد أجیب عن إشکال قصر الفقر فی الناس مع عمومه لغیرهم بوجوه من الجواب:

منهـا أن فی قصـر الفقر فی النـاس مبـالغه فی فقرهم کـأنهم لکثره افتقارهم و شـده احتیاجهم هم الفقراء فحسب و أن افتقار سائر الخلائق بالنسبه إلی فقرهم بمنزله العدم و لذلک قال تعالی:« خُلِقَ الْإِنْسٰانُ ضَعِیفاً »و لا یرد الجن لأنهم لا یحتاجون فی المطعم و الملبس و غیرهما کما یحتاج الإنسان.

و منها أن المراد الناس و غیرهم و هو علی طریقه تغلیب الحاضر علی الغائب و أولی العلم علی غیرهم.

و منها أن الوجه حمل اللام فی الناس علی العهـد و فی الفقراء علی الجنس لأن المخاطبین فی الآیه هم الـذین خوطبوا فی قوله:« ذٰلِکُمُ اللّٰهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ »الآـیه أی ذلکم المعبـود هـو الـذی وصف بصـفات الجلاـل لاـ الـذین تـدعون من دونه و أنتم أشـد الخلائق احتیاجا إلیه.

و منها أن القصر إضافی بالنسبه إلیه تعالی لا حقیقی.

و غیر خفی علیک أن مفاد الآیه و سیاقها لا یلائم شیئا من هذه الأجوبه نعم یمکن توجیه الجواب الأخیر بما یرجع إلی ما قدمناه من الوجه.

و تذییل الآیه بصفه الحمید للإشاره إلی أنه غنی محمود الأفعال إن أعطی و إن منع لأنه إذا أعطی لم یعطه لبدل لغناه عن الجزاء و الشکر و کل بدل مفروض و إن منع لم یتوجه إلیه لائمه إذ لا حق لأحد علیه و لا یملک منه شیء.

قوله تعالی:« إِنْ یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ وَ یَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِیدٍ وَ مٰا ذٰلِکَ عَلَی اللّٰهِ بِعَزِیزٍ »أی

إن یرد إذهابکم یـذهبکم أیها الناس لأنه غنی عنکم لا یستضـر بذهابکم و یأت بخلق جدید یحمدونه و یثنون علیه لا لحاجه منه إلیهم بل لأنه حمید و مقتضاه أن یجود فیحمد و لیس ذلک علی الله بصعب لقدرته المطلقه لأنه الله عز اسمه.

فقـد بان أن مضـمون الآیه متفرع علی مضـمون الآیه السابقه فقوله:« إِنْ یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ »متفرع علی کونه تعالی غنیا،و قوله:« وَ یَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِیدٍ »متفرع علی کونه تعالی حمیدا،و قد فرع مضمون الجملتین فی موضع آخر علی غناه و رحمته قال تعالی :

«وَ رَبُّکَ الْغَنِیُّ ذُو الرَّحْمَهِ إِنْ یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ وَ یَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِکُمْ مٰا یَشٰاءُ:» الأنعام:-۱۳۳.

قوله تعـالی:« وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَهٌ وِزْرَ أُخْریٰ »إلـخ.قال الراغب: الوزر -بفتحتین- الملجأ الـذی یلتجأ إلیه من الجبل،قال تعالی:« کَلاّٰ لاٰ وَزَرَ »و الوزر -بالکسر فالسکون-الثقل تشبیها بوزر الجبل،و یعبر به عن الإثم کما یعبر عنه بالثقل قال تعالی:

« لِیَحْمِلُوا أَوْزٰارَهُمْ کٰامِلَهً »الآیه کقوله:« لَیَحْمِلُنَّ أَثْقٰالَهُمْ وَ أَثْقٰالاً مَعَ أَثْقٰالِهِمْ ».انتهی فالمعنی لا تحمل نفس حامله للإثم إثم نفس أخری و لازم ذلک أن لا تؤاخذ نفس إلا بما حملت من إثم نفسها و اکتسبته من الوزر.

و الآـیه کـأنه دفع دخـل یشـعر به آخرهـا کـأنه لمـا قـال:إن یشأ یـذهبکم و یأت بآخرین،فهـددهم بالإهلاک و الإفناء،قیل:هؤلاء المکذبون أخذوا بوزرهم فما حال المؤمنین؟أ یؤخذون بوزر غیرهم؟.

فأجیب أن لا تزر وازره وزر أخری و لا تحمل نفس حمل غیرها الذی أثقلها و إن کانت ذات قربی.

فهؤلاء المکـذبون هم المعنیون بالتهدید و لا تنفع فیهم دعوتک و إنذارک لأنهم مطبوع علی قلوبهم،و إنما ینفع إنذارک الذین یخشون ربهم بـالغیب و یقیمون الصـلاه و الفریقـان لاـ یسـتویان لأـن مثلهم مثـل الأـعمی و البصـیر،و الظلمـات و النور،و الظل و الحرور، و الأحیاء و الأموات.

فقوله:« وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَهٌ وِزْرَ أُخْریٰ »أی لا تحمل نفس حامله للوزر و الإثم إثم نفس أخری حامله.

و قوله:« وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَهٌ إِلیٰ حِمْلِهٰا لاٰ یُحْمَلْ مِنْهُ شَیْءٌ وَ لَوْ کٰانَ ذٰا قُرْبیٰ »أی

و إن تدع نفس مثقله أثقلها حملها من الإثم غيرها إلى ما حملته من الإثم ليحمله عنها لا يستجاب لها و لا يحمل من حملها شىء و لو كان المدعو ذا قربى للداعى كالأب و الأم و الأخ و الأخت.

و قوله:« إِنَّمٰا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ أَقٰامُوا الصَّلاٰةَ »أى هؤلاء المكـذبون لا ينتفعون بالإنذار و لا تتحقق معهم حقيقه الإنذار لأنهم مطبوع على قلوبهم إنما تنذر و ينفع إنذارك الذين يخشون ربهم بالغيب و يقيمون الصلاه التى هى أفضل العبادات و أهمها و بالجمله يؤمنون بالله و يعبـدونه أى الذين يخشون ربهم بالغيب و يقيمون الصـلاه إثر إنذارك لا أنهم يخشون ربهم و يصلون ثم ينذرون بعد ذلك حتى يلزم تحصيل الحاصل فالآيه كقوله :«إِنِّى أَرٰانِى أَعْصِرُ خَمْراً:» يوسف:-٣۶.

و قوله:« وَ مَنْ تَزَكّٰى فَإِنَّمٰا يَتَزَكّٰى لِنَفْسِهِ »بـدل الخشـيه و إقامه الصـلاه من التزكى للإشاره إلى أن المطلوب بالدعوه و الإنذار هو التزكى و تزكيه النفس تلبسها بالخشيه من الله على الغيب و إقامه الصلاه.

و فيه تقرير و تأكيد لما تقدم من كونه تعالى غنيا حميدا فهو تعالى لا ينتفع بما يدعو إليه من التزكى بل الذى تزكى فإنما يتزكى لنفع نفسه.

و قـد ختم الآيه بقوله:« وَ إِلَى اللّٰهِ الْمَصِيرُ »للـدلاله على أن تزكيه من تزكى لا تـذهب سـدى،فإن كلا من الفريقين صائرون إلى ربهم لا محاله و هو يحاسبهم و يجازيهم فيجازى هؤلاء المتزكين أحسن الجزاء.

قوله تعالى:« وَ مٰا يَسْتَوِي الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ »الظاهر أنه عطف على قوله:« وَ إِلَى اللّٰهِ الْمَصِيرُ »تعليل فى صوره التمثيل لعدم مساواه هؤلاء المتزكين لأولئك المكذبين، و قيل:عطف على قوله السابق:« وَ مٰا يَسْتَوِي الْبَحْرٰانِ ».

قوله تعالى:« وَ لاَ الظُّلُمٰاتُ وَ لاَ النُّورُ »تكرار حروف النفى مره بعد مره فى الآيه و ما يليها لتأكيد النفى.

قوله تعالى:« وَ لاَ الظِّلُّ وَ لاَ الْحَرُورُ » الحرور شده حر الشمس على ما قيل و قيل:

هو السموم و قيل:السموم يهب نهارا و الحرور يهب ليلا و نهارا.

قوله تعالى:« وَ مٰا يَسْتَوِي الْأَحْيٰاءُ وَ لاَ الْأَمْوٰاتُ »إلى آخر الآيه عطف على قوله:

« وَ مٰا يَسْتَوِي الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ »و إنما كرر قوله:« مٰا يَسْتَوِي »و لم يعطف« اَلْأَحْيٰاءُ وَ لاَ الْأَمْوٰاتُ »على قوله: اَلْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ »كرابعته لطول الفصل فأعيد« مٰا يَسْتَوِي » لئلا يغيب المعنى عن ذهن السامع فهو كقوله :«كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ -Xإلى أن قالX- كَيْفَ وَ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ» Xالخ X.التوبه:-٨.

و الجمل المتواليه المترتبه أعنى قوله:« وَ مٰا يَسْتَوِي الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ -إلى قوله- وَ مٰا يَسْتَوِي الْأَحْيٰاءُ وَ لاَ الْأَمْوٰاتُ »تمثيلات للمؤمن و الكافر و تبعات أعمالهما.

و قوله:« إِنَّ اللّٰهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشٰاءُ »و هو المؤمن كان ميتا فأحياه الله فأسمعه لما فى نفسه من الاستعداد لذلك قال تعالى :«أَ وَ مَنْ كٰانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنٰاهُ وَ جَعَلْنٰا لَهُ نُوراً:» الأنعام:-١٢٢،و أما النبى(ع)فإنما هو وسيله و الهدى هدى الله.

و قوله:« وَ مٰا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ »أى الأموات و المراد بهم الكفار المطبوع على قلوبهم.

قوله تعالى:« إِنْ أَنْتَ إِلاّٰ نَذِيرٌ »قصر إضافى أى ليس لك إلا إنذارهم و أما هدايه من اهتدى منهم و إضلال من ضل و لم يهتد جزاء له بسيئ عمله فإنما ذلك لله سبحانه.

و لم يذكر البشير مع النذير مع كونه(ص)متلبسا بالوصفين معا لأن المقام مقام الإنذار فالمناسب هو التعرض لوصف الإنذار مع أنه مذكور فى الآيه التاليه.

قوله تعالى:« إِنّٰا أَرْسَلْنٰاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاّٰ خَلاٰ فِيهٰا نَذِيرٌ » المفاد على ما يقتضيه السياق إنا أرسلناك بالتبشير و الإنذار و ليس ببدع مستغرب فما من أمه من الأمم إلا و قد خلا و مضى فيها نذير فذلك من سنن الله الجاريه فى خلقه.

و ظاهر السياق أن المراد بالنذير الرسول المبعوث من عند الله و فسر بعضهم النذير بمطلق من يقوم بالعظه و الإنذار من نبى أو عالم غير نبى و هو خلاف ظاهر الآيه.

نعم ليس من الواجب أن يكون نذير كل أمه من أفرادها فقد قال تعالى:« خَلاٰ فِيهٰا »و لم يقل:«خلا منها».

قوله تعالى:« وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ

وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتٰابِ الْمُنِيرِ

» البينات هى الآيات المعجزه التى تشهد على حقيه الرسل،و الزبر جمع زبور و لعل المراد بها بقرينه مقابلتها للكتاب الصحائف و الكتب التى فيها ذكر الله تعالى من غير أن تتضمن الأحكام و الشرائع،و الكتاب المنير الكتاب المنزل من السماء المتضمن للشرائع ككتاب نوح و إبراهيم و توراه موسى و إنجيل عيسى(ع)، و معنى الآيه ظاهر.

قوله تعالى:« ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كٰانَ نَكِيرِ »الأخذ كنايه عن التعذيب،و النكير الإنكار،و الباقى ظاهر.

(كلام فى معنى عموم الإنذار)

قد تقدم فى أبحاث النبوه فى الجزء الثانى و فى قصص نوح(ع)فى الجزء العاشر من الكتاب ما يدل من طريق العقل على عموم النبوه و يؤيده الكتاب.

فلا تخلو أمه من الأمم الإنسانيه عن ظهور ما للدعوه الحقه النبويه فيها و أما كون نبى كل أمه من نفس تلك الأمه فلا دليل عليه،و قد عرفت أن قوله تعالى:« وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاّٰ خَلاٰ فِيهٰا نَذِيرٌ »الآيه مفاده ذلك.

و أما فعليه الإنذار-بحيث يبلغ كل فرد فرد من الأمه مضافا إلى أصل الاقتضاء- و اطراد الدعوه فى كل واحد واحد فحكومه العلل و الأسباب المتزاحمه فى هذه النشأه الماديه لا توافقه كما لا توافق سائر المقتضيات العامه التى قدرها الصنع كما أن فى بنيه كل مولود إنسانى أن يعمر عمرا طبيعيا و الحوادث تحول بين أكثر الأفراد و بين ذلك،و كل مولود إنسانى مجهز بجهاز التناسل للاستيلاد و الإيلاد و كثير من الأفراد يموت قبل بلوغه فلا يبلغ ذلك إلى غير ذلك من النظائر.

فالنبوه و الإنذار عام لكل أمه و لا يستلزم استلزاما ضروريا أن تبلغ الدعوه كل شخص من أشخاصها بل من الجائز أن تبلغ بلا واسطه أو معها بعض الأمه و تتخلف عن بعض لحيلوله علل و أسباب مزاحمه بينه و بين البلوغ فمن توجهت منهم إليه الدعوه و بلغته تمت عليه الحجه و من توجهت إليه و لم تبلغه لم تتم عليه الحجه و كان من المستضعفين

و كان أمره إلى الله قال تعالى :«إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لاٰ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لاٰ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً:» النساء:-٩٨.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،فی قوله تعالی:« وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْریٰ »:أخرج أحمد و الترمذی و صححه و النسائی و ابن ماجه عن عمرو بن الأحوص:أن رسول الله ص قال فی حجه الوداع: ألا-لا-یجنی جان إلا علی نفسه-لا یجنی والد علی ولده و لا مولود علی والده.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« إِنَّ اللّٰهَ یُسْمِعُ مَنْ یَشٰاءُ وَ مٰا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِی الْقُبُورِ »قال:هؤلاء الکفار لا یسمعون منک-کما لا یسمع أهل القبور.

و فی الدر المنثور،أخرج أبو سهل السری بن سهل الجندیسابوری الخامس من حدیثه من طریق عبد القدوس عن أبی صالح عن ابن عباس": فی قوله:« إِنَّکَ لاٰ تُسْمِعُ الْمَوْتیٰ وَ مٰا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِی الْقُبُورِ »قال کان النبی ص یقف علی القتلی یوم بدر و یقول:

هل وجدتم ما وعد ربکم حقا-یا فلان بن فلان أ لم تکفر بربک؟أ لم تکذب نبیک؟أ لم تقطع رحمک؟فقالوا:یا رسول الله أ یسمعون ما تقول؟قال:ما أنتم بأسمع منهم لما أقول:فأنزل الله:« إِنَّکَ لاٰ تُسْمِعُ الْمَوْتیٰ وَ مٰا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِی الْقُبُورِ »مثل ضربه الله للکفار أنهم لا یسمعون لقوله.

أقول:و فی الروایه ما لا یخفی من لوائح الوضع فساحه النبی(ع)أجل من أن یقول ما لیس له به علم من ربه حتی ینزل الله علیه آیه تکذبه فیما یدعیه و یخبر به.

علی أن ما نقله من الآیه لا یطابق المصحف فصدره مأخوذ من سوره النمل الآیه ٨٠ و ذیله مأخوذ من سوره فاطر الآیه ٢٢.

علی أن سیاق الآیه مکی فی سیاق آیات سابقه و لاحقه مکیه.

و فی الإحتجاج،فی احتجاج الصادق(ع): قال السائل فأخبرنی عن المجوس أ فبعث إلیهم نبیا؟فإنی أجد لهم کتبا محکمه-و مواعظ بلیغه و أمثالا شافیه،و یقرون

بالثواب و العقاب،و لهم شرائع يعملون بها.قال:ما من أمه إلا خلا فيها نـذير،و قـد بعث إليهم نبى بكتاب من عنـد الله-فأنكروه و جحدوا كتابه.

[سوره فاطر (۳۵): الآيات ۲۷ الى ۳۸]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّهَ أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَ مِنَ اَلْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ (۲۷) وَ مِنَ اَلنّاسِ وَ اَلدَّوَابِّ وَ اَلْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اَللّهَ مِنْ عِبادِهِ اَلْعُلَماءُ إِنَّ اَللّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (۲۸) إِنَّ اَلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اَللّهِ وَ أَقامُوا اَلصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ (۲۹) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (۳۰) وَ اَلَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ اَلْكِتابِ هُوَ اَلْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اَللّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (۳۱) ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْكِتابَ اَلَّذِينَ اِصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اَللّهِ ذلِكَ هُوَ اَلْفَضْلُ اَلْكَبِيرُ (۳۲) جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ (۳۳) وَ قالُوا اَلْحَمْدُ لِلّهِ اَلَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا اَلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (۳۴) اَلَّذِى أَحَلَّنا دارَ اَلْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ (۳۵) وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها كَذلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ (۳۶) وَ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ اَلَّذِى كُنّا نَعْمَلُ أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جاءَكُمُ اَلنَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (۳۷) إِنَّ اَللّهَ عالِمُ غَيْبِ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ اَلصُّدُورِ (۳۸)

ص: ۴۰

(بيان)

رجوع إلى ذكر آيات أخر من آيات التوحيد و فيها انتقال إلى حديث الكتاب و أنه حق نازل من عند الله تعالى و قد انجر الكلام في الفصل السابق من الآيات إلى ذكر النبوه و الكتاب حيث قال:« إِنّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً »و قال:« جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ »فكان من الحرى أن يتعرض لصفه الكتاب و ما تستتبعه من الآثار.

قوله تعالى:« أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها » إلخ.حجه أخرى على التوحيد و هو أن الله سبحانه ينزل الماء من السماء بالأمطار و هو أقوى العوامل المعينه لخروج الثمرات،و لو كان خروجها عن مقتضى طباع هذا العامل و هو واحد لكان جميعها ذا لون واحد فاختلاف الألوان يدل على وقوع التدبير الإلهى.

و القول بأن اختلافها منوط باختلاف العوامل المؤثره فيها و منها اختلاف العناصر الموجوده فيها نوعا و قدرا و خصوصيه التأليف.

مدفوع بأن الكلام منقول حينئذ إلى اختلاف نفس العناصر و هى منتهيه إلى

الماده المشترکه التی لا اختلاف فیها فاختلاف العناصر المکونه منها یدل علی عامل آخر وراء الماده یدبر أمرها و یسوقها إلی غایات مختلفه.

و الظاهر أن المراد باختلاف ألوان الثمرات اختلاف نفس ألوانها و یلزمه اختلافات أخر من حیث الطعم و الرائحه و الخواص،و قیل المراد باختلاف الألوان اختلاف الأنواع فکثیرا ما یطلق اللون فی الفواکه و الأطعمه علی النوع کما یقال:قدم فلان ألوانا من الطعام و الفاکهه فهو من الکنایه،و قوله بعد:« وَ مِنَ الْجِبٰالِ جُدَدٌ بِیضٌ وَ حُمْرٌ »لا یخلو من تأیید للوجه الأول.

و فی قوله:« فَأَخْرَجْنٰا بِهِ »إلخ.التفات من الغیبه إلی التکلم.قیل:إن ذلک لکمال الاعتناء بالفعل لما فیه من الصنع البدیع المنبئ عن کمال القدره و الحکمه.

و نظیر الوجه یجری فی قوله السابق:« إِنّٰا أَرْسَلْنٰاکَ بِالْحَقِّ بَشِیراً وَ نَذِیراً »و أما ما فی الآیه السابقه من قوله:« ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِینَ کَفَرُوا فَکَیْفَ کٰانَ نَکِیرِ »فلعل الوجه فیه أن أمرهم إلی الله لا یتخلل بینه و بینهم أحد حتی یشفع لهم أو ینصرهم فینجوا من العذاب.

و قوله:« وَ مِنَ الْجِبٰالِ جُدَدٌ بِیضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوٰانُهٰا وَ غَرٰابِیبُ سُودٌ » الجدد بالضم فالفتح جمع جده بضم الجیم و هی الطریقه و الجاده،و البیض و الحمر جمع أبیض و أحمر،و الظاهر أن قوله:« مُخْتَلِفٌ أَلْوٰانُهٰا »صفه لجدد و« أَلْوٰانُهٰا »فاعل« مُخْتَلِفٌ » و لو کانت الجمله مبتدأ و خبرا لقیل:مختلفه ألوانها کما قیل،و الغرابیب جمع غربیب و هو الأسود الشدید السواد و منه الغراب و« سُودٌ »بدل أو عطف بیان لغرابیب.

و المعنی:أ لم تر أن من الجبال طرائق بیض و حمر و سود مختلف ألوانها،و المراد إما الطرق المسلوکه فی الجبال و لها ألوان مختلفه،و إما نفس الجبال التی هی خطوط مختلفه ممدوده علی وجه الأرض بیض و حمر و سود مختلف ألوانها.

قوله تعالی:« وَ مِنَ النّٰاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعٰامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوٰانُهُ کَذٰلِکَ »أی و من الناس و الدواب التی تدب فی الأرض و الأنعام کالإبل و الغنم و البقر بعض مختلف ألوانه بالبیاض و الحمره و السواد کاختلاف الثمرات و الجبال فی ألوانها.

و قيل:قوله:« كَذٰلِكَ »خبر لمبتدإ محذوف،و التقدير الأمر كذلك فهو تقرير إجمالى للتفصيل المتقدم من اختلاف الثمرات و الجبال و الناس و الدواب و الأنعام.

و قيل:« كَذٰلِكَ »متعلق بقوله:« يَخْشَى »فى قوله:« إِنَّمٰا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ »و الإشاره إلى ما تقدم من الاعتبار بالثمرات و الجبال و غيرهما و المعنى إنما يخشى الله كذلك الاعتبار بالآيات من عباده العلماء،و هو بعيد لفظا و معنى.

قوله تعالى:« إِنَّمٰا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ »استئناف يوضح أن الاعتبار بهذه الآيات إنما يؤثر أثره و يورث الإيمان بالله حقيقه و الخشيه منه بتمام معنى الكلمه فى العلماء دون الجهال،و قد مر أن الإنذار إنما ينجح فيهم حيث قال:« إِنَّمٰا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ أَقٰامُوا الصَّلاٰةَ »فهذه الآيه كالموضحه لمعنى تلك تبين أن الخشيه حق الخشيه إنما توجد فى العلماء.

و المراد بالعلماء العلماء بالله و هم الذين يعرفون الله سبحانه بأسمائه و صفاته و أفعاله معرفه تامه تطمئن بها قلوبهم و تزيل وصمه الشك و القلق عن نفوسهم و تظهر آثارها فى أعمالهم فيصدق فعلهم قولهم،و المراد بالخشيه حينئذ حق الخشيه و يتبعها خشوع فى باطنهم و خضوع فى ظاهرهم.هذا ما يستدعيه السياق فى معنى الآيه.

و قوله:« إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ »يفيد معنى التعليل فلعزته تعالى و كونه قاهرا غير مقهور و غالبا غير مغلوب من كل جهه يخشاه العارفون،و لكونه غفورا كثير المغفره للآثام و الخطيئات يؤمنون به و يتقربون إليه و يشتاقون إلى لقائه.

قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتٰابَ اللّٰهِ وَ أَقٰامُوا الصَّلاٰةَ وَ أَنْفَقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ سِرًّا وَ عَلاٰنِيَةً يَرْجُونَ تِجٰارَةً لَنْ تَبُورَ » تلاوه الكتاب قراءه القرآن و قد أثنى عليها الله سبحانه،و إقامه الصلاه إدامه إتيانها و حفظها من أن تترك،و الإنفاق من الرزق سرا و علانيه بذل المال سرا تحذرا من الرياء و زوال الإخلاص فى الإنفاق المسنون،و بذل المال علانيه ليشيع بين الناس كما فى الإنفاق الواجب.

و قوله:« يَرْجُونَ تِجٰارَةً لَنْ تَبُورَ »أى لن تهلك بالخسران،و ذكر بعضهم أن قوله:« يَرْجُونَ »إلخ.خبر إن فى صدر الآيه و عند بعضهم الخبر مقدر يتعلق به قوله:

« لِيُوَفِّيَهُمْ »إلخ«أى فعلوا ما فعلوا ليوفيهم أجورهم»إلخ.

قوله تعالی:« لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ »متعلق بقوله:« يَتْلُونَ »و ما عطف علیه فی الآیه السابقه أی إنهم عملوا ما عملوا لأن یوفیهم و یؤتیهم إیتاء تاما کاملا أجورهم و ثوابات أعمالهم.

و قوله:« وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ »یمکن أن یراد بهذه الزیاده تضعیف الثواب أضعافا کما فی قوله :«مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها:» الأنعام:-۱۶۰ و قوله :«مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ وَ اللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ:» البقره:-۲۶۱،و یمکن أن یراد بها زیاده لیست من سنخ ثواب الأعمال کما فی قوله :«لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ:» ق:-۳۵.

و قوله:« إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ »تعلیل لمضمون الآیه و زیاده فهو تعالی لکونه غفورا یغفر زلاتهم و لکونه شکورا یثیبهم و یزید من فضله.

قوله تعالی:« وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ هُوَ الْحَقُّ »ضمیر الفصل و اللام فی قوله:« هُوَ الْحَقُّ »للتأکید لا للقصر أی هو حق لا یشوبه باطل.

قوله تعالی:« ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا »إلی آخر الآیه.

یقال: أورثه مالا کذا أی ترکه فیهم یقومون بأمره بعده و قد کان هو القائم بأمره المتصرف فیه،و کذا إیراث العلم و الجاه و نحوهما ترکه عند الغیر یقوم بأمره بعد ما کان عند غیره ینتفع به فإیراث القوم الکتاب ترکه عندهم یتناولونه خلفا عن سلف و ینتفعون به.

و تصح هذه النسبه و إن کان القائم به بعض القوم دون کلهم،قال تعالی :«وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدى وَ أَوْرَثْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ هُدىً وَ ذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ:» المؤمن:-۵۴،و قال «إِنّا أَنْزَلْنَا التَّوْراهَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَ الرَّبّانِيُّونَ وَ الْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللّهِ:» المائده:-۴۴،و قال :

«وَ إِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ:» الشوری:-۱۴.فبنو إسرائیل أورثوا الکتاب و إن کان المؤدون حقه القائمون بأمره بعضهم لا جمیعهم.

و المراد بالکتاب فی الآیه علی ما یعطیه السیاق هو القرآن الکریم کیف؟و قوله فی الآیه السابقه:« وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ »نص فیه،فاللام فی الکتاب

للعهد دون الجنس فلا يعبأ بقول من يقول:إن اللام للجنس و المراد بالكتاب مطلق الكتاب السماوى المنزل على الأنبياء.

و الاصطفاء أخذ صفوه الشىء و يقرب من معنى الاختيار و الفرق أن الاختيار أخذ الشىء من بين الأشياء بما أنه خيرها و الاصطفاء أخذه من بينها بما أنه صفوتها و خالصها.

و قوله:« مِنْ عِبٰادِنٰا »يحتمل أن يكون« مِنْ »للتبيين أو للابتداء أو للتبعيض الأقرب إلى الذهن أن يكون بيانيه و قد قال تعالى :«وَ سَلاٰمٌ عَلىٰ عِبٰادِهِ الَّذِينَ اصْطَفىٰ:» النمل:-۵۹.

و اختلفوا فى هؤلاء المصطفين من عباده من هم؟فقيل:هم الأنبياء،و قيل:هم بنو إسرائيل الداخلون فى قوله :«إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفىٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرٰاهِيمَ وَ آلَ عِمْرٰانَ عَلَى الْعٰالَمِينَ:» آل عمران:-۳۳،و قيل:هم أمه محمد ص فقد أورثوا القرآن من نبيهم إليه يرجعون و به ينتفعون علماؤهم بلا واسطه و غيرهم بواسطتهم،و قيل:هم العلماء من الأمه المحمديه.

و قيل:-و هو المأثور عن الصادقين(ع)فى روايات كثيره مستفيضه- إن المراد بهم ذريه النبى ص من أولاد فاطمه(ع)و هم الداخلون فى آل إبراهيم فى قوله :«إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفىٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرٰاهِيمَ:» آل عمران:-۳۳،و قد نص النبى ص على علمهم بالقرآن و إصابه نظرهم فيه و ملازمتهم إياه بقوله

فى الحديث المتواتر المتفق عليه: «إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى-أهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض ».

و على هذا فالمعنى بعد ما أوحينا إليك القرآن-ثم للتراخى الرتبى-أورثنا ذريتك إياه و هم الذين اصطفينا من عبادنا إذا اصطفينا آل إبراهيم و إضافه العباد إلى نون العظمه للتشريف.

و قوله:« فَمِنْهُمْ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سٰابِقٌ بِالْخَيْرٰاتِ »يحتمل أن يكون ضمير« فَمِنْهُمْ »راجعا إلى« اَلَّذِينَ اصْطَفَيْنٰا »فيكون الطوائف الثلاث الظالم لنفسه و المقتصد و السابق بالخيرات شركاء فى الوراثه و إن كان الوارث الحقيقى العالم بالكتاب و الحافظ له هو السابق بالخيرات.

و یحتمل أن یکون راجعا إلی عِبٰادِنٰا- من غیر إفاده الإضافه للتشریف-فیکون قوله:« فَمِنْهُمْ »مفیدا للتعلیل و المعنی إنما أورثنا الکتاب بعض عبادنا و هم المصطفون لا جمیع العباد لأن من عبادنا من هو ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق و لا یصلح الکل للوراثه.

و یمکن تأیید أول الاحتمالین بأن لا مانع من نسبه الوراثه إلی الکل مع قیام البعض بها حقیقه کما نجد نظیره فی قوله تعالی :«وَ أَوْرَثْنٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ الْکِتٰابَ:» المؤمن:-۵۴.

و ما فی الآیه من المقابله بین الظالم لنفسه و المقتصد و السابق بالخیرات یعطی أن المراد بالظالم لنفسه من علیه شیء من السیئات و هو مسلم من أهل القرآن لکونه مصطفی و وارثا،و المراد بالمقتصد المتوسط الذی هو فی قصد السبیل و سواء الطریق و المراد بالسابق بالخیرات بإذن الله من سبق الظالم و المقتصد إلی درجات القرب فهو إمام غیره بإذن الله بسبب فعل الخیرات قال تعالی :«وَ السّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ أُولٰئِکَ الْمُقَرَّبُونَ:» الواقعه:-۱۱.

و قوله تعالی:« ذٰلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ »أی ما تقدم من الإیراث هو الفضل الکبیر من الله لا دخل للکسب فیه.

هذا ما یعطیه السیاق و تفیده الأخبار من معنی الآیه و فیها للقوم اختلاف عجیب فقد اختلف فی« ثُمَّ »فقیل:هی للتراخی بحسب الأخبار،و قیل:للتراخی الرتبی، و قیل:للتراخی الزمانی.ثم العطف علی« أَوْحَیْنٰا »أو علی« اَلَّذِی أَوْحَیْنٰا ».

و اختلف فی« أَوْرَثْنَا »فقیل:هو علی ظاهره،و قیل:معناه حکمنا بإیراثه و قدرناه،و اختلف فی اَلْکِتٰابَ فقیل:المراد به القرآن،و قیل:جنس الکتب السماویه، و اختلف فی« اَلَّذِینَ اصْطَفَیْنٰا »فقیل:المراد بهم الأنبیاء،و قیل:بنو إسرائیل، و قیل:أمه محمد،و قیل:العلماء منهم،و قیل:ذریه النبی من ولد فاطمه(ع).

و اختلف فی« مِنْ عِبٰادِنٰا »فقیل:من للتبعیض أو للابتداء أو للتبیین و یختلف المراد من العباد بحسب اختلاف معنی« مِنْ »و کذا إضافه« عِبٰادِنٰا »للتشریف علی بعض الوجوه و لغیره علی بعضها.

و اختلف فى« فَمِنْهُمْ »فقيل:مرجع الضمير« اَلَّذِينَ »و قيل:« عِبٰادِنٰا » و اختلف فى الظالم لنفسه و المقتصد و السابق فقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه و المقتصد من استوى ظاهره و باطنه و السابق من كان باطنه خيرا من ظاهره،و قيل:السابق هم السابقون الماضون فى عهد النبى ص من أصحابه و المقتصد من تبع أثرهم و لحق بهم من الصحابه و الظالم لنفسه غيرهم،و قيل:الظالم من غلبت عليه السيئه و المقتصد المتوسط حالا و السابق هو المقرب إلى الله السابق فى الدرجات.

و هناك أقوال متفرقه أخر تركنا إيرادها و لو ضربت الاحتمالات بعضها فى بعض جاوز الألف.

قوله تعالى:« جَنّٰاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهٰا يُحَلَّوْنَ فِيهٰا مِنْ أَسٰاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِبٰاسُهُمْ فِيهٰا حَرِيرٌ » التحليه هى التزيين و الأساور جمع أسوره و هى جمع سوار بكسر السين قال الراغب:سوار المرأه معرب و أصله دستواره.انتهى.

و قوله:« جَنّٰاتُ عَدْنٍ »إلخ.ظاهره أنه بيان للفضل الكبير قال فى المجمع:هذا تفسير للفضل كأنه قيل:ما ذلك الفضل؟فقال:هى جنات أى جزاء جنات أو دخول جنات و يجوز أن يكون بدلا من الفضل كأنه قال:ذلك دخول جنات.انتهى.

و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« وَ قٰالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنٰا لَغَفُورٌ شَكُورٌ » قيل:المراد بالحزن الذى يحمدون الله على إذهابه بإدخالهم الجنه الحزن الذى كان يتوجه إليهم فى الحياه الدنيا و ما يحف بها من الشدائد و النوائب.

و قيل:المراد به الحزن الذى كان قد أحاط بهم بعد الارتحال من الدنيا،و قيل الدخول فى جنه الآخره إشفاقا مما اكتسبوه من السيئات.

و على هذا فالقول قول الظالم لنفسه منهم أو قوله و قول المقتصد و أما السابق بالخيرات منهم فلا سيئه فى صحيفه أعماله حتى يعذب بها.و هذا الوجه أنسب لقولهم فى آخر حمدهم:« إِنَّ رَبَّنٰا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ».

قوله تعالى:« اَلَّذِى أَحَلَّنٰا دٰارَ الْمُقٰامَهِ مِنْ فَضْلِهِ لاٰ يَمَسُّنٰا فِيهٰا نَصَبٌ وَ لاٰ يَمَسُّنٰا فِيهٰا لُغُوبٌ » المقامه الإقامه،و دار المقامه المنزل الذى لا خروج منه و لا تحول.

و النصب بفتحتين التعب و المشقه،و اللغوب بضم اللام:العی و التعب فی طلب المعاش و غیره.

و المعنی:الذی جعلنا حالین فی دار الخلود من فضله من غیر استحقاق منا علیه لا یمسنا فی هذه الدار و هی الجنه مشقه و تعب و لا یمسنا فیها عی و لا کلال فی طلب ما نرید أی إن لنا فیها ما نشاء.

و فی قوله:« مِنْ فَضْلِهِ »مناسبه خاصه مع قوله السابق:« ذٰلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ ».

قوله تعالی:« وَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَهُمْ نٰارُ جَهَنَّمَ »إلی آخر الآیه اللام فی« لَهُمْ »للاختصاص و یفید کون النار جزاء لهم لا ینفک عنهم،و قوله:« لاٰ یُقْضیٰ عَلَیْهِمْ فَیَمُوتُوا »أی لا یحکم علیهم بالموت حتی یموتوا فهم أحیاء علی ما هم فیه من شده العذاب و لا یخفف عنهم من عذاب النار کذلک نجزی کل کفور شدید الکفران أو کثیره.

قوله تعالی:« وَ هُمْ یَصْطَرِخُونَ فِیهٰا رَبَّنٰا أَخْرِجْنٰا إلی آخر الآیه فی المجمع،:

الاصطراخ الصیاح و النداء بالاستغاثه افتعال من الصراخ انتهی.

و قوله:« رَبَّنٰا أَخْرِجْنٰا »إلخ.بیان لاصطراخهم،و قوله:« أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْکُمْ مٰا یَتَذَکَّرُ فِیهِ مَنْ تَذَکَّرَ »إلخ.جواب اصطراخهم و قوله:« فَذُوقُوا »و قوله:« فَمٰا لِلظّٰالِمِینَ مِنْ نَصِیرٍ »کل منهما متفرع علی ما قبله.

و المعنی،و هؤلاء الذین فی النار من الکفار یصطرخون و یصیحون بالاستغاثه فیها قائلین:ربنا أخرجنا من النار نعمل صالحا غیر سیئ غیر الذی کنا نعمل فیقال لهم ردا علیهم:-کلا-أ و لم نعمرکم عمرا یتذکر فیه من تذکر و جاءکم النذیر فأنذرکم هذا العذاب فلم تتذکروا و لم تؤمنوا؟فذوقوا العذاب فما للظالمین من نصیر ینصرهم لیتخلصوا من العذاب.

قوله تعالی:« إِنَّ اللّٰهَ عٰالِمُ غَیْبِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِیمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ » فیعاملکم بما فی باطنکم من الاعتقاد و آثار الأعمال و یحاسبکم علیه سواء وافق ظاهرکم باطنکم أو خالف قال تعالی :«إِنْ تُبْدُوا مٰا فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحٰاسِبْکُمْ بِهِ اللّٰهُ:» البقره:-۲۸۴،و قال :«یَوْمَ تُبْلَی السَّرٰائِرُ:» الطارق:-۹.

(بحث روائی)

فی المجمع،:فی قوله تعالی:« إِنَّمٰا یَخْشَی اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ »الآیه:روی عن الصادق(ع)أنه قال: یعنی بالعلماء من صدق قوله فعله،و من لم یصدق فعله قوله فلیس بعالم.و فی الحدیث أعلمکم بالله أخوفکم لله.

أقول:و فی روضه الکافی،بإسناده عن أبی حمزه عن علی بن الحسین(ع)ما فی معناه.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی شیبه و الترمذی و الحاکم عن الحسن قال:قال رسول الله ص: العلم علمان:علم فی القلب فذاک العلم النافع،و علم علی اللسان فذاک حجه الله علی خلقه.

و فی المجمع،روی ابن مسعود عن النبی ص أنه قال: فی قوله:« وَ یَزِیدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ »:هو الشفاعه لمن وجبت له النار-ممن صنع إلیه معروفا فی الدنیا.

و فی الکافی،بإسناده عن أحمد بن عمر قال: سألت أبا الحسن الرضا(ع)عن قول الله عز و جل:« ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتٰابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا »الآیه-قال:فقال:ولد فاطمه(ع)،و السابق بالخیرات الإمام-و المقتصد العارف بالإمام-و الظالم لنفسه الذی لا یعرف الإمام.

و عن کتاب سعد السعود،لابن طاوس فی حدیث لأبی إسحاق السبیعی عن الباقر (ع): فی الآیه قال:هی لنا خاصه یا أبا إسحاق-أما السابق بالخیرات فعلی بن أبی طالب- و الحسن و الحسین و الشهید منا،و أما المقتصد فصائم بالنهار و قائم باللیل،و أما الظالم لنفسه ففیه ما فی الناس و هو مغفور له.

أقول:المراد بالشهید بقرینه الروایات الأخر الإمام.

و فی معانی الأخبار،مسندا عن الصادق(ع): فی الآیه قال:الظالم یحوم حوم نفسه- و المقتصد یحوم حوم قلبه-و السابق بالخیرات یحوم حوم ربه.

أقول: الحوم و الحومان الدوران،و دوران الظالم لنفسه حوم نفسه اتباعه أهواءها و سعيه فی تحصیل ما یرضیها،و دوران المقتصد حوم قلبه اشتغاله بما یزکی قلبه و یطهره بالزهد و التعبد،و دوران السابق بالخیرات حوم ربه إخلاصه له تعالی فیذکره و ینسی غیره فلا یرجو إلا إیاه و لا یقصد إلا إیاه.

و اعلم أن الروایات من طرق الشیعه عن أئمه أهل البیت(ع)فی کون الآیه خاصه بولد فاطمه(ع)کثیره جدا.

و فی الدر المنثور،أخرج الفاریابی و أحمد و عبد بن حمید و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و الطبرانی و الحاکم و ابن مردویه و البیهقی عن أبی الدرداء سمعت رسول الله ص یقول: قال الله تعالی:« ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتٰابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا-فَمِنْهُمْ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ-وَ مِنْهُمْ سٰابِقٌ بِالْخَیْرٰاتِ بِإِذْنِ اللّٰهِ »فأما الذین سبقوا-فأولئک یدخلون الجنه بغیر حساب،و أما الذین اقتصدوا-فأولئک الذین یحاسبون حسابا یسیرا، و أما الذین ظلموا أنفسهم-فأولئک یحبسون فی طول المحشر-ثم هم الذین یلقاهم الله برحمه- فهم الذین یقولون:الحمد لله الذی أذهب عنا الحزن-إن ربنا لغفور شکور-الذی أحلنا دار المقامه من فضله-لا یمسنا فیها نصب و لا یمسنا فیها لغوب:.

أقول:و رواه فی المجمع،عن أبی الدرداء عنه(ص)

و فی معناه أحادیث أخر، و هناک ما یخالفها و لا یعبأ به کما فیه،

عن ابن مردویه عن عمر عن النبی ص: فی قوله:

« فَمِنْهُمْ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ »قال:الکافر.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« لاٰ یَمَسُّنٰا-فِیهٰا نَصَبٌ وَ لاٰ یَمَسُّنٰا فِیهٰا لُغُوبٌ »قال:

النصب العناء و اللغوب الکسل و الضجر.

و فی نهج البلاغه،و قال: العمر الذی أعذر الله فیه إلی ابن آدم ستون سنه.:

أقول:و رواه عنه(ع)فی المجمع،و رواه فی الدر المنثور،عن ابن جریر عنه(ع) .

و فی الدر المنثور،أخرج الحکیم الترمذی فی نوادر الأصول و البیهقی فی سننه و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و الطبرانی و ابن مردویه و البیهقی فی شعب الإیمان عن ابن عباس أن النبی ص قال: إذا کان یوم القیامه قیل:أین أبناء الستین و هو المعمر

الذی قال الله:« أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مٰا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ».:

أقول:و روی ذلک بطرق أخری عن سهل بن سعد و أبی هريره عنه(ص).

و فی المجمع،:و قیل هو توبیخ لابن ثمانی عشره سنه-و روی ذلک عن الباقر(ع).:

أقول:و رواه فی الفقيه،عنه(ع)مضمرا .

[سوره فاطر (۳۵): الآيات ۳۹ الی ۴۵]

اشاره

هُوَ اَلَّذِی جَعَلَكُمْ خَلاٰئِفَ فِی اَلْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ لاٰ يَزِيدُ اَلْكٰافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاّٰ مَقْتاً وَ لاٰ يَزِيدُ اَلْكٰافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاّٰ خَسٰاراً (۳۹) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ شُرَكٰاءَكُمُ اَلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَرُونِی مٰا ذٰا خَلَقُوا مِنَ اَلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ أَمْ آتَيْنٰاهُمْ كِتٰاباً فَهُمْ عَلیٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ اَلظّٰالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلاّٰ غُرُوراً (۴۰) إِنَّ اَللّٰهَ يُمْسِكُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ أَنْ تَزُولاٰ وَ لَئِنْ زٰالَتٰا إِنْ أَمْسَكَهُمٰا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كٰانَ حَلِيماً غَفُوراً (۴۱) وَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمٰانِهِمْ لَئِنْ جٰاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدیٰ مِنْ إِحْدَی اَلْأُمَمِ فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ نَذِيرٌ مٰا زٰادَهُمْ إِلاّٰ نُفُوراً (۴۲) اِسْتِكْبٰاراً فِی اَلْأَرْضِ وَ مَكْرَ اَلسَّيِّئِ وَ لاٰ يَحِيقُ اَلْمَكْرُ اَلسَّيِّئُ إِلاّٰ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّٰ سُنَّتَ اَلْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اَللّٰهِ تَبْدِيلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اَللّٰهِ تَحْوِيلاً (۴۳) أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِی اَلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كٰانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ مٰا كٰانَ اَللّٰهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِی اَلْأَرْضِ إِنَّهُ كٰانَ عَلِيماً قَدِيراً (۴۴) وَ لَوْ يُؤٰاخِذُ اَللّٰهُ اَلنّٰاسَ بِمٰا كَسَبُوا مٰا تَرَكَ عَلیٰ ظَهْرِهٰا مِنْ دَابَّةٍ وَ لٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلیٰ أَجَلٍ مُسَمًّی فَإِذٰا جٰاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ بِعِبٰادِهِ بَصِيراً (۴۵)

(بیان)

احتجاج علی توحید الربوبیه کقوله:« هُوَ الَّذِی جَعَلَکُمْ خَلائِفَ فِی الْأَرْضِ »الآیه، و قوله:« إِنَّ اللَّهَ یُمْسِکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا »الآیه،و علی نفی ربوبیه شرکائهم « قُلْ أَ رَأَیْتُمْ شُرَکاءَکُمُ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ »الآیه و توبیخ و تهدید لهم علی نقضهم ما أبرموه بالیمین و مکرهم السیئ.

ثم تسجیل أن الله لا یعجزه شیء و إنما یمهل من أمهله من هؤلاء الظالمین إلی أجل مسمی فإذا جاء أجلهم جازاهم ما یستحقونه و بذلک تختتم السوره.

قوله تعالی:« هُوَ الَّذِی جَعَلَکُمْ خَلائِفَ فِی الْأَرْضِ »إلخ. الخلائف جمع خلیفه، و کون الناس خلائف فی الأرض هو قیام کل لاحق منهم مقام سابقه و سلطته علی التصرف و الانتفاع منها کما کان السابق مسلطا علیه و هم إنما نالوا هذه الخلافه من جهه نوع الخلقه و هو الخلقه من طریق النسل و الولاده فإن هذا النوع من الخلقه یقسم المخلوق إلی سلف و خلف.

فجعل الخلافه الأرضیه نوع من التدبیر مشوب بالخلق غیر منفک عنه و لذلک استدل به علی توحده تعالی فی ربوبیته لأنه مختص به تعالی لا مجال لدعواه لغیره.

فقوله:« هُوَ الَّذِی جَعَلَکُمْ خَلائِفَ فِی الْأَرْضِ »حجه علی توحده تعالی فی ربوبیته

و انتفائها عن شركائهم:تقريره أن الذى جعل الخلافه الأرضيه فى العالم الإنسانى هو ربهم المدبر لأمرهم،و جعل الخلافه لا ينفك عن نوع الخلقه فخالق الإنسان هو رب الإنسان لكن الخالق هو الله سبحانه حتى عند الخصم فالله هو رب الإنسان.

و قوله:« فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ »أى فالله سبحانه هو رب الإنسان فمن كفر و ستر هذه الحقيقه و نسب الربوبيه إلى غيره تعالى فعلى ضرره كفره.

و قوله:« وَ لاٰ يَزِيدُ الْكٰافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاّٰ مَقْتاً وَ لاٰ يَزِيدُ الْكٰافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاّٰ خَسٰاراً »بيان لكون كفرهم عليهم و هو أن كفرهم يورث لهم مقتا عند ربهم و المقت شده البغض لأن فيه إعراضا عن عبوديته و استهانه بساحته،و يورث لهم خسارا فى أنفسهم لأنهم بدلوا السعاده الإنسانيه شقاء و وبالا سيصيبهم فى مسيرهم و منقلبهم إلى دار الجزاء.

و إنما عبر عن أثر الكفر بالزياده لأن الفطره الإنسانيه بسيطه ساذجه واقعه فى معرض الاستكمال و الازدياد فإن أسلم الإنسان زاده ذلك كمالا و قربا من الله و إن كفر زاده ذلك مقتا عند الله و خسارا.

و إنما قيد المقت بقوله:« عِنْدَ رَبِّهِمْ »دون الخسار لأن الخسار من تبعات تبديل الإيمان كفرا و السعاده شقاء و هو أمر عند أنفسهم و أما المقت و شده البغض فمن عند الله سبحانه.

و الحب و البغض المنسوبان إلى الله سبحانه من صفات الأفعال و هى معان خارجه عن الذات غير قائمه بها،و معنى حبه تعالى لأحد انبساط رحمته عليه و انجذابها إليه و بغضه تعالى لأحد انقباض رحمته منه و ابتعادها عنه.

قوله تعالى:« قُلْ أَ رَأَيْتُمْ شُرَكٰاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ »إلى آخر الآيه إضافه الشركاء إليهم بعنايه أنهم يدعون أنهم شركاء لله فهى إضافه لاميه مجازيه.

و فى الآيه تلقين النبى ص الحجه على نفى ربوبيه آلهتهم الذين كانوا يعبدونهم و تقرير الحجه أنهم لو كانوا أربابا آلهه من دون الله لكان لهم شىء من تدبير العالم فكانوا خالقين لما يدبرونه لأن الخلق و التدبير لا ينفك أحدهما عن الآخر و لو كانوا خالقين لدل

علیه دلیل و الدلیل إما من العالم أو من قبل الله سبحانه أما العالم فلا شیء منه یدل علی کونه مخلوقا لهم و لو بنحو الشرکه و هو قوله:« أَرُونِی مٰا ذٰا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْکٌ فِی السَّمٰاوٰاتِ ».

و أما من قبله تعالی فلو کان لکان کتابا سماویا نازلا من عنده سبحانه یعترف بربوبیتهم و یجوز للناس أن یعبدوهم و یتخذوهم آلهه،و لم ینزل کتاب علی هذه الصفه و هم معترفون بذلک و هو قوله:« أَمْ آتَیْنٰاهُمْ کِتٰاباً فَهُمْ عَلیٰ بَیِّنَهٍ مِنْهُ ».

و إنما عبر عن نفی خالقیتهم فی الأرض بقوله:« أَرُونِی مٰا ذٰا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ » و لم یقل:أنبئونی أ لهم شرک فی الأرض؟و عبر فی السماوات بقوله:« أَمْ لَهُمْ شِرْکٌ فِی السَّمٰاوٰاتِ »و لم یقل:أم ما ذا خلقوا من السماوات.

لأن المراد بالأرض-علی ما یدل علیه سیاق الاحتجاج-العالم الأرضی و هو الأرض بما فیها و ما علیها و المراد بالسماوات العالم السماوی المشتمل علی السماوات و ما فیها و ما علیها فقوله:« مٰا ذٰا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ »فی معنی أ لهم شرک فی الأرض و لا یکون إلا بخلق شیء منها،و قوله:« أَمْ لَهُمْ شِرْکٌ فِی السَّمٰاوٰاتِ »فی معنی أم ما ذا خلقوا من السماوات،و قد اکتفی بذکر الخلق فی جانب الأرض إشاره إلی أن الشرک فی الربوبیه لا یکون إلا بخلق.

و قوله:« أَمْ آتَیْنٰاهُمْ کِتٰاباً فَهُمْ عَلیٰ بَیِّنَهٍ مِنْهُ »أی بل آتیناهم کتابا فهم علی بینه منه أی علی حجه ظاهره من الکتاب أن لشرکائهم شرکه معنا و ذلک بدلالته علی أنهم شرکاء لله.

و قد قال:« أَمْ آتَیْنٰاهُمْ کِتٰاباً »و لم یقل:أم لهم کتاب و نحو ذلک لیتأکد النفی و الإنکار فإن قولنا:أم لهم کتاب و نحو ذلک إنکار لوجود الکتاب لکن قوله:« أَمْ آتَیْنٰاهُمْ کِتٰاباً »إنکار لوجود الکتاب ممن ینزل الکتاب لو نزل.

و قد تبین بما تقدم أن ضمیر الجمع فی« آتَیْنٰاهُمْ »و فی« فَهُمْ عَلیٰ بَیِّنَهٍ »للمشرکین فلا یعبأ بما قیل:إن الضمیرین للشرکاء.

و قوله:« بَلْ إِنْ یَعِدُ الظّٰالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلاّٰ غُرُوراً »إضراب عما تقدم من الاحتجاج بأن الذی حملهم علی الشرک لیس هو حجه تحملهم علیه و یعتمدون علیها بل

غرور بعضهم بعضا بوعد الشفاعه و الزلفى فأسلافهم يغرون أخلافهم و رؤساؤهم و أئمتهم يغرون مرءوسيهم و تابعيهم و يعدونهم شفاعه الشركاء عند الله سبحانه و لا حقيقه لها.

و حجه الآيه عامه على المشركين عبده الأصنام و هم الذين يعبدون الملائكه و الجن و قديسى البشر و يتخذون لهم أصناما يتوجهون إليها،و على الذين يعبدون روحانى الكواكب و يتوجهون إلى الكواكب ثم يتخذون للكواكب أصناما،و على الذين يعبدون الملائكه و العناصر من غير أن يتخذوا لها أصناما كما ينقل عن الفرس القدماء،و على الذين يعبدون بعض البشر كالنصارى للمسيح(ع).

قوله تعالى:« إِنَّ اللّٰهَ يُمْسِكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولاٰ وَ لَئِنْ زٰالَتٰا إِنْ أَمْسَكَهُمٰا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ »إلخ.قيل:إن الآيه استئناف مقرر لغايه قبح الشرك و هوله أى إن الله تعالى يحفظ السماوات و الأرض كراهه أن تزولا أو لئلا تزولا و تضمحلا لأن الممكن كما يحتاج إلى الواجب حال إيجاده يحتاج إليه حال بقائه.انتهى.

و الظاهر أنه تعالى لما استدل على توحده فى الربوبيه يجعل الخلافه فى النوع الإنسانى بقوله:« هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاٰئِفَ فِي الْأَرْضِ »الآيه ثم نفى الشركه مطلقا بالحجه عمم الحجه بحيث تشمل الخلق كله أعنى السماوات و الأرض فاحتج على توحده بإبقاء الخلق بعد إحداثه فإن من البين الذى لا يرتاب فيه أن حدوث الشىء و أصل تلبسه بالوجود بعد العدم غير بقائه و تلبسه بالوجود بعد الوجود على نحو الاستمرار فبقاء الشىء بعد حدوثه يحتاج إلى إيجاد بعد إيجاد على نحو الاتصال و الاستمرار.

و إبقاء الشىء بعد إحداثه كما أنه إيجاد بعد الإيجاد كذلك هو تدبير لأمره فإنك إن دققت النظر وجدت أن النظام الجارى فى الكون إنما يجرى بالإحداث و الإبقاء فقط.و الموجد و الخالق هو الله سبحانه حتى عند الخصم فالله سبحانه هو الخالق المدبر للسماوات و الأرض وحده لا شريك له.

فقوله:« إِنَّ اللّٰهَ يُمْسِكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولاٰ »الإمساك بمعناه المعروف و قوله:« أَنْ تَزُولاٰ »-و تقديره كراهه أن تزولا أو لئلا تزولا-متعلق به،و قيل:

الإمساك بمعنى المنع أو بمعنى الحفظ و على أى حال فالإمساك كنايه عن الإبقاء و هو الإيجاد بعد الإيجاد على سبيل الاتصال و الاستمرار،و الزوال هو الاضمحلال و البطلان.

و نقل عن بعضهم أنه فسر الزوال بالانتقال المكانی،و المعنی أن الله یمنع السماوات و الأرض من أن ینتقل شیء منهما عن مکانه الذی استقر فیه فیرتفع أو ینخفض انتهی و الشأن فی تصور مراده تصورا صحیحا.

و قوله:« وَ لَئِنْ زٰالَتٰا إِنْ أَمْسَکَهُمٰا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ »السیاق یعطی أن المراد بالزوال هاهنا الإشراف علی الزوال إذ نفس الزوال لا یجتمع معه الإمساک و المعنی و أقسم لئن أشرفتا علی الزوال لم یمسکهما أحد من بعد الله سبحانه إذ لا مفیض للوجود غیره و یمکن أن یکون المراد بالزوال معناه الحقیقی و المراد بالإمساک القدره علی الإمساک و قد تبین أن« مِنْ »الأولی زائده للتأکید و الثانیه للابتداء،و ضمیر« مِنْ بَعْدِهِ »راجع إلیه تعالی،و قیل:راجع إلی الزوال.

و قوله:« إِنَّهُ کٰانَ حَلِیماً غَفُوراً »فهو لحلمه لا یعجل إلی أمر و لمغفره یستر جهات العدم فی الأشیاء،و مقتضی الاسمین أن یمسک السماوات و الأرض أن تزولا إلی أجل مسمی.

و قال فی إرشاد العقل السلیم،:إنه کان حلیما غفورا غیر معاجل بالعقوبه التی تستوجبها جنایاتهم حیث أمسکهما و کانتا جدیرتین بأن تهدا هدا حسبما قال تعالی:

« تَکٰادُ السَّمٰاوٰاتُ یَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ »انتهی.

قوله تعالی:« وَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَیْمٰانِهِمْ لَئِنْ جٰاءَهُمْ نَذِیرٌ لَیَکُونُنَّ أَهْدیٰ مِنْ إِحْدَی الْأُمَمِ فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ نَذِیرٌ مٰا زٰادَهُمْ إِلاّٰ نُفُوراً »قال الراغب: الجهد -بفتح الجیم- و الجهد-بضمها-الطاقه و المشقه-إلی أن قال-و قال تعالی:« وَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَیْمٰانِهِمْ »أی حلفوا و اجتهدوا فی الحلف أن یأتوا به علی أبلغ ما فی وسعهم.انتهی.

و قال: النفر الانزعاج عن الشیء و إلی الشیء کالفزع إلی الشیء و عن الشیء یقال:نفر عن الشیء نفورا قال تعالی:« مٰا زٰادَهُمْ إِلاّٰ نُفُوراً »انتهی.

قیل (۱)بلغ قریشا قبل مبعث رسول الله ص أن أهل الکتاب کذبوا رسلهم فقالوا:لعن الله الیهود و النصاری أتتهم الرسل فکذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنکونن أهدی من إحدی الأمم انتهی،و سیاق الآیه یصدق هذا النقل و یؤیده.

۱- ۱) رواه فی الدر المنثور عن أبی هلال و عن ابن جریح.

فقوله:« وَ أَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ »الضمير لقريش و قد حلفوا هذا الحلف قبل بعثه النبى ص بدليل قوله بعد:« فَلَمّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ »،و المقسم به قوله:« لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ »إلخ.

و قوله:« لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ »أى إحدى الأمم التى جاءهم نذير كاليهود و النصارى و إنما قال:« لَيَكُونُنَّ أَهْدىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ »و لم يقل:أهدى منهم لأن المعنى أنهم كانوا أمه ما جاءهم نذير ثم لو جاءهم نذير كانوا أمه ذات نذير كإحدى تلك الأمم المنذره ثم بتصديق النذير يصيرون أهدى من التى ماثلوها و هو قوله:« أَهْدىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ »فافهمه.

و قيل:إن مقتضى المقام العموم، و قوله:« إِحْدَى الْأُمَمِ »عام و إن كان نكره فى سياق الإثبات و اللام فى« اَلْأُمَمِ »للعهد،و المعنى ليكونن أهدى من كل واحده من تلك الأمم التى كذبوا رسلهم من اليهود و النصارى و غيرهم.

و قيل:المعنى ليكونن أهدى من أمه يقال فيها:إحدى الأمم تفضيلا لها على غيرها من الأمم كما يقال:هو واحد القوم و واحد عصره.انتهى.

و لا يخلو الوجه الأخير عن تكلف و بعد.

و قوله:« فَلَمّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ ما زادَهُمْ إِلاّ نُفُوراً »المراد بالنذير النبى ص و النفور التباعد و الهرب.

قوله تعالى:« اِسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ لاٰ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاّٰ بِأَهْلِهِ »قال الراغب: المكر صرف الغير عما يقصده بحيله،و ذلك ضربان:مكر محمود و ذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل و على ذلك قال تعالى:« وَ اللّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ » و مذموم و هو أن يتحرى به فعل قبيح قال تعالى:« لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاّ بِأَهْلِهِ »انتهى.

و قال أيضا:قال عز و جل:« وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاّ بِأَهْلِهِ »أى لا ينزل و لا يصيب.قيل:و أصله حق فقلب نحو زل و زال و قد قرئ فأزلهما الشيطان و أزالهما و على هذا ذمه و ذامه.انتهى.

و قوله:« اِسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ »مفعول لأجله لقوله:« نُفُوراً »أى نفروا عنه

و تباعدوا للاستكبار فى الأرض و قوله:« وَ مَكْرَ السَّيِّئِ »معطوف على« اِسْتِكْبٰاراً » و مفعول لأجله مثله ،و قيل:معطوف على« نُفُوراً »و الإضافه فيه من إضافه الموصوف إلى الصفه بدليل قوله ثانيا:« وَ لاٰ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ »إلخ.

و قوله:« وَ لاٰ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاّٰ بِأَهْلِهِ »أى لا يصيب و لا ينزل المكر السيئ إلا بأهله و لا يستقر إلا فيه،فإن المكر السيئ و إن كان ربما أصاب به مكروه للممكور به،لكنه سيزول و لا يدوم إلا أن أثره السيئ بما أنه المكر سيئ يبقى فى نفس الماكر و سيظهر فيه و يجزى به إما فى الدنيا و إما فى الآخره البته،و لهذا فسر الآيه فى مجمع البيان،بقوله:و المعنى لا ينزل جزاء المكر السيئ إلا بمن فعله.

و الكلام مرسل إرسال المثل كقوله تعالى :«إِنَّمٰا بَغْيُكُمْ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ:» يونس:-٢٣ «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمٰا يَنْكُثُ عَلىٰ نَفْسِهِ:» الفتح:-١٠.

و قوله:« فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّٰ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ » النظر و الانتظار بمعنى التوقع و الفاء للتفريع و الجمله استنتاج مما تقدمها و الاستفهام للإنكار و المعنى و إذ مكروا المكر السيئ و المكر السيئ يحيق بأهله فهم لا ينتظرون إلا السنه الجاريه فى الأمم الماضين و هى العذاب الإلهى النازل بهم إثر مكرهم و تكذيبهم بآيات الله.

و قوله:« فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّٰهِ تَبْدِيلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّٰهِ تَحْوِيلاً »تبديل السنه أن توضع العافيه و النعمه موضع العذاب،و تحويلها أن ينقل العذاب من قوم يستحقونه إلى غيرهم،و سنه الله لا تقبل تبديلا و لا تحويلا لأنه تعالى على صراط مستقيم لا يقبل حكمه تبعيضا و لا استثناء.

و قد أخذ الله بالعذاب هؤلاء المشركين الماكرين يوم بدر فقتل عامتهم.و الخطاب للنبى ص أو لكل سامع.

قوله تعالى:« أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كٰانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً »استشهاد على سنته الجاريه فى الأمم الماضيه و قد كانوا أشد قوه من مشركى مكه فأخذهم الله بالعذاب لما مكروا و كذبوا.

قوله تعالى:« وَ مٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كٰانَ عَلِيماً

قَدِيراً

»تتميم لسابق البيان لمزيد إنذارهم و تخويفهم،و المحصل ليتقوا الله و ليؤمنوا به و لا يمكروا به و لا يكذبوا فإن سنه الله فى ذلک هى العذاب كما يشهد به ما جرى فى الأمم السابقه من الإهلاک و التعذيب و قد كانوا أشد قوه منهم و الله سبحانه لا يعجزه شىء فى السماوات و الأرض بقوه أو مكر فإنه عليم على الإطلاق لا يغفل و لا يجهل حتى ينخدع بمكر أو حيله قدير على الإطلاق لا يقاومه شىء.

قوله تعالى:« وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللّٰهُ النّٰاسَ بِمٰا كَسَبُوا مٰا تَرَكَ عَلىٰ ظَهْرِهٰا مِنْ دَابَّهٍ »إلخ.

المراد بالمؤاخذه المؤاخذه الدنيويه كما يدل عليه قوله الآتى:« وَ لٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى »إلخ.و المراد بالناس جميعهم فإن الآيه مسبوقه بذكر مؤاخذه بعضهم و هم الماكرون المكذبون بآيات الله،و المراد بما كسبوا المعاصى التى اكتسبوها بقرينه المؤاخذه التى هى العذاب و قد قال فى نظيره الآيه من سوره النحل :«وَ لَوْ يُؤٰاخِذُ اللّٰهُ النّٰاسَ بِظُلْمِهِمْ مٰا تَرَكَ عَلَيْهٰا مِنْ دَابَّهٍ:» النحل:-61.

و المراد بظهرها ظهر الأرض لأن الناس يعيشون عليه على أن الأرض تقدم ذكرها فى الآيه السابقه.

و المراد بالدابه كل ما يدب فى الأرض من إنسان ذكر أو أنثى أو كبير أو صغير و احتمل أن يكون المراد كل ما يدب فى الأرض من حيوان و إهلاک غير الإنسان من أنواع الحيوان إنما هو لكونها مخلوقه للإنسان كما قال تعالى :«خَلَقَ لَكُمْ مٰا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً:» البقره:-29.

و قول بعضهم:ذلک لشؤم المعاصى و قد قال تعالى:« وَ اتَّقُوا فِتْنَهً لاٰ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّهً »مدفوع بأن شؤم المعصيه لا يتعدى العاصى إلى غيره و قد قال تعالى :«وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَهٌ وِزْرَ أُخْرىٰ:» فاطر:-18،و أما الآيه أعنى قوله :«وَ اتَّقُوا فِتْنَهً لاٰ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّهً:» الأنفال:-25 فمدلولها على ما تقدم من تفسيرها اختصاص الفتنه بالذين ظلموا منهم خاصه لا عمومها لهم و لغيرهم فراجع.

و قوله:« وَ لٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى »و هو الموت أو القيامه و قوله:« فَإِذٰا جٰاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِعِبٰادِهِ بَصِيراً »أى فيجازى كلا بما عمل فإنه بصير بهم عليم بأعمالهم لأنهم عباده و كيف يمكن أن يجهل الخالق خلقه و الرب عمل عبده؟.

و قد بان بما تقدم أن قوله:« فَإِنَّ اللّهَ كٰانَ بِعِبٰادِهِ بَصِيراً »من وضع السبب موضع المسبب الذى هو الجزاء.

و الآيه أعنى قوله تعالى:« وَ لَوْ يُؤٰاخِذُ اللّهُ النّٰاسَ »إلخ.واقعه موقع الجواب عن سؤال مقدر ناش عن الآيه السابقه فإنه تعالى لما أنذر أهل المكر و التكذيب من المشركين بالمؤاخذه و استشهد بما جرى فى الأمم السابقه و ذكر أنه لا يعجزه شىء فى السماوات و الأرض كأنه قيل:فإذا لم يعجزه شىء فى السماوات و الأرض فكيف يترك سائر الناس على ما هم عليه من المعاصى؟و ما ذا يمنعه أن يؤاخذهم بما كسبوا؟فأجاب أنه لو يؤاخذ جميع الناس بما كسبوا من المعاصى كما يؤاخذ هؤلاء الماكرين المكذبين ما ترك على ظهر الأرض أحدا منهم يدب و يتحرك،و قد قضى سبحانه أن يعيشوا فى الأرض و يعمروها إذ قال :

«وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتٰاعٌ إِلىٰ حِينٍ:» البقره:-٣۶ فلا يؤاخذهم و لكن يؤخرهم إلى أجل مسمى و هو الموت أو البعث فإذا جاء أجلهم عاملهم بما عملوا إنه كان بعباده بصيرا.

(بحث روائى)

فى الدر المنثور،أخرج ابن أبى حاتم من طريق سفيان عن أبى زكريا الكوفى عن رجل حدثه أن النبى ص قال: إياكم و المكر السيئ-فإنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله-و لهم من الله طالب.

و فى تفسير القمى،حدثنى أبى عن النوفلى عن السكونى عن جعفر عن أبيه(ع) قال:قال رسول الله ص: سبق العلم،و جف القلم،و مضى القضاء و تم القدر- بتحقيق الكتاب،و تصديق الرسل،و بالسعاده من الله لمن آمن و اتقى-و بالشقاء لمن كذب و كفر،و بالولايه من الله عز و جل للمؤمنين،و بالبراءه منه المشركين-.

ثم قال رسول الله ص:إن الله عز و جل يقول: يا ابن آدم بمشيتى كنت أنت-الذى تشاء لنفسك ما تشاء،و بإرادتى كنت أنت الذى تريد لنفسك ما تريد،و بفضل نعمتى عليك قويت على معصيتى،و بقوتى و عصمتى و عافيتى أديت إلى فرائضى-و أنا أولى بحسناتك منك و أنت أولى بذنبك منى،الخير منى إليك واصل بما أوليتك به-و الشر منك إليك بما جنيت جزاء-

و بكثير من تسلطى لك انطويت على طاعتى،و بسوء ظنك بى قنطت من رحمتى-.

فلى الحمد و الحجه عليك بالبيان،و لى السبيل عليك بالعصيان،و لك الجزاء الحسن عندى بالإحسان،لم أدع تحذيرك،و لم آخذك عند غرتك-و هو قوله عز و جل:« وَ لَوْ يُؤٰاخِذُ اللّٰهُ النّٰاسَ بِمٰا كَسَبُوا-مٰا تَرَكَ عَلىٰ ظَهْرِهٰا مِنْ دَابَّهٍ »،لم أكلفك فوق طاقتك، و لم أحملك من الأمانه إلا ما أقررت بها على نفسك،و رضيت لنفسى منك بما رضيت به لنفسك منى-ثم قال عز و جل:« وَ لٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى-فَإِذٰا جٰاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِعِبٰادِهِ بَصِيراً ».

(۳۶)سوره يس مكيه و هى ثلاث و ثمانون آيه(۸۳) .

[سوره يس (۳۶): الآيات ۱ الى ۱۲]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

يس (۱) وَ اَلْقُرْآنِ اَلْحَكِيمِ (۲) إِنَّكَ لَمِنَ اَلْمُرْسَلِينَ (۳) عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۴) تَنْزِيلَ اَلْعَزِيزِ اَلرَّحِيمِ (۵) لِتُنْذِرَ قَوْماً مٰا أُنْذِرَ آبٰاؤُهُمْ فَهُمْ غٰافِلُونَ (۶) لَقَدْ حَقَّ اَلْقَوْلُ عَلىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ (۷) إِنّٰا جَعَلْنٰا فِي أَعْنٰاقِهِمْ أَغْلاٰلاً فَهِيَ إِلَى اَلْأَذْقٰانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (۸) وَ جَعَلْنٰا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنٰاهُمْ فَهُمْ لاٰ يُبْصِرُونَ (۹) وَ سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ (۱۰) إِنَّمٰا تُنْذِرُ مَنِ اِتَّبَعَ اَلذِّكْرَ وَ خَشِيَ اَلرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَهٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ (۱۱) إِنّٰا نَحْنُ نُحْيِ اَلْمَوْتىٰ وَ نَكْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنٰاهُ فِي إِمٰامٍ مُبِينٍ (۱۲)

(بیان)

غرض السوره بیان الأصول الثلاثه للـدین فهی تبتدئ بالنبوه و تصف حال الناس فی قبول الدعوه و ردها و أن غایه الدعوه الحقه إحیاء قوم برکوبهم صراط السعاده و تحقیق القول علی آخرین و بعباره أخری تکمیل الناس فی طریقی السعاده و الشقاء.

ثـم تنتقـل السـوره إلی التوحیـد فتعـد جمله من آیـات الوحـدانیه ثم تنتقـل إلی ذکر المعـاد فتـذکر بعث النـاس للجزاء و امتیـاز المجرمین یومئذ من المتقین و تصف ما تئول إلیه حال کل من الفریقین.

ثم ترجع إلی ما بدأت فتلخص القول فی الأصول الثلاثه و تستدل علیها و عند ذلک تختتم السوره.

و من غرر الآیـات فیهـا قوله تعالی:« إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَـیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ فَسُبْحانَ الَّذِی بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَـیْءٍ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ »فالسوره عظیمه الشأن تجمع أصول الحقائق و أعراقها

و قد ورد من طرق العامه و الخاصه: أن لکل شیء قلبا و قلب القرآن یس (۱)و السوره مکیه بشهاده سیاق آیاتها.

قوله تعالی:« یس وَ الْقُرْآنِ الْحَکِیمِ -إلی قوله -فَهُمْ غافِلُونَ »إقسام منه تعالی بالقرآن الحکیم علی کون النبی ص من المرسلین،و قد وصف القرآن بالحکیم لکونه مستقرا فیه الحکمه و هی حقائق المعارف و ما یتفرع علیها من الشرائع و العبر و المواعظ.

و قوله:« إِنَّکَ لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ »مقسم علیه کما تقدم.

و قوله:« عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ »خبر بعد خبر لقوله:« إِنَّکَ »،و تنکیر الصـراط -کما قیل-للدلاله علی التفخیم و توصیفه بالمستقیم للتوضیح فإن الصراط هو الطریق

۱- ۱) رواه الصـدوق فی ثواب الأعمـال عن أبی عبـد الله ع و السـیوطی فی الـدر المنثور عن أنس و أبی هریره و معقل بن یسار عن النبی ص).

الواضح المستقيم،و المراد به الطريق الذى يوصل عابريه إلى الله تعالى أى إلى السعاده الإنسانيه التى فيها كمال العبوديه لله و القرب،و قد تقدم فى تفسير الفاتحه بعض ما ينفع فى هذا المقام من الكلام.

و قوله:« تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ »وصف للقرآن مقطوع عن الوصفيه منصوب على المدح،و المصدر بمعنى المفعول و محصل المعنى أعنى بالقرآن ذاك المنزل الذى أنزله الله العزيز الرحيم الذى استقر فيه العزه و الرحمه.

و التذييل بالوصفين للإشاره إلى أنه قاهر غير مقهور و غالب غير مغلوب فلا يعجزه إعراض المعرضين عن عبوديته و لا يستذله جحود الجاحدين و تكذيب المكذبين،و أنه ذو رحمه واسعه لمن يتبع الذكر و يخشاه بالغيب لا لينتفع بإيمانهم بل ليهديهم إلى ما فيه سعادتهم و كمالهم فهو بعزته و رحمته أرسل الرسول و أنزل عليه القرآن الحكيم لينذر الناس فيحق كلمه العذاب على بعضهم و يشمل الرحمه منهم آخرين.

و قوله:« لِتُنْذِرَ قَوْماً مٰا أُنْذِرَ آبٰاؤُهُمْ فَهُمْ غٰافِلُونَ »تعليل للإرسال و التنزيل و« قَوْماً »نافيه و الجمله صفه لقوله:« قَوْماً »و المعنى إنما أرسلك و أنزل عليك القرآن لتنذر و تخوف قوما لم ينذر آباؤهم فهم غافلون.

و المراد بالقوم إن كان هو قريش و من يلحق بهم فالمراد بآبائهم آباؤهم الأدنون فإن الأبعدين من آبائهم كان فيهم النبى إسماعيل ذبيح الله،و قد أرسل إلى العرب رسل آخرون كهود و صالح و شعيب(ع)،و إن كان المراد جميع الناس المعاصرين نظرا إلى عموم الرساله فكذلك أيضا فآخر رسول معروف بالرساله قبله(ص)هو عيسى (ع)و بينهما زمان الفتره.

و اعلم أن ما ذكرناه فى تركيب الآيات هو الذى يسبق منها إلى الفهم و قد أوردوا فى ذلك وجوها أخر بعيده عن الفهم تركناها من أرادها فليراجع المطولات.

قوله تعالى:« لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ »اللام للقسم أى أقسم لقد ثبت و وجب القول على أكثرهم،و المراد بثبوت القول عليهم صيرورتهم مصاديق يصدق عليهم القول.

و المراد بالقول الذى حق عليهم كلمه العذاب التى تكلم بها الله سبحانه فى بدء

الخلقه مخاطبا بها إبليس :«فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ:» -ص:-٨٥ و المراد بتبعيه إبليس طاعته فيما يأمر به بالوسوسه و التسويل بحيث تثبت الغوايه و ترسخ فى النفس كما يشير إليه قوله تعالى خطابا لإبليس :«إِنَّ عِبادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ:» الحجر:-٤٣.

و لازمه الطغيان و الاستكبار على الحق كما يشير إليه ما يحكيه الله من تساؤل المتبوعين و التابعين فى النار :«بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طاغِينَ فَحَقَّ عَلَيْنا قَوْلُ رَبِّنا إِنّا لَذائِقُونَ فَأَغْوَيْناكُمْ إِنّا كُنّا غاوِينَ:» الصافات:-٣٢،و قوله :«وَ لكِنْ حَقَّتْ كَلِمَهُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ:» الزمر:-٧٢.

و لازمه الانكباب على الدنيا و الإعراض عن الآخره بالمره و رسوخ ذلك فى نفوسهم قال تعالى :«وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَياهَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَهِ وَ أَنَّ اللّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ:» النحل:-١٠٨ فيطبع الله على قلوبهم و من آثاره أن لا سبيل لهم إلى الإيمان قال تعالى :«إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ:» يونس:-٩٦.

و بما تقدم ظهر أن الفاء فى قوله:« فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ »للتفريع لا للتعليل كما احتمله بعضهم.

قوله تعالى:« إِنّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ » الأعناق جمع عنق بضمتين و هو الجيد،و الأغلال جمع غل بالكسر و هى على ما قيل ما تشد به اليد إلى العنق للتعذيب و التشديد،و مقمحون اسم مفعول من الإقماح و هو رفع الرأس كأنهم قد ملأت الأغلال ما بين صدورهم إلى أذقانهم فبقيت رءوسهم مرفوعه إلى السماء لا يتأتى لهم أن ينكسوها فينظروا إلى ما بين أيديهم من الطريق فيعرفوها و يميزوها من غيرها.

و تنكير قوله:« أَغْلالاً »للتفخيم و التهويل.

و الآيه فى مقام التعليل لقوله السابق:« فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ».

قوله تعالى:« وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ » السد الحاجز بين الشيئين،و قوله:« مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ »كنايه عن جميع الجهات،و الغشى و الغشيان التغطيه يقال:غشيه كذا أى غطاه و أغشى الأمر فلانا أى جعل الأمر يغطيه،و الآيه متممه للتعليل السابق و قوله:« جَعَلْنا »معطوف على« جَعَلْنا »المتقدم.

و عن الرازى فى تفسيره فى معنى التشبيه فى الآيتين أن المانع عن النظر فى الآيات قسمان:قسم يمنع عن النظر فى الأنفس فشبه ذلك بالغل الذى يجعل صاحبه مقمحا لا يرى نفسه و لا يقع بصره على بدنه،و قسم يمنع عن النظر فى الآفاق فشبه ذلك بالسد المحيط فإن المحاط بالسد لا يقع نظره على الآفاق فلا يظهر له ما فيها من الآيات فمن ابتلى بهما حرم عن النظر بالكليه.

و معنى الآيتين أنهم لا يؤمنون لأنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا نشد بها أيديهم على أعناقهم فهى إلى الأذقان فهم مرفوعه رءوسهم باقون على تلك الحال و جعلنا من جميع جهاتهم سدا فجعلناه يغطيهم فهم لا يبصرون فلا يهتدون.

ففى الآيتين تمثيل لحالهم فى حرمانهم من الاهتداء إلى الإيمان و تحريمه تعالى عليهم ذلك جزاء لكفرهم و غوايتهم و طغيانهم فى ذلك.

و قد تقدم فى قوله تعالى :«إِنَّ اللّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً:» البقره:-۲۶ فى الجزء الأول من الكتاب أن ما وقع فى القرآن من هذه الأوصاف و نظائرها التى وصف بها المؤمنون و الكفار يكشف عن حياه أخرى للإنسان فى باطن هذه الحياه الدنيويه مستوره عن الحس المادى ستظهر له إذا انكشفت الحقائق بالموت أو البعث، و عليه فالكلام فى أمثال هذه الآيات جار فى مجرى الحقيقه دون المجاز كما عليه القوم.

قوله تعالى:« وَ سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ »عطف تفسير و تقرير لما تتضمنه الآيات الثلاث المتقدمه و تلخيص للمراد و تمهيد لما يتلوه من قوله:

« إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ »الآيه.

و احتمل أن يكون عطفا على قوله:« لا يُبْصِرُونَ »و المعنى فهم لا يبصرون

و يستوى عليهم إنذارك و عدم إنذارك لا يؤمنون و الوجه الأول أقرب إلى الفهم.

قوله تعالى:« إِنَّمٰا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ »القصر للإفراد،و المراد بالإنذار الإنذار النافع الذى له أثر،و بالذكر القرآن الكريم،و باتباعه تصديقه و الميل إليه إذا تليت آياته،و التعبير بالماضى للإشاره إلى تحقق الوقوع،و المراد بخشيه الرحمن بالغيب خشيته تعالى من وراء الحجاب و قبل انكشاف الحقيقه بالموت أو البعث،و قيل:أى حال غيبته من الناس بخلاف المنافق و هو بعيد.

و قد علقت الخشيه على اسم الرحمن الدال على صفه الرحمه الجالبه للرجاء للإشعار بأن خشيتهم خوف مشوب برجاء و هو الذى يقر العبد فى مقام العبوديه فلا يأمن و لا يقنط.

و تنكير« بِمَغْفِرَةٍ »و« أَجْرٍ كَرِيمٍ »للتفخيم أى فبشره بمغفره عظيمه من الله و أجر كريم لا يقدر قدره و هو الجنه،و الدليل على جميع ما تقدم هو السياق.

و المعنى:إنما تنذر الإنذار النافع الذى له أثر،من اتبع القرآن إذا تليت عليه آياته و مال إليه و خشى الرحمن خشيه مشوبه بالرجاء فبشره بمغفره عظيمه و أجر كريم لا يقدر قدره.

قوله تعالى:« إِنّٰا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتىٰ وَ نَكْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنٰاهُ فِي إِمٰامٍ مُبِينٍ »المراد بإحياء الموتى إحياؤهم للجزاء.

و المراد بما قدموا الأعمال التى عملوها قبل الوفاه فقدموها على موتهم،و المراد بآثارهم ما تركوها لما بعد موتهم من خير يعمل به كتعليم علم ينتفع به أو بناء مسجد يصلى فيه أو ميضاه يتوضأ فيها،أو شر يعمل به كوضع سنه مبتدعه يستن بها أو بناء مفسقه يعصى الله فيها.

و ربما قيل:إن المراد بما قدموا النيات و بآثارهم الأعمال المترتبه المتفرعه عليها و هو بعيد من السياق.

و المراد بكتابه ما قدموا و آثارهم ثبتها فى صحائف أعمالهم و ضبطها فيها بواسطه كتبه الأعمال من الملائكه و هذه الكتابه غير كتابه الأعمال و إحصائها فى الإمام المبين

الـذی هو اللوح المحفوظ و إن توهم بعضـهم أن المراد بکتـابه مـا قـدموا و آثـارهم هو إحصاؤها فی الکتاب المبین و ذلک أنه تعالی یثبت فی کلامه کتابا یحصی کل شیء ثم لکل أمه کتابا یحصی أعمالهم ثم لکل إنسان کتابا یحصی أعماله کما قال :

«وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ یٰابِسٍ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ:» الأنعام:-۵۹،و قـال :«کُلُّ أُمَّهٍ تُـدْعیٰ إِلیٰ کِتٰابِهَا:» الجاثیه:-۲۸،و قـال :«وَ کُلَّ إِنْسٰانٍ أَلْزَمْنٰاهُ طٰائِرَهُ فِی عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ کِتٰاباً یَلْقٰاهُ مَنْشُوراً:» الإسـراء:-۱۳،و ظـاهر الآیه أیضا یقضـی بنوع من البینونه بین کتاب الأعمال و الإمام المبین حیث فرق بینهما بالخصوص و العموم و اختلاف التعبیر بالکتابه و الإحصاء.

و قوله:« وَ کُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْنٰاهُ فِی إِمٰامٍ مُبِینٍ »هو اللوح المحفوظ من التغییر الـذی یشـتمل علی تفصـیل قضائه سـبحانه فی خلقه فیحصـی کل شیء و قد ذکر فی کلامه تعالی بأسماء مختلفه کاللوح المحفوظ و أم الکتاب و الکتاب المبین و الإمام المبین کل منها بعنایه خاصه.

و لعـل العنـایه فی تسـمیته إماما مبینا أنه لاشـتماله علی القضاء المحتوم متبوع للخلق مقتـدی لهم و کتب الأعمال کما سـیأتی فی تفسیر سوره الجاثیه مستنسخه منه قال تعالی :

«هٰذٰا کِتٰابُنٰا یَنْطِقُ عَلَیْکُمْ بِالْحَقِّ إِنّٰا کُنّٰا نَسْتَنْسِخُ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ:» الجاثیه:-۲۹.

و قیـل:المراد بالإمـام المبین صـحف الأعمـال و لیس بشـیء،و قیل:علمه تعالی و هو کسابقه نعم لو أریـد به العلم الفعلی کان له وجه.

و من عجیب القول فی هـذا المقـام ما ذکره بعضـهم أن الـذی کتب فی اللوح المحفوظ هو ما کان و ما یکون إلی یوم القیامه لا حوادث العالم إلی أبد الآبدین و ذلک أن اللوح عند المسـلمین جسم و کل جسم متناهی الأبعاد کما یشـهد به الأدله و بیان کل شیء فیه علی الوجه المعروف عندنا دفعه مقتض لکون المتناهی ظرفا لغیر المتناهی و هو محال بالبدیهه فالوجه تخصـیص عموم کل شیء و القول بأن المراد به الحوادث إلی یوم القیامه هذا.

و هو تحکم و سنتعرض له تفصیلا.

و الآیه فی معنی التعلیل بالنسـبه إلی ما تقدمها کأنه تعالی یقول:ما أخبرنا به و وصـفناه من حال أولئک الذین حق علیهم القول و هؤلاء الذین یتبعون الذکر و یخشون

ربهم بـالغيب هو كـذلك لأـن أمر حياه الكل إلينا و أعمالهم و آثارهم محفوظه عنـدنا فنحن على علم و خبره بما تئول إليه حال كل من الفريقين.

(بحث روائى)

فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« فَهُمْ مُقْمَحُونَ »قال:قد رفعوا رءوسهم.

و فيه،فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع): فى قوله تعالى:« وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا-فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ »الهدى،أخذ الله سمعهم و أبصارهم و قلوبهم-و أعمالهم عن الهدى-.

نزلت فى أبى جهـل بن هشام و نفر من أهل بيته-و ذلك أن النبى ص قام يصـلى- و قـد حلف أبو جهل لعنه الله لئن رآه يصـلى ليدمغه- (۱)فجاءه و معه حجر و النبى ص قائم يصلى-فجعل كلما رفع الحجر ليرميه-أثبت الله عز و جل يده إلى عنقه و لا يدور الحجر بيده-فلما رجع إلى أصحابه سقط الحجر من يده-.

ثم قام رجل آخر و هو رهطه أيضا فقال أنا أقتله-فلما دنا منه فجعل يسـمع قراءه رسول الله ص-فأرعب فرجع إلى أصحابه فقال-حال بينى و بينه كهيئه الفحل يخطر بذنبه-فخفت أن أتقدم.

و قوله تعالى:« وَ سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ »فلم يؤمن من أولئك الرهط من بنى مخزوم أحد.

أقول:

و روى نحو منه فى الدر المنثور،عن البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس و فيه": أن ناسا من بنى مخزوم تواطئوا بالنبى ص ليقتلوه- منهم أبو جهل و الوليد بن المغيره- فبينا النبى ص قائم يصـلى يسمعون قراءته-فأرسلوا إليه الوليد ليقتله-فانطلق حتى أتى المكان الذى يصـلى فيه-فجعل يسـمع قراءته و لا يراه فانطلق إليهم-فأعلمهم ذلك فأتوه- فلما انتهوا إلى المكان الذى يصلى فيه-سمعوا قراءته فيذهبون إليه-فيسمعون أيضا من

۱- ۱) دمغه أى شجه حتى بلغت الشجه دماغه.

خلفهم-فانصرفوا فلم يجدوا إليه سبيلا.فذلك قوله:« وَ جَعَلْنٰا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا »الآيه.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردويه و أبو نعيم فی الدلائل عن ابن عباس قال":

كان النبی ص يقرأ فی المسجد فيجهر بالقراءه-حتی تأذی به ناس من قريش حتی قاموا ليأخذوه-و إذا أيديهم مجموعه إلی أعناقهم و إذا هم لا يبصرون-فجاءوا إلی النبی ص فقالوا:ننشدك الله و الرحم يا محمد-و لم يكن بطن من بطون قريش-إلا و للنبی ص فيهم قرابه-فدعا النبی ص حتی ذهب ذلك عنهم فنزلت:« يس وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ - -إلی قوله- أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ ».قال:فلم يؤمن من ذلك النفر أحد.

أقول:و قد رووا القصه بأشكال مختلفه فی بعضها أن رسول الله ص قرأ الآيات فاحتجب منهم فلم يروه و دفع الله عنه شرهم و كيدهم ،و فی بعضها أن الآيات -من أول السوره إلی قوله:« فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ »-نزلت فی القصه فقوله:« إِنّٰا جَعَلْنٰا » إلی آخر الآيتين يقص صنع الله بهم فی ستر النبی ص عن أبصارهم و قوله:

« وَ سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ »إلخ يخبر عن عدم إيمان ذاك النفر.

و أنت خبير بأن سياق الآيات يأبی الانطباق علی هذه الروايات بما فيها من القصه فهو سياق متناسق منسجم يصف حال طائفتين من الناس و هم الذين حق عليهم القول فهم لا يؤمنون و الذين يتبعون الذكر و يخشون ربهم بالغيب.

و أين ذلك من حمل قوله:« لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلىٰ أَكْثَرِهِمْ »علی الناس المنذرين و حمل قوله:« إِنّٰا جَعَلْنٰا فِی أَعْنٰاقِهِمْ »و« جَعَلْنٰا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا »الآيتين علی قصه أبی جهل و رهطه،و حمل قوله:« وَ سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ »علی رهطه و أضف إلی ذلك حمل قوله:« وَ نَكْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ »علی قصه قوم من الأنصار بالمدينه و سيوافيك خبره فيختل بذلك السياق و تنثلم وحده النظم.

فالحق أن الآيات نازله دفعه ذات سياق واحد تصف حال الناس و تفرقهم عند بلوغ الدعوه و وقوع الإنذار علی فرقتين،و لا مانع من وقوع القصه و احتجاب النبی ص من أعدائه بالآيات.

و فيه،أخرج عبد الرزاق و الترمذی و حسنه و البزار و ابن جرير و ابن المنذر

و ابن أبی حاتم و الحاکم و صححه و ابن مردویه و البیهقی فی شعب الإیمان عن أبی سعید الخدری قال": کان بنو سلمه فی ناحیه من المدینه-فأرادوا أن ینتقلوا إلی قرب المسجد فأنزل الله:« إِنّٰا نَحْنُ نُحْیِ الْمَوْتیٰ وَ نَکْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ »فدعاهم رسول الله ص فقال:إنه یکتب آثارکم ثم قرأ علیهم الآیه فترکوا.

و فیه،أخرج الفاریابی و أحمد فی الزهد و عبد بن حمید و ابن ماجه و ابن جریر و ابن المنذر و الطبرانی و ابن مردویه عن ابن عباس قال": کانت الأنصار منازلهم بعیده من المسجد-فأرادوا أن ینتقلوا قریبا من المسجد فنزلت« وَ نَکْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ » فقالوا:بل نمکث مکاننا.

أقول:و الکلام فی الروایتین کالکلام فیما تقدمهما.

و فیه،أخرج ابن أبی حاتم عن جریر بن عبد الله البجلی قال:قال رسول الله ص:

من سن سنه حسنه فله أجرها-و أجر من عمل بها من بعده-من غیر أن ینقص من أجورهم شیء.و من سن سنه سیئه کان علیه وزرها-و وزر من عمل بها من بعده لا ینقص من أوزارهم شیء.ثم تلا هذه الآیه« وَ نَکْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ ».

و فی تفسیر القمی،:فی قوله تعالی:« وَ کُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْنٰاهُ فِی إِمٰامٍ مُبِینٍ »أی فی کتاب مبین و هو محکم،و

ذکر ابن عباس عن أمیر المؤمنین(ع): أنا و الله الإمام المبین أبین الحق من الباطل-ورثته من رسول الله ص.

و فی معانی الأخبار،بإسناده إلی أبی الجارود عن أبی جعفر عن أبیه عن جده(ع) عن النبی ص فی حدیث:أنه قال فی علی(ع) إنه الإمام-الذی أحصی الله تبارک و تعالی فیه علم کل شیء.

أقول:الحدیثان لو صحا لم یکونا من التفسیر فی شیء بل مضمونهما من بطن القرآن و إشاراته،و لا مانع من أن یرزق الله عبدا وحده و أخلص العبودیه له العلم بما فی الکتاب المبین و هو(ع)سید الموحدین بعد النبی ص.

[سوره يس (۳۶): الآيات ۱۳ الی ۳۲]

اشاره

وَ اِضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحٰابَ اَلْقَرْيَهِ إِذْ جٰاءَهَا اَلْمُرْسَلُونَ (۱۳) إِذْ أَرْسَلْنٰا إِلَيْهِمُ اِثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمٰا فَعَزَّزْنٰا بِثٰالِثٍ فَقٰالُوا إِنّٰا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (۱۴) قٰالُوا مٰا أَنْتُمْ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا وَ مٰا أَنْزَلَ اَلرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ تَكْذِبُونَ (۱۵) قٰالُوا رَبُّنٰا يَعْلَمُ إِنّٰا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (۱۶) وَ مٰا عَلَيْنٰا إِلاَّ اَلْبَلاٰغُ اَلْمُبِينُ (۱۷) قٰالُوا إِنّٰا تَطَيَّرْنٰا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنّٰا عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۱۸) قٰالُوا طٰائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (۱۹) وَ جٰاءَ مِنْ أَقْصَا اَلْمَدِينَهِ رَجُلٌ يَسْعىٰ قٰالَ يٰا قَوْمِ اِتَّبِعُوا اَلْمُرْسَلِينَ (۲۰) اِتَّبِعُوا مَنْ لاٰ يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَ هُمْ مُهْتَدُونَ (۲۱) وَ مٰا لِيَ لاٰ أَعْبُدُ اَلَّذِي فَطَرَنِي وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۲۲) أَ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَهً إِنْ يُرِدْنِ اَلرَّحْمٰنُ بِضُرٍّ لاٰ تُغْنِ عَنِّي شَفٰاعَتُهُمْ شَيْئاً وَ لاٰ يُنْقِذُونِ (۲۳) إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (۲۴) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (۲۵) قِيلَ اُدْخُلِ اَلْجَنَّهَ قٰالَ يٰا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (۲۶) بِمٰا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ اَلْمُكْرَمِينَ (۲۷) وَ مٰا أَنْزَلْنٰا عَلىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ اَلسَّمٰاءِ وَ مٰا كُنّٰا مُنْزِلِينَ (۲۸) إِنْ كٰانَتْ إِلاّٰ صَيْحَهً وٰاحِدَهً فَإِذٰا هُمْ خٰامِدُونَ (۲۹) يٰا حَسْرَهً عَلَى اَلْعِبٰادِ مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۳۰) أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنٰا قَبْلَهُمْ مِنَ اَلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاٰ يَرْجِعُونَ (۳۱) وَ إِنْ كُلٌّ لَمّٰا جَمِيعٌ لَدَيْنٰا مُحْضَرُونَ (۳۲)

(بيان)

مثل مشتمل على الإنذار و التبشير ضربه الله سبحانه لعامه القوم يشير فيه إلى الرساله الإلهيه و ما تستتبعه الدعوه الحقه من المغفره و الأجر الكريم لمن آمن بها و اتبع الذكر و خشي الرحمن بالغيب،و من العذاب الأليم لمن كفر و كذب بها فحق عليه القول،و فيه إشاره إلى وحدانيته تعالى و معاد الناس إليه جميعا.

و لا منافاه بين إخباره بأنهم لا يؤمنون سواء أنذروا أم لم ينذروا و بين إنذارهم لأن في البلاغ إتماما للحجه و تكميلا للسعاده أو الشقاوه قال تعالى :«لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَهٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَهٍ:» الأنفال:-۴۲،و قال :«وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظّالِمِينَ إِلاّ خَساراً:» الإسراء:-۸۲.

قوله تعالى:« وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيَهِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ » المثل كلام أو قصه يمثل به مقصد من المقاصد فيتضح للمخاطب،و لما كانت قصتهم توضح ما تقدم من الوعد و الوعيد أمر نبيه ص أن يضربها مثلا لهم.

و الظاهر أن« مَثَلاً »مفعول ثان لقوله:« اِضْرِبْ »و مفعوله الأول قوله:

« أَصْحابَ الْقَرْيَهِ »و المعنى و اضرب لهم أصحاب القريه و حالهم هذه الحال مثلا و قد قدم المفعول الثاني تحرزا عن الفصل المخل.

قوله تعالى:« إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ » التعزيز من العزه بمعنى القوه و المنعه،و قوله:« إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ »بيان تفصيلي لقوله:« إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ».

و المعنى:و اضرب لهم مثلا- أصحاب القريه و هم في زمان أرسلنا إليهم رسولين اثنين من رسلنا فكذبوهما أي الرسولين فقويناهما برسول ثالث فقالت الرسل إنا إليكم

مرسلون من جانب الله.

قوله تعالى:« قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ تَكْذِبُونَ »كانوا يرون أن البشر لا ينال النبوه و الوحى،و يستدلون على ذلك بأنفسهم حيث لا يجدون من أنفسهم شيئا من ذاك القبيل فيسرون الحكم إلى نفوس الأنبياء مستندين إلى أن حكم الأمثال واحد.

و على هذا التقرير يكون معنى قوله:« وَ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ »لم ينزل الله وحيا و لو نزل شيئا على بشر لنلناه من نفوسنا كما تدعون أنتم ذلك،و تعبيرهم عن الله سبحانه بالرحمن إنما هو لكونهم كسائر الوثنيين معترفين بالله سبحانه و اتصافه بكرائم الصفات (۱)كالخلق و الرحمه و الملك غير أنهم يرون أنه فوض أمر التدبير إلى مقربى خلقه كالملائكه الكرام فهم الأرباب المدبرون و الآلهه المعبودون،و أما الله عز اسمه فهو رب الأرباب و إله الآلهه.

و من الممكن أن يكون ذكر اسم الرحمن فى الحكايه دون المحكى فيكون التعبير به لحلمه و رحمته تعالى قبل إنكارهم و تكذيبهم للحق الصريح.

و قوله:« إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ تَكْذِبُونَ »بمنزله النتيجه لصدر الآيه،و محصل قولهم إنكم بشر مثلنا و لا نجد نحن على بشريتنا فى نفوسنا شيئا من الوحى النازل الذى تدعونه و أنتم مثلنا فما أنزل الرحمن شيئا من الوحى فدعواكم كاذبه و إذ ليس لكم إلا هذه الدعوى فإن أنتم إلا تكذبون.

و يظهر بما تقدم نكته الحصر فى قوله:« إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ تَكْذِبُونَ »و كذا الوجه فى نفى الفعل و لم يقل:إن أنتم إلا كاذبون لأن المراد نفى الفعل فى الحال دون الاستمرار و الاستقبال.

قوله تعالى:« قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَ مَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ »لم يحك الله سبحانه عن هؤلاء الرسل جوابا عن حجه قومهم مَا أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا »إلخ.

ص :۷۳

۱- ۱) لكنهم مختلفون فى تفسيرها و الصابئون يفسرونها بالنفى فمعنى العالم و القادر عندهم من ليس بجاهل و عاجز.

كما نقل عن الرسل المبعوثين إلى الأمم الدارجه لما احتجت أممهم بمثل هذه الحجه« إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا »فردتها رسلهم بقولهم :«إِنْ نَحْنُ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ لكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ:» إبراهيم:-١١ و قد مر تقريره.

بل حكى عنهم أنهم ذكروا للقوم أنهم مرسلون إليهم مأمورون بتبليغ الرساله ليس عليهم إلا ذلك و أنهم فى غنى عن تصديقهم لهم و إيمانهم بهم و يكفيهم فيه أن يعلم ربهم بأنهم مرسلون لا حاجه لهم إلى أزيد من ذلك.

فقوله:« قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ »إخبار عن رسالتهم و قد أكد الكلام بأن المشدده المكسوره و اللام،و الاستشهاد بعلم ربهم بذلك،و قوله:« رَبُّنا يَعْلَمُ »معترض بمنزله القسم،و المعنى إنا مرسلون إليكم صادقون فى دعوى الرساله و يكفينا فى ذلكم علم ربنا الذى أرسلنا بها و لا حاجه لنا فيه إلى تصديقكم لنا و لا نفع لنا فيه من أجر و نحوه و لا يهمنا تحصيله منكم بل الذى يهمنا هو تبليغ الرساله و إتمام الحجه.

و قوله:« وَ ما عَلَيْنا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ » البلاغ هو التبليغ و المراد به تبليغ الرساله أى لم يؤمر و لم نكلف إلا بتبليغ الرساله و إتمام الحجه.

قوله تعالى:« قالُوا إِنّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنّا عَذابٌ أَلِيمٌ »القائلون أصحاب القريه و المخاطبون هم الرسل،و التطير هو التشؤم و قولهم:« لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا »إلخ.تهديد منهم للرسل.

و المعنى:قالت أصحاب القريه لرسلهم،إنا تشأمنا بكم و نقسم لئن لم تنتهوا عن التبليغ و لم تكفوا عن الدعوه لنرجمنكم بالحجاره و ليصلن إليكم و ليقعن بكم منا عذاب أليم.

قوله تعالى:« قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ »القائلون هم الرسل يخاطبون به أصحاب القريه.

و قوله:« طائِرُكُمْ مَعَكُمْ » الطائر فى الأصل هو الطير و كان يتشاءم به ثم توسع و استعمل فى كل ما يتشاءم به،و ربما يستعمل فيما يستقبل الإنسان من الحوادث،و ربما يستعمل فى البخت الشقى الذى هو أمر موهوم يرونه مبدأ لشقاء الإنسان و حرمانه من كل خير.

و كيف كان فقوله:« طٰائِرُكُمْ مَعَكُمْ »ظاهر معناه أن الذى ينبغى أن تتشأموا به هو معكم و هو حاله إعراضكم عن الحق الذى هو التوحيد و إقبالكم إلى الباطل الذى هو الشرك.

و قيل:المعنى طائركم أى حظكم و نصيبكم من الخير و الشر معكم من أفعالكم إن خيرا فخير و إن شرا فشر،هذا و هو أخذ الطائر بالمعنى الثانى لكن قوله بعد:« أَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ »أنسب بالنسبه إلى المعنى الأول.

و قوله:« أَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ »استفهام توبيخى و المراد بالتذكير تذكيرهم بالحق من وحدانيته تعالى و رجوع الكل إليه و نحوهما و جزاء الشرط محذوف فى الكلام تلويحا إلى أنه مما لا ينبغى أن يذكر أو يتفوه به و التقدير أ إن ذكرتم بالحق قابلتموه بمثل هذا الجحود الشنيع و الصنيع الفظيع من التطير و التوعد.

و قوله:« بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ »أى مجاوزون للحد فى المعصيه و هو إضراب عما تقدم و المعنى بل السبب الأصلى فى جحودكم و تكذيبكم للحق أنكم قوم تستمرون على الإسراف و مجاوزه الحد.

قوله تعالى:« وَ جٰاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَه رَجُلٌ يَسْعىٰ قٰالَ يٰا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ » أقصى المدينه أبعد مواضعها بالنسبه إلى مبدإ مفروض،و قد بدلت القريه فى أول الكلام مدينه هنا للدلاله على عظمها و السعى هو الإسراع فى المشى.

و وقع نظير هذا التعبير فى قصه موسى و القبطى و فيها« وَ جٰاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَه يَسْعىٰ »فقدم«رجل»هناك و أخر هاهنا و لعل النكته فى ذلك أن الاهتمام هناك بمجىء الرجل و إخباره موسى بائتمار الملإ لقتله فقدم الرجل ثم أشير إلى اهتمام الرجل نفسه بإيصال الخبر و إبلاغه فجىء بقوله:« يَسْعىٰ »حالا مؤخرا بخلاف ما هاهنا فالاهتمام بمجيئه من أقصى المدينه ليعلم أن لا تواطؤ بينه و بين الرسل فى أمر الدعوه فقدم« مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَه »و أخر الرجل و سعيه.

و قد اشتد الخلاف بينهم فى اسم الرجل و اسم أبيه و حرفته و شغله و لا يهمنا الاشتغال بذلك فى فهم المراد و لو توقف عليه الفهم بعض التوقف لأشار سبحانه فى كلامه إليه و لم يهمله.

و إنما المهم هو التدبر فی حظه من الإیمان فی هذا الموقف الذی انتهض فیه لتأیید الرسل(ع)و نصرتهم فقد کان علی ما یعطیه التدبر فی المنقول من کلامه رجلا نور الله سبحانه قلبه بنور الإیمان یؤمن بالله إیمان إخلاص یعبده لا طمعا فی جنه أو خوفا من نار بل لأنه أهل للعباده و لذلک کان من المکرمین و لم یصف الله سبحانه فی کلامه بهذا الوصف إلا ملائکته المقربین و عباده المخلصین،و قد خاصم القوم فخصمهم و أبطل ما تعلق به القوم من الحجه علی عدم جواز عباده الله سبحانه و وجوب عباده آلهتهم و أثبت وجوب عبادته وحده و صدق الرسل فی دعواهم الرساله ثم آمن بهم.

قوله تعالی:« اِتَّبِعُوا مَنْ لاٰ یَسْئَلُکُمْ أَجْراً وَ هُمْ مُهْتَدُونَ »بیان لقوله:« اِتَّبِعُوا الْمُرْسَلِینَ »و فی وضع قوله:« مَنْ لاٰ یَسْئَلُکُمْ أَجْراً وَ هُمْ مُهْتَدُونَ »فی هذه الآیه موضع قوله:« اَلْمُرْسَلِینَ »فی الآیه السابقه إشعار بالعلیه و بیانها أن عدم جواز اتباع قائل فی قوله إنما یکون لأحد أمرین:إما لکون قوله ضلالا و القائل به ضالا-و لا یجوز اتباع الضال فی ضلاله،و إما لأن القول و إن کان حقا و الحق واجب الاتباع لکن لقائله غرض فاسد یرید أن یتوسل إلیه بکلمه الحق کاقتناء المال و اکتساب الجاه و المقام و نحو ذلک،و أما إذا کان القول حقا و کان القائل بریئا من الغرض الفاسد منزها من الکید و المکر و الخیانه کان من الواجب اتباعه فی قوله،و هؤلاء الرسل مهتدون فی قولهم:

لا تعبدوا إلا الله،و هم لا یریدون منکم أجرا من مال أو جاه فمن الواجب علیکم أن تتبعوهم فی قولهم.

أما أنهم مهتدون فلقیام الحجه علی صدق ما یدعون إلیه من التوحید و کونه حقا، و الحجه هی قوله:« وَ مٰا لِیَ لاٰ أَعْبُدُ »إلی تمام الآیتین.

و أما أنهم لا یریدون منکم أجرا فلما دل علیه قولهم:« رَبُّنٰا یَعْلَمُ إِنّٰا إِلَیْکُمْ لَمُرْسَلُونَ » و قد تقدم تقریره.

و بهذا البیان یتأید ما قدمناه من کون قولهم:« رَبُّنٰا یَعْلَمُ إِنّٰا إِلَیْکُمْ لَمُرْسَلُونَ » مسوقا لنفی إرادتهم من القوم أجرا أو غیر ذلک.

قوله تعالی:« وَ مٰا لِیَ لاٰ أَعْبُدُ الَّذِی فَطَرَنِی وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ أَ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَهً » -إلی قوله- وَ لاٰ یُنْقِذُونِ »شرع فی استفراغ الحجه علی التوحید و نفی الآلهه فی آیتین

و اختار لذلک سیاق التکلم وحده إلا فی جمله اعترض بها فی خلال الکلام و هی قوله:

« وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ »و ذلک بإجراء الحکم فی نفسه بما أنه إنسان أوجده الله و فطره حتی یجری فی کل إنسان هو مثله و الأفراد أمثال فقوله:« وَ مٰا لِیَ لاٰ أَعْبُدُ »إلخ.فی معنی و ما للإنسان لا یعبد إلخ.أ یتخذ الإنسان من دونه آلهه إلخ.

و قد عبر عنه تعالی بقوله:« اَلَّذِی فَطَرَنِی »للإشعار بالعلیه فإن فطره تعالی للإنسان و إیجاده له بعد العدم لازمه رجوع کل ما للإنسان من ذات و صفات و أفعال إلیه تعالی و قیامه به و ملکه له فلیس للإنسان إلا العبودیه محضه فعلی الإنسان أن ینصب نفسه فی مقام العبودیه و یظهرها بالنسبه إلیه تعالی و هذا هو العباده فعلیه أن یعبده تعالی لأنه أهل لها.

و هذا هو الذی أشرنا إلیه آنفا أن الرجل کان یعبد الله بالإخلاص له لا طمعا فی جنه و لا خوفا من نار بل لأنه أهل للعباده.

و إذ کان الإیمان به تعالی و عبادته هکذا أمرا لا ینـاله عامه الناس فإن الأکثرین منهم إنما یعبدون خوفا أو طمعا أو لکلیهما التفت الرجل بعد بیان حال نفسه إلی القوم فقال:« وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ »یرید به إنذارهم بیوم الرجوع و أنه تعالی سیحاسبهم علی ما عملوا فیجازیهم بمساوئ أعمالهم فقوله:« وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ »کالمعترضه الخارجه عن السیاق أو هی هی.

ثم إن الآیتین حجتان قائمتان علی إبطال ما احتج به الوثنیه و بنوا علی ذلک عباده الأصنام و أربابها.

توضیح ذلک أنهم قالوا:إن الله سبحانه أجل من أن یحیط به حس أو خیال أو عقل لا یناله شیء من القوی الإدراکیه فلا یمکن التوجه إلیه بالعباده فسبیل العباده أن نتوجه إلی مقربی حضرته و الأقویاء من خلقه کالملائکه الکرام و الجن و القدیسین من البشر حتی یکونوا شفعاء لنا عند الله فی إیصال الخیرات و دفع الشرور و المکاره.

و الجواب عن أولی الحجتین بما حاصله أن الإنسان و إن کان لا یحیط علما بالذات المتعالیه لکنه یعرفه تعالی بصفاته الخاصه به مثل کونه فاطرا له موجدا إیاه فله أن یتوجه إلیه من طریق هذه الصفات و إنکار إمکانه مکابره،و هذا الجواب هو الذی

أشار إليه بقوله:« وَ مٰا لِيَ لاٰ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ».

و عن الثانيه أن هؤلاء الآلهه إن كانت لهم شفاعه كانت مما أفاضه الله عليهم و الله سبحانه لا يعطيهم ذلك إلا فيما لا تتعلق به منه إراده حاتمه و لازمه أن شفاعتهم فيما أذن الله لهم فيه كما قال :«مٰا مِنْ شَفِيعٍ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ:» يونس ٣ أما إذا أراد الله شيئا إراده حتم فلا تنفع شفاعتهم شيئا فى المنع عن نفوذها فاتخاذهم آلهه و عدمه سواء فى عدم التأثير لجلب خير أو دفع شر،و إلى ذلك أشار بقوله:« أَ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمٰنُ بِضُرٍّ لاٰ تُغْنِ عَنِّي شَفٰاعَتُهُمْ شَيْئاً وَ لاٰ يُنْقِذُونِ ».

و تعبيره عنه تعالى بالرحمن إشاره إلى سعه رحمته و كثرتها و أن النعم كلها من عنده و تدبير الخير و الشر إليه و يتحصل من هنا برهان آخر على وحدانيته تعالى فى الربوبيه،إذ لما كان جميع النعم و كذا النظام الجارى فيها ،من رحمته و قائمه به من غير استقلال فى شىء منها كان المستقل بالتدبير هو تعالى حتى أن تدبير الملائكه لو فرض تدبيرهم لشىء من رحمته و تدبيره تعالى و كانت الربوبيه له تعالى وحده و كذا الألوهيه.

قوله تعالى:« إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ »تسجيل للضلال على اتخاذ الآلهه.

قوله تعالى:« إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ »من كلام الرجل خطابا للرسل و قوله:« فَاسْمَعُونِ »كنايه عن الشهاده بالتحمل،و قوله:« إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ »إلخ.

تجديد الشهاده بالحق و تأكيد للإيمان فإن ظاهر السياق أنه إنما قال:« إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ » بعد محاجته خطابا للرسل ليستشهدهم على إيمانه و ليؤيدهم بإيمانهم بمرأى من القوم و مسمع.

و قيل:إنه خطاب للقوم تأييدا للرسل،و المعنى إنى آمنت بالله فاسمعوا منى فإنى لا أبالى بما يكون منكم على ذلك أو المعنى إنى آمنت بالله فاسمعوا منى و آمنوا به أو أنه أراد به أن يغضبهم و يشغلهم عن الرسل بنفسه حيث إنه رأى أنهم بصدد الإيقاع بهم.هذا.

و فيه أنه لا يلائمه التعبير عن الله سبحانه بقوله:« بِرَبِّكُمْ »فإن القوم ما كانوا يتخذونه تعالى ربا لهم و إنما كانوا يعبدون الأرباب من دون الله سبحانه.

و رد بأن المعنى إنى آمنت بربكم الذى قامت الحجه على ربوبيته لكم و هو الله سبحانه.و فيه أنه تقييد من غير مقيد.

قوله تعالی:« قِیلَ ادْخُلِ الْجَنَّهَ قٰالَ یٰا لَیْتَ قَوْمِی یَعْلَمُونَ بِمٰا غَفَرَ لِی رَبِّی وَ جَعَلَنِی مِنَ الْمُکْرَمِینَ »الخطاب للرجل و هو-کما یفیده السیاق-یلوح إلی أن القوم قتلوه فنودی من ساحه العزه أن ادخل الجنه کما یؤیده قوله بعد:« وَ مٰا أَنْزَلْنٰا عَلیٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ »إلخ فوضع قوله:« قِیلَ ادْخُلِ الْجَنَّهَ موضع الإخبار عن قتلهم إیاه إشاره إلی أنه لم یکن بین قتله بأیدیهم و بین أمره بدخول الجنه أی فصل و انفکاک کأن قتله بأیدیهم هو أمره بدخول الجنه.

و المراد بالجنه علی هذا جنه البرزخ دون جنه الآخره،و قول بعضهم:إن المراد بها جنه الآخره و المعنی سیقال له:ادخل الجنه یوم القیامه و التعبیر بالماضی لتحقق الوقوع تحکم من غیر دلیل کما قیل:إن الله رفعه إلی السماء فقیل له ادخل الجنه فهو حی یتنعم فیها إلی قیام الساعه،و هو تحکم کسابقه.

و قیل:إن القائل:« اُدْخُلِ الْجَنَّهَ »هو القوم قالوا له ذاک حین قتله استهزاء و فیه أنه لا یلائم ما أخبر الله سبحانه عنه بقوله بعد:« قٰالَ یٰا لَیْتَ قَوْمِی یَعْلَمُونَ »إلخ فإن ظاهره أنه تمنی علم قومه بما هو فیه بعد استماع نداء« اُدْخُلِ الْجَنَّهَ »و لم یسبق من الکلام ما یصح أن یبتنی علیه قوله ذاک.

و قوله:« قٰالَ یٰا لَیْتَ قَوْمِی یَعْلَمُونَ بِمٰا غَفَرَ لِی رَبِّی وَ جَعَلَنِی مِنَ الْمُکْرَمِینَ » استئناف کسابقه کالجواب عن سؤال مقدر کأنه قیل:فما ذا کان بعد تأییده للرسل؟ فقیل:« قِیلَ ادْخُلِ الْجَنَّهَ »ثم قیل:فما ذا کان بعد؟فقیل:« قٰالَ یٰا لَیْتَ قَوْمِی یَعْلَمُونَ »إلخ و هو نصح منه لقوله میتا کما کان ینصحهم حیا.

و« بِمٰا »فی قوله:« بِمٰا غَفَرَ لِی »إلخ مصدریه،و قوله:« وَ جَعَلَنِی »عطف علی« غَفَرَ »و المعنی بمغفره ربی لی و جعله إیای من المکرمین.

و موهبه الإکرام و إن کانت وسیعه ینالها کثیرون کالإکرام بالنعمه کما فی قوله :

«فَأَمَّا الْإِنْسٰانُ إِذٰا مَا ابْتَلاٰهُ رَبُّهُ فَأَکْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَیَقُولُ رَبِّی أَکْرَمَنِ:» ،الفجر:-۱۵ و قوله :«إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقٰاکُمْ:» الحجرات:-۱۳ فإن کرامه العبد عند الله إکرام منه له لکنه لم یعد من المکرمین بوصف الإطلاق إلا طائفتین من خلقه:الملائکه الکرام کما فی قوله :«بَلْ عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ:»

الأنبياء:-٢٧،و الكاملين فى إيمانهم من المؤمنين سواء كانوا من المخلصين بكسر اللام كما فى قوله :«أولٰئك فى جنّات مُكْرَمُونَ:» المعارج:-٣٥،أو من المخلصين بفتح اللام كما فى قوله :«إلاّ عِبادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ -Xإلى أن قالX- وَ هُمْ مُكْرَمُونَ:» الصافات:-٤٢.

و الآيه من أدله وجود البرزخ.

قوله تعالى:« وَ مٰا أَنْزَلْنٰا عَلىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمٰاءِ وَ مٰا كُنّٰا مُنْزِلِينَ » الضميران للرجل،و« مِنْ بَعْدِهِ »أى من بعد قتله،و« مِنْ »الأولى و الثالثه لابتداء الغايه،و الثانيه مزيده لتأكيد النفى.

و الآيه توطئه للآيه التاليه،و هى مسوقه لبيان هوان أمر القوم و الانتقام منهم بإهلاكهم على الله سبحانه و أنه لا يحتاج فى إهلاكهم إلى عده و عده حتى ينزل من السماء جندا من الملائكه يقاتلونهم فيهلكونهم فلم يفعل ذلك فيهم و لا فعل ذلك فى إهلاك من أهلك من الأمم الماضين و إنما أهلكهم بصيحه واحده تقضى عليهم.

قوله تعالى:« إِنْ كٰانَتْ إِلاّٰ صَيْحَةً وٰاحِدَةً،فَإِذٰا هُمْ خٰامِدُونَ »أى ما كان الأمر الذى كان سبب إهلاكهم بمشيتنا إلا صيحه واحده،و تأنيث الفعل لتأنيث الخبر و تنكير« صَيْحَةً »و توصيفها بالوحده للاستحقار،و الخمود السكون و استئناف الجمله لكونها كالجواب لسؤال مقدر كأنه قيل:فما ذا كان سبب إهلاكهم؟فقيل:إن كانت إلا صيحه واحده.

و المعنى:كان سبب هلاكهم أيسر أمر و هى صيحه واحده ففاجأهم السكون فصاروا ساكنين لا يسمع لهم حس و هم عن آخرهم موتى لا يتحركون.

قوله تعالى:« يٰا حَسْرَةً عَلَى الْعِبٰادِ مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ » أى يا ندامه العباد و نداء الحسره عليهم أبلغ من إثباتها لهم،و سبب الحسره ما يتضمنه قوله:« مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ »إلخ.

و من هذا السياق يستفاد أن المراد بالعباد عامه الناس و تتأكد الحسره بكونهم عبادا فإن رد العبد دعوه مولاه و تمرده عنه أشنع من رد غيره نصيحه الناصح.

و بذلك يظهر سخافه قول من قال:إن المراد بالعباد الرسل أو الملائكه أو هما

جمیعا.و کذا قول من قال:إن المراد بالعباد الناس لکن المتحسر هو الرجل.

و ظهر أیضا أن قوله:« یا حَسْرَةً عَلَی الْعِبادِ »إلخ من قول الله تعالی لا من تمام قول الرجل.

قوله تعالی:« أَ لَمْ یَرَوْا کَمْ أَهْلَکْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَیْهِمْ لا یَرْجِعُونَ » توبیخ لأولئک الذین نودی علیهم بالحسره،و« مِنَ الْقُرُونِ »بیان لکم،و القرون جمع قرن و هو أهل عصر واحد.

و قوله:« أَنَّهُمْ إِلَیْهِمْ لا یَرْجِعُونَ »بیان لقوله:« کَمْ أَهْلَکْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ » ضمیر الجمع الأول للقرون و الثانی و الثالث للعباد.

و المعنی:أ لم یعتبروا بکثره المهلکین بأمر الله من القرون الماضیه و أنهم مأخوذون بأخذ إلهی لا یتمکنون من الرجوع إلی ما کانوا یترفون فیه؟ و للقوم فی مراجع الضمائر و فی معنی الآیه أقوال أخر بعیده عن الفهم ترکنا إیرادها.

قوله تعالی:« وَ إِنْ کُلٌّ لَمّا جَمِیعٌ لَدَیْنا مُحْضَرُونَ »لفظه« إِنْ »حرف نفی و« کُلٌّ »مبتدأ تنوینه عوض عن المضاف إلیه،و« لَمّا »بمعنی إلا،و جمیع بمعنی مجموع،و لدینا ظرف متعلق به،و محضرون خبر بعد خبر و هو جمیع،و احتمل بعضهم أن یکون صفه لجمیع.

و المعنی:و ما کلهم إلا مجموعون لدینا محضرون للحساب و الجزاء یوم القیامه فالآیه فی معنی قوله :«ذٰلِکَ یَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّاسُ وَ ذٰلِکَ یَوْمٌ مَشْهُودٌ:» هود-۱۰۳.

(بحث روائی)

فی المجمع،قالوا": بعث عیسی رسولین من الحواریین إلی مدینه أنطاکیه-فلما قربا من المدینه رأیا شیخا یرعی غنیمات له-و هو حبیب صاحب یس فسلما علیه-فقال الشیخ لهما:من أنتما؟قالا:رسولا عیسی-ندعوکم من عباده الأوثان إلی عباده الرحمن فقال:

أ معکما آیه؟قالا نعم نحن نشفی المریض-و نبرئ الأکمه و الأبرص بإذن الله تعالی فقال

الشیخ:إن لی ابنا مریضا صاحب فراش منذ سنین قالا:فانطلق بنا إلی منزل نتطلع حاله-فذهب بهما فمسحا ابنه-فقام فی الوقت بإذن الله تعالی صحیحا-ففشا الخبر فی المدینه- و شفی الله علی أیدیهما کثیرا من المرضی-.

و کان لهم ملک یعبد الأصنام فأنهی الخبر إلیه فدعاهما-فقال لهما:من أنتما؟ قالا:رسولا عیسی-جئنا ندعوک من عباده ما لا یسمع و لا یبصر-إلی عباده من یسمع و یبصر.قال الملک:و لنا إله سوی آلهتنا؟قالا:نعم من أوجدک و آلهتک.قال:

قوما حتی أنظر فی أمرکما-فأخذهما الناس فی السوق و ضربوهما-.

قال وهب بن منبه:بعث عیسی هذین الرسولین إلی أنطاکیه-فأتیاها و لم یصلا إلی ملکها و طالت مده مقامهما-فخرج الملک ذات یوم فکبرا و ذکرا الله-فغضب الملک و أمر بحبسهما-و جلد کل واحد منهما مائه جلده-.

فلما کذب الرسولان و ضربا،بعث عیسی شمعون الصفا رأس الحواریین علی أمرهما-لینصرهما فدخل شمعون البلد متنکرا-فجعل یعاشر حاشیه الملک حتی أنسوا به-فرفعوا خبره إلی الملک فدعاه و رضی عشرته-و أنس به و أکرمه.ثم قال له ذات یوم:أیها الملک بلغنی أنک حبست رجلین فی السجن-و ضربتهما حین دعواک إلی غیر دینک-فهل سمعت قولهما؟قال الملک:حال الغضب بینی و بین ذلک.قال:فإن رأی الملک دعاهما حتی نتطلع ما عندهما-.

فدعاهما الملک فقال لها شمعون:من أرسلکما إلی هاهنا؟قالا:الله الذی خلق کل شیء لا شریک له.قال:و ما آتاکما؟قالا:ما تتمناه،فأمر الملک حتی جاءوا بغلام مطموس العینین-و موضع عینیه کالجبهه فما زالا یدعوان الله-حتی انشق موضع البصر فأخذا بندقتین من الطین-فوضعا فی حدقتیه فصارتا مقلتین یبصر بهما-فتعجب الملک ثم قال شمعون للملک:أ رأیت لو سألت إلهک حتی یصنع صنیعا مثل هذا؟فیکون لک و لأهلک شرفا.فقال الملک:لیس لی عنک سر إن إلهنا الذی نعبده-لا یضر و لا ینفع-.

ثم قال الملک للرسولین:إن قدر إلهکما علی إحیاء میت آمنا به و بکما.قالا:

إلهنا قادر علی کل شیء فقال،الملک-إن هاهنا میتا مات منذ سبعه أیام لم ندفنه-حتی یرجع أبوه و کان غائبا فجاءوا بالمیت-و قد تغیر و أروح فجعلا یدعوان ربهما علانیه-و جعل

شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت-و قال لهم إنى قد مت منذ سبعه أيام-و أدخلت فى سبعه أوديه من النار-و أنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله فتعجب الملك،فلما علم شمعون أن قوله أثر فى الملك-دعاه إلى الله فآمن-و آمن من أهل مملكته قوم و كفر آخرون.

قال:و قد روى مثل ذلك العياشى بإسناده عن الثمالى و غيره عن أبى جعفر و أبى عبد الله(ع)إلا أن فى بعض الروايات: بعث الله الرسولين إلى أهل أنطاكيه-ثم بعث الثالث-و فى بعضها أن عيسى أوحى الله إليه أن يبعثهما-ثم بعث وصيه شمعون ليخلصهما،و أن الميت الذى أحياه الله بدعائهما كان ابن الملك-و أنه قد خرج من قبره ينفض التراب عن رأسه-فقال له:يا بنى ما حالك؟قال:كنت ميتا فرأيت رجلين ساجدين-يسألان الله تعالى أن يحيينى.قال:يا بنى فتعرفهما إذا رأيتهما؟قال:نعم- فأخرج الناس إلى الصحراء-فكان يمر عليه رجل بعد رجل-فمر أحدهما بعد جمع كثير فقال:هذا أحدهما.ثم مر الآخر فعرفهما و أشار بيده إليهما-فآمن الملك و أهل مملكته.

و قال ابن إسحاق:بل كفر الملك و أجمع هو و قومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا و هو على باب المدينه الأقصى فجاء يسعى إليهم يذكرهم و يدعوهم إلى طاعه الرسل.

أقول:سياق آيات القصه لا يلائم بعض هذه الروايات.

و فى الدر المنثور،أخرج أبو داود و أبو نعيم و ابن عساكر و الديلمى عن أبى ليلى قال:قال رسول الله ص: الصديقين ثلاثه- حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذى قال: يٰا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ،و حزقيل مؤمن آل فرعون الذى قال: أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّٰهُ ،و على بن أبى طالب و هو أفضلهم.

أقول:

و رواه أيضا عن البخارى فى تأريخه عن ابن عباس عنه(ص)و لفظه:

الصديقون ثلاثه:حزقيل مؤمن آل فرعون-و حبيب النجار صاحب آل ياسين-و على بن أبى طالب.

فى المجمع،عن تفسير الثعلبى بالإسناد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن النبى ص قال: سباق الأمم ثلاثه لم يكفروا بالله طرفه عين-على بن أبى طالب و صاحب يس- و مؤمن آل فرعون فهم الصديقون و على أفضلهم.

أقول:و روى هذا المعنى فى الدر المنثور،عن الطبرانى و ابن مردويه و ضعفه عن

ابن عباس عنه(ع)و لفظه: السبق ثلاثه فالسابق إلى موسى يوشع بن نون-و السابق إلى عيسى صاحب يس-و السابق إلى محمد ص على بن أبى طالب.

[سوره يس (۳۶): الآيات ۳۳ الى ۴۷]

اشاره

وَ آيَهٌ لَهُمُ اَلْأَرْضُ اَلْمَيْتَهُ أَحْيَيْنٰاهٰا وَ أَخْرَجْنٰا مِنْهٰا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (۳۳) وَ جَعَلْنٰا فِيهٰا جَنّٰاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنٰابٍ وَ فَجَّرْنٰا فِيهٰا مِنَ اَلْعُيُونِ (۳۴) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَ مٰا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَ فَلاٰ يَشْكُرُونَ (۳۵) سُبْحٰانَ اَلَّذِى خَلَقَ اَلْأَزْوٰاجَ كُلَّهٰا مِمّٰا تُنْبِتُ اَلْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمّٰا لاٰ يَعْلَمُونَ (۳۶) وَ آيَهٌ لَهُمُ اَللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ اَلنَّهٰارَ فَإِذٰا هُمْ مُظْلِمُونَ (۳۷) وَ اَلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهٰا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ اَلْعَزِيزِ اَلْعَلِيمِ (۳۸) وَ اَلْقَمَرَ قَدَّرْنٰاهُ مَنٰازِلَ حَتّٰى عٰادَ كَالْعُرْجُونِ اَلْقَدِيمِ (۳۹) لاَ اَلشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهٰا أَنْ تُدْرِكَ اَلْقَمَرَ وَ لاَ اَللَّيْلُ سٰابِقُ اَلنَّهٰارِ وَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (۴۰) وَ آيَهٌ لَهُمْ أَنّٰا حَمَلْنٰا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى اَلْفُلْكِ اَلْمَشْحُونِ (۴۱) وَ خَلَقْنٰا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مٰا يَرْكَبُونَ (۴۲) وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلاٰ صَرِيخَ لَهُمْ وَ لاٰ هُمْ يُنْقَذُونَ (۴۳) إِلاّٰ رَحْمَهً مِنّٰا وَ مَتٰاعاً إِلىٰ حِينٍ (۴۴) وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ اِتَّقُوا مٰا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ مٰا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۴۵) وَ مٰا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَهٍ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِمْ إِلاّٰ كٰانُوا عَنْهٰا مُعْرِضِينَ (۴۶) وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقَكُمُ اَللّٰهُ قٰالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشٰاءُ اَللّٰهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ فِى ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (۴۷)

ص: ۸۴

(بیان)

بعد ما قص علیهم قصه أصحاب القریه و ما آل إلیه أمرهم فی الشرک و تکذیب الرسل و وبخهم علی الاستهانه بأمر الرساله،و أنذرهم بنزول العذاب علیهم کما نزل علی المکذبین من القرون الأولی،و بأنهم جمیعا محضرون للحساب و الجزاء.

أورد آیات من الخلق و التدبیر تدل علی ربوبیته و ألوهیته تعالی وحده لا شریک له ثم وبخهم علی ترک النظر فی آیات الوحدانیه و المعاد و الإعراض عنها و الاستهزاء بالحق و الإمساک عن الإنفاق للفقراء و المساکین.

قوله تعالی:« وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ » یذکر سبحانه فی الآیه و اللتین بعدها آیه من آیات الربوبیه و هی تدبیر أمر أرزاق الناس و تغذیتهم من أثمار النبات من الحبوب و التمر و العنب و غیرها.

فقوله:« وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا »و إن کان ظاهره أن الآیه هی الأرض إلا أن الجملتین توطئتان لقوله:« وَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا »إلخ و مسوقتان للإشاره إلی أن هذه الأغذیه النباتیه من آثار نفخ الحیاه فی الأرض المیته و تبدیلها حبا و ثمرا یأکلون من ذلک فالآیه بنظر هی الأرض المیته من حیث ظهور هذه الخواص فیها و تمام تدبیر أرزاق الناس بها.

و قوله:« وَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا »أی و أخرجنا من الأرض بإنبات النبات حبا کالحنطه و الشعیر و الأرز و سائر البقولات.

ص: ۸۵

و قوله:« فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ »تفريع على إخراج الحب و بالأكل يتم التدبير،و ضمير « فَمِنْهُ »للحب.

قوله تعالى:« وَ جَعَلْنٰا فِيهٰا جَنّٰاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنٰابٍ وَ فَجَّرْنٰا فِيهٰا مِنَ الْعُيُونِ » قال الراغب: الجنه كل بستان ذى شجر تستر بأشجاره الأرض انتهى.و النخيل جمع نخل و هو معروف،و الأعناب جمع عنب يطلق على الشجره و هى الكرم و على الثمره.

و قال الراغب: العين الجارحه-إلى أن قال-و يستعار العين لمعان هى موجوده فى الجارحه بنظرات مختلفه-إلى أن قال-و يقال لمنبع الماء عين تشبيها بها لما فيها من الماء انتهى،و التفجير فى الأرض شقها لإخراج المياه،و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَ مٰا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَ فَلاٰ يَشْكُرُونَ اللام لتعليل ما ذكر فى الآيه السابقه أى جعلنا فيها جنات و فجرنا فيها العيون بشقها ليأكل الناس من ثمره.

و قوله:« مِنْ ثَمَرِهِ »قيل:الضمير للمجعول من الجنات و لذا أفرد و ذكر و لم يقل:من ثمرها أى من ثمر الجنات،أو من ثمرهما أى من ثمر النخيل و الأعناب.

و قيل:الضمير للمذكور و قد يجرى الضمير مجرى اسم الإشاره كما فى قول رؤبه:

فيها خطوط من سواد و بلق

كأنه فى الجلد توليع البهق

فقد روى أن أبا عبيده سأله عن قوله«كأنه»فقال كان ذاك.

و فى مرجع ضمير« مِنْ ثَمَرِهِ »أقوال أخر رديئه كقول بعضهم إن الضمير للنخيل فقط،و قول آخر:إنه للماء لدلاله العيون عليه أو بحذف مضاف و التقدير ماء العيون و قول آخر:إن الضمير للتفجير المفهوم من« فَجَّرْنٰا »و المراد بالثمر على هذين الوجهين الفائده،و قول آخر:إن الضمير له تعالى و إضافته إليه لأنه خلقه و ملكه.

و قوله:« وَ مٰا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ » العمل هو الفعل و الفرق بينهما-على ما ذكره الراغب-أن أكثر ما يستعمل العمل فى الفعل المقارن للقصد و الإراده،و لذلك يشذ استعماله فى الحيوان و الجماد،و لذلك أيضا يتصف العمل بالصلاح و خلافه فيقال.عمل صالح و عمل طالح و لا يتصف بهما مطلق الفعل.

و« مٰا »فى« وَ مٰا عَمِلَتْهُ »نافيه و المعنى و لم يعمل الثمر بأيديهم حتى يشاركونا فى تدبير

الأرزاق بل هو مما اختصصنا بخلقه و تتميم التدبير به من دون أن نستعين بهم فما بالهم لا يشكرون.

و يؤيد هذا المعنى قوله فی أواخر السوره و هو يمتن عليهم بخلق الأنعام لتدبير أمر رزقهم و حياتهم:« أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّٰا خَلَقْنٰا لَهُمْ مِمّٰا عَمِلَتْ أَيْدِينٰا أَنْعٰاماً -إلى أن قال- وَ مِنْهٰا يَأْكُلُونَ وَ لَهُمْ فِيهٰا مَنٰافِعُ وَ مَشٰارِبُ أَ فَلاٰ يَشْكُرُونَ ».

و احتمل بعضهم كون« مٰا »فی« وَ مٰا عَمِلَتْهُ »موصوله معطوفه على« ثَمَرِهِ » و المعنى ليأكلوا من ثمره و من الذی عملته أيديهم من ثمره كالخل و الدبس المأخوذين من التمر و العنب و غير ذلک.

و هذا الوجه و إن عده بعضهم أوجه من سابقه ليس بذاک فإن المقام مقام بيان آيات داله على ربوبيته تعالى بذكر أمور من التدبير يخصه تعالى و لا يناسبه ذكر شیء من تدبير الغير معه و تتميم الحجه بذلک،و لو كان المراد ذكر عملهم بما أنه منته إلى خلقه تعالى و جزء من التدبير العام كان الأنسب أن يقال:و ما هديناهم إلى عمله أو ما يؤدی معناه لينتفی به توهم الشركه فی التدبير.

و احتمل بعضهم كون« مٰا »نكره موصوفه معطوفه على« ثَمَرِهِ »و المعنى ليأكلوا من ثمره و من شیء عملته أيديهم.هذا و يرد عليه ما يرد على سابقه.

و قوله:« أَ فَلاٰ يَشْكُرُونَ »توبيخ و استقباح لعدم شكره و شكره تعالى منهم على هذا التدبير إظهارهم جميل نعمه بذكره قولا و فعلا أی إظهارهم أنهم عباد له مدبرون بتدبيره و هو العباده فشكره تعالى هو الاعتراف بربوبيته و اتخاذه إلها معبودا.

قوله تعالى:« سُبْحٰانَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْوٰاجَ كُلَّهٰا مِمّٰا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمّٰا لاٰ يَعْلَمُونَ »إنشاء لتنزيهه تعالى،لما ذكر عدم شكرهم له على ما خلق لهم من أنواع النبات و رزقهم من الحبوب و الأثمار،و إنما عمل ذلک بتزويج بعض النبات بعضا كما قال :

«وَ أَنْبَتْنٰا فِيهٰا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ:» ق:-٧ أشار إلى ما هو أعظم و أوسع من خلق أزواج النبات و هو خلق الأزواج كلها و تنظيم العالم المشهود باستيلاد كل شیء من فاعل و منفعل قبله هما أبواه كالذكر و الأنثى من الإنسان و الحيوان و النبات،و كل فاعل و منفعل يتلاقيان فينتجان بتلاقيهما أمرا ثالثا،أشار تعالى إلى ذلک فنزه نفسه بقوله:« سُبْحٰانَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْوٰاجَ كُلَّهٰا »إلخ.فقوله:« سُبْحٰانَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْوٰاجَ كُلَّهٰا »إنشاء

تسبیح علی ما یعطیه السیاق لا إخبار.

و قوله:« مِمّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ »هو و ما بعده بیان للأزواج و الذی تنبت الأرض هو النبات و لا یبعد شموله الحیوان و قد قال تعالی فی الإنسان و هو من أنواع الحیوان «وَ اللّهُ أَنْبَتَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً:» نوح:-۱۷ و یؤید ذلک أن ظاهر سیاق البیان استیعابه للمبین مع عدم ذکر الحیوان فی عدد الأزواج.

و قوله:« وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ »أی الناس،و قوله:« وَ مِمّا لا یَعْلَمُونَ »و هو الذی یجهله الإنسان من الخلیقه أو یجهل کیفیه ظهوره أو ظهور الکثره فیه.

و ربما قیل فی الآیه:إن المراد بالأزواج الأنواع و الأصناف،و لا یساعد علیه الآیات التی تذکر خلق الأزواج کقوله تعالی :«وَ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ خَلَقْنا زَوْجَیْنِ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ:» الذاریات:-۴۹ و المقارنه و نوع من التألف و الترکب من لوازم مفهوم الزوجیه.

قال الراغب:یقال لکل واحد من القرینین من الذکر و الأنثی فی الحیوانات المتزاوجه: زوج ،و لکل قرینین فیها و فی غیرها:زوج کالخف و النعل،و لکل ما یقترن بآخر مماثلا له أو مضادا:زوج،قال:و قوله:« خَلَقْنا زَوْجَیْنِ »فبین أن کل ما فی العالم زوج من حیث إن له ضدا ما أو مثلا ما أو ترکیبا ما بل لا ینفک بوجه من ترکیب.انتهی.

فزوجیه الزوج هی کونه مفتقرا فی تحققه إلی تألف و ترکب و لذلک یقال لکل واحد من القرینین من حیث هما قرینان:زوج لافتقاره إلی قرینه،و کذا یقال لمجموع القرینین:زوج لافتقاره فی تحققه زوجا إلی التألف و الترکب فکون الأشیاء أزواجا مقارنه بعضها بعضا لإنتاج ثالث أو کونه مولدا من تألف اثنین.

قوله تعالی:« وَ آیَهٌ لَهُمُ اللَّیْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ »آیه أخری من آیات الربوبیه الداله علی وقوع التدبیر العام السماوی للعالم الإنسانی مذکوره فی أربع آیات.

و لا شک أن الآیه تشیر إلی مفاجأه اللیل عقیب ذهاب النهار،و السلخ فی الآیه بمعنی الإخراج و لذلک عدی بمن و لو کان بمعنی النزع کما فی قولنا:سلخت الإهاب عن الشاه تعین ۱۳۱ تعدیه بعن دون من.

و یؤید ذلک أنه تعالی عبر فی مواضع من کلامه عن ورود کل من اللیل و النهار عقیب الآخر بإیلاجه فیه فقال فی مواضع من کلامه :«یُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ وَ یُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ:» الحج:-۶۱ فإذا کان ورود النهار بعد اللیل إیلاجا للنهار فی اللیل اعتبارا کان مفاجأه اللیل بعد النهار إخراجا للنهار من اللیل اعتبارا.

کأن اللیل أطبق علیهم و أحاطت بهم ظلمته ثم ولج فیه النهار فوسعهم نوره و ضیاؤه ثم خرج منه ففاجأهم اللیل ثانیا بانطباق الظلام و إحاطته بما أضاءه النهار ففی الکلام نوع من الاستعاره بالکنایه.

و لعل فیما ذکرناه من الوجه کفایه عما أطنبوا فیه من البحث فی معنی سلخ النهار من اللیل ثم مفاجأه اللیل.

قوله تعالی:« وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذٰلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ »جریها حرکتها و قوله« لِمُسْتَقَرٍّ لَها »اللام بمعنی إلی أو للغایه،و المستقر مصدر میمی أو اسم زمان أو مکان،و المعنی أنها تتحرک نحو مستقرها أو حتی تنتهی إلی مستقرها أی استقرارها و سکونها بانقضاء أجلها أو زمن استقرارها أو محله.

و أما جریها و هو حرکتها فظاهر النظر الحسی یثبت لها حرکه دوریه حول الأرض لکن الأبحاث العلمیه تقضی بالعکس و تکشف أن لها مع سیاراتها حرکه انتقالیه نحو النسر الواقع.

و کیف کان فمحصل المعنی أن الشمس لا تزال تجری ما دام النظام الدنیوی علی حاله حتی تستقر و تسکن بانقضاء أجلها فتخرب الدنیا و یبطل هذا النظام،و هذا المعنی یرجع بالمال إلی معنی القراءه المنسوبه إلی أهل البیت و غیرهم:« و الشمس تجری لا مستقر لها »کما قیل.

و أما حمل جریها علی حرکتها الوضعیه حول مرکزها فهو خلاف ظاهر الجری الدال علی الانتقال من مکان إلی مکان.

و قوله:« ذٰلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ »أی الجری المذکور تقدیر و تدبیر ممن لا یغلبه غالب فی إرادته و لا یجهل جهات الصلاح فی أفعاله.

قوله تعالی:« وَ الْقَمَرَ قَدَّرْنٰاهُ مَنٰازِلَ حَتّٰی عٰادَ کَالْعُرْجُونِ الْقَدِیمِ » المنازل جمع منزل اسم مکان من النزول و الظاهر أن المراد به المنازل الثمانیه و العشرون التی یقطعها القمر فی کل ثمانیه و عشرین یوما و لیله تقریبا.

و العرجون عود عذق النخله من بین الشمراخ إلی منبته و هو عود أصفر مقوس یشبه الهلال،و القدیم العتیق.

و قد اختلفت الأنظار فی معنی الآیه للاختلاف فی ترکیبها،و أقرب التقدیرات من الفهم قول من قال:إن التقدیر و القمر قدرناه ذا منازل أو قدرنا له منازل حتی عاد هلالا یشبه العرجون العتیق المصفر لونه.

تشیر الآیه إلی اختلاف مناظر القمر بالنسبه إلی أهل الأرض فإن نوره مکتسب من الشمس یستنیر بها نصف کرته تقریبا و ما یقرب من النصف الآخر غیر المسامت للشمس مظلم ثم یتغیر موضع الاستناره و لا یزال کذلک حتی یعود إلی الوضع الأول و یعرض ذلک أن یظهر لأهل الأرض فی صوره هلال ثم لا یزال ینبسط علیه النور حتی یتبدر ثم لا یزال ینقص حتی یعود إلی ما کان علیه أوله.

و لاختلاف صوره آثار بارزه فی البر و البحر و حیاه الناس علی ما بین فی الأبحاث المربوطه.

فالآیه الکریمه تذکر من آیه القمر أحواله الطارئه له بالنسبه إلی الأرض و أهلها دون حاله فی نفسه و دون حاله بالنسبه إلی الشمس فقط.

و من هنا لا یبعد أن یقال فی قوله تعالی:« وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَهٰا »إن المراد بقوله:« تَجْرِی »الإشاره إلی ما یعطیه ظاهر الحس من حرکتها الیومیه و الفصلیه و السنویه و هی حالها بالنسبه إلینا،و بقوله:« لِمُسْتَقَرٍّ لَهٰا »حالها فی نفسها و هی سکونها بالنسبه إلی سیاراتها المتحرکه حولها کأنه قیل:و آیه لهم أن الشمس علی استقرارها تجری علیهم و قد دبر العزیز العلیم بذلک کینونه العالم الأرضی و حیاه أهله و الله أعلم.

قوله تعالی:« لاَ الشَّمْسُ یَنْبَغِی لَهٰا أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ وَ لاَ اللَّیْلُ سٰابِقُ النَّهٰارِ وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ »لفظه ینبغی تدل علی الترجح و نفی ترجح الإدراک من الشمس نفی وقوعه منها،و المراد به أن التدبیر لیس مما یجری یوما و یقف آخر بل هو تدبیر دائم غیر مختل و لا منقوض حتی ینقضی الأجل المضروب منه تعالی لذلک.

فالمعنى أن الشمس و القمر ملازمان لما خط لهما من المسير فلا تدرک الشمس القمر حتى يختل بذلک التدبير المعمول بهما و لا الليل سابق النهار و هما متعاقبان فی التدبير فيتقدم الليل و النهار فيجتمع ليلتان ثم نهاران بل يتعاقبان.

و لم يتعرض لنفی إدراک القمر للشمس و لا لنفی سبق النهار الليل لأن المقام مقام بيان انحفاظ النظم الإلهی عن الاختلال و الفساد فنفی إدراک ما هو أعظم و أقوى و هو الشمس لما هو أصغر و أضعف و هو القمر،و يعلم منه حال العكس و نفی سبق الليل الذی هو افتقاده للنهار الذی هو ليله و الليل مضاف إليه متأخر طبعا منه و يعلم به حال العكس.

و قوله:« وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ »أی كل من الشمس و القمر و غيرهما من النجوم و الكواكب يجرون فی مجرى خاص به كما تسبح السمكه فی الماء فالفلک هو المدار الفضائی الذی يتحرک فيه الجرم العلوی،و لا يبعد حينئذ أن يكون المراد بالكل كل من الشمس و القمر و الليل و النهار و إن كان لا يوجد فی كلامه تعالى ما يشهد على ذلک.

و الإتيان بضمير الجمع الخاص بالعقلاء فی قوله« يَسْبَحُونَ »لعله للإشاره إلى كونها مطاوعه لمشيته مطيعه لأمره تعالى كالعقلاء كما فی قوله :«ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّمٰاءِ وَ هِيَ دُخٰانٌ فَقٰالَ لَهٰا وَ لِلْأَرْضِ اِئْتِيٰا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قٰالَتٰا أَتَيْنٰا طٰائِعِينَ:» حم السجده:-١١.

و للمفسرين فی جمل الآيه آراء أخر مضطربه أضربنا عنها من أراد الوقوف عليها فليراجع المفصلات.

قوله تعالى:« وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنّٰا حَمَلْنٰا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ »قال الراغب: الذريه أصلها الصغار من الأولاد،و تقع فی التعارف على الصغار و الكبار معا،و يستعمل للواحد و الجمع و أصله للجمع.انتهى،و الفلک السفينه،و المشحون المملوء.

آيه أخرى من آيات ربوبيته تعالى و هو جريان تدبيره فی البحر حيث يحمل ذريتهم فی الفلک المشحون بهم و بأمتعتهم يجوزون به من جانب إلى جانب للتجاره و غيرها، و لا حامل لهم فيه و لا حافظ لهم عن الغرق إلا هو تعالى و الخواص التی يستفيدون منها فی ركوب البحر أمور مسخره له تعالى منتهيه إلى خلقه على أن هذه الأسباب لو لم تنته إليه تعالى لم تغن طائلا.

ص :٩١

و إنما نسبت الحمل إلى الذريه دونهم أنفسهم فلم يقل:أنا حملناهم لإثاره الشفقه و الرحمه.

قوله تعالى:« وَ خَلَقْنٰا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مٰا يَرْكَبُونَ »المراد به-على ما فسروه- الأنعام قال تعالى :«وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَ الْأَنْعٰامِ مٰا تَرْكَبُونَ:» الزخرف:-١٢ و قال :

«وَ عَلَيْهٰا وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ:» المؤمن-٨٠.

و فسر بعضهم الفلك المذكور فى الآيه السابقه بسفينه نوح(ع)و ما فى هذه الآيه بالسفن و الزوارق المعموله بعدها و هو تفسير ردیء و مثله تفسير ما فى هذه الآيه بالإبل خاصه.

و ربما فسر ما فى هذه الآيه بالطيارات و السفن الجويه المعموله فى هذه الأعصار و التعميم أولى.

قوله تعالى:« وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلاٰ صَرِيخَ لَهُمْ وَ لاٰ هُمْ يُنْقَذُونَ » الصريخ هو الذى يجيب الصراخ و يغيث،الاستغاثه و الإنقاذ هو الإنجاء من الغرق.

و الآيه متصله بقوله السابق:« أَنّٰا حَمَلْنٰا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ »أى إن الأمر إلى مشيتنا فإن نشأ نغرقهم فلا يغيثهم مغيث و لا ينقذهم منقذ.

قوله تعالى:« إِلاّٰ رَحْمَةً مِنّٰا وَ مَتٰاعاً إِلىٰ حِينٍ »استثناء مفرغ و التقدير لا ينجون بسبب من الأسباب و أمر من الأمور إلا لرحمه منا تنالهم و لتمتع إلى حين الأجل المسمى الذى قدرناه لهم.

قوله تعالى:« وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مٰا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ مٰا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ »لما ذكر الآيات الداله على الربوبيه ذمهم على عدم رعايتهم حقها و عدم إقبالهم عليها و عدم ترتيبهم عليها آثارها فإذا قيل لهم هذه الآيات البينات ناطقه أن ربكم الله فاتقوا معصيته فى حالكم الحاضره و ما قدمتم من المعاصى،أو عذاب الشرك و المعاصى التى أنتم مبتلون بها و ما خلفتم وراءكم،أو اتقوا ما بين أيديكم من الشرك و المعاصى فى الحياه الدنيا و ما خلفكم من العذاب فى الآخره،أعرضوا عنه و لم يستجيبوا له على ما هو دأبهم فى جميع الآيات التى ذكروا بها.

و من هنا يظهر أولا أن المراد بما بين أيديهم و ما خلفهم الشرك و المعاصى التى هم مبتلون بها فى حالهم الحاضره و ما كانوا مبتلين به قبل،أو العذاب الذى استوجبوه

بذلک و المآل واحد،أو الشرک و المعاصی فی الدنیا و العذاب فی الآخره و هو أوجه الوجوه.

و ثانیا:أن حذف جواب إذا للدلاله علی أن حالهم بلغت من الجرأه علی الله و الاستهانه بالحق مبلغا لا یستطاع معها ذکر ما یجیبون به داعی الحق إذا دعاهم إلی التقوی فیجب أن یترک أسفا و لا یذکر،و قد دل علیه بقوله:« وَ مٰا تَأْتِیهِمْ مِنْ آیَهٍ مِنْ آیٰاتِ رَبِّهِمْ إِلاّٰ کٰانُوا عَنْهٰا مُعْرِضِینَ ».

قوله تعالی:« وَ مٰا تَأْتِیهِمْ مِنْ آیَهٍ مِنْ آیٰاتِ رَبِّهِمْ إِلاّٰ کٰانُوا عَنْهٰا مُعْرِضِینَ »المراد بإتیان الآیات موافاتها لهم بالمشاهده أو بالتلاوه و الذکر،و أیضا هی أعم من أن تکون آیه آفاقیه أو أنفسیه،أو تکون آیه معجزه کالقرآن فهم معرضون عنها جمیعا.

قوله تعالی:« وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقَکُمُ اللّٰهُ »إلی آخر الآیه کان قوله:

« وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمُ اتَّقُوا مٰا بَیْنَ أَیْدِیکُمْ وَ مٰا خَلْفَکُمْ »متعرضا لجوابهم إذا دعوا إلی عباده الله و هی أحد رکنی الدین الحق،و هذه الآیه تعرضت لجوابهم إذا دعوا إلی الشفقه علی خلق الله و هو الرکن الآخر و معلوم أن جوابهم الرد دون القبول.

فقوله:« وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقَکُمُ اللّٰهُ »یتضمن دعوتهم إلی الإنفاق علی الفقراء و المساکین من أموالهم و فی التعبیر عن الأموال بما رزقهم الله إشعار بأن المالک لها حقیقه هو الله الذی رزقهم بها و سلطهم علیها،و هو الذی خلق الفقراء و المساکین و أقام حاجتهم إلی ما عند هؤلاء من فضل المؤن الذی لا یفتقرون إلیه فلینفقوا علیهم و لیحسنوا و لیجملوا و الله یحب الإحسان و جمیل الفعل.

و قوله:« قٰالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِلَّذِینَ آمَنُوا أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ یَشٰاءُ اللّٰهُ أَطْعَمَهُ »جوابهم للدعوه إلی الإنفاق،و إنما أظهر القائل-الذین کفروا-و مقتضی المقام الإضمار للإشاره إلی أن کفرهم بالحق و إعراضهم عنه باتباع الشهوات هو الذی دعاهم إلی الاعتذار بمثل هذا العذر المبنی علی الإعراض عما تدعو إلیه الفطره من الشفقه علی خلق الله و إصلاح ما فسد فی المجتمع کما أن الإظهار فی قوله:« لِلَّذِینَ آمَنُوا »للإشاره إلی أن قائل « أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقَکُمُ اللّٰهُ »هم الذین آمنوا.

و فی قولهم:« أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ یَشٰاءُ اللّٰهُ أَطْعَمَهُ »إشعار بأن المؤمنین إنما قالوا لهم:

« أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ »بعنوان أنه مما يشاؤه الله و يريده حكما دينيا فردوه بأن إراده الله لا تتخلف عن مراده فلو شاء أن يطعمهم أطعمهم أى وسع فى رزقهم و جعلهم أغنياء.

و هذه مغالطه منهم خلطوا فيه بين الإراده التشريعيه المبنيه على الابتلاء و الامتحان و هدايه العباد إلى ما فيه صلاح حالهم فى دنياهم و آخرتهم و من الجائز أن تتخلف عن المراد بالعصيان،و بين الإراده التكوينيه التى لا تتخلف عن المراد و من المعلوم أن مشيئه الله و إرادته المتعلقه بإطعام الفقراء و الإنفاق عليهم من المشيئه التشريعيه دون التكوينيه فتخلفها فى مورد الفقراء إنما يدل على عصيان الذين كفروا و تمردهم عما أمروا به لا على عدم تعلق الإراده به و كذب مدعيه.

و هذه مغالطه بنوا عليها جل ما افتعلوه من سنن الوثنيه و قد حكى الله سبحانه ذلك عنهم فى قوله :«وَ قٰالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا عَبَدْنٰا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَ لاٰ آبٰاؤُنٰا وَ لاٰ حَرَّمْنٰا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ:» النحل:-۳۵،و قوله :«سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا أَشْرَكْنٰا وَ لاٰ آبٰاؤُنٰا وَ لاٰ حَرَّمْنٰا مِنْ شَيْءٍ:» الأنعام:-۱۴۸،و قوله :

«وَ قٰالُوا لَوْ شٰاءَ الرَّحْمٰنُ مٰا عَبَدْنٰاهُمْ:» الزخرف:-۲۰.

و قوله:« إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ فِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ »من تمام قول الذين كفروا يخاطبون به المؤمنين أى إنكم فى ضلال مبين فى دعواكم أن الله أمرنا بالإنفاق و شاء منا ذلك.

(بحث روائی)

فى المجمع،روى عن على بن الحسين زين العابدين و أبى جعفر الباقر و جعفر الصادق (ع): « لا مستقر لها »بنصب الراء.

و فى الدر المنثور،أخرج سعيد بن منصور و أحمد البخارى و مسلم و أبو داود و الترمذى و النسائى و ابن أبى حاتم و أبو الشيخ و ابن مردويه و البيهقى عن أبى ذر قال:

سألت رسول الله ص عن قوله تعالى:« وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهٰا »قال:

مستقرها تحت العرش.

أقول:و قد روى هذا المعنى عن أبى ذر عنه(ص)من طرق الخاصه و العامه

مختصره و مطوله،و فی بعضـها أنها بعد الغروب تصعد سماء سماء حتی تصل إلی ما دون العرش فتسجد و تستأذن فی الطلوع و تبقی علی ذلک حتی تکسی نورا و یؤذن لها فی الطلوع.

و الروایه إن صحت فهی مؤوله.

و فی روضه الکافی،بإسـناده عن سـلام بن المسـتنیر عن أبی جعفر(ع)قال: إن الله عز و جل خلق الشـمس قبل القمر-و خلق النور قبل الظلمه.

و فی المجمع،روی العیاشـی فی تفسیره بالإسناد عن الأشعث بن حاتم قال: کنت بخراسان حیث اجتمع الرضا-و الفضل بن سهل و المـأمون فی الإـیوان بمرو-فوضـعت المائـده فقال الرضا(ع):إن رجلا من بنی إسـرائیل سألنی بالمـدینه فقال:النهار خلق قبل أم اللیل؟فما عندکم؟قال:و أداروا الکلام فلم یکن عندهم فی ذلک شیء-.

فقال الفضل للرضا:أخبرنا بها أصـلحک الله.قال:نعم من القرآن أم من الحساب- قال له الفضل من جهه الحساب-فقال:قد علمت یا فضل إن طالع الدنیا السرطان-و الکواکب فی مواضع شرفها-فزحل فی المیزان و المشتری فی السرطان-و المریخ فی الجدی و الشـمس فی الحمل-و الزهره فی الحوت و عطارد فی السـنبله-و القمر فی الثور-فتکون الشـمس فی العاشـر وسط السماء-فالنهار قبل اللیل،و من القرآن قوله تعالی:« وَ لاَ اللَّیْلُ سَابِقُ النَّهَارِ »أی اللیل قد سبقه النهار.:

أقول:نقل الآلوسی فی روح المعانی،هذا الحدیث

ثم قـال:و فی الاسـتدلال بالآـیه بحث ظـاهر،و أما بالحساب فله وجه فی الجمله و رأی المنجمون أن ابتـداء الـدوره دائره نصـف النهار و له موافقه لما ذکر و الذی یغلب علی الظن عدم صـحه الخبر من مبتدئه فالرضا أجل من أن یسـتدل بالآیه علی ما سمعت من دعواه انتهی.

و قد اختلط علیه الأمر فی تحصیل حقیقه معنی اللیل و النهار.

توضـیحه:أن اللیـل و النهـار متقابلان تقابل العـدم و الملکه کالعمی و البصـر فکما أن العمی لیس مطلق عـدم البصـر حتی یکون الجدار مثلا أعمی لعدم البصـر فیه بل هو عدم البصـر مما من شأنه أن یتصف بالبصر کالإنسان کذلک اللیل لیس هو مطلق عدم النور بل هو زمان عدم استضاءه ناحیه من نواحی الأرض بنور الشمس و من المعلوم أن

عـدم الملكه يتوقف فی تحققه علی تحقق الملکه المقـابله له قبله حـتی یتعین بالإضـافه إلیه فلو لاـ البصـر لم یتحقق عمی و لو لا النهار لم یتحقق اللیل.

فمطلق اللیل بمعناه الذی هو به لیل مسـبوق الوجود بالنهار و قوله:« وَ لَا اللَّیْلُ سَابِقُ النَّهَارِ »و إن کان ناظرا إلی الترتیب المفروض بین النهر و اللیالی و أن هناک نهارا و لیلا و نهارا و لیلا و أن واحدا من هذه اللیالی لا یسبق النهار الذی بجنبه.

لکنه تعالی أخذ فی قوله:« وَ لَا اللَّیْلُ سَابِقُ النَّهَارِ »مطلق اللیل و نفی تقدمه علی مطلق النهار و لم یقل:إن واحدا من اللیالی الواقعه فی هذا الترتیب لا یسبق النهار الواقع فی الترتیب قبله.

فالحکم فی الآیه مبنی علی ما یقتضـیه طبیعه اللیل و النهار بحسب التقابل الذی أودعه الله بینهما و قد استفید منه الحکم بانحفاظ الترتیب فی تعـاقب اللیـل و النهار فإن کل لیل هو افتقاد النهار الـذی هو یتلوه فلا یتقـدم علیه و إلی هـذا یشـیر(ع)بعـد ذکر الآیه بقوله:«أی اللیـل قـد سـبقه النهـار»یعنی أن سـبق النهـار اللیـل هو خلقه قبله و لیس کما یتوهم أن هناک نهر أو لیالی موجوده ثم یتعین لکل منها محله.

و قول المعترض:«و أما بالحساب فله وجه فی الجمله»لا یدری وجه قوله:فی الجمله و هو وجه تام مبنی علی تسلیم أصول التنجیم صحیح بالجمله علی ذلک التقدیر لا فی الجمله.

و کـذا قوله:«و رأی المنجمون أن ابتداء الدوره دائره نصف النهار و له موافقه لما ذکر»لا محصل له لأن دائره نصف النهار و هی الـدائره المـاره علی القطبین و نقطه ثالثه بینهما غیر متناهیه فی العـدد لا تتعین لها نقطه معینه فی السـماء دون نقطه أخری فیکون کون الشمس فی إحداهما نهارا للأرض دون أخری.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« وَ إِذَا قِیلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَیْنَ أَیْدِیکُمْ وَ مَا خَلْفَکُمْ »:روی الحلبی عن أبی عبد الله(ع)قال: معناه اتقوا ما بین أیدیکم من الذنوب-و ما خلفکم من العقوبه.

[سوره یس (۳۶): الآیات ۴۸ الی ۶۵]

اشاره

وَ یَقُولُونَ مَتیٰ هٰذَا اَلْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ (۴۸) مٰا یَنْظُرُونَ إِلاّٰ صَیْحَهً وٰاحِدَهً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ یَخِصِّمُونَ (۴۹) فَلاٰ یَسْتَطِیعُونَ تَوْصِیَهً وَ لاٰ إِلیٰ أَهْلِهِمْ یَرْجِعُونَ (۵۰) وَ نُفِخَ فِی اَلصُّورِ فَإِذٰا هُمْ مِنَ اَلْأَجْدٰاثِ إِلیٰ رَبِّهِمْ یَنْسِلُونَ (۵۱) قٰالُوا یٰا وَیْلَنٰا مَنْ بَعَثَنٰا مِنْ مَرْقَدِنٰا هٰذٰا مٰا وَعَدَ اَلرَّحْمٰنُ وَ صَدَقَ اَلْمُرْسَلُونَ (۵۲) إِنْ کٰانَتْ إِلاّٰ صَیْحَهً وٰاحِدَهً فَإِذٰا هُمْ جَمِیعٌ لَدَیْنٰا مُحْضَرُونَ (۵۳) فَالْیَوْمَ لاٰ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَیْئاً وَ لاٰ تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۵۴) إِنَّ أَصْحٰابَ اَلْجَنَّهِ اَلْیَوْمَ فِی شُغُلٍ فٰاکِهُونَ (۵۵) هُمْ وَ أَزْوٰاجُهُمْ فِی ظِلاٰلٍ عَلَی اَلْأَرٰائِکِ مُتَّکِؤُنَ (۵۶) لَهُمْ فِیهٰا فٰاکِهَهٌ وَ لَهُمْ مٰا یَدَّعُونَ (۵۷) سَلاٰمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِیمٍ (۵۸) وَ اِمْتٰازُوا اَلْیَوْمَ أَیُّهَا اَلْمُجْرِمُونَ (۵۹) أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَیْکُمْ یٰا بَنِی آدَمَ أَنْ لاٰ تَعْبُدُوا اَلشَّیْطٰانَ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ (۶۰) وَ أَنِ اُعْبُدُونِی هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِیمٌ (۶۱) وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْکُمْ جِبِلاًّ کَثِیراً أَ فَلَمْ تَکُونُوا تَعْقِلُونَ (۶۲) هٰذِهِ جَهَنَّمُ اَلَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ (۶۳) اِصْلَوْهَا اَلْیَوْمَ بِمٰا کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ (۶۴) اَلْیَوْمَ نَخْتِمُ عَلیٰ أَفْوٰاهِهِمْ وَ تُکَلِّمُنٰا أَیْدِیهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ (۶۵)

ص: ۹۷

(بیان)

لما فرغ من تفصیل آیات التوحید المشار إلیه إجمالا فی أول الکلام شرع فی تفصیل خبر المعاد و ذکر کیفیه قیام الساعه و إحضارهم للحساب و الجزاء و ما یجزی به أصحاب الجنه و ما یجازی به المجرمون کل ذلک تبیینا لما تقدم من إجمال خبر المعاد.

قوله تعالی:« وَ یَقُولُونَ مَتیٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ »کلام منهم وارد مورد الاستهزاء مبنی علی الإنکار،و لعله لذلک جیء باسم الإشاره الموضوعه للقریبه و لأن النبی ص و المؤمنین کثیرا ما کانوا یسمعونهم حدیث یوم القیامه و ینذرونهم به،و الوعد یستعمل فی الخیر و الشر إذا ذکر وحده و إذا قابل الوعید تعین الوعد للخیر و الوعید للشر.

قوله تعالی:« مٰا یَنْظُرُونَ إِلاّٰ صَیْحَهً وٰاحِدَهً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ یَخِصِّمُونَ » النظر بمعنی الانتظار،و المراد بالصیحه نفخه الصور الأولی بإعانه السیاق،و توصیف الصیحه بالوحده للإشاره إلی هوان أمرهم علی الله جلت عظمته فلا حاجه إلی مئونه زائده،و« یَخِصِّمُونَ » أصله یختصمون من الاختصام بمعنی المجادله و المخاصمه.

و الآیه جواب لقولهم:« مَتیٰ هٰذَا الْوَعْدُ »مسوقه سوق الاستهزاء بهم و الاستهانه بأمرهم کما کان قولهم کذلک،و المعنی ما ینتظر هؤلاء القائلون:متی هذا الوعد فی سؤالهم عن وقت الوعد المنبئ عن الانتظار إلا صیحه واحده-یسیره علینا بلا مئونه و لا تکلف-تأخذهم فلا یسعهم أن یفروا و ینجوا منها و الحال أنهم غافلون عنها یختصمون فیما بینهم.

قوله تعالی:« فَلاٰ یَسْتَطِیعُونَ تَوْصِیَهً وَ لاٰ إِلیٰ أَهْلِهِمْ یَرْجِعُونَ »أی یتفرع علی هذه الصیحه بما أنها تفاجئهم و لا تمهلهم أن یموتوا من فورهم فلا یستطیعوا توصیه-علی أن الموت یعمهم جمیعا دفعه فلا یترک منهم أحدا یوصی إلیه-و لا أن یرجعوا إلی أهلهم إذا کانوا فی الخارج من بیوتهم مثلا.

قوله تعالی:« وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَإِذٰا هُمْ مِنَ الْأَجْدٰاثِ إِلیٰ رَبِّهِمْ یَنْسِلُونَ »هذه هی نفخه الصور الثانیه التی بها الإحیاء و البعث،و الأجداث جمع جدث و هو القبر و النسل الإسراع فی المشی و فی التعبیر عنه بقوله:« إِلیٰ رَبِّهِمْ »تقریع لهم لأنهم کانوا ینکرون

ربوبيته و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ » البعث الإقامه،و المرقد محل الرقاد و المراد به القبر،و تعبيرهم عنه تعالى بالرحمن نوع استرحام و قد كانوا يقولون فى الدنيا :«وَ مَا الرَّحْمنُ:» الفرقان:-٦٠، و قوله:« وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ »عطف على قوله:« هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ »و الجمله الفعليه قد تعطف على الاسميه.

و قولهم:يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا مبنى على إنكارهم البعث و هم فى الدنيا و رسوخ أثر الإنكار و الغفله عن يوم الجزاء فى نفوسهم و هم لا يزالون مستغرقين فى الأهواء فإذا قاموا من قبورهم مسرعين إلى المحشر فاجأهم الورود فى عالم لا يستقبلهم فيه إلا توقع الشر فأخذهم الفزع الأكبر و الدهشه التى لا تقوم لها الجبال و لذا يتبادرون أولا إلى دعوه الويل و الهلاك كما كان ذلك دأبهم فى الدنيا عند الوقوع فى المخاطر ثم سألوا عمن بعثهم من مرقدهم لأن الذى أحاط بهم من الدهشه أذهلهم من كل شىء.

ثم ذكروا ما كانت الرسل(ع)يذكرونهم به من الوعد الحق بالبعث و الجزاء فشهدوا بحقيه الوعد و استعصموا بالرحمه فقالوا:« هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ »على ما هو دأبهم فى الدنيا حيث يكيدون عدوهم إذا ظهر عليهم بالتملق و إظهار الذله و الاعتراف بالظلم و التقصير ثم صدقوا الرسل بقولهم:« وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ».

و بما تقدم ظهر أولا وجه دعوتهم بالويل إذا بعثوا.

و ثانيا وجه سؤالهم عمن بعثهم من مرقدهم الظاهر فى أنهم جاهلون به أولا ثم إقرارهم بأنه الذى وعده الرحمن و تصديقهم المرسلين فيما بلغوا عنه تعالى.

و يظهر أيضا أن قوله:« مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا »إلخ و قوله:« هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ » إلخ.من قولهم.

و قيل:قوله:« وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ »عطف على مدخول« ما »و« ما »موصوله أو مصدريه و« هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ »إلخ جواب من الله أو من الملائكه أو من المؤمنين لقولهم:« مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا »؟.

ص :٩٩

و غير خفى أنه خلاف الظاهر و خاصه على تقدير كون« مٰا »مصدريه و لو كان قوله:« هٰذٰا مٰا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ »إلخ.جوابا من الله أو الملائكه لقولهم:« مَنْ بَعَثَنٰا مِنْ مَرْقَدِنٰا »لأجيب بالفاعل دون الفعل لأنهم سألوا عن فاعل البعث!و ما قيل:إن العدول إليه لتذكير كفرهم و تقريعهم عليه مع تضمنه الإشاره إلى الفاعل هذا. لا يغنى طائلا.

و ظهر أيضا أن قوله:« هٰذٰا مٰا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ »مبتدأ و خبر،و قيل« هٰذٰا » صفه لمرقدنا بتأويل اسم الإشاره إلى المشتق و« مٰا »مبتدأ خبره محذوف تقديره ما وعد الرحمن حق و هو بعيد عن الفهم.

قوله تعالى:« إِنْ كٰانَتْ إِلاّٰ صَيْحَةً وٰاحِدَةً فَإِذٰا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنٰا مُحْضَرُونَ »اسم كان محذوف و التقدير إن كانت الفعله أو النفخه إلا نفخه واحده تفاجئهم أنهم مجموع محضرون لدينا من غير تأخير و مهله.

و التعبير بقوله:« لَدَيْنٰا »لأن اليوم يوم الحضور لفصل القضاء عند الله سبحانه.

قوله تعالى:« فَالْيَوْمَ لاٰ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ لاٰ تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »أى فى هذا اليوم يقضى بينهم قضاء عدلا و يحكم حكما حقا فلا تظلم نفس شيئا.

و قوله:« وَ لاٰ تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »عطف تفسير لقوله: فَالْيَوْمَ لاٰ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً »و هو فى الحقيقه بيان برهانى لانتفاء الظلم يومئذ لدلالته على أن جزاء أعمال العاملين يومئذ نفس أعمالهم،و لا يتصور مع ذلك ظلم لأن الظلم وضع الشىء فى غير موضعه و تحميل العامل عمله وضع الشىء فى موضعه ضروره.

و خطاب الآيه من باب تمثيل يوم القيامه و إحضاره و إحضار من فيه بحسب العنايه الكلاميه ،و ليس-كما توهم-حكايه عما سيقال لهم أو يخاطبون به من جانب الله سبحانه أو الملائكه أو المؤمنين يوم القيامه فلا موجب له من جهه السياق.

و المخاطب بقوله:« وَ لاٰ تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »السعداء و الأشقياء جميعا.

و ما قيل عليه أن الحصر يأبى التعميم فإنه تعالى يوفى المؤمنين أجورهم و يزيدهم من فضله أضعافا مضاعفه مدفوع بأن الحصر فى الآيه نازل إلى جزاء العمل و أجره و ما

یدل من الآیات علی المزید کقوله :«لَهُمْ مٰا یَشٰاؤُنَ فِیهٰا وَ لَدَیْنٰا مَزِیدٌ:» ق:-۳۵ أمر وراء الجزاء و الأجر خارج عن طور العمل.

و ربما أجیب عنه بأن معنی الآیه أن الصالح لا ینقص ثوابه و الطالح لا یزاد عقابه فإن الحکمه تنافیه أما زیاده الثواب و نقض العقاب فلا مانع منه أو أن المراد بقوله:

« لاٰ تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »أنکم لا تجزون إلا من جنس عملکم إن خیرا فخیر و إن شرا فشر.

و فیه أن مدلول الآیه لو کان ما ذکر اندفع الإشکال لکن الشأن فی دلالتها علی ذلک.

قوله تعالی:« إِنَّ أَصْحٰابَ الْجَنَّهِ الْیَوْمَ فِی شُغُلٍ فٰاکِهُونَ » الشغل الشأن الذی یشغل الإنسان و یصرفه عما عداه،و الفاکه من الفکاهه و هی التحدث بما یسر أو التمتع و التلذذ و لا فعل له من الثلاثی المجرد علی ما قیل.

و قیل:« فٰاکِهُونَ »معناه ذوو فاکهه نحو لابن و تامر و یبعده أن الفاکهه مذکوره فی السیاق و لا موجب لتکرارها.

و المعنی أن أصحاب الجنه فی هذا الیوم فی شأن یشغلهم عن کل شیء دونه و هو التنعم فی الجنه متمتعون فیها.

قوله تعالی:« هُمْ وَ أَزْوٰاجُهُمْ فِی ظِلاٰلٍ عَلَی الْأَرٰائِکِ مُتَّکِؤُنَ » الظلال جمع ظل و قیل جمع ظله بالضم و هی الستره من الشمس من سقف أو شجر أو غیر ذلک،و الأریکه کل ما یتکأ علیه من وساده أو غیرها.

و المعنی:هم أی أصحاب الجنه و أزواجهم من حلائلهم المؤمنات فی الدنیا أو من الحور العین فی ظلال أو أستار من الشمس و غیرها متکئون علی الأرائک اتکاء الأعزه.

قوله تعالی:« لَهُمْ فِیهٰا فٰاکِهَهٌ وَ لَهُمْ مٰا یَدَّعُونَ » الفاکهه ما یتفکه به من الثمرات کالتفاح و الأترج و نحوهما،و قوله:« یَدَّعُونَ »من الادعاء بمعنی التمنی أی لهم فی الجنه فاکهه و لهم فیها ما یتمنونه و یطلبونه.

قوله تعالی:« سَلاٰمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِیمٍ »سلام مبتدأ محذوف الخبر و التنکیر للتفخیم و التقدیر سلام علیهم أو لهم سلام،و« قَوْلاً »مفعول مطلق لفعل محذوف و التقدیر

أقوله قولا من رب رحيم.

و الظاهر أن السلام منه تعالى و هو غير سلام الملائكه المذكور فى قوله :«وَ الْمَلاٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بٰابٍ سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ بِمٰا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّٰارِ» الرعد:-٢۴.

قوله تعالى:« وَ امْتٰازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ »أى و نقول اليوم للمجرمين امتازوا من أصحاب الجنه و هو تمييزهم منهم يوم القيامه و إنجاز لما فى قوله فى موضع آخر :

«أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّٰارِ:» -ص:-٢٨،و قوله أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئٰاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ سَوٰاءً مَحْيٰاهُمْ وَ مَمٰاتُهُمْ:» الجاثيه:-٢١.

قوله تعالى:« أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰا بَنِي آدَمَ أَنْ لاٰ تَعْبُدُوا الشَّيْطٰانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ » العهد الوصيه،و المراد بعباده الشيطان طاعته فيما يوسوس و يأمر به إذ لا طاعه إلا لله أو من أمر بطاعته، و قد علل النهى عن طاعته بكونه عدوا مبينا لأن العدو لا يريد بعدوه خيرا.

و قيل:المراد بعبادته عباده الآلهه من دون الله و إنما نسبت إلى الشيطان لكونها بتسويله و تزيينه،و هو تكلف من غير موجب.

و إنما وجه الخطاب إلى المجرمين بعنوان أنهم بنو آدم لأن عداوه الشيطان إنما نشبت أول ما نشبت بآدم حيث أمر أن يسجد له فأبى و استكبر فرجم ثم عاد ذريته بعداوته و أوعدهم كما حكاه الله تعالى إذ قال :«أَ رَأَيْتَكَ هٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاّٰ قَلِيلاً:» الإسراء:-۶٢.

و أما عهده تعالى و وصيته إلى بنى آدم أن لا يطيعوه فهو الذى وصاهم به بلسان رسله و أنبيائه و حذرهم عن اتباعه كقوله تعالى :«يٰا بَنِي آدَمَ لاٰ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطٰانُ كَمٰا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ:» الأعراف:-٢٧:و قوله :«وَ لاٰ يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطٰانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ:» الزخرف:-۶٢.

و قيل:المراد بالعهد عهده تعالى إليهم فى عالم الذر حيث قال:« أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ ». و قد عرفت مما قدمناه فى تفسير آيه الذر أن العهد الذى هناك هو بوجه عين العهد الذى وجه إليهم فى الدنيا.

قوله تعالى:« وَ أَنِ اعْبُدُونِی هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِیمٌ »عطف تفسیر لما سبقه،و قد تقدم کلام فی معنی الصراط المستقیم فی تفسیر قوله:« اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِیمَ »من سوره الفاتحه.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْکُمْ جِبِلاًّ کَثِیراً أَ فَلَمْ تَکُونُوا تَعْقِلُونَ » الجبل الجماعه و قیل:الجماعه الکثیره و الکلام مبنی على التوبیخ و العتاب.

قوله تعالى:« هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ »أی کان یستمر علیکم الإیعاد بها مره بعد مره بلسان الأنبیاء و الرسل(ع)و أول ما أوعد الله سبحانه بها حین قال لإبلیس :«إِنَّ عِبٰادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطٰانٌ إِلاّٰ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْغٰاوِینَ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِینَ:» الحجر:-۴۳ و فی لفظ الآیه إشاره إلى إحضار جهنم یومئذ.

قوله تعالى:« اِصْلَوْهَا الْیَوْمَ بِمٰا کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ » الصلا .اللزوم و الاتباع، و قیل:مقاساه الحراره و یظهر بقوله:« بِمٰا کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ »أن الخطاب للکفار و هم المراد بالمجرمین.

قوله تعالى:« اَلْیَوْمَ نَخْتِمُ عَلىٰ أَفْوٰاهِهِمْ وَ تُکَلِّمُنٰا أَیْدِیهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ »أی یشهد کل منها بما کانوا یکسبونه بواسطته فالأیدی بالمعاصی التی کسبوها بها و الأرجل بالمعاصی الخاصه بها على ما یعطیه السیاق.

و من هنا یظهر أن کل عضو ینطق بما یخصه من العمل و أن ذکر الأیدی و الأرجل من باب الأنموذج و لذا ذکر فی موضع آخر السمع و البصر و الفؤاد کما فی سوره الإسراء الآیه ۳۶.و فی موضع آخر الجلود کما فی سوره حم السجده الآیه ۲۰،و سیأتی بعض ما یتعلق به من الکلام فی تفسیر سوره حم السجده إن شاء الله.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی، ":فی قوله تعالى:« مٰا یَنْظُرُونَ إِلاّٰ صَیْحَةً وٰاحِدَةً »الآیه-قال:

ذلک فی آخر الزمان یصاح فیهم صیحه-و هم فی أسواقهم یتخاصمون-فیموتون کلهم فی مکانهم-لا یرجع أحد منهم إلى منزله و لا یوصی بوصیه،و ذلک قوله عز و جل:

« فَلاٰ یَسْتَطِیعُونَ تَوْصِیَةً وَ لاٰ إِلىٰ أَهْلِهِمْ یَرْجِعُونَ ».

و فی المجمع،فی الحدیث": تقوم الساعه و الرجلان قد نشرا ثوبهما یتبایعان-فما یطویانه حتی تقوم الساعه،و الرجل یرفع أکلته إلی فیه حتی تقوم الساعه،و الرجل یلیط (۱)حوضه لیسقی ماشیته-فما یسقیها حتی تقوم.:

أقول:و روی هذا المعنی فی الدر المنثور عن أبی هریره عن النبی ص و کذا عن قتاده عنه(ص)مرسلا .

و فی تفسیر القمی،":و قوله عز و جل:« وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَإِذٰا هُمْ مِنَ الْأَجْدٰاثِ إِلیٰ رَبِّهِمْ یَنْسِلُونَ »قال:.من القبور:و

فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله:

تعالی« یٰا وَیْلَنٰا مَنْ بَعَثَنٰا مِنْ مَرْقَدِنٰا »فإن القوم کانوا فی القبور-فلما قاموا حسبوا أنهم کانوا نیاما و قالوا: یٰا وَیْلَنٰا مَنْ بَعَثَنٰا مِنْ مَرْقَدِنٰا .قالت الملائکه: هٰذٰا مٰا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ .

و فی الکافی،بإسناده إلی أبی بصیر عن أبی عبد الله(ع)قال: کان أبو ذر رحمه الله یقول فی خطبته:و ما بین الموت و البعث-إلا کنومه نمتها ثم استیقظت منها.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« إِنَّ أَصْحٰابَ الْجَنَّهِ الْیَوْمَ فِی شُغُلٍ فٰاکِهُونَ » قال یفاکهون النساء و یلاعبونهن.

و فیه،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله عز و جل:« فِی ظِلاٰلٍ عَلَی الْأَرٰائِکِ مُتَّکِؤُنَ »الأرائک السرر علیها الحجال.

و فیه،":فی قوله عز و جل:« سَلاٰمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِیمٍ »قال:السلام منه هو الأمان.و قوله:« وَ امْتٰازُوا الْیَوْمَ أَیُّهَا الْمُجْرِمُونَ »قال:إذا جمع الله الخلق یوم القیامه- بقوا قیاما علی أقدامهم حتی یلجمهم العرق فینادون:یا رب حاسبنا و لو إلی النار-قال:

فیبعث الله ریاحا فتضرب بینهم و ینادی مناد:« وَ امْتٰازُوا الْیَوْمَ أَیُّهَا الْمُجْرِمُونَ »فیمیز بینهم فصار المجرمون فی النار،و من کان فی قلبه الإیمان صار إلی الجنه.

أقول:و قد ورد فی بعض الروایات أن الله سبحانه یتجلی لهم فیشتغلون به عن کل من سواه ما دام التجلی و المراد به ارتفاع کل حجاب بینهم و بین ربهم دون الرؤیه

۱- ۱) لاطه أی ملأه.

البصریه التی لا تتحقق إلا بمقارنه الجهات و الأبعاد فإنها مستحیله فی حقه تعالی.

و فی اعتقادات الصدوق،قال(ع): من أصغی إلی ناطق فقد عبده-فإن کان الناطق عن الله فقد عبد الله،و إن کان الناطق عن إبلیس فقد عبد إبلیس.

و فی الکافی،بإسناده عن محمد بن سالم عن أبی جعفر(ع)فی حدیث قال:

و لیست تشهد الجوارح علی مؤمن-إنما تشهد علی من حقت علیه کلمه العذاب-فأما المؤمن فیعطی کتابه بیمینه قال الله عز و جل- :«فَمَنْ أُوتِیَ کِتٰابَهُ بِیَمِینِهِ فَأُولٰئِکَ یَقْرَؤُنَ کِتٰابَهُمْ-وَ لاٰ یُظْلَمُونَ فَتِیلاً:» الإسراء:-٧١.

و فی تفسیر العیاشی،عن مسعد بن صدقه عن جعفر بن محمد عن جده قال:قال أمیر المؤمنین(ع) فی خطبه یصف هول یوم القیامه:ختم الله علی الأفواه فلا تکلم-و تکلمت الأیدی و شهدت الأرجل-و نطقت الجلود بما عملوا فلا یکتمون الله حدیثا.

أقول:و فی هذا المعنی روایات أخر یأتی بعضها فی ذیل تفسیر قوله تعالی :

«شَهِدَ عَلَیْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصٰارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ» Xالآیه X:حم السجده:-٢٠،و تقدم بعضها فی الکلام علی قوله :«إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤٰادَ کُلُّ أُولٰئِکَ کٰانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً:» الإسراء:-٣۶.

[سوره یس (٣۶): الآیات ۶۶ الی ٨٣]

اشاره

وَ لَوْ نَشٰاءُ لَطَمَسْنٰا عَلیٰ أَعْیُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا اَلصِّرٰاطَ فَأَنّٰی یُبْصِرُونَ (۶۶) وَ لَوْ نَشٰاءُ لَمَسَخْنٰاهُمْ عَلیٰ مَکٰانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطٰاعُوا مُضِیًّا وَ لاٰ یَرْجِعُونَ (۶٧) وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَکِّسْهُ فِی اَلْخَلْقِ أَ فَلاٰ یَعْقِلُونَ (۶٨) وَ مٰا عَلَّمْنٰاهُ اَلشِّعْرَ وَ مٰا یَنْبَغِی لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِکْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِینٌ (۶٩) لِیُنْذِرَ مَنْ کٰانَ حَیًّا وَ یَحِقَّ اَلْقَوْلُ عَلَی اَلْکٰافِرِینَ (٧٠) أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنّٰا خَلَقْنٰا لَهُمْ مِمّٰا عَمِلَتْ أَیْدِینٰا أَنْعٰاماً فَهُمْ لَهٰا مٰالِکُونَ (٧١) وَ ذَلَّلْنٰاهٰا لَهُمْ فَمِنْهٰا رَکُوبُهُمْ وَ مِنْهٰا یَأْکُلُونَ (٧٢) وَ لَهُمْ فِیهٰا مَنٰافِعُ وَ مَشٰارِبُ أَ فَلاٰ یَشْکُرُونَ (٧٣) وَ اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ یُنْصَرُونَ (٧۴) لاٰ یَسْتَطِیعُونَ نَصْرَهُمْ وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧۵) فَلاٰ یَحْزُنْکَ قَوْلُهُمْ إِنّٰا نَعْلَمُ مٰا یُسِرُّونَ وَ مٰا یُعْلِنُونَ (٧۶) أَ وَ لَمْ یَرَ اَلْإِنْسٰانُ أَنّٰا خَلَقْنٰاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذٰا هُوَ خَصِیمٌ مُبِینٌ (٧٧) وَ ضَرَبَ لَنٰا مَثَلاً وَ نَسِیَ خَلْقَهُ قٰالَ مَنْ یُحْیِ اَلْعِظٰامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ (٧٨) قُلْ یُحْیِیهَا اَلَّذِی أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ (٧٩) اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ اَلشَّجَرِ اَلْأَخْضَرِ نٰاراً فَإِذٰا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَ وَ لَیْسَ اَلَّذِی خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ بِقٰادِرٍ عَلیٰ أَنْ یَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلیٰ وَ هُوَ اَلْخَلاّٰقُ اَلْعَلِیمُ (٨١) إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (٨٢) فَسُبْحٰانَ اَلَّذِی بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَیْءٍ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

ص:١٠۵

(بیان)

بیان تلخیصی للمعانی السابقه فی سیاق آخر ففیه تهدید لهم بالعذاب،و الإشاره إلی أنه(ص)رسول و أن کتابه ذکر و قرآن و لیس بشاعر و لا کتابه بشعر،و الإشاره إلی خلق الأنعام آیه للتوحید،و الاحتجاج علی المیعاد.

قوله تعالی:« وَ لَوْ نَشٰاءُ لَطَمَسْنٰا عَلیٰ أَعْیُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرٰاطَ فَأَنّٰی یُبْصِرُونَ » قال فی مجمع البیان،: الطمس محو الشیء حتی یذهب أثره فالطمس علی العین کالطمس علی الکتاب و مثله الطمس علی المال و هو إذهابه حتی لا یقع علیه إدراک،و أعمی مطموس و طمیس و هو أن یذهب الشق الذی بین الجفنین،انتهی.

فقوله:« وَ لَوْ نَشٰاءُ لَطَمَسْنٰا عَلیٰ أَعْیُنِهِمْ »أی لو أردنا لأذهبنا أعینهم فصارت ممسوحه لا أثر منها فذهبت به أبصارهم و بطل أبصارهم.

و قوله:« فَاسْتَبَقُوا الصِّرٰاطَ »أی أرادوا السبق إلی الطریق الواضح الذی لا یخطئ قاصده و لا یظل سالکه فلم یبصروه و لن یبصروه فالاستبعاد المفهوم من قوله:« فَأَنّٰی یُبْصِرُونَ »کنایه عن الامتناع.

و قول بعضهم:إن المراد باستباق الصراط مبادرتهم إلی سلوک طریق الحق و عدم اهتدائهم إلیها،لا یخلو من بعد.

قوله تعالی:« وَ لَوْ نَشٰاءُ لَمَسَخْنٰاهُمْ عَلیٰ مَکٰانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطٰاعُوا مُضِیًّا وَ لاٰ یَرْجِعُونَ » قال فی المجمع،:و المسخ قلب الصوره إلی خلقه مشوهه کما مسخ قوم قرده و خنازیر و قال:

و المکانه و المکان واحد.انتهی.و المراد بمسخهم علی مکانتهم تشویه خلقهم و هم قعود فی مکانهم الذی هم فیه من غیر أن یغیرهم عن حالهم بعلاج و تکلف بل بمجرد المشیه فهو کنایه عن کونه هینا سهلا علیه تعالی من غیر أی صعوبه.

و قوله:« فَمَا اسْتَطٰاعُوا مُضِیًّا وَ لاٰ یَرْجِعُونَ »أی مضیا فی العذاب و لا یرجعون إلی حالهم قبل العذاب و المسخ فالمضی و الرجوع کنایتان عن الرجوع إلی حال السلامه و البقاء علی حال العذاب و المسخ.

و قيل:المراد مضيهم نحو مقاصدهم و رجوعهم إلى منازلهم و أهليهم و لا يخلو من بعد.

قوله تعالى:« وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَ فَلاٰ يَعْقِلُونَ » التعمير التطويل فى العمر،و التنكيس تقليب الشىء بحيث يعود أعلاه أسفله و يتبدل قوته ضعفا و زيادته نقصا و الإنسان فى عهد الهرم منكس الخلق يتبدل قوته ضعفا و علمه جهلا و ذكره نسيانا.

و الآيه فى مقام الاستشهاد بتنكيس الخلق على إمكان مضمون الآيتين السابقتين و المراد أن الذى ينكس خلق الإنسان إذا عمره قادر على أن يطمس على أعينهم و على أن يمسخهم على مكانتهم.

و فى قوله:« أَ فَلاٰ يَعْقِلُونَ »توبيخهم على عدم التعقل و حثهم على التدبر فى هذه الأمور و الاعتبار بها.

قوله تعالى:« وَ مٰا عَلَّمْنٰاهُ الشِّعْرَ وَ مٰا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ عطف و رجوع إلى ما تقدم فى صدر السوره من تصديق رساله النبى ص و كون كتابه تنزيلا من عنده تعالى.

فقوله:« وَ مٰا عَلَّمْنٰاهُ الشِّعْرَ »نفى أن يكون علمه الشعر و لازمه أن يكون بحيث لا يحسن قول الشعر لا أن يحسنه و يمتنع من قوله للنهى من الله متوجه إليه،و لا أن النازل من القرآن ليس بشعر و إن أمكنه(ص)أن يقوله.

و به يظهر أن قوله:« وَ مٰا يَنْبَغِي لَهُ »فى مقام الامتنان عليه بأنه نزهه عن أن يقول شعرا فالجمله فى مقام دفع الدخل و المحصل أن عدم تعليمنا إياه الشعر ليس يوجب نقصا فيه و لا أنه تعجيز له بل لرفع درجته و تنزيه ساحته عما يتعاوره العارف بصناعه الشعر فيقع فى معرض تزيين المعانى بالتخيلات الشعريه الكاذبه التى كلما أمعن فيها كان الكلام أوقع فى النفس،و تنظيم الكلام بأوزان موسيقيه ليكون أوقع فى السمع، فلا ينبغى له(ص)أن يقول الشعر و هو رسول من الله و آيه رسالته و متن دعوته القرآن المعجز فى بيانه الذى هو ذكر و قرآن مبين.

و قوله:« إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ »تفسير و توضيح لقوله:« وَ مٰا عَلَّمْنٰاهُ الشِّعْرَ وَ مٰا يَنْبَغِي لَهُ »بما أن لازم معناه أن القرآن ليس بشعر فالحصر المستفاد من

قوله:« إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ »إلخ من قصر القلب و المعنى ليس هو بشعر ما هو إلا ذكر و قرآن مبين.

و معنى كونه ذكرا و قرآنا أنه ذكر مقروء من الله ظاهر ذلك.

قوله تعالى:« لِيُنْذِرَ مَنْ كٰانَ حَيًّا وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكٰافِرِينَ »تعليل متعلق بقوله:« وَ مٰا عَلَّمْنٰاهُ الشِّعْرَ » و المعنى و لم نعلمه الشعر لينذر بالقرآن المنزه من أن يكون شعرا من كان حيا«إلخ»أو متعلق بقوله:« إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ »إلخ و المعنى ليس ما يتلوه على الناس إلا ذكرا و قرآنا مبينا نزلناه إليه لينذر من كان حيا«إلخ»و مآل الوجهين واحد.

و الآيه-كما ترى-تعد غايه إرسال الرسول و إنزال القرآن إنذار من كان حيا- و هو كنايه عن كونه يعقل الحق و يسمعه-و حقيقه القول و وجوبه على الكافرين فمحاذاه الآيه لما فى صدر السوره من الآيات فى هذا المعنى ظاهر.

قوله تعالى:« أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّٰا خَلَقْنٰا لَهُمْ مِمّٰا عَمِلَتْ أَيْدِينٰا أَنْعٰاماً فَهُمْ لَهٰا مٰالِكُونَ » ذكر آيه من آيات التوحيد تدل على ربوبيته تعالى و تدبيره للعالم الإنسانى و هى نظيره ما تقدم فى ضمن آيات التوحيد السابقه من إحياء الأرض الميته بإخراج الحب و الثمرات و تفجير العيون.

و المراد بكون الأنعام مما عملته أيديه تعالى عدم إشراكهم فى خلقها و اختصاصه به تعالى فعمل الأيدى كنايه عن الاختصاص.

و قوله:« فَهُمْ لَهٰا مٰالِكُونَ »تفريع على قوله:« خَلَقْنٰا لَهُمْ »فإن المعنى خلقنا لأجلهم فهى مخلوقه لأجل الإنسان و لازمه اختصاصها به و ينتهى الاختصاص إلى الملك فإن الملك الاعتبارى الذى فى المجتمع من شعب الاختصاص.

و بذلك يظهر ما فى قول بعضهم:إن فى تفرع قوله:« فَهُمْ لَهٰا مٰالِكُونَ »على قوله:« خَلَقْنٰا لَهُمْ »خفاء،و الظاهر تفرعها على مقدر و التقدير خلقناها لهم فهم لها مالكون،و أنت خبير بعدم خفاء تفرعها على« خَلَقْنٰا لَهُمْ »و عدم الحاجه إلى تقدير.

و قيل:الملك بمعنى القدره و القهر،و فيه أنه مفهوم من قوله بعد:« وَ ذَلَّلْنٰاهٰا لَهُمْ »و التأسيس خير من التأكيد.

قوله تعالى:« وَ ذَلَّلْنٰاهٰا لَهُمْ فَمِنْهٰا رَكُوبُهُمْ وَ مِنْهٰا يَأْكُلُونَ »تذليل الأنعام جعلها منقاده لهم غير عاصيه و هو تسخيرها لهم،و الركوب بفتح الراء الحموله كالإبل و البقر، و قوله:« وَ مِنْهٰا يَأْكُلُونَ »أي من لحمها يأكلون.

قوله تعالى:« وَ لَهُمْ فِيهٰا مَنٰافِعُ وَ مَشٰارِبُ أَ فَلاٰ يَشْكُرُونَ »المراد بالمنافع ما ينتفعون به من شعرها و وبرها و جلودها و غير ذلك،و المشارب جمع مشرب-مصدر ميمى بمعنى المفعول-و المراد بها الألبان،و الكلام فى معنى الشكر كالكلام فيما تقدم فى قوله:« وَ مٰا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَ فَلاٰ يَشْكُرُونَ ».

و معنى الآيات الثلاث:أ و لم يعلموا أنا خلقنا لأجلهم و لتدبير أمر حياتهم الدنيا أنعاما من الإبل و البقر و الغنم فتفرع على ذلك أنهم مالكون لها ملكا يصحح لهم أنواع تصرفاتهم فيها من غير معارض،و ذللناها لهم بجعلها مسخره لهم منقاده غير عاصيه فمنها ركوبهم الذى يركبونه،و منها أى من لحومها يأكلون،و لهم فيها منافع ينتفعون بأشعارها و أوبارها و جلودها و مشروبات من ألبانها يشربونها أ فلا يشكرون الله على هذا التدبير الكامل الذى يكشف عن ربوبيته لهم؟أ و لا يعبدونه شكرا لأنعمه؟.

قوله تعالى:« وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ »ضمائر الجمع للمشركين، و المراد بالآلهه الأصنام أو الشياطين و فراعنه البشر دون الملائكه المقربين و الأولياء من الإنسان لعدم ملاءمه ذيل الكلام:« وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ »لذلك.

و إنما اتخذوهم آلهه رجاء أن ينصروا من ناحيتهم لأن عامتهم تتخذ إلها زعما منهم أن تدبير أمره مفوض إلى من اتخذه إلها من خير أو شر فيعبده العابد منهم ليرضيه بعبادته فلا يسخط فيقطع النعمه أو يرسل النقمه.

قوله تعالى:« لاٰ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ »أى لا يستطيع هؤلاء الآلهه الذين اتخذوهم آلهه نصر هؤلاء المشركين لأنهم لا يملكون شيئا من خير أو شر.

و قوله:« وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ »الظاهر أن أول الضميرين للمشركين و ثانيهما للآلهه من دون الله و المراد أن المشركين جند للآلهه و ذلك أن من لوازم معنى الجنديه التبعيه و الملازمه و المشركون هم المعدودون أتباعا لآلهتهم مطيعين لهم دون العكس.

و المراد بالإحضار فى قوله:« مُحْضَرُونَ »الإحضار للجزاء يوم القيامه قال تعالى :

«وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّهِ نَسَباً وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّهُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ:» الصافات:-١٥٨ و قال :

«وَ لَوْ لاٰ نِعْمَهُ رَبِّى لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ:» الصافات:-٥٧.و محصل المعنى لا يستطيع الآلهه المتخذون نصر المشركين و هم أى المشركون لهم أى لآلهتهم أتباع مطيعون محضرون معهم يوم القيامه.

و أما قول القائل:إن المعنى أن المشركين جند لآلهتهم معدون للذب عنهم فى الدنيا،أو إن المعنى و هم أى الآلهه لهم أى للمشركين جند محضرون لعذاب المشركين يوم القيامه لأنهم وقود النار التى يعذب بها المشركون،أو محضرون لعذابهم إظهارا لعجزهم عن النصر أو لإقناط المشركين عن شفاعتهم فهى معان رديئه.

قوله تعالى:« فَلاٰ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنّٰا نَعْلَمُ مٰا يُسِرُّونَ وَ مٰا يُعْلِنُونَ »الفاء لتفريع النهى عن الحزن على حقيقه اتخاذهم الآلهه من دون الله رجاء للنصر أى إذا كان هذا حقيقه حالهم أن الذين استنصروهم لا يستطيعون نصرهم أبدا و أنهم سيحضرون معهم للعذاب فلا يحزنك قولهم ما قالوا به من الشرك فإنا لسنا بغافلين عنهم حتى يعجزونا أو يفسدوا علينا بعض الأمر بل نعلم ما يسرون من أقوالهم و ما يعلنون،و فى تركيب الآيه بعض أقوال رديئه أضربنا عنه.

قوله تعالى:« أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسٰانُ أَنّٰا خَلَقْنٰاهُ مِنْ نُطْفَهٍ فَإِذٰا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ »رجوع إلى ما تقدم من حديث البعث و الاحتجاج عليه إثر إنكارهم،و لا يبعد أن يكون بيانا تفصيليا لقولهم المشار إليه فى قوله تعالى:« فَلاٰ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ »إلخ و المراد بالرؤيه العلم القطعى أى أ و لم يعلم الإنسان علما قاطعا أنا خلقناه من نطفه،و تنكير نطفه للتحقير و الخصيم المصر على خصومته و جداله.

و الاستفهام للتعجب و المعنى من العجيب أن الإنسان يعلم أنا خلقناه من نطفه مهينه فيفاجئه أنه خصيم مجادل مبين.

قوله تعالى:« وَ ضَرَبَ لَنٰا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قٰالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظٰامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ » الرميم البالى من العظام،و« نَسِيَ خَلْقَهُ »حال من فاعل ضرب،و قوله:« قٰالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظٰامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ »بيان للمثل الذى ضربه الإنسان،و لذلك جىء به مفصولا

من غير عطف لأن الكلام فی معنی أن يقال:فما ذا ضرب مثلا؟فقيل قال من يحيی العظام و هی رميم.

و المعنی و ضرب الإنسان لنا مثلا_و قد نسی خلقه من نطفه لأول مره،و لو كان ذاكره لم يضرب المثل الذی ضربه و هو قوله:«من يحيی العظام و هی باليه؟»لأنه كان يرد علی نفسه و يجيب عن المثل الذی ضربه بخلقه الأول كما لقنه الله تعالی لنبيه (ص)جوابا عنه.

قوله تعالی:« قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِی أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ »تلقين الجواب للنبی ص.

الإنشاء هو الإيجاد الابتدائی و تقييده بقوله«« أَوَّلَ مَرَّهٍ »للتأكيد،و قوله:

« وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ »إشاره إلی أنه تعالی لا ينسی و لا يجهل شيئا من خلقه فإذا كان هو خالق هذه العظام لأول مره و هو لا يجهل شيئا مما كانت عليه قبل الموت و بعده فإحياؤه ثانيا بمكان من الإمكان لثبوت القدره و انتفاء الجهل و النسيان.

قوله تعالی:« اَلَّذِی جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نٰاراً فَإِذٰا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ » بيان لقوله:« اَلَّذِی أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّهٍ »و الإيقاد إشعال النار.

و الآيه مسوقه لرفع استبعاد جعل الشیء الموات شيئا ذا حياه و الحياه و الموت متنافيان و الجواب أنه لا استبعاد فيه فإنه هو الذی جعل لكم من الشجر الأخضر الذی يقطر ماء نارا فإذا أنتم منه توقدون و تشعلون النار،و المراد به علی المشهور بين المفسرين شجر (1)المرخ و العفار كانوا يأخذون منهما علی خضرتهما فيجعل العفار زندا أسفل و يجعل المرخ زندا أعلی فيسحق الأعلی علی الأسفل فتنقدح النار بإذن الله فحصول الحی من الميت ليس بأعجب من انقداح النار من الشجره الخضراء و هما متضادان.

قوله تعالی:« أَ وَ لَيْسَ الَّذِی خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِقٰادِرٍ عَلیٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلیٰ وَ هُوَ الْخَلاّٰقُ الْعَلِيمُ »الاستفهام للإنكار و الآيه بيان للحجه السابقه المذكوره فی قوله

1- 1) المرخ بالفتح فالسكون و الخاء المعجمه،و العفار بعين مفتوحه ثم الفاء ثم الراء المهمله شجرتان تشتعلان بسحق أحدهما علی الآخر.

:« قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ »إلخ.ببيان أقرب إلى الذهن و ذلك بتبديل إنشائهم أول مره من خلق السماوات و الأرض الذى هو أكبر من خلق الإنسان كما قال تعالى :«لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ:» المؤمن:-۵۷.

فالآيه فى معنى قولنا:و كيف يمكن أن يقال:إن الله الذى خلق عوالم السماوات و الأرض بما فيها من سعه الخلقه البديعه و عجيب النظام العام المتضمن لما لا يحصى من الأنظمه الجزئيه المدهشه للعقول المحيره للألباب و العالم الإنسانى جزء يسير منها،لا يقدر أن يخلق مثل هؤلاء الناس،بلى و إنه خلاق عليم.

و المراد بمثلهم قيل:هم و أمثالهم و فيه أنه مغاير لمعنى مثل على ما يعرف من اللغه و العرف.

و قيل:المراد بمثلهم هم أنفسهم بنحو الكنايه على حد قولهم:مثلك غنى عن كذا أى أنت غنى عنه،و فيه أنه لو كان كنايه لصح التصريح به لكن لا وجه لقولنا:أ و ليس الذى خلق السماوات و الأرض بقادر على أن يخلقهم فإن الكلام فى بعثهم لا فى خلقهم و المشركون معترفون بأن خالقهم هو الله سبحانه.

و قيل:ضمير« مِثْلَهُمْ »للسماوات و الأرض فإنهما تشملان ما فيهما من العقلاء فأعيد إليهما ضمير العقلاء تغليبا فالمراد أن الله الخالق للعالم قادر على خلق مثله.

و فيه أن المقام مقام إثبات بعث الإنسان لا بعث السماوات و الأرض.على أن الكلام فى الإعاده و خلق مثل الشىء ليس إعاده لعينه بل بالضروره.

فالحق أن يقال:إن المراد بخلق مثلهم إعادتهم للجزاء بعد الموت كما يستفاد من كلام الطبرسى رحمه الله فى مجمع البيان،

بيانه أن الإنسان مركب من نفس و بدن،و البدن فى هذه النشأه فى معرض التحلل و التبدل دائما فهو لا يزال يتغير أجزاؤه و المركب ينتفى بانتفاء أحد أجزائه فهو فى كل آن غيره فى الآن السابق بشخصه و شخصيه الإنسان محفوظه بنفسه-روحه-المجرده المنزهه عن الماده و التغيرات الطارئه من قبلها المأمونه من الموت و الفساد.

و المتحصل من كلامه تعالى أن النفس لا تموت بموت البدن و أنها محفوظه حتى ترجع

إلى الله سبحانه كما تقدم استفادته من قوله تعالى :«وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَ إِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ:» الم السجده:-١١.

فالبدن اللاحق من الإنسان إذا اعتبر بالقياس إلى البدن السابق منه كان مثله لا عينه لكن الإنسان ذا البدن اللاحق إذا قيس إلى الإنسان ذي البدن السابق كان عينه لا مثله لأن الشخصيه بالنفس و هي واحده بعينها.

و لما كان استبعاد المشركين في قولهم:« مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ »راجعا إلى خلق البدن الجديد دون النفس أجاب سبحانه بإثبات إمكان خلق مثلهم و أما عودهم بأعيانهم فهو إنما يتم بتعلق النفوس و الأرواح المحفوظه عند الله بالأبدان المخلوقه جديدا، فيكون الأشخاص الموجودين في الدنيا من الناس بأعيانهم كما قال تعالى :«أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى:» الأحقاف- ٣٣ فعلق الإحياء على الموتى بأعيانهم فقال: عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى و لم يقل:على أن يحيي أمثال الموتى.

قوله تعالى:« إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »الآيه من غرر الآيات القرآنيه تصف كلمه الإيجاد و تبين أنه تعالى لا يحتاج في إيجاد شيء مما أراده إلى ما وراء ذاته المتعاليه من سبب يوجد له ما أراده أو يعينه في إيجاده أو يدفع عنه مانعا يمنعه.

و قد اختلف تعبيره تعالى عن هذه الحقيقه في كلامه فقال :«إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ:» النحل:-٤٠،و قال :«وَ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ:» البقره:-١١٧.

فقوله:« إِنَّما أَمْرُهُ »الظاهر أن المراد بالأمر الشأن،و قوله في آيه النحل المنقوله آنفا:« إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ »إن كان يؤيد كون الأمر بمعنى القول و هو الأمر اللفظي بلفظه كن إلا أن التدبر في الآيات يعطي أن الغرض فيها وصف الشأن الإلهي عند إراده خلق شيء من الأشياء لا بيان أن قوله تعالى عند خلق شيء من الأشياء هذا القول دون غيره،فالوجه حمل القول على الأمر بمعنى الشأن بمعنى أنه جيء به لكونه

مصداقا للشأن لا حمل الأمر على القول بمعنى ما يقابل النهی.

و قوله:« إِذٰا أَرٰادَ شَيْئاً »أی إذا أراد إیجاد شیء کما یعطیه سیاق الآیه و قد ورد فی عده من الآیات القضاء مکان الإراده کقوله:« إِذٰا قَضىٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۱)و لا ضیر فالقضاء هو الحکم و القضاء و الحکم و الإراده من الله شیء واحد و هو کون (۲)الشیء الموجود بحیث لیس له من الله سبحانه إلا أن یوجد فمعنی إذا أردناه إذا أوقفناه موقف تعلق الإراده.

و قوله:« أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ »خبر إنما أمره أی یخاطبه بکلمه کن و من المعلوم أن لیس هناک لفظ یتلفظ به و إلا احتاج فی وجوده إلی لفظ آخر و هلم جرا فیتسلسل و لا أن هناک مخاطبا ذا سمع یسمع الخطاب فیوجد به لأدائه إلی الخلف فالکلام تمثیل لإفاضته تعالی وجود الشیء من غیر حاجه إلی شیء آخر وراء ذاته المتعالیه و من غیر تخلف و لا مهل.

و به یظهر فساد ما ذکره بعضهم حیث قال:الظاهر أن هناک قولا لفظیا هو لفظ کن و إلیه ذهب معظم السلف و شئون الله تعالی وراء ما تصل إلیه الأفهام فدع عنک الکلام و الخصام.انتهی.

و ذلک أن ما ذکره من کون شئونه تعالی وراء طور الأفهام لو أبطل الحجه العقلیه القطعیه بطلت بذلک المعارف الدینیه من أصلها فصحه الکتاب مثلا بما یفیده من المعارف الحقیقیه إنما تثبت بالحجه العقلیه فلو بطلت الحجه العقلیه بکتاب أو سنه أو شیء آخر مما یثبت هو بها لکان ذلک الدلیل المبطل مبطلا لنفسه أولا فلا تزل قدم بعد ثبوتها.

و من المعلوم أن لیس هناک إلا الله عز اسمه و الشیء الذی یوجد لا ثالث بینهما و إسناد العلیه و السببیه إلی-إرادته دونه تعالی و الإراده صفه فعلیه منتزعه من مقام الفعل کما تقدم-یستلزم انقطاع حاجه الأشیاء إلیه تعالی من رأس لاستیجابه استغناء الأشیاء بصفه منتزعه منها عنه تعالی و تقدس.

۱- ۱) البقره:۱۷،آل عمران:۴۷،مریم:۳۵،المؤمن:۶۸.

۲- ۲) فإن هذه الإراده صفه فعلیه خارجه عن الذات منتزعه عن مقام الفعل.

و من المعلوم أن ليس هناك أمر ينفصل عنه تعالى يسمى إيجادا و وجودا ثم يتصل بالشیء فيصير به موجودا و هو ظاهر فليس بعده تعالى إلا وجود الشیء فحسب.

و من هنا يظهر أن كلمه الإيجاد و هی كلمه كن هی وجود الشیء الذی أوجده لكن بما أنه منتسب إليه قائم به و أما من حيث انتسابه إلى نفسه فهو موجود لا إيجاد و مخلوق لا خلق.

و يظهر أيضا أن الذی يفيض منه تعالى لا يقبل مهله و لا نظره و لا يتحمل تبدلا و لا تغيرا،و لا يتلبس بتدريج و ما يتراءى فی الخلق من هذه الأمور إنما يتأتى فی الأشياء فی ناحيه نفسها لا من الجهه التی تلی ربها سبحانه و هذا باب ينفتح منه ألف باب.

و فی الآيات للتلويح إلى هذه الحقائق إشارات لطيفه كقوله تعالى :«كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ قٰالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ:» آل عمران:-٥٩،و قوله تعالى :«وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ:» القمر:٥٠،و قوله تعالى :«وَ كٰانَ أَمْرُ اللّٰهِ قَدَراً مَقْدُوراً:» الأحزاب:-٣٨ إلى غير ذلك.

و قوله فی آخر الآيه:« فَيَكُونُ »بيان لطاعه الشیء المراد له تعالى و امتثاله لأمر« كُنْ »و لبسه الوجود.

قوله تعالى:« فَسُبْحٰانَ الَّذِی بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَیْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » الملكوت مبالغه فی معنى الملك كالرحموت و الرهبوت فی معنى الرحمه و الرهبه.

و انضمام الآيه إلى ما قبلها يعطی أن المراد بالملكوت الجهه التاليه له تعالى من وجهی وجود الأشياء،و بالملك الجهه التاليه للخلق أو الأعم الشامل للوجهين.و عليه يحمل قوله تعالى :«وَ كَذٰلِكَ نُرِی إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ:» الأنعام:-٧٥.و قوله :«أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِی مَلَكُوتِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ:» الأعراف:-١٨٥:و قوله :«قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَیْءٍ:» المؤمنون:-٨٨.

و جعل الملكوت بيده تعالى للدلاله على أنه متسلط عليها لا نصيب فيها لغيره.

و مآل المعنى قوله:« فَسُبْحٰانَ الَّذِی بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَیْءٍ »تنزيهه تعالى عما استبعدوا منكرين للمعاد لغفلتهم عن أن ملكوت كل شیء بيده و فی قبضته.

و قوله:« وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »خطاب لعامه الناس من مؤمن و مشرک،و بیان لنتیجه البیان السابق بعد التنزیه.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« وَ مٰا عَلَّمْنٰاهُ الشِّعْرَ وَ مٰا یَنْبَغِی لَهُ »الآیه-قال:

کانت قریش تقول:إن هـذا الذی یقوله محمد شـعر-فرد الله علیهم فقال:« وَ مٰا عَلَّمْنٰاهُ الشِّعْرَ وَ مٰا یَنْبَغِی لَهُ-إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِکْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِینٌ »و لم یقل رسول الله ص شعرا قط.

و فی المجمع،روی عن الحسن": أن رسول الله ص کان یتمثل بهذا البیت:کفی الإسـلام و الشـیب للمرء ناهیا-فقال له أبو بکر:یا رسول الله إنما قال:کفی الشیب و الإسلام للمرء ناهیا-و أشهد أنک رسول الله-و ما علمک الله الشعر و ما ینبغی لک.

و فیه،عن عائشه أنها قالت": کان رسول الله ص یتمثل ببیت أخی بنی قیس:

ستبدی لک الأیام ما کنت جاهلا

و یأتیک بالأخبار من لم تزود

فجعل یقول:و یأتیک من لم تزود بالأخبار-فیقول أبو بکر:لیس هکذا یا رسول الله-فیقول:إنی لست بشاعر و لا ینبغی لی:.

أقول:و روی فی الدر المنثور،الخبرین عن الحسن و عائشه کما رواه

و روی فی الدر المنثور غیر ذلک مما تمثل به(ص).

و قال فی المجمع،فأما قوله:

أنا النبی لا کذب

أنا ابن عبد المطلب

فقـد قـال قوم:إن هـذا لیس بشـعر،و قـال آخرون: إنمـا هو اتفاق منه و لیس یقصـد إلی شـعر انتهی.و البیت منقول عنه(ص)و قد أکثروا من البحث فیه و طرح الروایه أهون من نفی کونه شعرا أو شعرا مقصودا إلیه.

و فیه،: فی قوله تعالی:« لِیُنْذِرَ مَنْ کٰانَ حَیًّا »الآیه-و یجوز أن یکون المراد بمن کان حیا عاقلا: و روی ذلک عن علی(ع) .

و فی تفسیر القمی،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله تعالی:

« وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ -إلی قوله- مُحْضَرُونَ »یقول:لا تستطیع الآلهه لهم نصرا- و هم للآلهه جند محضرون.

و عن تفسیر العیاشی،عن الحلبی عن أبی عبد الله(ع)قال: جاء أبی بن خلف فأخذ عظما بالیا من حائط ففته ثم قال:إذا کنا عظاما و رفاتا أ إنا لمبعوثون خلقا؟ فأنزل الله: قالَ مَنْ یُحْیِ الْعِظامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ- قُلْ یُحْیِیهَا الَّذِی أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ .:

أقول:و روی مثله فی الدر المنثور،بطرق کثیره عن ابن عباس و عروه بن الزبیر- و عن قتاده و السدی و عکرمه و روی أیضا عن ابن عباس":أن القائل هو العاص بن وائل-و بطریق آخر عنه-أن القائل هو عبد الله بن أبی.

و فی الإحتجاج،فی احتجاج أبی عبد الله الصادق(ع): قال السائل:أ فیتلاشی الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟قال(ص):بل هو باق إلی وقت ینفخ فی الصور -فعند ذلک تبطل الأشیاء و تنفی فلا حس و لا محسوس-ثم أعیدت الأشیاء کما بدأها مدبرها-و ذلک أربعمائه سنه یسبت فیها الخلق-و ذلک بین النفختین.

قال:و أنی له بالبعث و البدن قد بلی-و الأعضاء قد تفرقت فعضو ببلده تأکله سباعها-و عضو بأخری تمزقه هوامها-و عضو قد صار ترابا یبنی به مع الطین فی حائط.

قال(ص):إن الذی أنشأه من غیر شیء-و صوره علی غیر مثال-کان سبق إلیه قادر أن یعیده کما بدأه.

قال:أوضح لی ذلک.قال(ص):إن الروح مقیمه فی مکانها-روح المحسن فی ضیاء و فسحه،و روح المسیء فی ضیق و ظلمه-و البدن یصیر ترابا کما منه خلق-و ما تقذف به السباع و الهوام من أجوافها-فما أکلته و مزقته کل ذلک فی التراب محفوظ-عند من لا یعزب عنه مثقال ذره فی ظلمات الأرض-و یعلم عدد الأشیاء و وزنها-و إن تراب الروحانیین بمنزله الذهب فی التراب.

فإذا کان حین البعث مطرت الأرض مطر النشور-فتربو الأرض ثم تمخض مخض السقاء-فیصیر تراب البشر کمصیر الذهب من التراب-إذا غسل بالماء و الزبد من اللبن إذا مخض

فیجتمع تراب کل قالب إلی قالبه-فینتقل بإذن الله القادر إلی حیث الروح-فتعود الصور بإذن المصور کهیئتها و یلج الروح فیها-فإذا قد استوی لا ینکر من نفسه شیئا.

و فی نهج البلاغه،: یقول لما أراد کونه:کن فیکون،لا بصوت یقرع و لا نداء یسمع-و إنما کلامه سبحانه فعل منه أنشأه -و مثله لم یکن من قبل ذلک کائنا-و لو کان قدیما لکان إلها ثانیا.

و فیه،: یقول و لا یلفظ و یرید و لا یضمر.

و فی الکافی،بإسناده عن صفوان بن یحیی قال.: قلت لأبی الحسن(ع):أخبرنی عن الإراده من الله و من الخلق-قال:فقال:الإراده من الخلق الضمیر-و ما یبدو لهم بعد ذلک من الفعل،و أما من الله فإرادته إحداثه لا غیر ذلک-لأنه لا یروی و لا یهم و لا یتفکر،و هذه الصفات منفیه عنه و هی صفات الخلق.

فإراده الله الفعل لا غیر ذلک-یقول له:کن فیکون بلا لفظ و لا نطق بلسان-و لا همه و لا تفکر و لا کیف لذلک کما أنه لا کیف له.

أقول:و الروایات عنهم(ع)فی کون إرادته من صفات الفعل مستفیضه.

(۳۷)سوره الصافات مکیه و هی مائه و اثنان و ثمانون آیه(۱۸۲)

[سوره الصافات (۳۷): الآیات ۱ الی ۱۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

وَ اَلصَّافّٰاتِ صَفًّا (۱) فَالزّٰاجِرٰاتِ زَجْراً (۲) فَالتّٰالِیٰاتِ ذِکْراً (۳) إِنَّ إِلٰهَکُمْ لَوٰاحِدٌ (۴) رَبُّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا وَ رَبُّ اَلْمَشٰارِقِ (۵) إِنّٰا زَیَّنَّا اَلسَّمٰاءَ اَلدُّنْیٰا بِزِینَهٍ اَلْکَوٰاکِبِ (۶) وَ حِفْظاً مِنْ کُلِّ شَیْطٰانٍ مٰارِدٍ (۷) لاٰ یَسَّمَّعُونَ إِلَی اَلْمَلَإِ اَلْأَعْلیٰ وَ یُقْذَفُونَ مِنْ کُلِّ جٰانِبٍ (۸) دُحُوراً وَ لَهُمْ عَذٰابٌ وٰاصِبٌ (۹) إِلاّٰ مَنْ خَطِفَ اَلْخَطْفَهَ فَأَتْبَعَهُ شِهٰابٌ ثٰاقِبٌ (۱۰) فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنٰا إِنّٰا خَلَقْنٰاهُمْ مِنْ طِینٍ لاٰزِبٍ (۱۱)

(بيان)

فی السوره احتجاج علی التوحید،و إنذار للمشرکین و تبشیر للمخلصین من المؤمنین،و بیان ما یئول إلیه حال کل من الفریقین ثم ذکر عده من عباده المؤمنین ممن من الله علیهم و قضی أن ینصرهم علی عدوهم،و فی خاتمه السوره ما هو بمنزله محصل الغرض منها و هو تنزیهه و السلام علی عباده المرسلین و تحمیده تعالی فیما فعل و السوره مکیه بشهاده سیاقها.

قوله تعالی:« وَ الصَّافّاتِ صَفًّا فَالزّاجِراتِ زَجْراً فَالتّالِياتِ ذِکْراً » الصافات -علی ما قیل-جمع صافه و هی جمع صاف،و المراد بها علی أی حال الجماعه التی تصطف أفرادها و الزاجرات من الزجر و هو الصرف عن الشیء بالتخویف بذم أو عقاب و التالیات من التلاوه بمعنی القراءه.

و قد أقسم الله تعالی بهذه الطوائف الثلاث:الصافات و الزاجرات و التالیات و قد اختلفت کلماتهم فی المراد بها:

فأما الصافات فقیل:إن المراد بها الملائکه تصف أنفسها فی السماء صفوفا کصفوف المؤمنین فی الصلاه،و قیل:إنها الملائکه تصف أجنحتها فی الهواء إذا أرادت النزول إلی الأرض واقفه فی انتظار أمر الله تعالی،و قیل:إنها الجماعه من المؤمنین یقومون فی الصلاه أو فی الجهاد مصطفین.

و أما الزاجرات فقیل:إنها الملائکه تزجر العباد عن المعاصی فیوصله الله إلی قلوب الناس فی صوره الخطرات کما یوصل وساوس الشیاطین،و قیل:إنها الملائکه الموکله بالسحاب تزجرها و تسوقها إلی حیث أراد الله سبحانه،و قیل:هی زواجر

القرآن و هی آیاته الناهیه عن القبائح،و قیل:هم المؤمنون یرفعون أصواتهم بالقرآن عند قراءته فیزجرون الناس عن المنهیات.

و أما التالیات فقیل:هم الملائکه یتلون الوحی علی النبی الموحی إلیه،و قیل:

هی الملائکه تتلو الکتاب الذی کتبه الله و فیها ذکر الحوادث،و قیل:جماعه قراء القرآن یتلونه فی الصلاه.

و یحتمل-و الله العالم-أن یکون المراد بالطوائف الثلاث المذکوره فی الآیات طوائف الملائکه النازلین بالوحی المأمورین بتأمین الطریق و دفع الشیاطین عن المداخله فیه و إیصاله إلی النبی مطلقا أو خصوص محمد ص کما یستفاد من قوله تعالی :«عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْلُکُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً لِیَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحاطَ بِما لَدَیْهِمْ:» الجن:-۲۸.

و علیه فالمعنی أقسم بالملائکه الذین یصفون فی طریق الوحی صفا فبالذین یزجرون الشیاطین و یمنعونهم عن المداخله فی الوحی فبالذین یتلون علی النبی الذکر و هو مطلق الوحی أو خصوص القرآن کما یؤیده التعبیر عنه بتلاوه الذکر.

و یؤید ما ذکرنا وقوع حدیث رمی الشیاطین بالشهب بعد هذه الآیات،و کذا قوله بعد:« فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا »الآیه کما سنشیر إلیه.

و لا ینافی ذلک إسناد النزول بالقرآن إلی جبرئیل وحده فی قوله :«مَنْ کانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلی قَلْبِکَ:» البقره:-۹۷ و قوله :«نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ:» الشعراء:-۱۹۴ لأن الملائکه المذکورین أعوان جبرئیل فنزولهم به نزوله به و قد قال تعالی :«فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَهٍ مَرْفُوعَهٍ مُطَهَّرَهٍ بِأَیْدِی سَفَرَهٍ کِرامٍ بَرَرَهٍ:» عبس:- ۱۶،و قال حکایه عنهم :«وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلاّ بِأَمْرِ رَبِّکَ:» مریم:-۶۴،و قال :«وَ إِنّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَ إِنّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ:» الصافات:-۱۶۶ و هذا کنسبه التوفی إلی الرسل من الملائکه فی قوله :«حَتّی إِذا جاءَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا:» الأنعام:-۶۱ و إلی ملک الموت و هو رئیسهم فی قوله :«قُلْ یَتَوَفّاکُمْ مَلَکُ الْمَوْتِ الَّذِی وُکِّلَ بِکُمْ:» السجده:-۱۱.

و لا ضیر فی التعبیر عن الملائکه بلفظ الإناث:الصافات و الزاجرات و التالیات

لأن موصوفها الجماعه،و التأنيث لفظی.

و هذه أول سوره فی القرآن صدرت بالقسم و قد أقسم الله سبحانه فی کلامه بکثیر من خلقه کالسماء و الأرض و الشمس و القمر و النجم و اللیل و النهار و الملائکه و الناس و البلاد و الأثمار،و لیس ذلک إلا لما فیها من الشرف باستناد خلقها إلیه تعالی و هو قیومها المنبع لکل شرف و بهاء.

قوله تعالی:« إِنَّ إِلٰهَکُمْ لَوٰاحِدٌ »الخطاب لعامه الناس و هو مقسم به، و هو کلام مسوق بدلیل کما سیأتی.

قوله تعالی:« رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا وَ رَبُّ الْمَشٰارِقِ »خبر بعد خبر لأن،أو خبر لمبتدإ محذوف و التقدیر هو رب السماوات«إلخ»أو بدل من واحد.

و فی سوق الأوصاف إشعار بعله کون الإله واحدا کما أن خصوصیه القسم مشعر بعله کونه رب السماوات و الأرض و ما بینهما.

کأنه قیل إن إلهکم لواحد لأن الملاک فی ألوهیه الإله و هی کونه معبودا بالحق أن یکون ربا یدبر الأمر علی ما تعترفون و هو سبحانه رب السماوات و الأرض و ما بینهما الذی یدبر أمرها و یتصرف فی جمیعها.

و کیف لا؟و هو تعالی یوحی إلی نبیه فیتصرف فی السماء و سکانها بإرسال ملائکه یصطفون بینها و بین الأرض و هناک مجال الشیاطین فیزجرونهم و هو تصرف منه فیما بین السماء و الأرض و فی الشیاطین ثم یتلون الذکر علی نبیه و فیه تکمیل للناس و تربیه لهم سواء صدقوا أم کذبوا ففی الوحی تصرف منه فی السماوات و الأرض و ما بینهما فهو علی وحدانیته رب الجمیع المدبر لأمرها و الإله الواحد.

و قوله:« وَ رَبُّ الْمَشٰارِقِ »أی مشارق الشمس باختلاف الفصول أو المراد مشارق مطلق النجوم أو مطلق المشارق،و فی تخصیص المشارق بالذکر مناسبه لطلوع الوحی بملائکته من السماء و قد قال تعالی :«وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِینِ:» التکویر-۲۳، و قال :«وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلیٰ:» النجم:-۷.

قوله تعالی:« إِنّٰا زَیَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْیٰا بِزِینَهٍ الْکَوٰاکِبِ »المراد بالزینه ما یزین به،

و الكواكب بيان أو بدل من الزينه و قد تكرر حديث تزيين السماء الدنيا بزينه الكواكب فى كلامه كقوله :«وَ زَيَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْيٰا بِمَصٰابِيحَ:» حم السجده:-١٢ و قوله :

«وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْيٰا بِمَصٰابِيحَ:» الملك:-٥،و قوله :«أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمٰاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنٰاهٰا وَ زَيَّنّٰاهٰا:» ق:-۶.

و لا يخلو من ظهور فى كون السماء الدنيا من السماوات السبع التى يذكرها القرآن هو عالم الكواكب فوق الأرض و إن وجهه بعضهم بما يوافق مقتضى الهيئه القديمه أو الجديده.

قوله تعالى:« وَ حِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطٰانٍ مٰارِدٍ »حفظا مفعول مطلق لفعل محذوف و التقدير و حفظناها حفظا من كل شيطان مارد،و المراد بالشيطان الشرير من الجن و المارد الخبيث العارى من الخير.

قوله تعالى:« لاٰ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلىٰ وَ يُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جٰانِبٍ »أصل « لاٰ يَسَّمَّعُونَ »لا يتسمعون و التسمع الإصغاء،و هو كنايه عن كونهم ممنوعين مدحورين و بهذه العنايه صار وصفا لكل شيطان و لو كان بمعنى الإصغاء صريحا أفاد لغوا من الفعل إذ لو كانوا لا يصغون لم يكن وجه لقذفهم.

و الملأ من الناس الأشراف منهم الذين يملئون العيون،و الملأ الأعلى هم الذين يريد الشياطين التسمع إليهم و هم الملائكه الكرام الذين هم سكنه السماوات العلى على ما يدل عليه كلامه تعالى كقوله :«لَنَزَّلْنٰا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمٰاءِ مَلَكاً رَسُولاً:» الإسراء:-٩٥.

و قصدهم من التسمع إلى الملإ الأعلى الاطلاع على أخبار الغيب المستوره عن هذا العالم الأرضى كالحوادث المستقبله و الأسرار المكنونه كما يشير إليه قوله تعالى :«وَ مٰا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيٰاطِينُ وَ مٰا يَنْبَغِي لَهُمْ وَ مٰا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ:» الشعراء:- ٢١٢،و قوله حكايه عن الجن :«وَ أَنّٰا لَمَسْنَا السَّمٰاءَ فَوَجَدْنٰاهٰا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً وَ أَنّٰا كُنّٰا نَقْعُدُ مِنْهٰا مَقٰاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهٰاباً رَصَداً:» الجن:-٩.

و قوله:« وَ يُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جٰانِبٍ » القذف الرمى و الجانب الجهه.

قوله تعالى:« دُحُوراً وَ لَهُمْ عَذٰابٌ وٰاصِبٌ » الدحور الطرد و الدفع،و هو مصدر بمعنى المفعول منصوب حالا أى مدحورين أو مفعول له أو مفعول مطلق،و الواصب الواجب اللازم.

قوله تعالی:« إِلاّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَهَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ » الخطفه الاختلاس و الاستلاب،و الشهاب ما یری فی الجو کالکوکب المنقض،و الثقوب الرکوز و سمی الشهاب ثاقبا لأنه لا یخطئ هدفه و غرضه.

و المراد بالخطفه اختلاس السمع و قد عبر عنه فی موضع آخر باستراق السمع قال تعالی :«إِلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِینٌ:» الحجر:-۱۸،و الاستثناء من ضمیر الفاعل فی قوله:« لا یَسَّمَّعُونَ »و جوز بعضهم کون الاستثناء منقطعا.

و معنی الآیات الخمس:أنا زینا السماء التی هی أقرب السماوات منکم-أو السماء السفلی بزینه و هی الکواکب،و حفظناها حفظا من کل شیطان خبیث عار من الخیر ممنوعین من الإصغاء إلی الملإ الأعلی-للاطلاع إلی ما یلقون بین أنفسهم من أخبار الغیب- و یرمون من کل جهه حال کونهم مطرودین و لهم عذاب لازم لا یفارقهم إلا من اختلس من أخبارهم الاختلاسه فأتبعه شهاب ثاقب لا یخطئ غرضه.

(کلام فی معنی الشهب)

أورد المفسرون أنواعا من التوجیه لتصویر استراق السمع من الشیاطین و رمیهم بالشهب و هی مبنیه علی ما یسبق إلی الذهن من ظاهر الآیات و الأخبار أن هناک أفلاکا محیطه بالأرض تسکنها جماعات الملائکه و لها أبواب لا یلج فیها شیء إلا منها و أن فی السماء الأولی جمعا من الملائکه بأیدیهم الشهب یرصدون المسترقین للسمع من الشیاطین فیقذفونهم بالشهب.

و قد اتضح الیوم اتضاح عیان بطلان هذه الآراء و یتفرع علی ذلک بطلان الوجوه التی أوردوها فی تفسیر الشهب و هی وجوه کثیره أودعوها فی المطولات کالتفسیر الکبیر،للرازی و روح المعانی،للآلوسی و غیرهما.

و یحتمل-و الله العالم أن هذه البیانات فی کلامه تعالی من قبیل الأمثال المضروبه تصور بها الحقائق الخارجه عن الحس فی صوره المحسوس لتقریبها من الحس و هو القائل عز و جل :«وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما یَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ:» العنکبوت:-۴۳.

و هو كثير فى كلامه تعالى و منه العرش و الكرسى و اللوح و الكتاب و قد تقدمت الإشاره إليها و سيجىء بعض منها.

و على هذا يكون المراد من السماء التى تسكنها الملائكه عالما ملكوتيا ذا أفق أعلى نسبته إلى هذا العالم المشهود نسبه السماء المحسوسه بأجرامها إلى الأرض،و المراد باقتراب الشياطين من السماء و استراقهم السمع و قذفهم بالشهب اقترابهم من عالم الملائكه للاطلاع على أسرار الخلقه و الحوادث المستقبله و رميهم بما لا يطيقونه من نور الملكوت، أو كرتهم على الحق لتلبيسه و رمى الملائكه إياهم بالحق الذى يبطل أباطيلهم.

و إيراده تعالى قصه استراق الشياطين للسمع و رميهم بالشهب عقيب الإقسام بملائكه الوحى و حفظهم إياه عن مداخله الشياطين لا يخلو من تأييد لما ذكرناه و الله أعلم.

[بيان]

قوله تعالى:« فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا إِنّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ » اللازب الملتزق بعضه ببعض بحيث يلزمه ما جاوره،و قال فى مجمع البيان،:اللازب و اللازم بمعنى.انتهى.

و المراد بقوله:« مَنْ خَلَقْنا »إما الملائكه المشار إليهم فى الآيات السابقه و هم حفظه الوحى و رماه الشهب،و إما غير الناس من الخلق العظيم كالسماوات و الأرض و الملائكه،و التعبير بلفظ أولى العقل للتغليب.

و المعنى:فإذا كان الله هو رب السماوات و الأرض و ما بينهما و الملائكه فاسألهم أن يفتوا أ هم أشد خلقا أم غيرهم ممن خلقنا فهم أضعف خلقا لأنا خلقناهم من طين ملتزق فليسوا بمعجزين لنا.

(بحث روائى)

فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« وَ الصّافّاتِ صَفًّا »قال:الملائكه و الأنبياء.

و فيه،عن أبيه و يعقوب بن يزيد عن ابن أبى عمير عن بعض أصحابنا عن أبى عبد الله(ع)قال:قال أمير المؤمنين(ع): إن هذه النجوم التى فى السماء- مدائن مثل المدائن التى فى الأرض. الحديث.

و فيه،فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع)قال: « عَذابٌ واصِبٌ »

أى دائم موجع قد وصل إلى قلوبهم.

و فيه،عن النبى ص:فى حديث المعراج:قال: فصعد جبرئيل و صعدت معه إلى سماء الدنيا-و عليها ملك يقال له:إسماعيل-و هو صاحب الخطفه التى قال الله عز و جل:

« إِلاّٰ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهٰابٌ ثٰاقِبٌ »و تحته سبعون ألف ملك-تحت كل ملك سبعون ألف ملك. الحديث.

أقول:و الروايات فى هذا الباب كثيره أوردنا بعضا منها فى تفسير قوله تعالى :

«إِلاّٰ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهٰابٌ مُبِينٌ:» الحجر:-١٨ و سيأتى بعضها فى تفسير سورتى الملك و الجن إن شاء الله تعالى.

و فى نهج البلاغه،: ثم جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها و عذبها-و سبخها تربه سنها بالماء حتى خلصت-و لاطها بالبله حتى لزبت.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٢ الى ٧٠]

اشاره

بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْخَرُونَ (١٢) وَ إِذٰا ذُكِّرُوا لاٰ يَذْكُرُونَ (١٣) وَ إِذٰا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَ قٰالُوا إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥) أَ إِذٰا مِتْنٰا وَ كُنّٰا تُرٰاباً وَ عِظٰاماً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَ وَ آبٰاؤُنَا اَلْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَ أَنْتُمْ دٰاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمٰا هِيَ زَجْرَةٌ وٰاحِدَةٌ فَإِذٰا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) وَ قٰالُوا يٰا وَيْلَنٰا هٰذٰا يَوْمُ اَلدِّينِ (٢٠) هٰذٰا يَوْمُ اَلْفَصْلِ اَلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) اُحْشُرُوا اَلَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوٰاجَهُمْ وَ مٰا كٰانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اَللّٰهِ فَاهْدُوهُمْ إِلىٰ صِرٰاطِ اَلْجَحِيمِ (٢٣) وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ (٢٤) مٰا لَكُمْ لاٰ تَنٰاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ اَلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَسٰاءَلُونَ (٢٧) قٰالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنٰا عَنِ اَلْيَمِينِ (٢٨) قٰالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَ مٰا كٰانَ لَنٰا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طٰاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنٰا قَوْلُ رَبِّنٰا إِنّٰا لَذٰائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنٰاكُمْ إِنّٰا كُنّٰا غٰاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي اَلْعَذٰابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنّٰا كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كٰانُوا إِذٰا قِيلَ لَهُمْ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ اَللّٰهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَ يَقُولُونَ أَ إِنّٰا لَتٰارِكُوا آلِهَتِنٰا لِشٰاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جٰاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ اَلْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذٰائِقُوا اَلْعَذٰابِ اَلْأَلِيمِ (٣٨) وَ مٰا تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلاّٰ عِبٰادَ اَللّٰهِ اَلْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوٰاكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنّٰاتِ اَلنَّعِيمِ (٤٣) عَلىٰ سُرُرٍ مُتَقٰابِلِينَ (٤٤) يُطٰافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيْضٰاءَ لَذَّةٍ لِلشّٰارِبِينَ (٤٦) لاٰ فِيهٰا غَوْلٌ وَ لاٰ هُمْ عَنْهٰا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَ عِنْدَهُمْ قٰاصِرٰاتُ اَلطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَسٰاءَلُونَ (٥٠) قٰالَ قٰائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كٰانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَ إِنَّكَ لَمِنَ اَلْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَ إِذٰا مِتْنٰا وَ كُنّٰا تُرٰاباً وَ عِظٰاماً أَ إِنّٰا لَمَدِينُونَ (٥٣) قٰالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوٰاءِ اَلْجَحِيمِ (٥٥) قٰالَ تَاللّٰهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَ لَوْ لاٰ نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ اَلْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَ فَمٰا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلاّٰ مَوْتَتَنَا اَلْأُولىٰ وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هٰذٰا فَلْيَعْمَلِ اَلْعٰامِلُونَ (٦١) أَ ذٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ اَلزَّقُّومِ (٦٢) إِنّٰا جَعَلْنٰاهٰا فِتْنَةً لِلظّٰالِمِينَ (٦٣) إِنَّهٰا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ اَلْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهٰا كَأَنَّهُ رُؤُسُ اَلشَّيٰاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهٰا فَمٰالِؤُنَ مِنْهَا اَلْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهٰا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى اَلْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبٰاءَهُمْ ضٰالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلىٰ آثٰارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠)

(بیان)

حکایه استهزائهم بآیات الله و بعض أقاویلهم المبنیه علی الکفر و إنکار المعاد و الرد علیهم بتقریر أمر البعث و ما یجری علیهم فیه من الشده و ألوان العذاب و ما یکرم الله به عباده المخلصین من النعمه و الکرامه.

و فیها ذکر تخاصم أهل النار یوم القیامه،و ذکر محادثه بین أهل الجنه و أخری بین بعضهم و بعض أهل النار.

قوله تعالی:« بَلْ عَجِبْتَ وَ یَسْخَرُونَ وَ إِذٰا ذُکِّرُوا لاٰ یَذْکُرُونَ »أی بل عجبت یا محمد من تکذیبهم إیاک مع دعوتک إیاهم إلی کلمه الحق،و هم یسخرون و یهزءون من تعجبک منهم أو من دعائک إیاهم إلی الحق،و إذا ذکروا بآیات الله الداله علی التوحید و دین الحق لا یذکرون و لا یتنبهون.

قوله تعالی:« وَ إِذٰا رَأَوْا آیَهً یَسْتَسْخِرُونَ »فی مجمع البیان،:سخر و استسخر بمعنی واحد.انتهی.

و المعنی:و إذا رأوا هؤلاء المشرکون أیه معجزه من آیات الله المعجزه کالقرآن و شق القمر یستهزءون بها.

قوله تعالی:« وَ قٰالُوا إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ سِحْرٌ مُبِینٌ »فی إشارتهم إلی الآیه بلفظه هذا إشعار منهم أنهم لا یفقهون منها إلا أنها شیء ما من غیر زیاده و هو من أقوی الإهانه و الاستسخار.

قوله تعالی:« أَ إِذٰا مِتْنٰا وَ کُنّٰا تُرٰاباً وَ عِظٰاماً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ أَ وَ آبٰاؤُنَا الْأَوَّلُونَ » إنکار منهم للبعث مبنی علی الاستبعاد فمن المستبعد عند الوهم أن یموت الإنسان فیتلاشی بدنه و یعود ترابا و عظاما ثم یعود إلی صورته الأولی.

و من الدلیل علی أن الکلام مسوق لإفاده الاستبعاد تکرارهم الاستفهام الإنکاری

بالنسبه إلى آبائهم الأولين فإن استبعاد الوهم لبعثهم و قد انمحت رسومهم و لم يبق منهم إلا أحاديث أشد و أقوى من استبعاده بعثهم أنفسهم.

و لو كان إنكارهم البعث مبنيا على أنهم ينعدمون بالموت فتستحيل إعادتهم كان الحكم فيهم و فى آبائهم على نهج واحد و لم يحتج إلى تجديد استفهام بالنسبه إلى آبائهم.

قوله تعالى:« قُلْ نَعَمْ وَ أَنْتُمْ دٰاخِرُونَ فَإِنَّمٰا هِيَ زَجْرَةٌ وٰاحِدَةٌ فَإِذٰا هُمْ يَنْظُرُونَ » أمر تعالى نبيه ص أن يجيبهم بأنهم مبعوثون.

و قوله:« وَ أَنْتُمْ دٰاخِرُونَ »أى صاغرون مهانون أذلاء،و هذا فى الحقيقه احتجاج بعموم القدره و نفوذ الإراده من غير مهله،فإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون و لذا عقبه بقوله:« فَإِنَّمٰا هِيَ زَجْرَةٌ وٰاحِدَةٌ فَإِذٰا هُمْ يَنْظُرُونَ »و قد قال تعالى :

«وَ لِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا أَمْرُ السّٰاعَةِ إِلاّٰ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ:» النحل-٧٧.

و قوله:« فَإِنَّمٰا هِيَ زَجْرَةٌ وٰاحِدَةٌ »إلخ الفاء لإفاده التعليل و الجمله تعليل لقوله:

« وَ أَنْتُمْ دٰاخِرُونَ »و فى التعبير بزجره إشعار باستذلالهم.

قوله تعالى:« وَ قٰالُوا يٰا وَيْلَنٰا هٰذٰا يَوْمُ الدِّينِ هٰذٰا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ » معطوف على قوله:« يَنْظُرُونَ »المشعر بأنهم مبهوتون مدهوشون متفكرون ثم يتنبهون بكونه يوم البعث فيه الدين و الجزاء و هم يحذرون منه بما كفروا و كذبوا و لذا قالوا:يوم الدين،و لم يقولوا يوم البعث،و التعبير بالماضى لتحقق الوقوع.

و قوله:« هٰذٰا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ »قيل هو كلام بعضهم لبعض و قيل:كلام الملائكه أو كلامه تعالى لهم،و يؤيده الآيه التاليه،و الفصل هو التمييز بين الشيئين و سمى يوم الفصل لكونه يوم التمييز بين الحق و الباطل بقضائه و حكمه تعالى أو التمييز بين المجرمين و المتقين قال تعالى :«وَ امْتٰازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ:» يس:-٥٩.

قوله تعالى:« اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوٰاجَهُمْ وَ مٰا كٰانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَاهْدُوهُمْ إِلىٰ صِرٰاطِ الْجَحِيمِ »من كلامه تعالى للملائكه و المعنى و قلنا للملائكه:احشروهم و قيل:هو من كلام الملائكه بعضهم لبعض.

و الحشر -علی ما ذکره الراغب-إخراج الجماعه عن مقرهم و إزعاجهم عنه إلی الحرب و نحوها.

و المراد بالذین ظلموا علی ما یؤیده آخر الآیه المشرکون و لا کل المشرکین بل المعاندون للحق الصادون عنه منهم قال تعالی :«فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَیْنَهُمْ أَنْ لَعْنَهُ اللّٰهِ عَلَی الظّٰالِمِینَ اَلَّذِینَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ وَ یَبْغُونَهٰا عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ کٰافِرُونَ:» الأعراف:-۴۴ ۴۵، و التعبیر بالماضی فی المقام یفید فائده الوصف فلیس المراد بالذین ظلموا من تحقق منه ظلم ما و لو مره واحده بل تعریف لهم بحاصل ما اکتسبوا فی حیاتهم الدنیا کما لو قیل:

ما ذا فعل فلان فی حیاته فیقال ظلم،فالفعل یفید فائده الوصف،و فی کلامه تعالی من ذلک شیء کثیر کقوله تعالی :«وَ سِیقَ الَّذِینَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَی الْجَنَّهِ زُمَراً:» الزمر:-۷۳:«و قوله وَ سِیقَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِلیٰ جَهَنَّمَ زُمَراً:» الزمر:-۷۱ و قوله :«لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا الْحُسْنیٰ وَ زِیٰادَهٌ:» یونس-۲۶.

و قوله:« وَ أَزْوٰاجَهُمْ »الظاهر أن المراد به قرناؤهم من الشیاطین قال تعالی :

«وَ مَنْ یَعْشُ عَنْ ذِکْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَیِّضْ لَهُ شَیْطٰاناً فَهُوَ لَهُ قَرِینٌ -Xإلی أن قالX- حَتّٰی إِذٰا جٰاءَنٰا قٰالَ یٰا لَیْتَ بَیْنِی وَ بَیْنَکَ بُعْدَ الْمَشْرِقَیْنِ فَبِئْسَ الْقَرِینُ:» الزخرف:-۳۸.

و قیل:المراد بالأزواج الأشباه و النظائر فأصحاب الزنا یحشرون مع أصحاب الزنا و أصحاب الخمر مع أصحاب الخمر و هکذا.

و فیه أن لازمه أن یراد بالذین ظلموا طائفه خاصه من أصحاب کل معصیه و اللفظ لا یساعد علیه علی أن ذیل الآیه لا یناسبه.

و قیل:المراد بالأزواج نساؤهم الکافرات و هو ضعیف کسابقه.

و قوله:« وَ مٰا کٰانُوا یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ »الظاهر أن المراد به الأصنام التی یعبدونها نظرا إلی ظاهر لفظه« مٰا »فالآیه نظیره قوله :«إِنَّکُمْ وَ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ:» الأنبیاء:-۹۸.

و یمکن أن یکون المراد بلفظه« مٰا »ما یعم أولی العقل من المعبودین کالفراعنه و النمارده،و أما الملائکه المعبودون و المسیح(ع)فیخرجهم من العموم قوله

تعالی :«إِنَّ الَّذِینَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنیٰ أُولٰئِکَ عَنْهٰا مُبْعَدُونَ:» الأنبیاء:-۱۰۱.

و قوله:« فَاهْدُوهُمْ إِلیٰ صِرٰاطِ الْجَحِیمِ » الجحیم من أسماء جهنم من أسماء جهنم فی القرآن و هو من الجحمه بمعنی شده تأجج النار علی ما ذکره الراغب.

و المراد بهدایتهم إلی صراطها إیصالهم إلیه و إیقاعهم فیه بالسوق،و قیل:

تسمیه ذلک بالهدایه من الاستهزاء،و قال فی مجمع البیان:،إنما عبر عن ذلک بالهدایه من حیث کان بدلا من الهدایه إلی الجنه کقوله:« فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِیمٍ »من حیث إن هذه البشاره وقعت لهم بدلا من البشاره بالنعیم.انتهی.

قوله تعالی:« وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ مٰا لَکُمْ لاٰ تَنٰاصَرُونَ بَلْ هُمُ الْیَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ » قال فی المجمع،یقال:وقفت أنا و وقفت غیری- أی یعدی و لا یعدی-و بعض بنی تمیم یقول:أوقفت الدابه و الدار.انتهی.

فقوله:« وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ »أی احبسوهم لأنهم مسئولون أی حتی یسأل عنهم.و السیاق یعطی أن هذا الأمر بالوقوف و السؤال إنما یقع فی صراط الجحیم.

و اختلفت کلماتهم فیما هو السؤال عنه فقیل:یسألون عن قول لا إله إلا الله، و قیل:عن شرب الماء البارد استهزاء بهم،و قیل:عن ولایه علی(ع).

و هذه الوجوه لو صحت فإنما تشیر إلی مصادیق ما یسأل عنه و السیاق یشهد أن السؤال هو ما یشتمل علیه قوله:« مٰا لَکُمْ لاٰ تَنٰاصَرُونَ »أی لا ینصر بعضکم بعضا کما کنتم تفعلونه فی الدنیا فتستعینون به علی حوائجکم و مقاصدکم،و ما یتلوه من قوله:« بَلْ هُمُ الْیَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ »أی مسلمون لا یستکبرون یدل علی أن المراد بقوله:

« مٰا لَکُمْ لاٰ تَنٰاصَرُونَ »السؤال عن استکبارهم عن طاعه الحق کما کانوا یستکبرون فی الدنیا.

فالسؤال عن عدم تناصرهم سؤال عن سبب الاستکبار الذی کانوا علیه فی الدنیا فقد تبین به أن المسئول عنه هو کل حق أعرضوا عنه فی الدنیا من اعتقاد حق أو عمل صالح استکبارا علی الحق تظاهرا بالتناصر.

قوله تعالی:« وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلیٰ بَعْضٍ یَتَسٰاءَلُونَ -إلی قوله- إِنّٰا کُنّٰا غٰاوِینَ » تخاصم واقع بین الأتباع و المتبوعین یوم القیامه،و التعبیر عنه بالتساؤل لأنه فی معنی

سؤال بعضهم بعضا تلاوما و تعاتبا يقول التابعون لمتبوعيهم:لم أضللتمونا؟فيقول المتبوعون:لم قبلتم منا و لا سلطان لنا عليكم؟.

فقوله:« وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَسٰاءَلُونَ »البعض الأول هم المعترضون و البعض الثانى المعترض عليهم كما يعطيه سياق التساؤل و تساؤلهم تخاصمهم.

و قوله:« قٰالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنٰا عَنِ الْيَمِينِ »أى من جهه الخير و السعاده فاستعمال اليمين فيها شائع كثير كقوله :«وَ أَصْحٰابُ الْيَمِينِ مٰا أَصْحٰابُ الْيَمِينِ:» الواقعه:-٢٧ و المعنى أنكم كنتم تأتوننا من جهه الخير و السعاده فتقطعون الطريق و تحولون بيننا و بين الخير و السعاده و تضلوننا.

و قيل:المراد باليمين الدين و هو قريب من الوجه السابق،و قيل:المراد باليمين القهر و القوه كما فى قوله تعالى :«فَرٰاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ:» الصافات:-٩٣ و لا يخلو من وجه نظرا إلى جواب المتبوعين.

و قوله:« قٰالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَ مٰا كٰانَ لَنٰا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ -إلى قوله- غٰاوِينَ »جواب المتبوعين بتبرئه أنفسهم من إشقاء التابعين و أن جرمهم مستند إلى سوء اختيار أنفسهم.

فقالوا:بل لم تكونوا مؤمنين أى لم نكن نحن السبب الموجب لإجرامكم و هلاككم بخلوكم عن الإيمان بل لم تكونوا مؤمنين لا أنا جردناكم من الإيمان.

ثم قالوا:« وَ مٰا كٰانَ لَنٰا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ »و هو فى معنى الجواب على فرض التسليم كأنه قيل:و لو فرض أنه كان لكم إيمان فما كان لنا عليكم من سلطان حتى نسلبه منكم و نجردكم منه.على أن سلطان المتبوعين إنما هو بالتابعين فهم الذين يعطونهم السلطه و القوه فيتسلطون عليهم أنفسهم.

ثم قالوا:« بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طٰاغِينَ »و الطغيان هو التجاوز عن الحد و هو إضراب عن قوله:« لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ »كأنه قيل:و لم يكن سبب هلاككم مجرد الخلو من الإيمان بل كنتم قوما طاغين كما كنا مستكبرين طاغين فتعاضدنا جميعا على ترك سبيل الرشد و اتخاذ سبيل الغى فحق علينا كلمه العذاب التى قضى بها الله سبحانه قال تعالى:

«إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً لِلطّاغِينَ مَآباً:» النبأ:-٢٢ و قـال :«فَأَمّا مَنْ طَغىٰ وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الـدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوىٰ:» النازعات:-٣٩.

و لهذا المعنى عقب قوله:« بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ »بقوله:« فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنّا لَذَائِقُونَ »أى لذائقون العذاب.

ثم قالوا:« فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنّا كُنّا غَاوِينَ »و هو متفرع على ثبوت كلمه العذاب و آخر الأسـباب لهلاكهم فإن الطغيان يستتبع الغوايه ثم نـار جهنم،قـال تعـالى لإبـليس «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ:» الحجر:-٤٣.

فكأنه قيل:فلما تلبستم بالطغيان حل بكم الغوايه بأيدينا من غير سلطان لنا عليكم إلا اتباعكم لنا و اتصالكم بنا فسرى إليكم ما فينا من الصـفه و هى الغوايه فالغـاوى لاـ يتـأتى منه إلا الغوايه و الإناء لا يترشـح منه إلا ما فيه،و بالجمله إنكم لم تجبروا و لم تسـلبوا الاختيار منذ بدأتم فى سلوك سبيل الهلاك إلى أن وقعتم فى ورطته و هى الغوايه فحق عليكم القول.

قوله تعـالى:« فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ -إلى قوله- يَسْتَكْبِرُونَ » ضـمير« فَإِنَّهُمْ »للتابعين و المتبوعين فهم مشتركون فى العذاب لاشتراكهم فى الظلم و تعاونهم على الجرم من غير مزيه لبعضهم على بعض.

و اسـتظهر بعضـهم أن المغوين أشد عذابا و ذلك فى مقابله أوزارهم و أوزار أمثال أوزارهم فالشركه لا تقتضى المساواه و الحق أن الآيـات مسوقه لبيـان اشـتراكهم فى الظلـم و الجرم و العـذاب اللاـحق بهـم مـن قبله ،و يمكن مـع ذلـك أن يلحق بكـل من المتبوعين و التابعين ألوان من العذاب ناشئه عن خصوص شأنهم قال تعالى :«وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ:» العنكبوت:-١٣،و قال :«رَبَّنَا هٰؤُلاٰءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لٰكِنْ لاٰ تَعْلَمُونَ:» الأعراف:-٣٨.

و قوله:« إِنّا كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ »تأكيـد لتحقيق العذاب،و المراد بالمجرمين المشـركون بدليل قوله بعد:« إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ يَسْتَكْبِرُونَ »أى إذا

ص :١٣٤

عرض عليهم التوحيد أن يؤمنوا به أو كلمه الإخلاص أن يقولوها استمروا على استكبارهم و لم يقبلوا.

قوله تعالى:« وَ يَقُولُونَ أَ إِنّٰا لَتٰارِكُوا آلِهَتِنٰا لِشٰاعِرٍ مَجْنُونٍ بَلْ جٰاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ »قولهم هذا إنكار منهم للرساله بعد استكبارهم عن التوحيد و إنكارهم له.

و قوله:« بَلْ جٰاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ »رد لقولهم:« لِشٰاعِرٍ مَجْنُونٍ »حيث رموه(ع)بالشعر و الجنون و فيه رمى لكتاب الله بكونه شعرا و من هفوات الجنون فرد عليهم بأن ما جاء به حق و فيه تصديق الرسل السابقين فليس بباطل من القول كالشعر و هفوه الجنون و ليس ببدع غير مسبوق فى معناه.

قوله تعالى:« إِنَّكُمْ لَذٰائِقُوا الْعَذٰابِ الْأَلِيمِ »تهديد لهم بالعذاب لاستكبارهم و رميهم الحق بالباطل.

قوله تعالى:« وَ مٰا تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »أى لا ظلم فيه لأنه نفس عملكم يرد إليكم.

قوله تعالى:« إِلاّٰ عِبٰادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ -إلى قوله- بَيْضٌ مَكْنُونٌ »استثناء منقطع من ضمير« لَذٰائِقُوا »أو من ضمير« مٰا تُجْزَوْنَ »و لكل وجه و المعنى على الأول لكن عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم و ليسوا بذائقى العذاب الأليم و المعنى على الثانى لكن عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم وراء جزاء عملهم و سيجىء الإشاره إلى معناه.

و احتمال كون الاستثناء متصلا ضعيف لا يخلو من تكلف.

و قد سماهم الله سبحانه عباد الله المخلصين فأثبت لهم عبوديه نفسه و العبد هو الذى لا يملك لنفسه شيئا من إراده و لا عمل فهؤلاء لا يريدون إلا ما أراده الله و لا يعملون إلا له.

ثم أثبت لهم أنهم مخلصون بفتح اللام أى إن الله تعالى أخلصهم لنفسه فلا يشاركه فيهم أحد فلا تعلق لهم بشىء غيره تعالى من زينه الحياه الدنيا و لا من نعم العقبى و ليس فى قلوبهم إلا الله سبحانه.

و من المعلوم أن من كانت هذه صفته كان التذاذه و تنعمه غير ما يلتذ و يتنعم غيره و ارتزاقه بغير ما يرتزق به سواه و إن شاركهم فی ضروريات المأكل و المشرب و من هنا يتأيد أن المراد بقوله:« أُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ »الإشاره إلى أن رزقهم فی الجنه -و هم عباد مخلصون-رزق خاص لا يشبه رزق غيرهم و لا يختلط بما يتمتع به من دونهم و إن اشتركا فی الاسم.

فقوله:« أُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ »أی رزق خاص متعين ممتاز من رزق غيرهم فكونه معلوما كنايه عن امتيازه كما فی قوله :«وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ:» الصافات:- ۱۶۴ و الإشاره بلفظ البعيد للدلاله على علو مقامهم.

و أما ما فسره بعضهم أن المراد بكون رزقهم معلوما كونه معلوم الخصائص مثل كونه غير مقطوع و لا ممنوع حسن المنظر لذيذ الطعم طيب الرائحه،و كذا ما ذكره آخرون أن المراد أنه معلوم الوقت لقوله :«وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهٰا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا:» مريم:-۶۲ و كذا قول القائل:إن المراد به الجنه فهی وجوه غير سديده.

و من هنا يظهر أن أخذ قوله:« إِلاّٰ عِبٰادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ »استثناء من ضمير« وَ مٰا تُجْزَوْنَ »لا يخلو من وجه كما تقدمت الإشاره إليه.

و قوله:« فَوٰاكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ فِی جَنّٰاتِ النَّعِيمِ » الفواكه جمع فاكهه و هی ما يتفكه به من الأثمار بيان لرزقهم المعلوم غير أنه تعالى شفعه بقوله:« وَ هُمْ مُكْرَمُونَ » للدلاله على امتياز هذا الرزق أعنی الفاكهه مما عند غيرهم بأنها مقارنه لإكرام خاص يخصهم قبال اختصاصهم بالله سبحانه و كونه لهم لا يشاركهم فيه شیء.

و فی إضافه الجنات إلى النعيم إشاره إلى ذلك فقد تقدم فی قوله :«فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ» XالآيهX:النساء:-۶۹،و قوله :«وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِی:» المائده:-۳ و غيرهما أن حقيقه النعمه هی الولايه و هی كونه تعالى هو القائم بأمر عبده.

و قوله:« عَلىٰ سُرُرٍ مُتَقٰابِلِينَ » السرر جمع سرير و هو معروف و كونهم متقابلين معناه استئناس بعضهم ببعض و استمتاعهم بنظر بعضهم فی وجه بعض من غير أن يرى بعضهم قفا بعض.

و قوله:« يُطٰافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ » الكأس إناء الشراب و نقل عن كثير من اللغويين أن إناء الشراب لا يسمى كأسا إلا و فيه الشراب فإن خلا منه فهو قدح و المعين من الشراب الظاهر منه من عان الماء إذا ظهر و جرى على وجه الأرض،و المراد بكون الكأس من معين صفاء الشراب فيها و لذا عقبه بقوله:« بَيْضٰاءَ ».

و قوله:« بَيْضٰاءَ لَذَّةٍ لِلشّٰارِبِينَ »أي صافيه في بياضها لذيذه للشاربين فاللذه مصدر أريد به الوصف مبالغه أو هي مؤنث لذ بمعنى لذيذ كما قيل.

و قوله:« لاٰ فِيهٰا غَوْلٌ وَ لاٰ هُمْ عَنْهٰا يُنْزَفُونَ » الغول الإضرار و الإفساد،قال الراغب:الغول إهلاك الشيء من حيث لا يحس به انتهى.فنفى الغول عن الخمر نفي مضارها و الإنزاف فسر بالسكر المذهب للعقل و أصله إذهاب الشيء تدريجا.

و محصل المعنى:أنه ليس فيها مضار الخمر التي في الدنيا و لا إسكارها بإذهاب العقل.

و قوله:« وَ عِنْدَهُمْ قٰاصِرٰاتُ الطَّرْفِ عِينٌ »وصف للحور التي يرزقونها و قصور طرفهن كنايه عن نظرهن نظره الغنج و الدلال و يؤيده ذكر العين بعده و هو جمع عيناء مؤنث أعين و هي الواسعه العين في جمال.

و قيل:المراد بقاصرات الطرف أنهن قصرن طرفهن على أزواجهن لا يردن غيرهم لحبهن لهم،و بالعين أن أعينهن شديده في سوادها شديده في بياضها.

و قوله:« كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ »البيض معروف و هو اسم جنس واحدته بيضه و المكنون هو المستور بالادخار قيل:المراد تشبيههن بالبيض الذي كنه الريش في العش أو غيره في غيره فلم تمسه الأيدي و لم يصبه الغبار،و قيل:المراد تشبيههن ببطن البيض قبل أن يقشر و قبل أن تمسه الأيدي.

قوله تعالى:« فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَسٰاءَلُونَ -إلى قوله- فَلْيَعْمَلِ الْعٰامِلُونَ » حكايه محادثه تقع بين أهل الجنه فيسأل بعضهم عن أحوال بعض و يحدث بعضهم بما جرى عليه في الدنيا و تنتهي المحادثه إلى تكليمهم بعض أهل النار و هو في سواء الجحيم.

فقوله:« فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَسٰاءَلُونَ »ضمير الجمع لأهل الجنه من عباد الله

المخلصين و تساؤلهم-کما تقدم-سؤال بعضهم عن بعض و ما جری علیه.

و قوله:« قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّی کَانَ لِی قَرِینٌ »أی قال قائل من أهل الجنه المتسائلین إنی کان لی فی الدنیا مصاحب یختص بی من الناس.کذا یعطی السیاق.

و قیل:المراد بالقرین القرین من الشیاطین و فیه أن القرآن إنما یثبت قرناء الشیاطین فی المعرضین عن ذکر الله و المخلصون فی عصمه إلهیه من قرین الشیاطین و کذا من تأثیر الشیطان فیهم کما حکی عن إبلیس استثناءهم من الإغواء :«فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ إِلاّ عِبَادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ:» -ص:-۸۳ نعم ربما أمکن أن یتعرض لهم الشیطان من غیر تأثیر فیهم لکنه غیر أثر القرین.

و قوله:« یَقُولُ أَ إِنَّکَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِینَ أَ إِذَا مِتْنَا وَ کُنَّا تُرَاباً وَ عِظَاماً أَ إِنَّا لَمَدِینُونَ » ضمیر« یَقُولُ »للقرین،و مفعول« اَلْمُصَدِّقِینَ »البعث للجزاء و قد قام مقامه قوله:

« أَ إِذَا مِتْنَا »إلخ و المدینون المجزیون.

و المعنی:کأن یقول لی قرینی مستبعدا منکرا أ إنک لمن المصدقین للبعث للجزاء أ إذا متنا و کنا ترابا و عظاما فتلاشت أبداننا و تغیرت صورها أ إنا لمجزیون بالإحیاء و الإعاده؟فهذا مما لا ینبغی أن یصدق.

و قوله:« قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ »ضمیر« قَالَ »للقائل المذکور قبلا،و الاطلاع الإشراف و المعنی ثم قال القائل المذکور مخاطبا لمحادثیه من أهل الجنه:هل أنتم مشرفون علی النار حتی تروا قرینی و الحال التی هو فیها؟.

و قوله:« فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِی سَوَاءِ الْجَحِیمِ » السواء الوسط و منه سواء الطریق أی وسطه و المعنی فأشرف القائل المذکور علی النار فرآه أی قرینه فی وسط الجحیم.

و قوله:« قَالَ تَاللّٰهِ إِنْ کِدْتَ لَتُرْدِینِ »« إِنْ »مخففه من الثقیله،و الإرداء السقوط من مکان عال کالشاهق و یکنی به عن الهلاک و المعنی أقسم بالله إنک قربت أن تهلکنی و تسقطنی فیما سقطت فیه من الجحیم.

و قوله:« وَ لَوْ لاٰ نِعْمَةُ رَبِّی لَکُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِینَ »المراد بالنعمه التوفیق و الهدایه

الإلهيه،و الإحضار الإشخاص للعذاب قال فى مجمع البيان،:و لا يستعمل«أحضر» مطلقا إلا فى الشر.

و المعنى و لو لا توفيق ربى و هدايته لكنت من المحضرين للعذاب مثلك.

و قوله:« أَ فَمٰا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلاّٰ مَوْتَتَنَا الْأُولىٰ وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ »الاستفهام للتقرير و التعجيب،و المراد بالموته الأولى هى الموته عن الحياه الدنيا و أما الموته عن البرزخ المدلول عليها بقوله :«رَبَّنٰا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ:» المؤمن:-١١ فلم يعبأ بها لأن الموت الذى يزعم الزاعم فيه الفناء و البطلان هو الموت الدنيوى.

و المعنى-على ما فى الكلام من الحذف و الإيجاز-ثم يرجع القائل المذكور إلى نفسه و أصحابه فيقول متعجبا أ نحن خالدون منعمون فما نحن بميتين إلا الموته الأولى و ما نحن بمعذبين؟.

قال فى مجمع البيان،:و يريدون به التحقيق لا الشك و إنما قالوا هذا القول لأن لهم فى ذلك سرورا مجددا و فرحا مضاعفا و إن كان قد عرفوا أنهم سيخلدون فى الجنه و هذا كما أن الرجل يعطى المال الكثير فيقول مستعجبا:كل هذا المال لى؟و هو يعلم أن ذلك له و هذا كقوله:

أ بطحاء مكه هذا الذى

أراه عيانا و هذا أنا؟

قال:و لهذا عقبه بقوله:« إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »انتهى.

و قوله:« إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »هو من تمام قول القائل المذكور و فيه إعظام لموهبه الخلود و ارتفاع العذاب و شكر للنعمه.

و قوله:« لِمِثْلِ هٰذٰا فَلْيَعْمَلِ الْعٰامِلُونَ »ظاهر السياق أنه من قول القائل المذكور و الإشاره بهذا إلى الفوز أو الثواب أى لمثل هذا الفوز أو الثواب فليعمل العاملون فى دار التكليف،و قيل:هو من قول الله سبحانه و قيل:من قول أهل الجنه.

و اعلم أن لهم أقوالا مختلفه فى نسبه أكثر الجمل السابقه إلى قول الله تعالى أو قول الملائكه أو قول أهل الجنه غير القائل المذكور و الذى أوردناه هو الذى يساعد عليه السياق.

ص :١٣٩

قوله تعالی:« أَ ذٰلِکَ خَیْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَهُ الزَّقُّومِ -إلی قوله- یُهْرَعُونَ »مقایسه بین ما هیأه الله نزلا لأهل الجنه مما وصفه من الرزق الکریم و بین ما أعده نزلا لأهل النار من شجره الزقوم التی طلعها کأنه رءوس الشیاطین و شراب من حمیم.

فقوله:« أَ ذٰلِکَ خَیْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَهُ الزَّقُّومِ »الإشاره بذلک إلی الرزق الکریم المذکوره سابقا المعد لورود أهل الجنه و النزل بضمتین ما یهیأ لورود الضیف فیقدم إلیه إذا ورد من الفواکه و نحوها.

و الزقوم -علی ما قیل-اسم شجره صغیره الورق مره کریهه الرائحه ذات لبن إذا أصاب جسد إنسان تورم تکون فی تهامه و البلاد المجدبه المجاوره للصحراء سمیت به الشجره الموصوفه بما فی الآیه من الأوصاف،و قیل:إن قریشا ما کانت تعرفه و سیأتی ذلک فی البحث الروائی.

و لفظه خیر فی الآیه بمعنی الوصف دون التفضیل إذ لا خیریه فی الزقوم أصلا فهو کقوله :«مٰا عِنْدَ اللّٰهِ خَیْرٌ مِنَ اللَّهْوِ:» الجمعه:-١١ و الآیه علی ما یعطیه السیاق من کلامه تعالی.

و قوله:« إِنّٰا جَعَلْنٰاهٰا فِتْنَهً لِلظّٰالِمِینَ »الضمیر لشجره الزقوم،و الفتنه المحنه و العذاب.

و قوله:« إِنَّهٰا شَجَرَهٌ تَخْرُجُ فِی أَصْلِ الْجَحِیمِ »وصف لشجره الزقوم،و أصل الجحیم قعرها،و لا عجب فی نبات شجره فی النار و بقائها فیها فحیاه الإنسان و بقاؤه خالدا فیها أعجب و الله یفعل ما یشاء.

و قوله:« طَلْعُهٰا کَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّیٰاطِینِ » الطلع حمل النخله أو مطلق الشجره أول ما یبدو،و تشبیه ثمره الزقوم برءوس الشیاطین بعنایه أن الأوهام العامیه تصور الشیطان فی أقبح صوره کما تصور الملک فی أحسن صوره و أجملها قال تعالی :«مٰا هٰذٰا بَشَراً إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ مَلَکٌ کَرِیمٌ:» یوسف:-٣١،و بذلک یندفع ما قیل:إن الشیء إنما یشبه بما یعرف و لا معرفه لأحد برءوس الشیاطین.

و قوله:« فَإِنَّهُمْ لَآکِلُونَ مِنْهٰا فَمٰالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ »الفاء للتعلیل یبین به کونها نزلا للظالمین یأکلون منها،و فی قوله:« فَمٰالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ »إشاره إلی تسلط جوع

شدید علیهم یحرصون به علی الأکل کیفما کان.

و قوله:« ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَیْهٰا لَشَوْباً مِنْ حَمِیمٍ » الشوب المزیج و الخلیط،و الحمیم الماء الحار البالغ فی حرارته،و المعنی ثم إن لأولئک الظالمین-زیاده علیها-لخلیطا مزیجا من ماء حار بالغ الحراره یشربونه فیختلط به ما ملئوا منه البطون من الزقوم.

و قوله:« ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَی الْجَحِیمِ »أی إنهم بعد شرب الحمیم یرجعون إلی الجحیم فیستقرون فیها و یعذبون،و فی الآیه تلویح إلی أن الحمیم خارج الجحیم.

و قوله:« إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبٰاءَهُمْ ضٰالِّینَ فَهُمْ عَلیٰ آثٰارِهِمْ یُهْرَعُونَ » ألفیت کذا أی وجدته و صادفته،و الإهراع الإسراع و المعنی أن سبب أکلهم و شربهم ثم رجوعهم إلی الجحیم أنهم صادفوا آباءهم ضالین-و هم مقلدون و أتباع لهم و هم أصلهم و مرجعهم-فهم یسرعون علی آثارهم فجوزوا بنزل کذلک و الرجوع إلی الجحیم جزاء وفاقا.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،أخرج ابن المنذر عن ابن جریح: فی قوله تعالی:« بَلْ عَجِبْتَ » قال النبی ص:عجبت بالقرآن حین أنزل و یسخر منه ضلال بنی آدم.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« اُحْشُرُوا الَّذِینَ ظَلَمُوا »قال:الذین ظلموا آل محمد(ع)حقهم« وَ أَزْوٰاجَهُمْ »قال:أشباههم.

أقول:صدر الروایه من الجری.

و فی المجمع،: فی قوله تعالی:« وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ »قیل:عن ولایه علی(ع)- عن أبی سعید الخدری.:

أقول:و رواه الشیخ فی الأمالی،بإسناده إلی أنس بن مالک عن النبی ص، و فی العیون،عن علی و عن الرضا(ع)عنه(ص)،و فی تفسیر القمی،عن الإمام(ع) .

و فی الخصال،عن أمیر المؤمنین(ع)قال:قال رسول الله ص: لا تزول قدم

عبد یوم القیامه حتی یسأل عن أربع:عن عمره فیما أفناه،و شبابه فیما أبلاه،و عن ماله من أین کسبه و فیما أنفقه،و عن حبنا أهل البیت.:

أقول:و روی فی العلل عنه(ص)مثله .

و فی نهج البلاغه،: اتقوا الله فی عباده و بلاده-فإنکم مسئولون حتی عن البقاع و البهائم.

و فی الدر المنثور،أخرج البخاری فی تأریخه و الترمذی و الدارمی و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و الحاکم و ابن مردویه عن أنس قال:قال رسول الله ص:

ما من داع دعا إلی شیء-إلا کان موقوفا یوم القیامه لازما به لا یفارقه-و إن دعا رجل رجلا ثم قرأ« وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ ».

و فی روضه الکافی،بإسناده عن محمد بن إسحاق المدنی عن أبی جعفر(ع)عن النبی ص فی حدیث: و أما قوله:« أُولٰئِکَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ »قال:یعلمه (۱)الخدام- فیأتون به إلی أولیاء الله قبل أن یسألوهم إیاه.أما قوله:« فَوٰاکِهُ وَ هُمْ مُکْرَمُونَ » قال:فإنهم لا یشتهون شیئا فی الجنه إلا أکرموا به.

و فی تفسیر القمی،و فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): « فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِی سَوٰاءِ الْجَحِیمِ »یقول:فی وسط الجحیم.

و فیه،:فی قوله تعالی:« أَ فَمٰا نَحْنُ بِمَیِّتِینَ »:إلخ بإسناده عن أبیه عن علی بن مهزیار و الحسن بن محبوب عن النضر بن سوید عن درست عن أبی بصیر عن أبی جعفر(ع) قال: إذا دخل أهل الجنه الجنه و أهل النار النار-جیء بالموت و یذبح کالکبش بین الجنه و النار -ثم یقال:خلود فلا موت أبدا فیقول أهل الجنه:« أَ فَمٰا نَحْنُ بِمَیِّتِینَ إِلاّٰ مَوْتَتَنَا الْأُولیٰ وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِینَ- إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ- لِمِثْلِ هٰذٰا فَلْیَعْمَلِ الْعٰامِلُونَ ».

أقول:و حدیث ذبح الموت فی صوره کبش یوم القیامه من المشهورات رواه الشیعه و أهل السنه،و هو تمثل الخلود یومئذ.

و فی المجمع،":فی قوله تعالی:« شَجَرَهُ الزَّقُّومِ »روی أن قریشا لما سمعت هذه

۱- ۱) یعنی:خ.

الآيه قالت:ما نعرف هذه الشجره-قال ابن الزبعرى:الزقوم بكلام البربر التمر و الزبد-و فى روايه بلغه اليمن فقال أبو جهل لجاريته:يا جاريه زقمينا فأتته الجاريه بتمر و زبد-فقال لأصحابه:تزقموا بهذا الذى يخوفكم به محمد-فيزعم أن النار تنبت الشجر و النار تحرق الشجر-فأنزل الله سبحانه« إِنّا جَعَلْناها فِتْنَةً لِلظّالِمِينَ ».

أقول:و هذا المعنى مروى بطرق عديده.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ٧١ الى ١١٣]

اشاره

وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ اَلْأَوَّلِينَ (٧١) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ اَلْمُنْذَرِينَ (٧٣) إِلاّ عِبادَ اَللّهِ اَلْمُخْلَصِينَ (٧٤) وَ لَقَدْ نادانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ اَلْمُجِيبُونَ (٧٥) وَ نَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ اَلْكَرْبِ اَلْعَظِيمِ (٧۶) وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ اَلْباقِينَ (٧٧) وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي اَلْآخِرِينَ (٧٨) سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي اَلْعالَمِينَ (٧٩) إِنّا كَذلِكَ نَجْزِي اَلْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا اَلْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا اَلْآخَرِينَ (٨٢) وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ (٨٣) إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨۴) إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما ذا تَعْبُدُونَ (٨۵) أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اَللّهِ تُرِيدُونَ (٨۶) فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ اَلْعالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي اَلنُّجُومِ (٨٨) فَقالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَراغَ إِلى آلِهَتِهِمْ فَقالَ أَ لا تَأْكُلُونَ (٩١) ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ (٩٢) فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩۴) قالَ أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ (٩۵) وَ اَللّهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ (٩۶) قالُوا اِبْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي اَلْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ اَلْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَ قالَ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ اَلصّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ اَلسَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي اَلْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى قالَ يا أَبَتِ اِفْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اَللّهُ مِنَ اَلصّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمّا أَسْلَما وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ (١٠۴) قَدْ صَدَّقْتَ اَلرُّؤْيا إِنّا كَذلِكَ نَجْزِي اَلْمُحْسِنِينَ (١٠۵) إِنَّ هذا لَهُوَ اَلْبَلاءُ اَلْمُبِينُ (١٠۶) وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي اَلْآخِرِينَ (١٠٨) سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ (١٠٩) كَذلِكَ نَجْزِي اَلْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا اَلْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ اَلصّالِحِينَ (١١٢) وَ بارَكْنا عَلَيْهِ وَ عَلى إِسْحاقَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِما مُحْسِنٌ وَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)

(بیان)

تعقیب لغرض السیاق السابق المتعرض لشرکهم و تکذیبهم بآیات الله و تهدیدهم بألیم العذاب یقول:إن أکثر الأولین ضلوا کضلالهم و کذبوا الرسل المنذرین کتکذیبهم و یستشهد بقصص نوح و إبراهیم و موسی و هارون و إلیاس و لوط و یونس(ع) و ما فی الآیات المنقوله إشاره إلی قصه نوح و خلاصه قصص إبراهیم(ع).

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَکْثَرُ الْأَوَّلِینَ -إلی قوله- اَلْمُخْلَصِینَ »کلام مسوق لإنذار مشرکی هذه الأمه بتنظیرهم للأمم الهالکین من قبلهم فقد ضل أکثرهم کما ضل هؤلاء و أرسل إلیهم رسل منذرون کما أرسل منذر إلی هؤلاء فکذبوا فکان عاقبه أمرهم الهلاک إلا المخلصین منهم.

و اللام فی« لَقَدْ ضَلَّ »للقسم و کذا فی« لَقَدْ أَرْسَلْنا »و المنذرین الأول بکسر الذال المعجمه و هم الرسل و الثانی بفتح الذال المعجمه و هم الأمم الأولون،و« إِلاّ عِبادَ اللّهِ »إن کان المراد بهم من فی الأمم من المخلصین کان استثناء متصلا و إن عم الأنبیاء کان منقطعا إلا بتغلیبه غیر الأنبیاء علیهم و المعنی ظاهر.

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ نادانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِیبُونَ »اللامان للقسم و هو یدل علی کمال العنایه بنداء نوح و إجابته تعالی،و قد مدح تعالی نفسه فی إجابته فإن التقدیر فلنعم المجیبون نحن،و جمع المجیب لإفاده التعظیم و قد کان نداء نوح-علی ما یفیده السیاق-دعاءه علی قومه و استغاثته بربه المنقولین فی قوله تعالی :«وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَی الْأَرْضِ مِنَ الْکافِرِینَ دَیّاراً:» نوح:-۲۶،و فی قوله تعالی :«فَدَعا رَبَّهُ أَنِّی مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ:» القمر:-۱۰.

قوله تعالی:« وَ نَجَّیْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْکَرْبِ الْعَظِیمِ » الکرب -علی ما ذکره الراغب-الغم الشدید و المراد به الطوفان أو أذی قومه،و المراد بأهله أهل بیته و المؤمنون به من قومه و قد قال تعالی فی سوره هود :«قُلْنَا احْمِلْ فِیها مِنْ کُلٍّ زَوْجَیْنِ

اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلاّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ:» هود:-۴۰ و الأهل كما يطلق على زوج الرجل و بنيه يطلق على كل من هو من خاصته.

قوله تعالى:« وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ »أى الباقين من الناس بعد قرنهم و قد بحثنا فى هذا المعنى فى قصه نوح من سوره هود.

قوله تعالى:« وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ »المراد بالترك الإبقاء و بالآخرين الأمم الغابره غير الأولين،و قد ذكرت هذه الجمله بعد ذكر إبراهيم(ع)أيضا فى هذه السوره و قد بدلت فى القصه بعينها من سوره الشعراء من قوله :«وَ اجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ:» الشعراء:-۸۴ و استفدنا منه هناك أن المراد بلسان صدق كذلك أن يبعث الله بعده من يقوم بدعوته و يدعو إلى ملته و هى دين التوحيد.

فيتأيد بذلك أن المراد بالإبقاء فى الآخرين هو إحياؤه تعالى دعوه نوح(ع)إلى التوحيد و مجاهدته فى سبيل الله عصرا بعد عصر و جيلا بعد جيل إلى يوم القيامه.

قوله تعالى:« سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ »المراد بالعالمين جميعها لكونه جمعا محلى باللام مفيدا للعموم،و الظاهر أن المراد به عالمو البشر و أممهم و جماعاتهم إلى يوم القيامه فإنه تحيه من عند الله مباركه طيبه تهدى إليه من قبل الأمم الإنسانيه ما جرى فيها شىء من الخيرات اعتقادا أو عملا فإنه(ع)أول من انتهض لدعوه التوحيد و دحض الشرك و ما يتبعه من العمل و قاسى فى ذلك أشد المحنه فيما يقرب من ألف سنه لا يشاركه فى ذلك أحد فله نصيب من كل خير واقع بينهم إلى يوم القيامه،و لا يوجد فى كلامه تعالى سلام على هذه السعه على أحد ممن دونه.

و قيل:المراد بالعالمين عوالم الملائكه و الثقلين من الجن و الإنس.

قوله تعالى:« إِنّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ تعليل لما امتن عليه من الكرامه كإجابه ندائه و تنجيته و أهله من الكرب العظيم و إبقاء ذريته و تركه عليه فى الآخرين و السلام عليه فى العالمين،و تشبيه جزائه بجزاء عموم المحسنين من حيث أصل الجزاء الحسن لا فى خصوصياته فلا يوجب ذلك اشتراك الجميع فيما اختص به(ع)و هو ظاهر.

قوله تعالی:« إِنَّهُ مِنْ عِبٰادِنَا الْمُؤْمِنِينَ »تعلیل لإحسانه المدلول علیه بالجمله السابقه و ذلک لأنه(ع)لکونه عبدا لله بحقیقه معنی الکلمه کان لا یرید و لا یفعل إلا ما یریده الله،و لکونه من المؤمنین حقا کان لا یری من الاعتقاد إلا الحق و سری ذلک إلی جمیع أرکان وجوده و من کان کذلک لا یصدر منه إلا الحسن الجمیل فکان من المحسنین.

قوله تعالی:« ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ »ثم للتراخی الکلامی دون الزمانی و المراد بالآخرین قومه المشرکون.

قوله تعالی:« وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرٰاهِيمَ » الشیعه هم القوم المشایعون لغیرهم الذاهبون علی أثرهم و بالجمله کل من وافق غیره فی طریقته فهو من شیعته تقدم أو تأخر قال تعالی :

«وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مٰا يَشْتَهُونَ كَمٰا فُعِلَ بِأَشْيٰاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ:» سبأ:-۵۴.

و ظاهر السیاق أن ضمیر« شِيعَتِهِ »لنوح أی إن إبراهیم کان ممن یوافقه فی دینه و هو دین التوحید،و قیل:الضمیر لمحمد ص و لا دلیل علیه من جهه اللفظ.

قیل:و من حسن الإرداف فی نظم الآیات تعقیب قصه نوح(ع)و هو آدم الثانی أبو البشر بقصه إبراهیم(ع)و هو أبو الأنبیاء إلیه تنتهی أنساب جل الأنبیاء بعده و علی دینه تعتمد أدیان التوحید الحیه الیوم کدین موسی و عیسی و محمد ص،و أیضا نوح(ع)نجاه الله من الغرق و إبراهیم(ع)نجاه الله من الحرق.

قوله تعالی:« إِذْ جٰاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ »مجیئه ربه کنایه عن تصدیقه له و إیمانه به،و یؤید ذلک أن المراد بسلامه القلب عروه عن کل ما یضر التصدیق و الإیمان بالله سبحانه من الشرک الجلی و الخفی و مساوئ الأخلاق و آثار المعاصی و أی تعلق بغیره ینجذب إلیه الإنسان و یختل به صفاء توجهه إلیه سبحانه.

و بذلک یظهر أن المراد بالقلب السلیم ما لا تعلق له بغیره تعالی کما فی الحدیث و سیجیء إن شاء الله فی البحث الروائی الآتی.

و قیل:المراد به السالم من الشرک،و یمکن أن یوجه بما یرجع إلی الأول و قیل:

المراد به القلب الحزین،و هو کما تری.

و الظرف فی الآیه متعلق بقوله سابقا« مِنْ شِيعَتِهِ »و الظروف یغتفر فیها ما لا

يغتفر فى غيرها،و قيل متعلق باذكر المقدر.

قوله تعالى:« إِذْ قٰالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مٰا ذٰا تَعْبُدُونَ »أى أى شىء تعبدون؟و إنما سألهم عن معبودهم و هو يرى أنهم يعبدون الأصنام تعجبا و استغرابا.

قوله تعالى:« أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللّٰهِ تُرِيدُونَ »أى تقصدون آلهه دون الله إفكا و افتراء، إنما قدم الإفك و الآلهه لتعلق عنايته بذلك.

قوله تعالى:« فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقٰالَ إِنِّي سَقِيمٌ »لا شك أن ظاهر الآيتين أن إخباره(ع)بأنه سقيم مرتبط بنظرته فى النجوم و مبنى عليه و نظرته فى النجوم إما لتشخيص الساعه و خصوص الوقت كمن به حمى ذات نوبه يعين وقتها بطلوع كوكب أو غروبها أو وضع خاص من النجوم و إما للوقوف على الحوادث المستقبله التى كان المنجمون يرون أن الأوضاع الفلكيه تدل عليها،و قد كان الصابئون مبالغين فيها و كان فى عهده(ع)منهم جم غفير.

فعلى الوجه الأول لما أراد أهل المدينه أن يخرجوا كافه إلى عيد لهم نظر إلى النجوم و أخبرهم أنه سقيم ستعتريه العله فلا يقدر على الخروج معهم.

و على الوجه الثانى نظر(ع)حينذاك إلى النجوم نظره المنجمين فأخبرهم أنها تدل على أنه سيسقم فليس فى وسعه الخروج معهم.

و أول الوجهين أنسب لحاله(ع)و هو فى إخلاص التوحيد بحيث لا يرى لغيره تعالى تأثيرا،و لا دليل لنا قويا يدل على أنه(ع)لم يكن به فى تلك الأيام سقم أصلا، و قد أخبر القرآن بإخباره بأنه سقيم و ذكر سبحانه قبيل ذلك أنه جاء ربه بقلب سليم فلا يجوز عليه كذب و لا لغو من القول.

و لهم فى الآيتين وجوه أخر أوجهها أن نظرته فى النجوم و إخباره بالسقم من المعاريض فى الكلام و المعاريض أن يقول الرجل شيئا يقصد به غيره و يفهم منه غير ما يقصده فلعله نظر(ع)فى النجوم نظر الموحد فى صنعه تعالى يستدل به عليه تعالى و على وحدانيته و هم يحسبون أنه ينظر إليها نظر المنجم فيها ليستدل بها على الحوادث ثم قال:

إنى سقيم يريد أنه سيعتريه سقم فإن الإنسان لا يخلو فى حياته من سقم ما و مرض ما

كما قال :«وَ إِذٰا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ:» الشعراء:-٨٠ و هم يحسبون أنه يخبر عن سقمه يوم يخرجون فيه لعيد لهم،و المرجح عنده لجميع ذلک ما كان يهتم به من الرواغ إلى أصنامهم و كسرها.

لكن هذا الوجه مبنى على أنه كان صحيحا غير سقيم يومئذ،و قد سمعت أن لا دليل يدل عليه.

على أن المعاريض غير جائزه على الأنبياء لارتفاع الوثوق بذلک عن قولهم.

قوله تعالى:« فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ »ضمير الجمع للقوم و ضمير الإفراد لإبراهيم (ع)أى خرجوا من المدينه و خلفوه.

قوله تعالى:« فَرٰاغَ إِلىٰ آلِهَتِهِمْ فَقٰالَ أَ لاٰ تَأْكُلُونَ مٰا لَكُمْ لاٰ تَنْطِقُونَ » الروغ و الرواغ و الروغان الحياد و الميل،و قيل أصله الميل فى جانب ليخدع من يريده.

و فى قوله:« أَ لاٰ تَأْكُلُونَ »؟تأييد لما ذكروا أن المشركين كانوا يضعون أيام أعيادهم طعاما عند آلهتهم.

و قوله:« أَ لاٰ تَأْكُلُونَ؟ مٰا لَكُمْ لاٰ تَنْطِقُونَ »؟تكليم منه لآلهتهم و هى جماد و هو يعلم أنها جماد لا تأكل و لا تنطق لكن الوجد و شده الغيظ حمله على أن يمثل موقفها موقف العقلاء ثم يؤاخذها مؤاخذه العقلاء كما يفعل بالمجرمين.

فنظر إليها و هى ذوات أبدان كهيئه من يتغذى و يأكل و عندها شىء من الطعام فامتلأ غيظا و جاش وجدا فقال: أَ لاٰ تَأْكُلُونَ ؟فلم يسمع منها جوابا فقال:« مٰا لَكُمْ لاٰ تَنْطِقُونَ »؟ و أنتم آلهه يزعم عبادكم أنكم عقلاء قادرون مدبرون لأمورهم فلما لم يسمع لها حسا راغ عليها ضربا باليمين.

قوله تعالى:« فَرٰاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ »أى تفرع على ذاک الخطاب أن مال على آلهتهم يضربهم ضربا باليد اليمنى أو بقوه بناء على كون المراد باليمين القوه.

و قول بعضهم:إن المراد باليمين القسم و المعنى مال عليهم ضربا بسبب القسم الذى سبق منه و هو قوله :«تَاللّٰهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنٰامَكُمْ:» الأنبياء:-٥٧ بعيد.

قوله تعالى:« فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ » الزف و الزفيف الإسراع فى المشى أى فجاءوا

إلى إبراهيم و الحال أنهم يسرعون اهتماما بالحادثه التى يظنون أنه الذى أحدثها.

و فى الكلام إيجاز و حذف من خبر رجوعهم إلى المدينه و وقوفهم على ما فعل بالأصنام و تحقيقهم الأمر و ظنهم به(ع)مذكور فى سوره الأنبياء.

قوله تعالى:« قَالَ أَ تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَ اللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ »فيه إيجاز و حذف من حديث القبض عليه و الإتيان به على أعين الناس و مسألته و غيرها.

و الاستفهام للتوبيخ و فيه مع ذلك احتجاج على بطلان طريقتهم فهو يقول:لا يصلح ما نحته الإنسان بيده أن يكون ربا للإنسان معبودا له و الله سبحانه خلق الإنسان و ما يعمله و الخلق لا ينفك عن التدبير فهو رب الإنسان و من السفه أن يترك هذا و يعبد ذاك.

و قد بان بذلك أن الأظهر كون ما فى قوله:« مَا تَنْحِتُونَ »موصوله و التقدير ما تنحتونه،و كذا فى قوله:« وَ مَا تَعْمَلُونَ »و جوز بعضهم كون« مَا »فيها مصدريه و هو فى أولهما بعيد جدا.

و لا ضير فى نسبه الخلق إلى ما عمله الإنسان أو إلى عمله لأن ما يريده الإنسان و يعمله من طريق اختياره مراد الله سبحانه من طريق إراده الإنسان و اختياره و لا يوجب هذا النوع من تعلق الإراده بالفعل بطلان تأثير إراده الإنسان و خروج الفعل عن الاختيار و صيرورته مجبرا عليه،و هو ظاهر.

و لو كان المراد نسبه خلق أعمالهم إلى الله سبحانه بلا واسطه لا من طريق إرادتهم بل بتعلق إرادته بنفس عملهم و أفاد الجبر لكان القول أقرب إلى أن يكون عذرا لهم من أن يكون توبيخا و تقبيحا،و كانت الحجه لهم لا عليهم.

قوله تعالى:« قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ » البنيان مصدر بنى يبنى و المراد به المبنى،و الجحيم النار فى شده تأججها.

قوله تعالى:« فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ » الكيد الحيله و المراد احتيالهم إلى إهلاكه و إحراقه بالنار.

و قوله:« فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ »كنايه عن جعل إبراهيم فوقهم لا يؤثر فيه كيدهم

شيئا إذ قال سبحانه :«يا نارُ كُونِى بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ:» الأنبياء:-۶۹.

و قد اختتم بهذا فصل من قصص إبراهيم(ع)و هو انتهاضه أولا على عباده الأوثان و اختصامه لعبادها و انتهاء أمره إلى إلقائه النار و إبطاله تعالى كيدهم.

قوله تعالى:« وَ قالَ إِنِّى ذاهِبٌ إِلى رَبِّى سَيَهْدِينِ »فصل آخر من قصصه(ع) يذكر عزمه على المهاجره من بين قومه و استيهابه من الله ولدا صالحا و إجابته إلى ذلك و قصه ذبحه و نزول الفداء.

فقوله:« وَ قالَ إِنِّى ذاهِبٌ إِلى رَبِّى »إلخ كالإنجاز لما وعدهم به مخاطبا لآزر :

«وَ أَعْتَزِلُكُمْ وَ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ أَدْعُوا رَبِّى عَسى أَلاّ أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّى شَقِيًّا:» مريم:-۴۸ و منه يعلم أن مراده بالذهاب إلى ربه الذهاب إلى مكان يتجرد فيه لعبادته تعالى و دعائه و هو الأرض المقدسه.

و قول بعضهم:إن المراد أذهب إلى حيث أمرنى ربى لا شاهد عليه.

و كذا قول بعضهم:إن المراد أنى ذاهب إلى لقاء ربى حيث يلقوننى فى النار فأموت و ألقى ربى سيهدينى إلى الجنه.

و فيه-كما قيل-إن ذيل الآيه لا يناسبه و هو قوله:« رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصّالِحِينَ » و كذا قوله بعده:« فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ».

قوله تعالى:« رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصّالِحِينَ »حكايه دعاء إبراهيم(ع)و مسألته الولد أى قال: رَبِّ هَبْ لِى «إلخ»و قد قيده بكونه من الصالحين.

قوله تعالى:« فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ »أى فبشرناه أنا سنرزقه غلاما حليما و فيه إشاره إلى أنه يكون ذكرا و يبلغ حد الغلمان،و أخذ الغلومه فى وصفه مع أنه بلغ مبلغ الرجال للإشاره إلى حاله التى يظهر فيها صفه كماله و صفاء ذاته و هو حلمه الذى مكنه من الصبر فى ذات الله إذ قال:« يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِنْ شاءَ اللّهُ مِنَ الصّابِرِينَ ».

و لم يوصف فى القرآن من الأنبياء بالحلم إلا هذا النبى الكريم فى هذه الآيه و أبوه فى قوله تعالى :«إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوّاهٌ مُنِيبٌ:» هود:-۷۵.

قوله تعالى:« فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرىٰ فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرىٰ »إلخ الفاء فی أول الآیه فصیحه تدل علی محذوف و التقدیر فلما ولد له و نشأ و بلغ معه السعی،و المراد ببلوغ السعی بلوغه من العمر مبلغا یسعی فیه لحوائج الحیاه عاده و هو سن الرهاق،و المعنی فلما راهق الغلام قال له یا بنی«إلخ».

و قوله:« قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرىٰ فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ »هی رؤیا إبراهیم ذبح ابنه، و قوله:« إِنِّي أَرىٰ »یدل علی تکرر هذه الرؤیا له کما فی قوله :«وَ قالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرىٰ» Xالخ X:یوسف:-۴۳.

و قوله:« فَانْظُرْ ما ذا تَرىٰ »هو من الرأی بمعنی الاعتقاد أی فتفکر فیما قلت و عین ما هو رأیک فیه،و هذه الجمله دلیل علی أن إبراهیم(ع)فهم من منامه أنه أمر له بالذبح مثل له فی مثال نتیجه الأمر و لذا طلب من ابنه الرأی فیه و هو یختبره بما ذا یجیبه؟.

و قوله:« قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّٰهُ مِنَ الصّابِرِينَ »جواب ابنه،و قوله:« يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ »إظهار رضا بالذبح فی صوره الأمر و قد قال:

افعل ما تؤمر و لم یقل اذبحنی إشاره إلی أن أباه مأمور بأمر لیس له إلا ائتماره و طاعته.

و قوله:« سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّٰهُ مِنَ الصّابِرِينَ »تطییب منه لنفس أبیه أنه لا یجزع منه و لا یأتی بما یهیج وجد الوالد عن ولده المزمل بدمائه،و قد زاد فی کلامه صفاء علی صفاء إذ قید وعده بالصبر بقوله:« إِنْ شاءَ اللّٰهُ »فأشار إلی أن اتصافه بهذه الصفه الکریمه أعنی الصبر لیس له من نفسه و لا أن زمامه بیده بل هو من مواهب الله و مننه إن یشأ تلبس به و له أن لا یشاء فینزعه منه.

قوله تعالی:« فَلَمّا أَسْلَما وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ » الإسلام الرضا و الاستسلام:و التل الصرع و الجبین أحد جانبی الجبهه و اللام فی« لِلْجَبِينِ »لبیان ما وقع علیه الصراع کقوله :

«يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً:» الإسراء:-۱۰۷،و المعنی فلما استسلما إبراهیم و ابنه لأمر الله و رضیا به و صرعه إبراهیم علی جبینه.

و جواب لما محذوف إیماء إلی شده المصیبه و مراره الواقعه.

قوله تعالی:« وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا »معطوف علی جواب

ص :۱۵۲

لما المحذوف،و قوله:« قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا »أی أوردتها مورد الصدق و جعلتها صادقه و امتثلت الأمر الذی أمرناک فیها أی إن الأمر فیها کان امتحانیا یکفی فی امتثاله تهیؤ المأمور للفعل و إشرافه علیه فحسب.

قوله تعالی:« إِنّا کَذٰلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ الْبَلاٰءُ الْمُبِینُ »الإشاره بکذلک إلی قصه الذبح بما أنها محنه شاقه و ابتلاء شدید و الإشاره بهذا إلیها أیضا و هو تعلیل لشده الأمر.

و المعنی:إنا علی هذه الوتیره نجزی المحسنین فنمتحنهم امتحانات شاقه صوره هینه معنی فإذا أتموا الابتلاء جزیناهم أحسن الجزاء فی الدنیا و الآخره،و ذلک لأن الذی ابتلینا به إبراهیم لهو البلاء المبین.

قوله تعالی:« وَ فَدَیْنٰاهُ بِذِبْحٍ عَظِیمٍ »أی و فدینا ابنه بذبح عظیم و کان کبشا أتی به جبرئیل من عند الله سبحانه فداء علی ما فی الأخبار،و المراد بعظمه الذبح عظمه شأنه بکونه من عند الله سبحانه و هو الذی فدی به الذبیح.

قوله تعالی:« وَ تَرَکْنٰا عَلَیْهِ فِی الْآخِرِینَ »تقدم الکلام فیه.

قوله تعالی:« سَلاٰمٌ عَلیٰ إِبْرٰاهِیمَ »تحیه منه تعالی علیه،و فی تنکیر سلام تفخیم له.

قوله تعالی:« کَذٰلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ إِنَّهُ مِنْ عِبٰادِنَا الْمُؤْمِنِینَ »تقدم تفسیر الآیتین.

قوله تعالی:« وَ بَشَّرْنٰاهُ بِإِسْحٰاقَ نَبِیًّا مِنَ الصّٰالِحِینَ »الضمیر لإبراهیم(ع).

و اعلم أن هذه الآیه المتضمنه للبشری بإسحاق بوقوعها بعد البشری السابقه بقوله:« فَبَشَّرْنٰاهُ بِغُلاٰمٍ حَلِیمٍ »المتعقبه بقوله:« فَلَمّٰا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْیَ »إلی آخر القصه ظاهره کالصریحه أو هی صریحه فی أن الذبیح غیر إسحاق و هو إسماعیل(ع) و قد فصلنا القول فی ذلک فی قصص إبراهیم(ع)من سوره الأنعام.

قوله تعالی:« وَ بٰارَکْنٰا عَلَیْهِ وَ عَلیٰ إِسْحٰاقَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِهِمٰا مُحْسِنٌ وَ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ

مُبِينٌ

»المبارکه علی شیء جعل الخیر و النماء و الثبات فیه أی و جعلنا فیما أعطینا إبراهیم و إسحاق الخیر الثابت و النماء.

و یمکن أن یکون قوله:« وَ مِنْ ذُرِّیَّتِهِمٰا »إلخ قرینه علی أن المراد بقوله:

« بٰارَکْنٰا »إعطاء البرکه و الکثره فی أولاده و أولاد إسحاق،و الباقی ظاهر.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« بِقَلْبٍ سَلِیمٍ »قال:القلب السلیم الذی یلقی الله عز و جل-و لیس فیه أحد سواه.

و فیه،قال":القلب السلیم من الشک.

و فی روضه الکافی،بإسناده عن حجر عن أبی عبد الله(ع)قال قال أبو جعفر (ع): عاب آلهتهم فنظر نظره فی النجوم فقال إنی سقیم.قال أبو جعفر(ع):و الله ما کان سقیما و ما کذب.

أقول:و فی معناه روایات أخر و فی بعضها:

ما کان إبراهیم سقیما و ما کذب- إنما عنی سقیما فی دینه مرتادا.

و قد تقدم الروایات فی قصه حجاج إبراهیم(ع)قومه و کسره الأصنام و إلقائه فی النار فی تفسیر سور الأنعام و مریم و الأنبیاء و الشعراء.

و فی التوحید،عن أمیر المؤمنین(ع)فی حدیث: و قد سأله رجل عما اشتبه علیه من الآیات قال:و قد أعلمتک أن رب شیء من کتاب الله عز و جل-تأویله غیر تنزیله و لا یشبه کلام البشر-و سأنبئک بطرف منه فتکتفی إن شاء الله-.

من ذلک قول إبراهیم(ع):« إِنِّی ذٰاهِبٌ إِلیٰ رَبِّی سَیَهْدِینِ »فذهابه إلی ربه توجهه إلیه عباده-و اجتهادا و قربه إلی الله عز و جل-أ لا تری أن تأویله غیر تنزیله؟.

و فیه،بإسناده عن الفتح بن یزید الجرجانی عن أبی الحسن(ع)قال: یا فتح إن لله إرادتین و مشیئتین:إراده حتم،و إراده عزم ینهی و هو یشاء ذلک و یأمر و هو

لا- يشاء-أ و ما رأيت أنه نهى آدم و زوجته-عن أن يأكلا من الشجره و هو يشاء ذلك؟ و لو لم يشأ لم يأكلا،و لو أكلا لغلبت شهوتهما مشيئه الله تعالى،و أمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل(ع)و شاء أن لا يذبحه-و لو لم يشأ أن لا يذبحه-لغلبت مشيئه إبراهيم مشيئه الله عز و جل.قلت:فرجت عنى فرج الله عنك.

و عن أمالي الشيخ،بإسناده إلى سليمان بن يزيد قال: حدثنا على بن موسى قال:

حدثنى أبى عن أبيه عن أبى جعفر عن أبيه عن آبائه(ع)قال: الذبيح إسماعيل (ع):

أقول:و روى مثله فى المجمع،عن أبى جعفر و أبى عبد الله(ع)

،و بهذا المضمون روايات كثيره أخرى عن أئمه أهل البيت(ع)،و قد وقع فى بعض رواياتهم أنه إسحاق و هو مطروح لمخالفه الكتاب.

و عن الفقيه،: سئل الصادق(ع)عن الذبيح من كان؟فقال إسماعيل لأن الله تعالى ذكر قصته فى كتابه-ثم قال:« وَ بَشَّرْنٰاهُ بِإِسْحٰاقَ نَبِيًّا مِنَ الصّٰالِحِينَ .

أقول:هذا ما تقدم فى بيان الآيه أن الآيه بسياقها ظاهره بل صريحه فى ذلك.

و فى المجمع،عن ابن إسحاق": أن إبراهيم كان إذا زار إسماعيل و هاجر-حمل على البراق فيغدو من الشام-فيقيل بمكه و يروح من مكه فيبيت عند أهله بالشام-حتى إذا بلغ معه السعى رأى فى المنام أن (۱)يذبحه-فقال له:يا بنى خذ الحبل و المديه (۲)ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب.

فلما خلا إبراهيم بابنه فى شعب ثبير-أخبره بما قد ذكره الله عنه فقال:يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب-و اكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح من دمى شيئا-فتراه أمي و اشحذ شفرتك-و أسرع مر السكين على حلقى-ليكون أهون على فإن الموت شديد-فقال له إبراهيم: نعم العون أنت يا بنى على أمر الله-.

ثم ساق القصه و فيها ثم انحنى إليه بالمديه-و قلب جبرئيل المديه على قفاها-و اجتر

۱- ۱) أنه ظ

۲- ۲) المديه:السكين.

الکبش من قبل ثبیر و اجتر الغلام من تحته-و وضع الکبش مکان الغلام،و نودی من میسره مسجد الخیف:یا إبراهیم قد صدقت الرؤیا.

أقول:و الروایات فی القصه کثیره و لا تخلو من اختلاف.

و فیه،:روی العیاشی بإسناده عن برید بن معاویه العجلی قال: قلت لأبی عبد الله (ع):کم کان بین بشاره إبراهیم بإسماعیل-و بین بشارته بإسحاق(ع)؟قال:

کان بین البشارتین خمس سنین-قال الله سبحانه فَبَشَّرْنٰاهُ بِغُلاٰمٍ حَلِیمٍ یعنی إسماعیل-و هی أول بشاره بشر الله به إبراهیم(ع)فی الولد.

[سوره الصافات (۳۷): الآیات ۱۱۴ الی ۱۳۲]

اشاره

وَ لَقَدْ مَنَنّٰا عَلیٰ مُوسیٰ وَ هٰارُونَ (۱۱۴) وَ نَجَّیْنٰاهُمٰا وَ قَوْمَهُمٰا مِنَ اَلْکَرْبِ اَلْعَظِیمِ (۱۱۵) وَ نَصَرْنٰاهُمْ فَکٰانُوا هُمُ اَلْغٰالِبِینَ (۱۱۶) وَ آتَیْنٰاهُمَا اَلْکِتٰابَ اَلْمُسْتَبِینَ (۱۱۷) وَ هَدَیْنٰاهُمَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِیمَ (۱۱۸) وَ تَرَکْنٰا عَلَیْهِمٰا فِی اَلْآخِرِینَ (۱۱۹) سَلاٰمٌ عَلیٰ مُوسیٰ وَ هٰارُونَ (۱۲۰) إِنّٰا کَذٰلِکَ نَجْزِی اَلْمُحْسِنِینَ (۱۲۱) إِنَّهُمٰا مِنْ عِبٰادِنَا اَلْمُؤْمِنِینَ (۱۲۲) وَ إِنَّ إِلْیٰاسَ لَمِنَ اَلْمُرْسَلِینَ (۱۲۳) إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ أَ لاٰ تَتَّقُونَ (۱۲۴) أَ تَدْعُونَ بَعْلاً وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ اَلْخٰالِقِینَ (۱۲۵) اَللّٰهَ رَبَّکُمْ وَ رَبَّ آبٰائِکُمُ اَلْأَوَّلِینَ (۱۲۶) فَکَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (۱۲۷) إِلاّٰ عِبٰادَ اَللّٰهِ اَلْمُخْلَصِینَ (۱۲۸) وَ تَرَکْنٰا عَلَیْهِ فِی اَلْآخِرِینَ (۱۲۹) سَلاٰمٌ عَلیٰ إِلْ یٰاسِینَ (۱۳۰) إِنّٰا کَذٰلِکَ نَجْزِی اَلْمُحْسِنِینَ (۱۳۱) إِنَّهُ مِنْ عِبٰادِنَا اَلْمُؤْمِنِینَ (۱۳۲)

(بيان)

ملخص قصه موسی و هارون و إشاره إلی قصه إلیاس(ع).و بیان ما أنعم الله علیهم و عذاب مکذبیهم و جانب الرحمه یربو فیها علی جانب العذاب و التبشیر یزید علی الإنذار.

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ مَنَنّا عَلیٰ مُوسیٰ وَ هٰارُونَ » المن الإنعام و من المحتمل أن یکون المراد به ما سیعده مما أنعم علیهما و علی قومهما من التنجیه و النصر و إیتاء الکتاب و الهدایه و غیرها فیکون قوله:« وَ نَجَّیْنٰاهُمٰا »إلخ من عطف التفسیر.

قوله تعالی:« وَ نَجَّیْنٰاهُمٰا وَ قَوْمَهُمٰا مِنَ الْکَرْبِ الْعَظِیمِ »و هو الغم الشدید من استضعاف فرعون لهم یسومهم سوء العذاب و یذبح أبناءهم و یستحیی نساءهم.

قوله تعالی:« وَ نَصَرْنٰاهُمْ فَکٰانُوا هُمُ الْغٰالِبِینَ »و هو الذی أدی إلی خروجهم من مصر و جوازهم البحر و هلاک فرعون و جنوده.

و بذلک یندفع ما توهم أن مقتضی الظاهر أن یذکر النصر قبل التنجیه لتوقفها علیه،و ذلک أن النصر إنما یکون فیما إذا کان للمنصور قوه ما لکنها لا تکفی لدفع الشر فتتم بالنصر و کان لبنی إسرائیل عند الخروج من مصر بعض القوه فناسب إطلاق النصر علی إعانتهم علی ذلک بخلاف أصل تخلیصهم من ید فرعون فإنهم کانوا أسراء مستعبدین لا قوه لهم فلا یناسب هذا الاعتبار إلا ذکر التنجیه دون النصر.

قوله تعالی:« وَ آتَیْنٰاهُمَا الْکِتٰابَ الْمُسْتَبِینَ »أی یستبین المجهولات الخفیه فیبینها و هی التی یحتاج إلیها الناس فی دنیاهم و آخرتهم.

قوله تعالی:« وَ هَدَیْنٰاهُمَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِیمَ »المراد بها الهدایه بتمام معنی الکلمه، و لذا خصها بهما و لم یشرک فیها معهما قومهما،و لقد تقدم کلام فی معنی الهدایه إلی الصراط المستقیم فی سوره الفاتحه.

قوله تعالی:« وَ تَرَکْنٰا عَلَیْهِمٰا فِی الْآخِرِینَ إلی قوله- اَلْمُؤْمِنِینَ »تقدم تفسیرها.

قوله تعالی:« وَ إِنَّ إِلْیٰاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ »قیل:إنه(ع)من آل هارون کان

مبعوثا إلى بعلبك (۱)و لم یذکر فی کلامه ما یستشهد به علیه.

قوله تعالی:« إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ أَ لاٰ تَتَّقُونَ أَ تَدْعُونَ بَعْلاً وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخٰالِقِینَ -إلی قوله- اَلْأَوَّلِینَ »شطر من دعوته(ع)یدعو قومه فیها إلی التوحید و یوبخهم علی عباده بعل-صنم کان لهم-و ترک عباده الله سبحانه.

و کلامه(ع)علی ما فیه من التوبیخ و اللوم یتضمن حجه تامه علی توحیده تعالی فإن قوله:« وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخٰالِقِینَ اللّٰهَ رَبَّکُمْ وَ رَبَّ آبٰائِکُمُ الْأَوَّلِینَ »یوبخهم أولا-علی ترک عباده أحسن الخالقین،و الخلق و الإیجاد کما یتعلق بذوات الأشیاء یتعلق بالنظام الجاری فیها الذی یسمی تدبیرا فکما أن الخلق إلیه تعالی فالتدبیر أیضا إلیه فهو المدبر کما أنه الخالق،و أشار إلی ذلک بقوله:« اَللّٰهَ رَبَّکُمْ »بعد وصفه تعالی بأحسن الخالقین.

ثم أشار إلی أن ربوبیته تعالی لا تختص بقوم دون قوم کالأصنام التی یتخذ کل قوم بعضا منها دون بعض فیکون صنم ربا لقوم دون آخرین بل هو تعالی رب لهم و لآبائهم الأولین لا یختص ببعض دون بعض لعموم خلقه و تدبیره،و إلیه أشار بقوله:

« اَللّٰهَ رَبَّکُمْ وَ رَبَّ آبٰائِکُمُ الْأَوَّلِینَ ».

قوله تعالی:« فَکَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ »أی مبعوثون لیحضروا العذاب،و قد تقدم أن الإحضار إذا أطلق أفاد معنی الشر.

قوله تعالی:« إِلاّٰ عِبٰادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِینَ »دلیل علی أنه کان فی قومه جمع منهم.

قوله تعالی:« وَ تَرَکْنٰا عَلَیْهِ فِی الْآخِرِینَ إلی قوله- اَلْمُؤْمِنِینَ »تقدم الکلام فی نظائرها.

-(بحث روائی)-

فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« أَ تَدْعُونَ بَعْلاً »قال کان لهم صنم یسمونه بعلا.

و فی المعانی،بإسناده إلی قادح عن الصادق جعفر بن محمد عن أبیه عن آبائه عن علی

۱- ۱) و لعلهم أخذوه من بعل فقد قیل:أن بعلبک سمی به لأن بعلا کان منصوبا فی معبد فیه.

(ع): فی قول الله عز و جل:« سلام علی آل یس »قال:یس محمد ص و نحن آل یس.:

أقول:و عن العیون،عن الرضا(ع)مثله

،و هو مبنی علی قراءه آل یس کما قرأه نافع و ابن عامر و یعقوب و زید.

(کلام فی قصه إلیاس(ع))

۱-قصته فی القرآن:

لم یذکر اسمه(ع)فی القرآن الکریم إلا فی هذا الموضع و فی سوره الأنعام عند ذکر هدایه الأنبیاء حیث قال :«وَ زَکَرِیّٰا وَ یَحْییٰ وَ عِیسیٰ وَ إِلْیٰاسَ کُلٌّ مِنَ الصّٰالِحِینَ:» الأنعام:-۸۵.

و لم یـذکر تعـالی من قصـته فی هـذه السوره إلا أنه کان یـدعو إلی عباده الله سـبحانه قوما کانوا یعبـدون بعلا فآمن به و أخلص الإیمان قوم منهم و کذبه آخرون و هم جل القوم و إنهم لمحضرون.

و قـد أثنی الله سـبحانه علیه فی سوره الأنعـام بمـا أثنی به علی الأنبیـاء عـامه و أثنی علیه فی هـذه السوره بـأنه من عباده المؤمنین المحسنین و حیاه بالسلام بناء علی القراءه المشهوره« سَلاٰمٌ عَلیٰ إِلْ یٰاسِینَ ».

۲-الأحادیث فیه:

ورد فیه(ع)أخبار مختلفه متهافته کغالب الأخبار الوارده فی قصص الأنبیاء،الحاکیه للعجائب کالذی

روی عن ابن مسعود": أن إلیاس هو إدریس

و مـا عن ابن عبـاس عن النبی ص: أن الخضـر هو إلیاس ،و ما عن وهب و کعب الأحبار و غیرهما":أن إلیاس حی لا یموت إلی النفخه الأـولی،و مـا عن وهب":أن إلیـاس سأل الله أن یریحه من قومه-فأرسل الله إلیه دابه کهیئه الفرس فی لون النار-فوثب إلیه فـانطلق به فکسـاه الله الریش و النور-و قطع عنه لـذه المطعم و المشـرب فصـار فی الملاـئکه،و مـا عن کعب الأحبـار":أن إلیاس صاحب الجبال و البر-و أنه الـذی سـماه الله بـذی النون،و ما عن الحسن":أن إلیاس موکل بالفیافی و الخضـر موکل بالجبال،و ما عن أنس":أن

إلياس لاقى النبى ص فى بعض أسفاره-فقعدا يتحدثان ثم نزل عليهما مائده من السماء- فأكلا و أطعمانى ثم ودعه و ودعنى-ثم رأيته مر على السحاب نحو السماء إلى غير ذلك (۱)و فى بعض أخبار الشيعه أنه(ع)حى مخلد (۲)لكنها ضعاف و ظاهر آيات القصه لا يساعد عليه.

و فى البحار،فى قصه إلياس(ع)عن قصص الأنبياء،بالإسناد عن الصدوق بإسناده إلى وهب بن منبه،و رواه الثعلبى فى العرائس،عن ابن إسحاق و علماء الأخبار أبسط منه-و الحديث طويل جدا،و ملخصه": أنه بعد انشعاب ملك بنى إسرائيل و تقسمه بينهم-سار سبط منهم إلى بعلبك-و كان لهم ملك منهم يعبد صنما اسمه بعل- و يحمل الناس على عبادته.

و كانت له مرأه فاجره-قد تزوجت قبله بسبعه من الملوك-و ولدت تسعين ولدا سوى أبناء الأبناء،و كان الملك يستخلفها إذ غاب-فتقضى بين الناس،و كان له كاتب مؤمن حكيم-قد خلص من يدها ثلاثمائه مؤمن تريد قتلهم،و كان فى جوار قصر الملك رجل مؤمن له بستان-و كان الملك يحترم جواره و يكرمه-.

ففى بعض ما غاب الملك-قتلت المرأه الجار المؤمن و غصبت بستانه-فلما رجع و علم به عاتبها-فاعتذرت إليه و أرضته فآلى الله تعالى على نفسه-أن ينتقم منهما إن لم يتوبا فأرسل إليهم إلياس(ع)-يدعوهم إلى عباده الله و أخبرهما بما آلى الله-فاشتد غضبهم عليه و هموا بتعذيبه و قتله-فهرب منهم إلى أصعب جبل هناك-فلبث فيه سبع سنين-يعيش بنبات الأرض و ثمار الشجر-.

فأمرض الله ابنا للملك يحبه حبا شديدا-فاستشفع ببعل فلم ينفعه فقيل له:إنه غضبان عليك إن لم تقتل إلياس-فأرسل إليه فئه من قومه ليخدعوه-و يقبضوا عليه فأرسل الله إليهم نارا-فأحرقتهم ثم أرسل إليه فئه أخرى-من ذوى البأس مع كاتبه

۱- ۱) رواه فى الدر المنثور فى تفسير آيات القصه.

۲- ۲) رواه فى البحار عن قصص الأنبياء.

المؤمن-فذهب معه إلياس صونا له من غضب الملك -لكن الله سبحانه أمات ابنه فشغله حزنه عن إلياس-فرجع سالما.

ثم لما طال الأمر-نزل إلياس من الجبل-و استخفى عند أم يونس بن متى فى بيتها- و يونس طفل رضيع-ثم خرج بعد سته أشهر إلى الجبل ثانيا-و اتفق أن مات بعده يونس- ثم أحياه الله بدعاء إلياس بعد ما خرجت أمه فى طلبه-فوجدته فتضرعت إليه-.

ثم إنه سأل الله أن ينتقم له من بنى إسرائيل-و يمسك عنهم الأمطار فأجيب-و سلط الله عليهم القحط فأجهدوا سنين-فندموا فجاءوه فتابوا و أسلموا-فدعا الله فأرسل عليهم المطر فسقاهم و أحيا بلادهم-.

فشكوا إليه هدم الجدران و عدم البذر من الحبوب-فأوحى إليه أن يأمرهم أن يبذروا الملح-فأنبت لهم الحمص و أن يبذروا الرمل-فأنبت لهم منه الدخن-.

ثم لما كشف الله عنهم الضر نقضوا العهد-و عادوا إلى أخبث ما كانوا عليه-فأمل ذلك إلياس فدعا الله أن يريحه منهم-فأرسل الله إليه فرسا من نار-فوثب عليه إلياس فرفعه الله إلى السماء-و كساه الريش و النور فكان مع الملائكه-.

ثم سلط الله على الملك و امرأته عدوا-فقصدهما و ظهر عليهما فقتلهما-و ألقى جيفتهما فى بستان ذلك الرجل المؤمن-الذى قتلاه و غصبوا بستانه.

و أنت بالتأمل فيما تقصه الروايه لا ترتاب فى ضعفها.

[سوره الصافات (۳۷): الآيات ۱۳۳ الى ۱۴۸]

اشاره

وَ إِنَّ لُوطاً لَمِنَ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۳۳) إِذْ نَجَّيْنٰاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (۱۳۴) إِلاّٰ عَجُوزاً فِى اَلْغٰابِرِينَ (۱۳۵) ثُمَّ دَمَّرْنَا اَلْآخَرِينَ (۱۳۶) وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (۱۳۷) وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (۱۳۸) وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۳۹) إِذْ أَبَقَ إِلَى اَلْفُلْكِ اَلْمَشْحُونِ (۱۴۰) فَسٰاهَمَ فَكٰانَ مِنَ اَلْمُدْحَضِينَ (۱۴۱) فَالْتَقَمَهُ اَلْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ (۱۴۲) فَلَوْ لاٰ أَنَّهُ كٰانَ مِنَ اَلْمُسَبِّحِينَ (۱۴۳) لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (۱۴۴) فَنَبَذْنٰاهُ بِالْعَرٰاءِ وَ هُوَ سَقِيمٌ (۱۴۵) وَ أَنْبَتْنٰا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (۱۴۶) وَ أَرْسَلْنٰاهُ إِلىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (۱۴۷) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنٰاهُمْ إِلىٰ حِينٍ (۱۴۸)

(بیان)

خلاصه قصه لوط(ع)ثم قصه یونس(ع)و ابتلاء الله تعالی له بالحوت مأخوذا بما أعرض عن قومه عند ارتفاع العذاب عنهم بعد نزوله و إشرافه علیهم.

قوله تعالی:« وَ إِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ إِذْ نَجَّیْنٰاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِینَ »و إنما نجاه و أهله من العذاب النازل علی قومه و هو الخسف و أمطار حجاره من سجیل علی ما ذکره الله تعالی فی سائر کلامه.

قوله تعالی:« إِلاّٰ عَجُوزاً فِی الْغٰابِرِینَ »أی فی الباقین فی العذاب المهلکین به و هی امرأه لوط.

قوله تعالی:« ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِینَ » التدمیر الإهلاک،و الآخرین قومه الذین أرسل إلیهم.

قوله تعالی:« وَ إِنَّکُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَیْهِمْ مُصْبِحِینَ وَ بِاللَّیْلِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ »فإنهم علی طریق الحجاز إلی الشام،و المراد بالمرور علیهم المرور علی دیارهم الخربه و هی الیوم مستوره بالماء علی ما قیل.

قوله تعالی:« وَ إِنَّ یُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ إِذْ أَبَقَ إِلَی الْفُلْکِ الْمَشْحُونِ »أی السفینه

ص:۱۶۲

المملوءه من الناس و الإباق هرب العبد من مولاه.

و المراد بإباقه إلى الفلك خروجه من قومه معرضا عنهم و هو(ع)و إن لم يعص فى خروجه ذلك ربه و لا كان هناك نهى من ربه عن الخروج لكن خروجه إذ ذاك كان ممثلا لإباق العبد من خدمه مولاه فأخذه الله بذلك،و قد تقدم بعض الكلام فى ذلك فى تفسير قوله تعالى :«وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ:» الأنبياء:-٨٧.

قوله تعالى:« فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ » المساهمه المقارعه و الإدحاض الغلبه أى فقارع من فى السفينه فكان من المغلوبين،و قد كان عرض لسفينتهم الحوت فاضطروا إلى أن يلقوا واحدا منهم فى البحر ليبتلعه و يخلى السفينه فقارعوا فأصابت يونس(ع).

قوله تعالى:« فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ » الالتقام الابتلاع،و مليم من ألام أى دخل فى اللوم كأحرم إذا دخل فى الحرم أو بمعنى صار ذا ملامه.

قوله تعالى:« فَلَوْ لاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ »عده من المسبحين و هم الذين تكرر منهم التسبيح و تمكن منهم حتى صار وصفا لهم يدل على دوام تلبسه زمانا بالتسبيح.قيل:أى من المسبحين قبل التقام الحوت إياه،و قيل:

بل فى بطن الحوت،و قيل:أى كان من المسبحين قبل التقام الحوت و فى بطنه.

و الذى حكى من تسبيحه فى كلامه تعالى قوله فى سوره الأنبياء :«فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ:» الأنبياء:-٨٧ و لازم ذلك أن يكون من المسبحين فى بطن الحوت خاصه أو فيه و فيما قبله فاحتمال كون المراد تسبيحه قبل التقام الحوت مرجوح لا ينبغى أن يصار إليه.

على أن تسبيحه مع اعترافه بالظلم فى قوله:« سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » -على ما سيجىء-تسبيح له تعالى عما كان يشعر به (١)فعله من ترك قومه و ذهابه على وجهه،و قوله:« فَلَوْ لاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ »إلخ يدل على أن تسبيحه كان هو السبب المستدعى لنجاته،و لازم ذلك أن يكون إنما ابتلى بما ابتلى به لينزهه تعالى فينجو بذلك من الغم الذى ساقه إليه فعله إلى ساحه العافيه.

١- ١) و هو أن الله لا يقدر عليه كما قال تعالى:«و ظن أن لن نقدر عليه».

و بذلک یظهر أن العنایه فی الکلام إنما هی بتسبیحه فی بطن الحوت خاصه فخیر الأقوال الثلاثه أوسطها.

فالظاهر أن المراد بتسبیحه نداؤه فی الظلمات بقوله:« لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنْتَ سُبْحٰانَکَ إِنِّی کُنْتُ مِنَ الظّٰالِمِینَ »و قد قدم التهلیل لیکون کالعله المبینه لتسبیحه کأنه یقول:

لا معبود بالحق یتوجه إلیه غیرک فأنت منزه مما کان یشعر به فعلی أنی آبق منک معرض عن عبودیتک متوجه إلی سواک إنی کنت ظالما لنفسی فی فعلی فها أنا متوجه إلیک متبرئ مما کان یشعر به فعلی من التوجه عنک إلی غیرک.

فهذا معنی تسبیحه و لو لا ذلک منه لم ینج أبدا إذ کان سبب نجاته منحصرا فی التسبیح و التنزیه بالمعنی الذی ذکر.

و بذلک یظهر أن المراد بقوله:« لَلَبِثَ فِی بَطْنِهِ إِلیٰ یَوْمِ یُبْعَثُونَ »تأبید مکثه فی بطنه إلی أن یبعث فیخرج منه کالقبر الذی یقبر فیه الإنسان و یلبث فیه حتی یبعث فیخرج منه قال تعالی :«مِنْهٰا خَلَقْنٰاکُمْ وَ فِیهٰا نُعِیدُکُمْ وَ مِنْهٰا نُخْرِجُکُمْ تٰارَةً أُخْریٰ:» طه:-۵۵.

و لا دلاله فی الآیه علی کونه(ع)علی تقدیر اللبث حیا فی بطن الحوت إلی یوم یبعثون أو میتا و بطنه قبره مع بقاء بدنه و بقاء جسد الحوت علی حالهما أو بنحو آخر فلا مساغ لاختلافهم فی کونه(ع)حیا علی هذا التقدیر أو میتا و بطنه قبره،و أن المراد بیوم یبعثون النفخه الأولی التی فیها یموت الخلائق أو النفخه الثانیه أو التأجیل بیوم القیامه کنایه عن طول اللبث.

قوله تعالی:« فَنَبَذْنٰاهُ بِالْعَرٰاءِ وَ هُوَ سَقِیمٌ » النبذ طرح الشیء و الرمی به،و العراء المکان الذی لا ستره فیه یستظل بها من سقف أو خباء أو شجر.

و المعنی علی ما یعطیه السیاق أنه صار من المسبحین فأخرجناه من بطن الحوت و طرحناه خارج الماء فی أرض لا ظل فیها یستظل به و هو سقیم.

قوله تعالی:« وَ أَنْبَتْنٰا عَلَیْهِ شَجَرَةً مِنْ یَقْطِینٍ » الیقطین من نوع القرع و یکون ورقه عریضا مستدیرا و قد أنبتها الله علیه لیستظل بورقها.

قوله تعالی:« وَ أَرْسَلْنٰاهُ إِلیٰ مِائَهِ أَلْفٍ أَوْ یَزِیدُونَ »أو فی مورد الترقی و تفید معنی بل،و المراد بهذه الجماعه أهل نینوی.

ص :۱۶۴

قوله تعالى:« فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ »أی آمنوا به فلم نعذبهم و لم نهلکهم بما أشرف علیهم من العذاب فمتعناهم بالحیاه و البقاء إلی أجلهم المقدر لهم.

و الآیه فی إشعارها برفع العذاب عنهم و تمتیعهم تشیر إلی قوله تعالی :«فَلَوْ لا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ:» یونس:-۹۸.

و لا یخلو السیاق من إشعار-بل دلاله-علی أن المراد من إرساله فی قوله:

« وَ أَرْسَلْنَاهُ »أمره بالذهاب ثانیا إلی القوم،و بإیمانهم فی قوله:« فَآمَنُوا »إلخ إیمانهم بتصدیقه و اتباعه بعد ما آمنوا و تابوا حین رأوا العذاب.

و من هنا یظهر ضعف ما استدل بعضهم بالآیتین أن إرساله إلی القوم کان بعد خروجه من بطن الحوت و أنه أمر أولا بالذهاب إلی أهل نینوی و دعوتهم إلی الله و کانوا یعبدون الأصنام فاستعظم الأمر و خرج من بیته یسیر فی الأرض لعل الله یصرف عنه هذا التکلیف و رکب البحر فابتلاه الله بالحوت ثم لما نبذ بالعراء کلف ثانیا فأجاب و أطاع و دعاهم فاستجابوا فدفع الله عذابا کان یهددهم إن لم یؤمنوا.

و ذلک أن السیاق کما سمعت یدل علی کون إرساله بأمر ثان و أن إیمانهم کان إیمانا ثانیا بعد الإیمان و التوبه و أن تمتیعهم إلی حین کان مترتبا علی إیمانهم به لا علی کشف العذاب عنهم فلم یکن الله سبحانه لیترکهم لو لم یؤمنوا برسوله ثانیا کما آمنوا به و تابوا إلیه أولا فی غیبته فافهم ذلک.

علی أن قوله تعالی :«وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً:» الأنبیاء:-۸۷ و قوله :«وَ لَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَ هُوَ مَكْظُومٌ:» ن:-۴۸ لا یلائم ما ذکروه،و کذا قوله :«إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا:» یونس:-۹۸ إذ لا یطلق الکشف إلا فی عذاب واقع حال أو مشرف.

(کلام فی قصه یونس(ع)فی فصول)

۱- [قصته فی القرآن.]

لم یتعرض القرآن الکریم إلا لطرف من قصته و قصه قومه فقد تعرض فی سوره الصافات لإرساله ثم إباقه و رکوبه الفلک و التقام الحوت له ثم نجاته و إرساله إلی

القوم و إيمانهم قال تعالى:« وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ. فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْ لاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ سَقِيمٌ. وَ أَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ.

وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ. فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ

».

و فى سوره الأنبياء:لتسبيحه فى بطن الحوت و تنجيته قال تعالى :«وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ:» الأنبياء:-٨٧ ٨٨.

و فى سوره ن:لندائه مكظوما و خروجه من بطنه و اجتبائه قال تعالى :«فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لاَ تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَ هُوَ مَكْظُومٌ. لَوْ لاَ أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ. فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ:» ن:-٥٠.

و فى سوره يونس:لإيمان قومه و كشف العذاب عنهم قال تعالى :«فَلَوْ لاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ:» يونس:-٩٨.

و خلاصه ما يستفاد من الآيات بضم بعضها إلى بعض و اعتبار القرائن الحافه بها أن يونس(ع)كان من الرسل أرسله الله تعالى إلى قومه و هم جمع كثير يزيدون على مائه ألف فدعاهم فلم يجيبوه إلا بالتكذيب و الرد حتى جاءهم عذاب أوعدهم به يونس ثم خرج من بينهم.

فلما أشرف عليهم العذاب و شاهدوه مشاهده عيان أجمعوا على الإيمان و التوبه إلى الله سبحانه فكشف الله عنهم عذاب الخزى فى الحياه الدنيا.

ثم إن يونس(ع)استخبر عن حالهم فوجد العذاب انكشف عنهم-و كأنه لم يعلم بإيمانهم و توبتهم-فلم يعد إليهم و ذهب لوجهه على ما به من الغضب و السخط عليهم فكان ظاهر حاله حال من يأبق من ربه مغاضبا عليه ظانا أن لا يقدر عليه و ركب البحر فى فلك مشحون.

فعرض لهم حوت عظيم لم يجدوا بدا من أن يلقوا إليه واحدا منهم يبتلعه

و ینجو الفلک بذلک فساهموا و قارعوا فیما بینهم فأصابت یونس(ع)فألقوه فی البحر فابتلعه الحوت و نجت السفینه.

ثم إن الله سبحانه حفظه حیا سویا فی بطنه أیاما و لیالی و یونس(ع)یعلم أنها بلیه ابتلاه الله بها مؤاخذه بما فعل و هو ینادی فی بطنه أَنْ«لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنْتَ سُبْحٰانَکَ إِنِّی کُنْتُ مِنَ الظّٰالِمِینَ »الأنبیاء ٨٧.

فاستجاب الله له فأمر الحوت أن یلفظه فنبذه بالعراء و هو سقیم فأنبت الله سبحانه علیه شجره من یقطین یستظل بأوراقها ثم لما استقامت حاله أرسله إلی قومه فلبوا دعوته و آمنوا به فمتعهم الله إلی حین.

و الأخبار الوارده من طرق أئمه أهل البیت(ع)علی کثرتها و بعض الأخبار من طرق أهل السنه مشترکه المتون فی قصه یونس(ع)علی النحو الذی یستفاد من الآیات و إن اختلفت فی بعض الخصوصیات الخارجه عن ذلک (١)

٢-قصته عند أهل الکتاب:

هو(ع)مذکور باسم یوناه بن إمتای فی مواضع من العهد القدیم و کذا فی مواضع من العهد الجدید أشیر فی بعضها إلی قصه لبثه فی بطن الحوت لکن لم تذکر قصته الکامله فی شیء منهما.

و نقل الآلوسی فی روح المعانی،فی قصته عند أهل الکتاب و یؤیده ما فی بعض کتبهم من إجمال (٢)القصه:

أن الله أمره بالذهاب إلی دعوه أهل نینوی (٣)و کانت إذ ذاک عظیمه جدا لا یقطع إلا فی نحو ثلاثه أیام و کانوا قد عظم شرهم و کثر فسادهم،فاستعظم الأمر و هرب إلی ترسیس (۴)فجاء یافا (۵)فوجد سفینه یرید أهلها الذهاب بها إلی ترسیس فاستأجر و أعطی

١- ١) و لذلک نوردها لأنها فی نفسها آحاد لا حجیه لها فی مثل المقام و لا یمکن تصحیح خصوصیاتها بالآیات و هو ظاهر لمن راجعها.

٢- ٢) قاموس الکتاب المقدس.

٣- ٣) کانت مدینه عظیمه من مدائن آشور علی ساحل دجله.

۴- ۴) اسم مدینه.

۵- ۵) مدینه فی الأرض المقدسه.

الأجره و ركب السفينه فهاجت ريح عظيمه و كثرت الأمواج و أشرفت السفينه على الغرق.

ففزع الملاحون و رموا فى البحر بعض الأمتعه لتخف السفينه و عند ذلك نزل يونس إلى بطن السفينه و نام حتى علا نفسه فتقدم إليه الرئيس فقال له:ما بالك نائما؟ قم و ادع إلهك لعله يخلصنا مما نحن فيه و لا يهلكنا.

و قال بعضهم لبعض:تعالوا نتقارع لنعرف من أصابنا هذا الشر بسببه فتقارعوا فوقعت القرعه على يونس فقالوا له:أخبرنا ما ذا عملت:و من أين جئت؟و إلى أين تمضى؟و من أى كوره أنت؟و من أى شعب أنت؟فقال لهم:أنا عبد الرب إله السماء خالق البر و البحر و أخبرهم خبره فخافوا خوفا عظيما و قالوا له:لم صنعت ما صنعت؟ يلومونه على ذلك.

ثم قالوا له:ما نصنع الآن بك؟ليسكن البحر عنا؟فقال:ألقونى فى البحر يسكن فإنه من أجلى صار هذا الموج العظيم فجهد الرجال أن يردوه إلى البر فلم يستطيعوا فأخذوا يونس و ألقوه فى البحر لنجاه جميع من فى السفينه فسكن البحر و أمر الله حوتا عظيما فابتلعه فبقى فى بطنه ثلاثه أيام و ثلاث ليال و صلى فى بطنه إلى ربه و استغاث به فأمر سبحانه الحوت فألقاه إلى اليبس ثم قال له:قم و امض إلى نينوى و ناد فى أهلها كما أمرتك من قبل.

فمضى(ع)و نادى و قال:يخسف نينوى بعد ثلاثه أيام فآمنت رجال نينوى بالله و نادوا بالصيام و لبسوا المسوح جميعا و وصل الخبر إلى الملك فقام عن كرسيه و نزع حلته و لبس مسحا و جلس على الرماد و نودى أن لا يذق أحد من الناس و البهائم طعاما و لا شرابا و جاروا إلى الله تعالى و رجعوا عن الشر و الظلم فرحمهم الله و لم ينزل بهم العذاب.

فحزن يونس و قال:إلهى من هذا هربت،فإنى علمت أنك الرحيم الرءوف الصبور التواب.يا رب خذ نفسى فالموت خير لى من الحياه فقال:يا يونس حزنت من هذا جدا؟فقال:نعم يا رب.

و خرج يونس و جلس مقابل المدينه و صنع له هناك مظله و جلس تحتها إلى أن يرى ما يكون فى المدينه؟فأمر الله يقطينا فصعد على رأسه ليكون ظلا له من كربه ففرح باليقطين فرحا عظيما و أمر الله تعالى دوده فضربت اليقطين فجف ثم هبت ريح

سموم و أشرقت الشمس على رأس يونس فعظم الأمر عليه و استطاب الموت.

فقال الرب:يا يونس أ حزنت جدا على اليقطين؟فقال:نعم يا رب حزنت جدا فقال تعالى:حزنت عليه و أنت لم تتعب فيه و لم تربه بل صار من ليلته و هلك من ليلته فأنا لا أشفق على نينوى المدينه العظيمه التى فيها أكثر من اثنتى عشره ربوه من الناس قوم لا يعلمون يمينهم و لا شمالهم و بهائمهم كثيره انتهى.و جهات اختلاف القصه مع ما يستفاد من القرآن الكريم ظاهره كالفرار من الرساله و عدم رضاه برفع العذاب عنهم مع علمه بإيمانهم و توبتهم.

فإن قلت:نظير ذلك وارد فى القرآن الكريم كنسبه الإباق إليه فى سوره الصافات و كذا مغاضبته و ظنه أن الله لن يقدر عليه على ما فى سوره الأنبياء.

قلت:بين النسبتين فرق فكتبهم المقدسه أعنى العهدين لا تأبى عن نسبه المعاصى حتى الكبائر الموبقه إلى الأنبياء(ع)فلا موجب لتوجيه ما نسب من المعاصى إليه بما يخرج به عن كونه معصيه بخلاف القرآن الكريم فإنه ينزه ساحتهم عن لوث المعاصى حتى الصغائر فما ورد فيه مما يوهم ذلك يحمل على أحسن الوجوه بهذه القرينه الموجبه و لذا حملنا قوله:« إِذْ أَبَقَ »و قوله:« مُغٰاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ »على حكايه الحال و إيهام فعله.

۳-ثناؤه تعالى عليه:

أثنى الله سبحانه عليه بأنه من المؤمنين«سوره الأنبياء ۸۸»و أنه اجتباه و قد عرفت أن اجتباءه إخلاصه العبد لنفسه خاصه،و أنه جعله من الصالحين«سوره ن:۵۰»و عده فى سوره الأنعام فيمن عده من الأنبياء و ذكر أنه فضلهم على العالمين و أنه هداهم إلى صراط مستقيم«سوره الأنعام:۸۷».

(بحث روائى)

فى الفقيه،و قال الصادق(ع): ما تقارع قوم ففوضوا أمرهم إلى الله عز و جل- إلا خرج سهم الحق،و قال:أى قضيه أعدل من القرعه-إذا فوض الأمر إلى الله.

أ ليس الله عز و جل يقول:« فَسٰاهَمَ فَكٰانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ».

و فی البحار،عن البصائر بإسناده عن حبه العرنی قال:قال أمیر المؤمنین(ع):

إن الله عرض ولایتی علی أهل السماوات و علی أهل الأرض-أقر بها من أقر و أنكرها من أنكر-أنكرها یونس فحبسه الله فی بطن الحوت حتی أقر بها.

أقول:و فی معناه روایات أخر،و المراد الولایه الكلیه الإلهیه التی هو(ع) أول من فتح بابها من هذه الأمه و هی قیامه تعالی مقام عبده فی تدبیر أمره فلا یتوجه العبد إلا إلیه و لا یرید إلا ما أراده و ذلك بسلوك طریق العبودیه التی تنتهی بالعبد إلی أن یخلصه الله لنفسه فلا یشاركه فیه غیره.

و كان ظاهر ما أتی به یونس(ع)مما لا یرتضیه الله تعالی فلم یكن قابلا للانتساب إلی إرادته فابتلاه الله بما ابتلاه لیعترف بظلمه علی نفسه و أنه تعالی منزه عن إراده مثله فالبلایا و المحن التی یبتلی بها الأولیاء من التربیه الإلهیه التی یربیهم بها و یكملهم و یرفع درجاتهم بسببها و إن كان بعضها من جهه أخری مؤاخذه ذات عتاب،و قد قیل البلاء للولاء.

و یؤید ذلك

ما عن العلل،بإسناده عن أبی بصیر قال: قلت لأبی عبد الله(ع):

لأی عله صرف الله العذاب عن قوم یونس-و قد أظلهم و لم یفعل ذلك بغیرهم من الأمم؟ فقال:لأنه كان فی علم الله أنه سیصرفه عنهم لتوبتهم-و إنما ترك إخبار یونس بذلك- لأنه أراد أن یفرغه لعبادته فی بطن الحوت-فیستوجب بذلك ثوابه و كرامته.

[سوره الصافات (۳۷): الآیات ۱۴۹ الی ۱۸۲]

اشاره

فَاسْتَفْتِهِمْ أَ لِرَبِّكَ اَلْبَنٰاتُ وَ لَهُمُ اَلْبَنُونَ (۱۴۹) أَمْ خَلَقْنَا اَلْمَلاٰئِكَهَ إِنٰاثاً وَ هُمْ شٰاهِدُونَ (۱۵۰) أَلاٰ إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (۱۵۱) وَلَدَ اَللّٰهُ وَ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ (۱۵۲) أَصْطَفَى اَلْبَنٰاتِ عَلَى اَلْبَنِينَ (۱۵۳) مٰا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (۱۵۴) أَ فَلاٰ تَذَكَّرُونَ (۱۵۵) أَمْ لَكُمْ سُلْطٰانٌ مُبِينٌ (۱۵۶) فَأْتُوا بِكِتٰابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ (۱۵۷) وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اَلْجِنَّهِ نَسَباً وَ لَقَدْ عَلِمَتِ اَلْجِنَّهُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (۱۵۸) سُبْحٰانَ اَللّٰهِ عَمّٰا يَصِفُونَ (۱۵۹) إِلاّٰ عِبٰادَ اَللّٰهِ اَلْمُخْلَصِينَ (۱۶۰) فَإِنَّكُمْ وَ مٰا تَعْبُدُونَ (۱۶۱) مٰا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفٰاتِنِينَ (۱۶۲) إِلاّٰ مَنْ هُوَ صٰالِ اَلْجَحِيمِ (۱۶۳) وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ (۱۶۴) وَ إِنّٰا لَنَحْنُ اَلصّٰافُّونَ (۱۶۵) وَ إِنّٰا لَنَحْنُ اَلْمُسَبِّحُونَ (۱۶۶) وَ إِنْ كٰانُوا لَيَقُولُونَ (۱۶۷) لَوْ أَنَّ عِنْدَنٰا ذِكْراً مِنَ اَلْأَوَّلِينَ (۱۶۸) لَكُنّٰا عِبٰادَ اَللّٰهِ اَلْمُخْلَصِينَ (۱۶۹) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (۱۷۰) وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنٰا لِعِبٰادِنَا اَلْمُرْسَلِينَ (۱۷۱) إِنَّهُمْ لَهُمُ اَلْمَنْصُورُونَ (۱۷۲) وَ إِنَّ جُنْدَنٰا لَهُمُ اَلْغٰالِبُونَ (۱۷۳) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتّٰى حِينٍ (۱۷۴) وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (۱۷۵) أَ فَبِعَذٰابِنٰا يَسْتَعْجِلُونَ (۱۷۶) فَإِذٰا نَزَلَ بِسٰاحَتِهِمْ فَسٰاءَ صَبٰاحُ اَلْمُنْذَرِينَ (۱۷۷) وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتّٰى حِينٍ (۱۷۸) وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (۱۷۹) سُبْحٰانَ رَبِّكَ رَبِّ اَلْعِزَّهِ عَمّٰا يَصِفُونَ (۱۸۰) وَ سَلاٰمٌ عَلَى اَلْمُرْسَلِينَ (۱۸۱) وَ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۱۸۲)

(بیان)

قدم سبحانه ما بین به أنه رب معبود،عبده عباد مخلصون کالأنبیاء المکرمین و کفر به آخرون فنجی عباده و أخذ الکافرین بألیم العذاب.ثم تعرض فی هذه الآیات لما یعتقدونه فی آلهتهم و هم الملائکه و الجن و أن الملائکه بنات الله و بینه و بین الجنه نسبا.

و الوثنیه البرهمیه و البوذیه و الصابئه ما کانوا یقولون بأنوثه جمیع الملائکه و إن قالوا بها فی بعضهم لکن المنقول عن بعض قبائل العرب الوثنیین کجهینه و سلیم و خزاعه و بنی ملیح القول بأنوثه الملائکه جمیعا،و أما الجن فالقول بانتهاء نسبهم إلیه فی الجمله منقول عن الجمیع.

و بالجمله یشیر تعالی فی الآیات إلی فساد قولهم ثم یبشر النبی ص بالنصر و یهددهم بالعذاب،و یختم السوره بتنزیهه تعالی و التسلیم علی المرسلین و الحمد لله رب العالمین.

قوله تعالی:« فَاسْتَفْتِهِمْ أَ لِرَبِّکَ الْبَنٰاتُ وَ لَهُمُ الْبَنُونَ »حلل سبحانه قولهم:إن الملائکه بنات الله إلی ما یستلزمه من اللوازم و هی أن الملائکه أولاده،و أنهم بنات، و أنه تعالی خص نفسه بالبنات و هم مخصوصون بالبنین ثم رد هذه اللوازم واحدا بعد واحد فرد قولهم:إن له البنات و لهم البنین بقوله:« فَاسْتَفْتِهِمْ أَ لِرَبِّکَ الْبَنٰاتُ وَ لَهُمُ الْبَنُونَ »و هو استفهام إنکاری لقولهم بما یلزمه من تفضیلهم علی الله لما أنهم یفضلون البنین علی البنات و یتنزهون منهن و یئدونهن.

قوله تعالی:« أَمْ خَلَقْنَا الْمَلاٰئِکَهَ إِنٰاثاً وَ هُمْ شٰاهِدُونَ »أم منقطعه أی بل أ خلقنا الملائکه إناثا و هم شاهدون یشهدون خلقهم و لم یکونوا شاهدین خلقهم و لا لهم أن یدعوا ذلک،و الذکوره و الأنوثه مما لا یثبت إلا بنوع من الحس،و هذا رد لقولهم بأنوثه الملائکه.

قوله تعالی:« أَلاٰ إِنَّهُمْ مِنْ إِفْکِهِمْ لَیَقُولُونَ وَلَدَ اللّٰهُ وَ إِنَّهُمْ لَکٰاذِبُونَ »رد لقولهم بالولاده بأنه من الإفک أی صرف القول عن وجهه إلی غیر وجهه أی من الحق إلی الباطل فیوجهون خلقهم بما یعدونه ولاده و یعبرون عنه بها فهم آفکون کاذبون.

قوله تعالی:« أَصْطَفَی الْبَنٰاتِ عَلَی الْبَنِینَ مٰا لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ أَ فَلاٰ تَذَکَّرُونَ »

ص:۱۷۲

كرر الإنكار على اصطفاء البنات من بين لوازم قولهم لشده شناعته.

ثم وبخهم بقوله:« مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ »لكون قولهم حكما من غير دليل ثم عقبه بقوله:« أَ فَلاٰ تَذَكَّرُونَ »توبيخا و إشاره إلى أن قولهم ذلك-فضلا عن كونه مما لا دليل عليه-الدليل على خلافه و لو تذكروا لانكشف لهم فقد تنزهت ساحته تعالى عن أن يتجزأ فيلد أو يحتاج فيتخذ ولدا،و قد احتج عليهم بذلك فى مواضع من كلامه.

و الالتفات من الغيبه إلى الخطاب للدلاله على اشتداد السخط الموجب لتوبيخهم شفاها.

قوله تعالى:« أَمْ لَكُمْ سُلْطٰانٌ مُبِينٌ فَأْتُوا بِكِتٰابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ »أم منقطعه و المراد بالسلطان و هو البرهان كتاب نازل من عند الله سبحانه يخبر فيه أن الملائكه بناته على ما يعطيه السياق إذ لما لم يثبت بعقل أو حس بقى أن يثبت بكتاب من عند الله نازل بالوحى فلو كانت دعواهم حقه و هم صادقون فيها كان لهم أن يأتوا بالكتاب.

و إضافه الكتاب إليهم بعنايه فرضه دالا على دعواهم.

قوله تعالى:« وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّهِ نَسَباً وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّهُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ » جعل النسب بينه و بين الجنه قولهم: إن الجنه أولاده و قد تقدم تفصيل قولهم فى تفسير سوره هود فى الكلام على عباده الأصنام.

و قوله:« وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّهُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ »أى للحساب أو للنار على ما يفيده إطلاق« لَمُحْضَرُونَ »و كيف كان فهم يعلمون أنهم مربوبون لله سيحاسبهم و يجازيهم بما عملوا فبينهم و بين الله سبحانه نسبه الربوبيه و العبوديه لا نسب الولاده و من كان كذلك لا يستحق العباده.

و من الغريب قول بعضهم:إن المراد بالجنه طائفه من الملائكه يسمون بها و لازمه إرجاع ضمير« إِنَّهُمْ »إلى الكفار دون الجنه.و هو مما لا شاهد له من كلامه تعالى مضافا إلى بعده من السياق.

قوله تعالى:« سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا يَصِفُونَ إِلاّٰ عِبٰادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ »ضمير« يَصِفُونَ » -نظرا إلى اتصال الآيه بما قبلها-راجع إلى الكفار المذكورين قبل،و الاستثناء منه

ص :١٧٣

منقطع و المعنى هو منزه عن وصفهم-أو عما يصفه الكفار به من الأوصاف كالولاده و النسب و الشركه و نحوها-لكن عباد الله المخلصين يصفونه تعالى وصفا يليق به-أو بما يليق به من الأوصاف-.

و قيل:إنه استثناء منقطع من ضمير« لَمُحْضَرُونَ »،و قيل:من فاعل« جَعَلُوا » و ما بينهما من الجمل المتخلله اعتراض،و هما وجهان بعيدان.

و للآيتين باستقلالهما معنى أوسع من ذلك و أدق و هو رجوع ضمير« يَصِفُونَ » إلى الناس،و الوصف مطلق يشمل كل ما يصفه به واصف،و الاستثناء متصل و المعنى هو منزه عن كل ما يصفه الواصفون إلا عباد الله المخلصين.

و ذلك أنهم إنما يصفونه بمفاهيم محدوده عندهم و هو سبحانه غير محدود لا يحيط به حد و لا يدركه نعت فكل ما وصف به فهو أجل منه و كل ما توهم أنه هو فهو غيره لكن له سبحانه عباد أخلصهم لنفسه و خصهم بنفسه لا يشاركه فيهم أحد غيره فعرفهم نفسه و أنساهم غيره يعرفونه و يعرفون غيره به فإذا وصفوه فی نفوسهم وصفوه بما يليق بساحه كبريائه و إذا وصفوه بألسنتهم-و الألفاظ قاصره و المعانی محدوده-اعترفوا بقصور البيان و أقروا بكلال اللسان

كما قال النبی ص و هو سيد المخلصين: لا أحصی ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

(۱)

فافهم ذلك.

قوله تعالى:« فَإِنَّكُمْ وَ مٰا تَعْبُدُونَ مٰا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفٰاتِنِينَ إِلاّٰ مَنْ هُوَ صٰالِ الْجَحِيمِ » تفريع على حكم المستثنى و المستثنى منه أو المستثنى خاصه،و المعنى لما كان ما وصفتموه ضلالا-و عباد الله المخلصون لا يضلون فی وصفهم-فلستم بمضلين به إلا سالكی سبيل النار.

و الظاهر من السياق أن« مٰا »فی« مٰا تَعْبُدُونَ »موصوله و المراد بها الأصنام فحسب أو الأصنام و آلهه الضلال كشياطين الجن،و ما فی« مٰا أَنْتُمْ »نافيه،و ضمير« عَلَيْهِ » لله سبحانه و الظرف متعلق بفاتنين،و فاتنين اسم فاعل من الفتنه بمعنى الإضلال و« صٰالِ »من الصلو بمعنى الاتباع فصالی الجحيم هو المتبع للجحيم السالك سبيل النار،و الاستثناء مفرغ تقديره ما أنتم بفاتنين أحدا إلا من هو صال الجحيم.

ص: ۱۷۴

۱- ۱) فقد أثنى على الله و تمم نقصه بأنه يريد ما يريده الله من الثناء على نفسه.

و المعنى فإنكم و آلهه الضلال التى تعبدونها لستم جميعا بمضلين أحدا على الله إلا من هو متبع الجحيم.

و قيل:إن« مٰا »الأولى مصدريه أو موصوله و جمله« فَإِنَّكُمْ وَ مٰا تَعْبُدُونَ كلام» تام مستقل من قبيل قولهم:أنت و شأنك و المعنى فإنكم و ما تعبدون متقارنان ثم استونف و قيل:« مٰا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفٰاتِنِينَ »و« بِفٰاتِنِينَ »مضمن معنى الحمل و ضمير« عَلَيْهِ » راجع إلى« مٰا تَعْبُدُونَ »إن كانت ما مصدريه و إلى« مٰا »بتقدير مضاف إن كانت موصوله و المعنى ما أنتم بحاملين على عبادتكم أو على عباده ما تعبدونه إلا من هو صال الجيم.

قيل:و يمكن أن يكون«على»بمعنى الباء و الضمير لما تعبدون أو لما أن كانت موصوله و« بِفٰاتِنِينَ »على ظاهر معناه من غير تضمين،و المعنى ما أنتم بمضلين أحدا بعبادتكم أو بعباده ما تعبدونه إلا«إلخ».

و هذه كلها تكلفات من غير موجب و الكلام فيما فى الآيه من الالتفات كالكلام فيما سبق منه.

قوله تعالى:« وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ وَ إِنّٰا لَنَحْنُ الصّٰافُّونَ وَ إِنّٰا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ » الآيات الثلاث-على ما يعطيه السياق-اعتراض من كلام جبرئيل أو هو و أعوانه من ملائكه الوحى نظير قوله تعالى فى سوره مريم :«وَ مٰا نَتَنَزَّلُ إِلاّٰ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مٰا بَيْنَ أَيْدِينٰا وَ مٰا خَلْفَنٰا وَ مٰا بَيْنَ ذٰلِكَ» Xالخ X:مريم:-۶۴.

و قيل:هى من كلام الرسول ص يصف نفسه و المؤمنين به للكافرين تبكيتا لهم و تقريعا و هو متصل بقوله:« فَاسْتَفْتِهِمْ »و التقدير فاستفتهم و قل:ما منا معشر المسلمين إلا له مقام معلوم على قدر أعماله يوم القيامه و إنا لنحن الصافون فى الصلاه و إنا لنحن المسبحون.و هو تكلف لا يلائمه السياق.

و الآيات الثلاث مسوقه لرد قولهم بألوهيه الملائكه بإيراد نفس اعترافهم بما ينتفى به قول الكفار و هم لا ينفون العبوديه عن الملائكه بل يرون أنهم مربوبون لله سبحانه أرباب و آلهه لمن دونهم يستقلون بالتصرف فيما فوض إليهم من أمر العالم من غير أن يرتبط شىء من هذا التدبير إلى الله سبحانه و هذا هو الذى ينفيه الملائكه عن أنفسهم لا كونهم أسبابا متوسطه بينه تعالى و بين خلقه كما قال تعالى «بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ

لاّ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ:» الأنبياء:-٢٧.

فقوله:« وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ »أى معين مشخص أقيم فيه ليس له أن يتعداه بأن يفوض إليه أمر فيستقل فيه بل مجبول على طاعه الله فيما يأمر به و عبادته.

و قوله:« وَ إِنّٰا لَنَحْنُ الصّٰافُّونَ »أى نصف عند الله فى انتظار أوامره فى تدبير العالم لنجريها على ما يريد.كما قال تعالى:« لاٰ يَعْصُونَ اللّٰهَ مٰا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مٰا يُؤْمَرُونَ »هذا ما يفيده السياق،و ربما قيل:إن المراد إنا نصف للصلاه عند الله و هو بعيد من الفهم لا شاهد عليه.

و قوله:« وَ إِنّٰا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ »أى المنزهون له تعالى عما لا يليق بساحه كبريائه كما قال تعالى :«يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ لاٰ يَفْتُرُونَ:» الأنبياء:-٢٠.

فالآيات الثلاث تصف موقف الملائكه فى الخلقه و عملهم المناسب لخلقتهم و هو الاصطفاف لتلقى أمره تعالى و التنزيه لساحه كبريائه عن الشريك و كل ما لا يليق بكمال ذاته المتعاليه.

قوله تعالى:« وَ إِنْ كٰانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنٰا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنّٰا عِبٰادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ »رجوع إلى السياق السابق.

و الضمير فى قوله:« وَ إِنْ كٰانُوا لَيَقُولُونَ »لقريش و من يتلوهم،و« إِنْ » مخففه من الثقيله،و المراد بذكر من الأولين كتاب سماوى من جنس الكتب النازله على الأولين.

و المعنى لو أن عندنا كتابا سماويا من جنس الكتب النازله قبلنا على الأولين لاهتدينا و كنا عباد الله المخلصين يريدون أنهم معذورون لو كفروا لعدم قيام الحجه عليهم من قبل الله سبحانه.

و هذا فى الحقيقه هفوه منهم فإن مذهب الوثنيه يحيل النبوه و الرساله و نزول الكتاب السماوى.

قوله تعالى:« فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ »الفاء فصيحه،و المعنى فأنزلنا عليهم الذكر و هو القرآن الكريم فكفروا به و لم يفوا بما قالوا فسوف يعلمون وبال كفرهم

و هذا تهدید منه تعالی لهم.

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ »کلمته تعالی لهم قوله الذی قاله فیهم و هو حکمه و قضاؤه فی حقهم و سبق الکلمه تقدمها عهدا أو تقدمها بالنفوذ و الغلبه و اللام تفید معنی النفع أی إنا قضینا قضاء محتوما فیهم إنهم لهم المنصورون و قد أکد الکلام بوجوه من التأکید.

و قد أطلق النصر من غیر تقییده بدنیا أو آخره أو بنحو آخر بل القرینه علی خلافه قال تعالی :«إِنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِی الْحَياهِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ:» المؤمن:-۵۱.

فالرسل(ع)منصورون فی الحجه لأنهم علی الحق و الحق غیر مغلوب.

و هم منصورون علی أعدائهم إما بإظهارهم علیهم و إما بالانتقام منهم قال تعالی :

«وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّ رِجالاً نُوحِی إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى -Xإلی أن قالX- حَتّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ وَ لا يُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ:» یوسف:-۱۱۰.

و هم منصورون فی الآخره کما قال تعالی :«يَوْمَ لا يُخْزِی اللّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ:» التحریم:-۸و قد تقدم آنفا آیه فی سوره المؤمن فی هذا المعنی.

قوله تعالی:« وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ » الجند هو المجتمع الغلیظ و لذا یقال للعسکر جند فهو قریب المعنی من الحزب (۱)و قد قال تعالی فی موضع آخر من کلامه :

«وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغالِبُونَ:» المائده:-۵۶.

و المراد بقوله:« جُنْدَنا »هو المجتمع المؤتمر بأمره المجاهد فی سبیله و هم المؤمنون خاصه أو الأنبیاء و من تبعهم من المؤمنین و فی الکلام علی التقدیر الثانی تعمیم بعد التخصیص،و کیف کان فالمؤمنون منصورون کمتبوعیهم من الأنبیاء قال تعالی

۱- ۱) قال تعالی:«إذ جاءتکم جنود»الأحزاب:۹ و قال فیهم بعینهم:«و لما رأی المؤمنون الأحزاب»الأحزاب:۲۲.

:«وَ لاٰ تَهِنُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ:» آل عمران:-۱۳۹ و قد مر بعض الآيات الداله عليه آنفا.

و الحكم أعنى النصر و الغلبه حكم اجتماعى منوط على العنوان لا غير أى إن الرسل و هم عباد أرسلهم الله و المؤمنون و هم جند لله يعملون بأمره و يجاهدون فى سبيله ما داموا على هذا النعت منصورون غالبون،و أما إذا لم يبق من الإيمان إلا اسمه و من الانتساب إلا حديثه فلا ينبغى أن يرجى نصر و لا غلبه.

قوله تعالى:« فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتّٰى حِينٍ »تفريع على حديث النصر و الغلبه ففيه وعد للنبى ص بالنصر و الغلبه و إيعاد للمشركين و لقريش خاصه.

و الأمر بالإعراض عنهم ثم جعله مغيا بقوله:« حَتّٰى حِينٍ »يلوح إلى أن الأمد غير بعيد و كان كذلك فهاجر النبى ص بعد قليل و أباد الله صناديد قريش فى غزوه بدر و غيرها.

قوله تعالى:« وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ »الأمر بالإبصار و الإخبار بإبصارهم عاجلا و عطف الكلام على الأمر بالتولى معجلا يفيد بحسب القياس أن المعنى أنظرهم و أبصر ما هم عليه من الجحود و العناد قبال إنذارك و تخويفك فسوف يبصرون وبال جحودهم و استكبارهم.

قوله تعالى:« أَ فَبِعَذٰابِنٰا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذٰا نَزَلَ بِسٰاحَتِهِمْ فَسٰاءَ صَبٰاحُ الْمُنْذَرِينَ » توبيخ لهم لاستعجالهم و قولهم:متى هذا الوعد؟متى هذا الفتح؟و إيذان بأن هذا العذاب مما لا ينبغى أن يستعجل لأنه يعقب يوما بئيسا و صباحا مشئوما.

و نزول العذاب بساحتهم كنايه عن نزوله بهم على نحو الشمول و الإحاطه، و قوله:« فَسٰاءَ صَبٰاحُ الْمُنْذَرِينَ »أى بئس صباحهم صباحا،و المنذرون هم المشركون من قريش.

قوله تعالى:« وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتّٰى حِينٍ وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ »تأكيد لما مر بتكرار الآيتين على ما قيل،و احتمل بعضهم أن يكون المراد بما تقدم التهديد بعذاب الدنيا و بهذا،التهديد بعذاب الآخره.و لا يخلو من وجه فإن الواقع فى الآيه« وَ أَبْصِرْ »

من غير مفعول كما فى الآيه السابقه من قوله:« وَ أَبْصِرْهُمْ »و الحذف يشعر بالعموم و أن المراد إبصار ما عليه عامه الناس من الكفر و الفسوق و يناسبه التهديد بعذاب يوم القيامه.

قوله تعالى:« سُبْحانَ رَبِّکَ رَبِّ الْعِزَّهِ عَمّا يَصِفُونَ »تنزيه له تعالى عما يصفه به الكفار المخالفون لدعوه النبى ص مما تقدم ذكره فى السوره.

و الدليل عليه إضافه التنزيه إلى قوله:« رَبِّکَ »أى الرب الذى تعبده و تدعو إليه،و إضافه الرب ثانيا إلى العزه المفيد لاختصاصه تعالى بالعزه فهو منيع الجانب على الإطلاق فلا يذله مذل و لا يغلبه غالب و لا يفوته هارب فالمشركون أعداء الحق المهددون بالعذاب ليسوا له بمعجزين.

قوله تعالى:« وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ »تسليم على عامه المرسلين و صون لهم من أن يصيبهم من قبله تعالى ما يسوؤهم و يكرهونه.

قوله تعالى:« وَ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ »تقدم الكلام فيه فى تفسير سوره الفاتحه.

(بحث روائى)

فى الدر المنثور،أخرج محمد بن نضر و ابن عساكر عن العلاء بن سعيد:أن رسول الله ص قال يوما لجلسائه:أطت السماء و حق لها أن تئط،ليس منها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد.ثم قرأ« وَ إِنّا لَنَحْنُ الصّافُّونَ وَ إِنّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ».

أقول:و روى هذا المعنى عنه(ص)بغير هذا الطريق.

و فيه،أخرج ابن مردويه عن أنس: أن النبى ص كان إذا قام إلى الصلاه قال:

استووا تقدم يا فلان تأخر يا فلان أقيموا صفوفكم-يريد الله بكم هدى الملائكه ثم يتلو:

« وَ إِنّا لَنَحْنُ الصّافُّونَ وَ إِنّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ».

و فى نهج البلاغه،:قال(ع) فى وصف الملائكه:و صافون لا يتزايلون و مسبحون لا يسأمون.

(۳۸)سوره_ص مکیه و هی ثمان و ثمانون آیه(۸۸)

[سوره ص (۳۸): الآیات ۱ الی ۱۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

ص وَ اَلْقُرْآنِ ذِي اَلذِّكْرِ (۱) بَلِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَ شِقٰاقٍ (۲) كَمْ أَهْلَكْنٰا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنٰادَوْا وَ لاٰتَ حِينَ مَنٰاصٍ (۳) وَ عَجِبُوا أَنْ جٰاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قٰالَ اَلْكٰافِرُونَ هٰذٰا سٰاحِرٌ كَذّٰابٌ (۴) أَ جَعَلَ اَلْآلِهَةَ إِلٰهاً وٰاحِداً إِنَّ هٰذٰا لَشَيْءٌ عُجٰابٌ (۵) وَ اِنْطَلَقَ اَلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ اِمْشُوا وَ اِصْبِرُوا عَلىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذٰا لَشَيْءٌ يُرٰادُ (۶) مٰا سَمِعْنٰا بِهٰذٰا فِي اَلْمِلَّةِ اَلْآخِرَةِ إِنْ هٰذٰا إِلاَّ اِخْتِلاٰقٌ (۷) أَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اَلذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنٰا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمّٰا يَذُوقُوا عَذٰابِ (۸) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزٰائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ اَلْعَزِيزِ اَلْوَهّٰابِ (۹) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا فَلْيَرْتَقُوا فِي اَلْأَسْبٰابِ (۱۰) جُنْدٌ مٰا هُنٰالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ اَلْأَحْزٰابِ (۱۱) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عٰادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو اَلْأَوْتٰادِ (۱۲) وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحٰابُ اَلْأَيْكَةِ أُولٰئِكَ اَلْأَحْزٰابُ (۱۳) إِنْ كُلٌّ إِلاّٰ كَذَّبَ اَلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقٰابِ (۱۴) وَ مٰا يَنْظُرُ هٰؤُلاٰءِ إِلاّٰ صَيْحَةً وٰاحِدَةً مٰا لَهٰا مِنْ فَوٰاقٍ (۱۵) وَ قٰالُوا رَبَّنٰا عَجِّلْ لَنٰا قِطَّنٰا قَبْلَ يَوْمِ اَلْحِسٰابِ (۱۶)

ص: ۱۸۰

(بیان)

یـدور الکلاـم فی السوره حول کون النـبی ص منـذرا بالـذکر النـازل علیه من عنـد الله سبحانه الـداعی إلی التوحیـد و إخلاـص العبودیه له تعالی.

فتبـدأ بـذکر اعتزاز الکفـار و شـقاقهم و بالجمله اسـتکبارهم عن اتباعه و الإیمان به و صـد الناس عنه و تفوههم بباطل القول فی ذلک و رده فی فصل.

ثم تأمر النبی ص بالصبر و ذکر قصـص عباده الأولین فی فصل ثم یـذکر مآل حال المتقین و الطاغین فی فصل.ثم تأمر النبی ص بإبلاغ نذارته و دعوته إلی توحید الله و أن مآل أتباع الشـیطان إلی النار علی ما قضـی به الله یوم أمر الملائکه بالسجده لآدم فأبی إبلیس فرجمه و قضی علیه و علی من تبعه النار فی فصل.

و السوره مکیه بشهاده سیاق آیاتها.

قوله تعالی:« ص وَ الْقُرْآنِ ذِی الذِّکْرِ بَلِ الَّذِینَ کَفَرُوا فِی عِزَّهٍ وَ شِقاقٍ »المراد بالذکر ذکر الله تعالی بتوحیده و ما یتفرع علیه من المعـارف الحقه من المعـاد و النبوه و غیرهما،و العزه الامتناع،و الشـقاق المخالفه،قال فی مجمع البیان،:و أصـله أن یصـیر کل من الفریقین فی شق أی فی جانب و منه یقال:شق فلان العصا إذا خالف انتهی.

و المستفاد من سیاق الآیات أن قوله:« وَ الْقُرْآنِ ذِی الذِّکْرِ »قسم نظیر ما فی قوله:

« یس وَ الْقُرْآنِ الْحَکِیـمِ »« ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِیـدِ »« ن وَ الْقَلَمِ »لاـ عطـف علی مـا تقـدمه، و أمـا المقسـم علیـه فالـذی یـدل علیه الإضراب فی قوله:« بَلِ الَّذِینَ کَفَرُوا فِی عِزَّهٍ وَ شِقاقٍ أنه أمر یمتنع عن قبوله القوم و یکفرون به عزه و شقاقا و قد هلک فیه قرون کـثیره ثم ذکر إنـذار النـبی ص و مـا قـاله الکفـار علیه و مـا أمرهم به ملؤهم حـول إنـذاره(ص) أنه أعنی المقسم علیه نحـو من قولنا:إنک لمن المنذرین،و یشهد علی ذلک أیضا التعرض فی السوره بإنذاره(ص)بالذکر مره بعد أخری.

و قـد قیـل فی قوله:« ص وَ الْقُرْآنِ ذِی الـذِّکْرِ »من حیث الإـعراب و المعنی وجوه کثیره لاـ محصـل لأکثرها ترکنا إیرادها لعـدم الجدوی.

ص :۱۸۱

و المعنى-و الله أعلم-أقسم بالقرآن المتضمن للذكر-إنك لمن المنذرين-بل الذين كفروا فى امتناع عن قبوله و اتباعه و مخالفه له.

قوله تعالى:« كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنادَوْا وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ » القرن أهل عصر واحد،و المناص بالنون مصدر ناص ينوص أى تأخر كما أنه بالباء الموحده بمعنى التقدم على ما فى المجمع،و قيل:هو بمعنى الفرار.

و المعنى:كثيرا ما أهلكنا من قبل هؤلاء الكفار من قرن و أمه بتكذيبهم الرسل المنذرين فنادوا عند نزول العذاب بالويل كقولهم:يا ويلنا إنا كنا ظالمين أو بالاستغاثه بالله سبحانه و ليس الحين حين تأخر الأخذ و العذاب أو ليس الحين حين فرار.

قوله تعالى:« وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هٰذا ساحِرٌ كَذّابٌ » أى تعجبوا من مجىء منذر من نوعهم بأن كان بشرا فإن الوثنيه تنكر رساله البشر.

و قوله:« وَ قالَ الْكافِرُونَ هٰذا ساحِرٌ كَذّابٌ »يشيرون بهذا إلى النبى ص يرمونه بالسحر لكونهم عاجزين عن الإتيان بمثل ما أتى به و هو القرآن،و بالكذب لزعمهم أنه يفترى على الله بنسبه القرآن و ما فيه من المعارف الحقه إليه تعالى.

قوله تعالى:« أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً واحِداً إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عُجابٌ » العجاب بتخفيف الجيم اسم مبالغه من العجب و هو بتشديد الجيم أبلغ.

و هو من تتمه قول الكافرين و الاستفهام للتعجيب و الجعل بمعنى التصيير و هو كما قيل تصيير بحسب القول و الاعتقاد و الدعوى لا بحسب الواقع كما فى قوله تعالى :

«وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمٰنِ إِناثاً:» الزخرف:-١٩ فمعنى جعله(ص) الآلهه إلها واحدا هو إبطاله ألوهيه الآلهه من دون الله و حكمه بأن الإله هو الله لا إله إلا هو.

قوله تعالى:« وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ يُرادُ »نسبه الانطلاق إلى ملاءهم و أشرافهم و قولهم ما قالوا يلوح إلى أن أشراف قريش اجتمعوا على النبى ص ليحلوا مشكله دعوته إلى التوحيد و رفض الآلهه بنوع من الاستماله و كلموه فى ذلك فما وافقهم فى شىء منه ثم انطلقوا و قال بعضهم لبعض أو قالوا

لأتباعهم أن امشوا و اصبروا«إلخ»و هذا يؤيد ما ورد فی أسباب النزول مما سيجیء فی البحث الروائی الآتی إن شاء الله.

و قوله:« أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلىٰ آلِهَتِكُمْ »بتقدير القول أی قائلين أن امشوا و اصبروا علی آلهتكم و لا تتركوا عبادتها و إن عابها و قدح فيها،و ظاهر السياق أن القول قول بعضهم لبعض ،و يمكن أن يكون قولهم لتبعتهم.

و قوله:« إِنَّ هٰذٰا لَشَيْءٌ يُرٰادُ »ظاهره أنه إشاره إلی ما يدعو إليه النبی ص و يطلبه و أن مطلوبه شیء يراد بالطبع و هو السياده و الرئاسه و إنما جعل الدعوه ذريعه إليه فهو نظير قول الملإ من قوم نوح لعامتهم :«مٰا هٰذٰا إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ:» المؤمنون:-۲۴.

و قيل:المعنی إن هذا الذی شاهدناه من إسراره(ص)علی ما يطلبه و تصلبه فی دينه لشیء عظيم يراد من قبله.

و قيل:المعنی إن هذا الأمر لشیء من نوائب الدهر يراد بنا فلا حيله إلا أن تمشوا و تصبروا.

و قيل:المعنی إن الصبر خلق محمود يراد منا فی مثل هذه الموارد،و قيل غير ذلك و هی وجوه ضعيفه لا يلائمها السياق.

قوله تعالی:« مٰا سَمِعْنٰا بِهٰذٰا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هٰذٰا إِلاَّ اخْتِلاٰقٌ »أرادوا بالمله الآخره المذهب الذی تداوله الآخرون من الأمم المعاصرين لهم أو المقارنين لعصرهم قبال الملل الأولی التی تداولها الأولون كأنهم يقولون:ليس هذا من المله الآخره التی يرتضيها أهل الدنيا اليوم بل من أساطير الأولين.

و قيل:المراد بالمله الآخره النصرانيه لأنها آخر الملل و هم لا يقولون بالتوحيد بل بالتثليث. و ضعفه ظاهر إذ لم يكن للنصرانيه وقع عندهم كالإسلام.

و قوله:« إِنْ هٰذٰا إِلاَّ اخْتِلاٰقٌ »أی كذب و افتعال.

قوله تعالی:« أَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنٰا »استفهام إنكاری بداعی التكذيب أی لا مرجح عند محمد ص يترجح به علينا فينزل عليه الذكر دوننا فهو فی إنكار

الاختصاص بنزول الذكر نظير قولهم:ما أنت إلا بشر مثلنا فى نفى الاختصاص بالرساله.

قوله تعالى:« بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمّا يَذُوقُوا عَذابِ »إضراب عن جميع ما قالوه أى إنهم لم يقولوا عن إيمان و اعتقاد به بل هم فى شك من ذكرى و هو القرآن.

و ليس شكهم فيه من جهه خفاء دلاله آيه النبوه و قصورها عن إفاده اليقين بل تعلق قلوبهم بما عندهم من الباطل و لزومهم التقليد يصرفهم عن النظر فى دلاله الآيه الإلهيه المعجزه فشكوا فى الذكر و الحال أنه آيه معجزه.

و قوله:« بَلْ لَمّا يَذُوقُوا عَذابِ »إضراب عن الإضراب أى ليس إنكارهم و عدم إيمانهم به عن شك منهم فيه بل لأنهم لعتوهم و استكبارهم لا يعترفون بحقيته و لو لم يكن شك،حتى يذوقوا عذابى فيضطروا إلى الاعتراف كما فعل غيرهم.

و فى قوله:« لَمّا يَذُوقُوا عَذابِ »أى لم يذوقوا بعد عذابى،تهديد بعذاب واقع.

قوله تعالى:« أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَهِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهّابِ »الكلام فى موقع الإضراب و« أَمْ »منقطعه و الكلام ناظر إلى قولهم:« أَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا » أى بل أ عندهم خزائن رحمه ربك التى ينفق منها على من يشاء حتى يمنعوك منها بل هى له تعالى و هو أعلم حيث يجعل رسالته و يخص برحمته من يشاء.

و تذييل الكلام بقوله:« اَلْعَزِيزِ الْوَهّابِ »لتأييد محصل الجمله أى ليس عندهم شىء من خزائن رحمته لأنه عزيز منيع جانبه لا يداخل فى أمره أحد،و لا لهم أن يصرفوا رحمته عن أحد لأنه وهاب كثير الهبات.

قوله تعالى:« أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبابِ » « أَمْ »منقطعه،و الأمر فى قوله:« فَلْيَرْتَقُوا »للتعجيز و الارتقاء الصعود،و الأسباب المعارج و المناهج التى يتوسل بها إلى الصعود إلى السماوات و يمكن أن يراد بارتقاء الأسباب التسبيب بالعلل و الحيل الذى يحصل به لهم المنع و الصرف.

و المعنى:بل لهم ملك السماوات و الأرض فيكون لهم أن يتصرفوا فيها فيمنعوا

نزول الوحی السماوی إلی بشر أرضی فإن کان کذلک فلیصعدوا معارج السماوات أو فلیتسببوا الأسباب و لیمنعوا من نزول الوحی علیک.

قوله تعالی:« جُنْدٌ مٰا هُنٰالِکَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزٰابِ » الهزیمه الخذلان و« مِنَ الْأَحْزٰابِ »بیان لقوله:« جُنْدٌ مٰا »و« مٰا »للتقلیل و التحقیر،و الکلام مسوق لتحقیر أمرهم رغما لما یشعر به ظاهر کلامهم من التعزز و الإعجاب بأنفسهم.

یدل علی ذلک تنکیر« جُنْدٌ »و تتمیمه بلفظه« مٰا »و الإشاره إلی مکانتهم بهنالک الدال علی البعید و عدهم من الأحزاب المتحزبین علی الرسل الذین قطع الله دابر الماضین منهم کما سیذکر و لذلک عد هذا الجند مهزوما قبل انهزامهم.

و المعنی:هم جند ما أقلاء أذلاء منهزمون هنالک من أولئک الأحزاب المتحزبین علی الرسل الذین کذبوهم فحق علیهم عقابی.

قوله تعالی:« کَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عٰادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتٰادِ إلی قوله- فَحَقَّ عِقٰابِ »ذو الأوتاد وصف فرعون و الأوتاد جمع وتد و هو معروف.قیل:سمی بذی الأوتاد لأنه کانت له ملاعب من أوتاد یلعب له علیها،و قیل:لأنه کان یعذب من غضب علیه من المجرمین بالأوتاد یوتد یدیه و رجلیه و رأسه علی الأرض فیعذبه و قیل:

معناه ذو الجنود أوتاد الملک،و قیل:غیر ذلک من الوجوه،و لا دلیل علی شیء منها یعول علیه.

و أصحاب الأیکه قوم شعیب و قد تقدم فی سوره الحجر و الشعراء،و قوله:

« فَحَقَّ عِقٰابِ »أی ثبت فی حقهم و استقر فیهم عقابی فأهلکتهم.

قوله تعالی:« وَ مٰا یَنْظُرُ هٰؤُلاٰءِ إِلاّٰ صَیْحَةً وٰاحِدَةً مٰا لَهٰا مِنْ فَوٰاقٍ » النظر الانتظار و الفواق الرجوع و المهله الیسیره،و المعنی و ما ینتظر هؤلاء المکذبون من أمتک إلا صیحه واحده تقضی علیهم و تهلکهم ما لها من رجوع أو مهله و هی عذاب الاستئصال.

قالوا:و المراد من الصیحه صیحه یوم القیامه لأن أمه محمد ص مؤخر عنهم العذاب إلی قیام الساعه،و قد عرفت فی تفسیر سوره یونس أن ظاهر آیات الکتاب یعطی خلاف ذلک فراجع.

قوله تعالی:« وَ قٰالُوا رَبَّنٰا عَجِّلْ لَنٰا قِطَّنٰا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسٰابِ » القط النصيب و الحظ،و هذه الكلمه استعجال منهم للعذاب قبل يوم القيامه استهزاء بحديث يوم الحساب و الوعيد بالعذاب فيه.

(بحث روائی)

فی الکافی،بإسناده عن جابر عن أبی جعفر(ع)قال: أقبل أبو جهل بن هشام و معه قوم من قريش-فدخلوا علی أبی طالب فقالوا.إن ابن أخيك قد آذانا و آذی آلهتنا فادعه-و مره فليكف عن آلهتنا و نكف عن إلهه-.

قال:فبعث أبو طالب إلی رسول الله ص فدعاه-فلما دخل النبی ص لم ير فی البيت إلا مشركا-فقال:السلام علی من اتبع الهدی ثم جلس-فخبره أبو طالب بما جاءوا به فقال:أ و هل لهم فی كلمه خير لهم من هذا-يسودون بها العرب و يطئون أعناقهم؟ فقال أبو جهل:نعم و ما هذه الكلمه؟قال:تقولون:لا إله إلا الله-.

قال:فوضعوا أصابعهم فی آذانهم و خرجوا و هم يقولون:ما سمعنا بهذا فی المله الآخره إن هذا إلا اختلاق-فأنزل الله فی قولهم ص وَ الْقُرْآنِ ذِی الذِّكْرِ -إلی قوله- إِلاَّ اخْتِلاٰقٌ

و فی تفسير القمی،": فی قوله تعالی:« وَ عَجِبُوا أَنْ جٰاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ »قال:لما أظهر رسول الله ص الدعوه-اجتمعت قريش إلی أبی طالب فقالوا:يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سفه أحلامنا-و سب آلهتنا و أفسد شبابنا و فرق جماعتنا-فإن كان الذی يحمله علی ذلك العدم-جمعنا له مالا حتی يكون أغنی رجل فی قريش-و نملكه علينا.

فأخبر أبو طالب رسول الله ص بذلك-فقال:و الله لو وضعوا الشمس فی يمينی- و القمر فی يساری ما أردته-و لكن يعطوننی كلمه يملكون بها العرب-و يدين لهم بها العجم و يكونون ملوكا فی الجنه-فقال لهم أبو طالب ذلك فقالوا:نعم و عشر كلمات- فقال لهم رسول الله ص تشهدون أن لا إله إلا الله-و أنی رسول الله فقالوا:ندع ثلاثمائه و ستين إلها و نعبد إلها واحدا؟.

فأنزل الله سبحانه:« وَ عَجِبُوا أَنْ جٰاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ -وَ قٰالَ الْكٰافِرُونَ هٰذٰا سٰاحِرٌ كَذّٰابٌ -إلى قوله- إِلاَّ اخْتِلاٰقٌ »أى تخليط« أَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنٰا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي -إلى قوله- مِنَ الْأَحْزٰابِ »يعنى الذين تحزبوا عليه يوم الأحزاب.

أقول:و القصه مرويه من طريق أهل السنه أيضا و فى بعض رواياتهم أنه(ص) لما عرض عليهم كلمه التوحيد قالوا له:سلنا غير هذه قال:لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ما سألتكم غيرها فغضبوا و قالوا و الكلمه كنايه عن تمليكهم إياه زمام نظام العالم الأرضى فإن الشمس و القمر من أعظم المؤثرات فيه،و قد أخذ على ما يظهر أن للحسن من القدر ليصح ما أريد من التمثيل.

و فى العلل،بإسناده إلى إسحاق بن عمار قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر (ع)-كيف صارت الصلاه ركعه و سجدتين؟و كيف إذا صارت سجدتين لم تكن ركعتين؟فقال:إذا سألت عن شىء ففرغ قلبك لتفهم.إن أول صلاه صلاها رسول الله ص إنما صلاها فى السماء بين يدى الله تبارك و تعالى قدام عرشه-.

و ذلك أنه لما أسرى به و صار عند عرشه-قال يا محمد ادن من صاد-فاغسل مساجدك و طهرها و صل لربك-فدنا رسول الله ص إلى حيث أمره الله تبارك و تعالى- فتوضأ و أسبغ وضوءه-.

قلت:جعلت فداك و ما صاد الذى أمر أن يغتسل منه؟فقال:عين تنفجر من ركن من أركان العرش-يقال لها ماء الحيوان و هو ما قال الله عز و جل:« ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ »الحديث.

أقول:و روى هذا المعنى أعنى-أن (ص) نهر يخرج من ساق العرش-فى المعانى،عن سفيان الثورى عن الصادق(ع)،:و روى ذلك فى مجمع البيان،عن ابن عباس: أنه اسم من أسماء الله تعالى: قال:و روى ذلك عن الصادق(ع) .

و فى المعانى،بإسناده إلى الأصبغ عن على(ع): فى قول الله عز و جل:« وَ قٰالُوا رَبَّنٰا عَجِّلْ لَنٰا قِطَّنٰا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسٰابِ »قال:نصيبهم من العذاب.

[سوره ص (۳۸): الآیات ۱۷ الی ۲۹]

اشاره

اِصْبِرْ عَلیٰ مٰا یَقُولُونَ وَ اُذْکُرْ عَبْدَنٰا دٰاوُدَ ذَا اَلْأَیْدِ إِنَّهُ أَوّٰابٌ (۱۷) إِنّٰا سَخَّرْنَا اَلْجِبٰالَ مَعَهُ یُسَبِّحْنَ بِالْعَشِیِّ وَ اَلْإِشْرٰاقِ (۱۸) وَ اَلطَّیْرَ مَحْشُورَهً کُلٌّ لَهُ أَوّٰابٌ (۱۹) وَ شَدَدْنٰا مُلْکَهُ وَ آتَیْنٰاهُ اَلْحِکْمَهَ وَ فَصْلَ اَلْخِطٰابِ (۲۰) وَ هَلْ أَتٰاکَ نَبَأُ اَلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا اَلْمِحْرٰابَ (۲۱) إِذْ دَخَلُوا عَلیٰ دٰاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قٰالُوا لاٰ تَخَفْ خَصْمٰانِ بَغیٰ بَعْضُنٰا عَلیٰ بَعْضٍ فَاحْکُمْ بَیْنَنٰا بِالْحَقِّ وَ لاٰ تُشْطِطْ وَ اِهْدِنٰا إِلیٰ سَوٰاءِ اَلصِّرٰاطِ (۲۲) إِنَّ هٰذٰا أَخِی لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَهً وَ لِیَ نَعْجَهٌ وٰاحِدَهٌ فَقٰالَ أَکْفِلْنِیهٰا وَ عَزَّنِی فِی اَلْخِطٰابِ (۲۳) قٰالَ لَقَدْ ظَلَمَکَ بِسُؤٰالِ نَعْجَتِکَ إِلیٰ نِعٰاجِهِ وَ إِنَّ کَثِیراً مِنَ اَلْخُلَطٰاءِ لَیَبْغِی بَعْضُهُمْ عَلیٰ بَعْضٍ إِلاَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ وَ قَلِیلٌ مٰا هُمْ وَ ظَنَّ دٰاوُدُ أَنَّمٰا فَتَنّٰاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ رٰاکِعاً وَ أَنٰابَ (۲۴) فَغَفَرْنٰا لَهُ ذٰلِکَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنٰا لَزُلْفیٰ وَ حُسْنَ مَآبٍ (۲۵) یٰا دٰاوُدُ إِنّٰا جَعَلْنٰاکَ خَلِیفَهً فِی اَلْأَرْضِ فَاحْکُمْ بَیْنَ اَلنّٰاسِ بِالْحَقِّ وَ لاٰ تَتَّبِعِ اَلْهَویٰ فَیُضِلَّکَ عَنْ سَبِیلِ اَللّٰهِ إِنَّ اَلَّذِینَ یَضِلُّونَ عَنْ سَبِیلِ اَللّٰهِ لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِیدٌ بِمٰا نَسُوا یَوْمَ اَلْحِسٰابِ (۲۶) وَ مٰا خَلَقْنَا اَلسَّمٰاءَ وَ اَلْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا بٰاطِلاً ذٰلِکَ ظَنُّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مِنَ اَلنّٰارِ (۲۷) أَمْ نَجْعَلُ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ کَالْمُفْسِدِینَ فِی اَلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ اَلْمُتَّقِینَ کَالْفُجّٰارِ (۲۸) کِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ إِلَیْکَ مُبٰارَکٌ لِیَدَّبَّرُوا آیٰاتِهِ وَ لِیَتَذَکَّرَ أُولُوا اَلْأَلْبٰابِ (۲۹)

(بیان)

لما حکی سبحانه عن المشرکین رمیهم النبی ص و دعوته الحقه باختلاق و أنها ذریعه إلی التقدم و الرئاسه و أنه لا مرجح له علیهم حتی یختص بالرساله و الإنذار.ثم استهزائهم بیوم الحساب و عذابه الذی ینذرون به،أمر النبی ص بالصبر و أن لا یزلزله هفواتهم و لا یوهن عزمه و أن یذکر عده من عباده الأوابین له الراجعین إلیه فیما دهمهم من الحوادث.

و هؤلاء تسعه من الأنبیاء الکرام ذکرهم الله سبحانه:داود و سلیمان و أیوب و إبراهیم و إسحاق و یعقوب و إسماعیل و الیسع و ذو الکفل(ع)،و بدأ بداود (ع)و ذکر بعض قصصه.

قوله تعالی:« اِصْبِرْ عَلیٰ مٰا یَقُولُونَ وَ اذْکُرْ عَبْدَنٰا دٰاوُدَ ذَا الْأَیْدِ إِنَّهُ أَوّٰابٌ » الأید القوه و کان(ع)ذا قوه فی تسبیحه تعالی یسبح و یسبح معه الجبال و الطیر و ذا قوه فی ملکه و ذا قوه فی علمه و ذا قوه و بطش فی الحروب و قد قتل جالوت الملک کما قصه الله فی سوره البقره.

و الأواب اسم مبالغه من الأوب بمعنی الرجوع و المراد به کثره رجوعه إلی ربه.

قوله تعالی:« إِنّٰا سَخَّرْنَا الْجِبٰالَ مَعَهُ یُسَبِّحْنَ بِالْعَشِیِّ وَ الْإِشْرٰاقِ »الظاهر أن « مَعَهُ »متعلق بقوله:« یُسَبِّحْنَ »و جمله« مَعَهُ یُسَبِّحْنَ »بیان لمعنی التسخیر و قدم الظرف لتعلق العنایه بتبعیتها لداود و اقتدائها فی التسبیح لکن قوله تعالی فی موضع

آخر :«وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ:» الأنبياء:-٧٩ يؤيد تعلق الظرف بسخرنا،و قد وقع فى موضع آخر من كلامه تعالى :«يا جِبالُ أَوِّبِی مَعَهُ وَ الطَّيْرَ:» سبأ:-١٠.و العشى و الإشراق الرواح و الصباح.

و قوله:« إِنّا سَخَّرْنَا »إلخ«إن»فيه للتعليل و الآيه و ما عطف عليها من الآيات بيان لكونه(ع)ذا أيد فى تسبيحه و ملكه و علمه و كونه أوابا إلى ربه.

قوله تعالى:« وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوّابٌ » المحشوره من الحشر بمعنى الجمع بإزعاج أى و سخرنا معه الطير مجموعه له تسبح معه.

و قوله:« كُلٌّ لَهُ أَوّابٌ »استئناف يقرر ما تقدمه من تسبيح الجبال و الطير أى كل من الجبال و الطير أواب أى كثير الرجوع إلينا بالتسبيح فإن التسبيح من مصاديق الرجوع إليه تعالى.و يحتمل رجوع ضمير« لَهُ »إلى داود على بعد.

و لم يكن تأييد داود(ع)فى أصل جعله تعالى للجبال و الطير تسبيحا فإن كل شىء مسبح لله سبحانه قال تعالى :«وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ:» الإسراء:-۴۴ بل فى موافقه تسبيحها لتسبيحه و قرع تسبيحها أسماع الناس و قد تقدم كلام فى معنى تسبيح الأشياء لله سبحانه فى تفسير قوله تعالى:« وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ »الآيه و أنه بلسان القال دون لسان الحال.

قوله تعالى:« وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ »قال الراغب:

الشد العقد القوى يقال شددت الشىء قويت عقده.انتهى فشد الملك من الاستعاره بالكنايه و المراد به تقويه الملك و تحكيم أساسه بالهيبه و الجنود و الخزائن و حسن التدبير و سائر ما يتقوى به الملك.

و الحكمه فى الأصل بناء نوع من الحكم و المراد بها المعارف الحقه المتقنه التى تنفع الإنسان و تكمله،و قيل:المراد النبوه،و قيل الزبور و علم الشرائع،و قيل غير ذلك و هى وجوه رديه.

و فصل الخطاب تفكيك الكلام الحاصل من مخاطبه واحد لغيره و تمييز حقه من باطله و ينطبق على القضاء بين المتخاصمين فى خصامهم.

و قيل:المراد به الكلام القصد ليس بإيجازه مخلا و لا بإطنابه مملا،و قيل:

فصل الخطاب قول أما بعد فهو(ع)أول من قال:أما بعد،و الآيه التاليه« وَ هَلْ أَتٰاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ »إلخ تؤيد ما قدمناه.

قوله تعالى:« وَ هَلْ أَتٰاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرٰابَ »الخصم مصدر كالخصومه أريد به القوم الذى استقر فيهم الخصومه،و التسور الارتقاء إلى أعلى السور و هو الحائط الرفيع كالتسنم بمعنى الارتقاء إلى سنام البعير و التذرى بمعنى الارتقاء إلى ذروه الجبل،و قد فسر المحراب بالغرفه و العليه،و الاستفهام للتعجيب و التشويق إلى استماع الخبر.

و المعنى هل أتاك يا محمد خبر القوم المتخاصمين إذ علوا سور المحراب محراب داود(ع).

قوله تعالى:« إِذْ دَخَلُوا عَلىٰ دٰاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ »إلى آخر الآيه لفظه« إِذْ »هذه ظرف لقوله:« تَسَوَّرُوا »كما أن« إِذْ »الأولى ظرف لقوله:« نَبَأُ الْخَصْمِ »و محصل المعنى أنهم دخلوا على داود و هو فى محرابه لا من الطريق العادى بل بتسوره بالارتقاء إلى سوره و الورود عليه منه و لذا فزع منهم لما رآهم دخلوا عليه من غير الطريق العادى و بغير إذن.

و قوله:« فَفَزِعَ مِنْهُمْ »قال الراغب: الفزع انقباض و نفار يعترى الإنسان من الشىء المخيف و هو من جنس الجزع و لا يقال:فزعت من الله كما يقال:خفت منه.انتهى.

و قد تقدم أن الخشيه تأثير القلب بحيث يستتبع الاضطراب و القلق و هى رذيله مذمومه إلا الخشيه من الله سبحانه و لذا كان الأنبياء(ع)لا يخشون غيره قال تعالى :«وَ لاٰ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللّٰهَ:» الأحزاب:-٣٩.

و أن الخوف هو التأثير عن المكروه فى مقام العمل بتهيئه ما يتحرز به من الشر و يدفع به المكروه لا فى مقام الإدراك فليس برذيله مذمومه لذاته بل هو حسن فيما يحسن الاتقاء قال تعالى خطابا لرسوله :«وَ إِمّٰا تَخٰافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيٰانَةً:» الأنفال:-٥٨.

و إذا كان الفزع هو الانقباض و النفار الحاصل من الشىء المخوف كان أمرا راجعا

إلى مقام العمل دون الإدراك فلم يكن رذيله بذاته بل كان فضيله عند تحقق مكروه ينبغى التحرز منه فلا ضير فى نسبته إلى داود(ع)فى قوله:« فَفَزِعَ مِنْهُمْ »و هو من الأنبياء الذين لا يخشون إلا الله.

و قوله:« قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ »لما رأوا ما عليه داود(ع) من الفزع أرادوا تطييب نفسه و إسكان روعه فقالوا:« لا تَخَفْ »و هو نهى عن الفزع بالنهى عن سببه الذى هو الخوف« خَصْمانِ بَغى »إلخ أى نحن خصمان أى فريقان متخاصمان تجاوز بعضنا ظلما على بعض.

و قوله:« فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ لا تُشْطِطْ »إلخ الشطط الجور أى فاحكم بيننا حكما مصاحبا للحق و لا تجر فى حكمك و دلنا على وسط العدل من الطريق.

قوله تعالى:« إِنَّ هذا أَخِي »إلى آخر الآيه بيان لخصومتهم و قوله:« إِنَّ هذا أَخِي »كلام لواحد من أحد الفريقين يشير إلى آخر من الفريق الآخر بأن هذا أخ له»إلخ.

و بهذا يظهر فساد ما استدل بعضهم بالآيه على أن أقل الجمع اثنان لظهور قوله:

« إِذْ تَسَوَّرُوا »« إِذْ دَخَلُوا »فى كونهم جمعا و دلاله قوله:« خَصْمانِ »« هذا أَخِي » على الاثنينيه.

و ذلك لجواز أن يكون فى كل واحد من جانبى التثنيه أكثر من فرد واحد قال تعالى :«هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا» XالخX:الحج:-١٩ و جواز أن يكون أصل الخصومه بين فردين ثم يلحق بكل منهما غيره لإعانته فى دعواه.

و قوله:« لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَ عَزَّنِي فِي الْخِطابِ » النعجه الأنثى من الضأن،و « أَكْفِلْنِيها »أى اجعلها فى كفالتى و تحت سلطتى و« عَزَّنِي فِي الْخِطابِ »أى غلبنى فيه و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ -إلى قوله- وَ قَلِيلٌ ما هُمْ »جواب داود(ع)،و لعله قضاء تقديرى قبل استماع كلام المتخاصم الآخر فإن من الجائز أن يكون عنده من القول ما يكشف عن كونه محقا فيما يطلبه و يقترحه على

صاحبه لکن صاحب النعجه الواحده ألقی کلامه بوجه هیج الرحمه و العطوفه منه(ع) فبادر إلی هذا التصدیق التقدیری فقال:« لَقَدْ ظَلَمَکَ بِسُؤٰالِ نَعْجَتِکَ إِلیٰ نِعٰاجِهِ ».

فاللام للقسم،و السؤال-علی ما قیل-مضمن معنی الإضافه و لذا عدی إلی المفعول الثانی بإلی،و المعنی أقسم لقد ظلمک بسؤال إضافه نعجتک إلی نعاجه.

و قوله:« وَ إِنَّ کَثِیراً مِنَ الْخُلَطٰاءِ لَیَبْغِی بَعْضُهُمْ عَلیٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ وَ قَلِیلٌ مٰا هُمْ »من تمام کلام داود(ع)یقرر به کلامه الأول و الخلطاء الشرکاء المخالطون.

قوله تعالی:« وَ ظَنَّ دٰاوُدُ أَنَّمٰا فَتَنّٰاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ رٰاکِعاً وَ أَنٰابَ »أی علم داود أنما فتناه بهذه الواقعه أی أنها إنما کانت فتنه فتناه بها و الفتنه الامتحان،و قیل:

ظن بمعناه المعروف الذی هو خلاف الیقین و ذکر استغفاره و توبته مطلقین یؤید ما قدمناه و لو کان الظن بمعناه المعروف کان الاستغفار و التوبه علی تقدیر کونها فتنه واقعا و إطلاق اللفظه یدفعه،و الخر علی ما ذکره الراغب سقوط یسمع منه خریر و الخریر یقال لصوت الماء و الریح و غیر ذلک مما یسقط من علو،و الرکوع -علی ما ذکره- مطلق الانحناء.

و الإنابه إلی الله-علی ما ذکره الراغب-الرجوع إلیه بالتوبه و إخلاص العمل و هی من النوب بمعنی رجوع الشیء مره بعد أخری.

و المعنی:و علم داود أن هذه الواقعه إنما کانت امتحانا امتحناه و أنه أخطأ فاستغفر ربه-مما وقع منه-و خر منحنیا و تاب إلیه.

و أکثر المفسرین تبعا للروایات علی أن هؤلاء الخصم الداخلین علی داود(ع) کانوا ملائکه أرسلهم الله سبحانه إلیه لیمتحنه و ستعرف حال الروایات.

لکن خصوصیات القصه کتسورهم المحراب و دخولهم علیه دخولا غیر عادی بحیث أفزعوه،و کذا تنبهه بأنه إنما کان فتنه من الله له لا واقعه عادیه،و قوله تعالی بعد:« فَاحْکُمْ بَیْنَ النّٰاسِ بِالْحَقِّ وَ لاٰ تَتَّبِعِ الْهَویٰ »الظاهر فی أن الله ابتلاه بما ابتلی

لینبهه و یسدده فی خلافته و حکمه بین الناس،کل ذلک یؤید کونهم من الملائکه و قد تمثلوا له فی صوره رجال من الإنس.

و علی هذا فالواقعه تمثل تمثل فیه الملائکه فی صوره متخاصمین لأحدهما نعجه واحده یسألها آخر له تسع و تسعون نعجه و سألوه القضاء فقال لصاحب النعجه الواحده:

« لَقَدْ ظَلَمَکَ »إلخ و کان قوله(ع)-لو کان قضاء منجزا-حکما منه فی ظرف التمثل کما لو کان رآهم فیما یری النائم فقال لهم ما قال و حکم فیهم بما حکم و من المعلوم أن لا تکلیف فی ظرف التمثل کما لا تکلیف فی عالم الرؤیا و إنما التکلیف فی عالمنا المشهود و هو عالم الماده و لم تقع الواقعه فیه و لا کان هناک متخاصمان و لا نعجه و لا نعاج إلا فی ظرف التمثل فکانت خطیئه داود(ع)فی هذا الظرف من التمثل و لا تکلیف هناک کخطیئه آدم(ع)فی الجنه من أکل الشجره قبل الهبوط إلی الأرض و تشریع الشرائع و جعل التکالیف،و استغفاره و توبته مما صدر منه کاستغفار آدم و توبته مما صدر منه و قد صرح الله بخلافته فی کلامه کما صرح بخلافه آدم(ع)فی کلامه و قد مر توضیح ذلک فی قصه آدم(ع)من سوره البقره فی الجزء الأول من الکتاب.

و أما علی قول بعض المفسرین من أن المتخاصمین الداخلین علیه کانوا بشرا و القصه علی ظاهرها فینبغی أن یؤخذ قوله:« لَقَدْ ظَلَمَکَ »إلخ قضاء تقدیریا أی إنک مظلوم لو لم یأت خصیمک بحجه بینه ،و إنما ذلک لحفظ علی ما قامت علیه الحجه من طریقی العقل و النقل أن الأنبیاء معصومون بعصمه من الله لا یجوز علیهم کبیره و لا صغیره.

علی أن الله سبحانه صرح قبلا بأنه آتاه الحکمه و فصل الخطاب و لا یلائم ذلک خطأه فی القضاء.

قوله تعالی:« وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفیٰ وَ حُسْنَ مَآبٍ » الزلفه و الزلفی المنزله و الحظوه، و المآب المرجع،و تنکیر« لَزُلْفیٰ »و« مَآبٍ »للتفخیم،و الباقی ظاهر.

قوله تعالی:« یٰا دٰاوُدُ إِنّٰا جَعَلْنٰاکَ خَلِیفَهً فِی الْأَرْضِ »إلی آخر الآیه الظاهر أن الکلام بتقدیر القول و التقدیر فغفرنا له ذلک و قلنا یا داود«إلخ».

و ظاهر الخلافه أنها خلافه الله فتنطبق علی ما فی قوله تعالی :«وَ إِذْ قٰالَ رَبُّکَ لِلْمَلاٰئِکَهِ إِنِّی جٰاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً:» البقره:-٣٠ و من شأن الخلافه أن یحاکی الخلیفه

من استخلفه فی صفاته و أعماله فعلی خلیفه الله فی الأرض أن یتخلق بأخلاق الله و یرید و یفعل ما یریده الله و یحکم و یقضی بما یقضی به الله-و الله یقضی بالحق-و یسلک سبیل الله و لا یتعداها.

و لذلک فرع علی جعل خلافته قوله:« فَاحْکُمْ بَیْنَ النّٰاسِ بِالْحَقِّ »و هذا یؤید أن المراد بجعل خلافته إخراجها من القوه إلی الفعل فی حقه لا مجرد الخلافه الشأنیه لأن الله أکمله فی صفاته و آتاه الملک یحکم بین الناس.

و قول بعضهم:إن المراد بخلافته المجعوله خلافته ممن قبله من الأنبیاء و تفریع قوله:« فَاحْکُمْ بَیْنَ النّٰاسِ بِالْحَقِّ »لأن الخلافه نعمه عظیمه شکرها العدل أو أن المترتب هو مطلق الحکم بین الناس الذی هو من آثار الخلافه و تقییده بالحق لأن سداده به، تصرف فی اللفظ من غیر شاهد.

و قوله:« وَ لاٰ تَتَّبِعِ الْهَویٰ فَیُضِلَّکَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ »العطف و المقابله بینه و بین ما قبله یعطیان أن المعنی و لا تتبع فی قضائک الهوی هوی النفس فیضلک عن الحق الذی هو سبیل الله فتفید الآیه أن سبیل الله هو الحق.

قال بعضهم:إن فی أمره(ع)بالحکم بالحق و نهیه عن اتباع الهوی تنبیها لغیره ممن یلی أمور الناس أن یحکم بینهم بالحق و لا یتبع الباطل و إلا فهو(ع)من حیث إنه معصوم لا یحکم إلا بالحق و لا یتبع الباطل.

و فیه أن أمر تنبیه غیره بما وجه إلیه من التکلیف فی محله لکن عصمه المعصوم و عدم حکمه إلا بالحق لا یمنع توجه التکلیف بالأمر و النهی إلیه فإن العصمه لا توجب سلب اختیاره و ما دام اختیاره باقیا جاز بل وجب توجه التکلیف إلیه کما یتوجه إلی غیره من الناس،و لو لا توجه التکلیف إلی المعصوم لم یتحقق بالنسبه إلیه واجب و محرم و لم تتمیز طاعه من معصیه فلغا معنی العصمه التی هی المصونیه عن المعصیه.

و قوله:« إِنَّ الَّذِینَ یَضِلُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِیدٌ بِمٰا نَسُوا یَوْمَ الْحِسٰابِ » تعلیل للنهی عن اتباع الهوی بأنه یلازم نسیان یوم الحساب و فی نسیانه عذاب شدید و المراد بنسیانه عدم الاعتناء بأمره.

و فی الآیه دلاله علی أن کل ضلال عن سبیل الله سبحانه بمعصیه من المعاصی لا

ينفک عن نسيان يوم الحساب.

قوله تعالى:« وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا بٰاطِلاً »إلى آخر الآيه،لما انتهى الكلام إلى ذكر يوم الحساب عطف عنان البيان عليه فاحتج عليه بحجتين إحداهما ما ساقه فى هذه الآيه بقوله:« وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ »إلخ و هو احتجاج من طريق الغايات إذ لو لم يكن خلق السماء و الأرض و ما بينهما- و هى أمور مخلوقه مؤجله توجد و تفنى- مؤديا إلى غايه ثابته باقيه غير مؤجله كان باطلا و الباطل بمعنى ما لا غايه له ممتنع التحقق فى الأعيان.على أنه مستحيل من الحكيم و لا ريب فى حكمته تعالى.

و ربما أطلق الباطل و أريد به اللعب و لو كان المراد ذلک كانت الآيه فى معنى قوله :«وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا لاٰعِبِينَ مٰا خَلَقْنٰاهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ:» الدخان:-٣٩.

و قيل:الآيه عطف على ما قبلها بحسب المعنى كأنه قيل:و لا تتبع الهوى لأنه يكون سببا لضلالک و لأنه تعالى لم يخلق العالم لأجل اتباع الهوى و هو الباطل بل خلقه للتوحيد و متابعه الشرع.

و فيه أن الآيه التاليه:« أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ »إلخ لا تلائم هذا المعنى.

و قوله:« ذٰلِکَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّٰارِ »أى خلق العالم باطلا لا غايه له و انتفاء يوم الحساب الذى يظهر فيه ما ينتجه حساب الأمور ظن الذين كفروا بالمعاد فويل لهم من عذاب النار.

قوله تعالى:« أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّٰارِ »هذه هى الحجه الثانيه على المعاد و تقريرها أن للإنسان كسائر الأنواع كمالا بالضروره و كمال الإنسان هو خروجه فى جانبى العلم و العمل من القوه إلى الفعل بأن يعتقد الاعتقادات الحقه و يعمل الأعمال الصالحه اللتين يهديه إليهما فطرته الصحيحه و هما الإيمان بالحق و العمل الصالح اللذين بهما يصلح المجتمع الإنسانى الذى فى الأرض.

فالذين آمنوا و عملوا الصالحات و هم المتقون هم الكاملون من الإنسان و المفسدون

فی الأرض بفساد اعتقادهم و عملهم و هم الفجار هم الناقصون الخاسرون فی إنسانیتهم حقیقه،و مقتضی هذا الکمال و النقص أن یکون بإزاء الکمال حیاه سعیده و عیش طیب و بإزاء خلافه خلاف ذلک.

و من المعلوم أن هذه الحیاه الدنیا التی یشترکان فیها هی تحت سیطره الأسباب و العوامل المادیه و نسبتها إلی الکامل و الناقص و المؤمن و الکافر علی السواء فمن أجاد العمل و وافقته الأسباب المادیه فاز بطیب العیش و من کان علی خلاف ذلک لزمه الشقاء و ضنک المعیشه.

فلو کانت الحیاه مقصوره علی هذه الحیاه الدنیویه التی نسبتها إلی الفریقین علی السواء و لم تکن هناک حیاه تختص بکل منهما و تناسب حاله کان ذلک منافیا للعنایه الإلهیه بإیصال کل ذی حق حقه و إعطاء المقتضیات ما تقتضیه.

و إن شئت فقل:تسویه (۱)بین الفریقین و إلغاء ما یقتضیه صلاح هذا و فساد ذلک خلاف عدله تعالی.

و الآیه-کما تری-لا تنفی استواء حال المؤمن و الکافر و إنما قررت المقابله بین من آمن و عمل صالحا و بین من لم یکن کذلک سواء کان غیر مؤمن أو مؤمنا غیر صالح و لذا أتت بالمقابله ثانیا بین المتقین و الفجار.

قوله تعالی:« کِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ إِلَیْکَ مُبٰارَکٌ لِیَدَّبَّرُوا آیٰاتِهِ وَ لِیَتَذَکَّرَ أُولُوا الْأَلْبٰابِ » أی هذا کتاب من وصفه کذا و کذا،و توصیفه بالإنزال المشعر بالدفعه دون التنزیل الدال علی التدریج لأن ما ذکر من التدبر و التذکر یناسب اعتباره مجموعا لا نجوما مفرقه.

و المقابله بین« لِیَدَّبَّرُوا »و« لِیَتَذَکَّرَ أُولُوا الْأَلْبٰابِ »تفید أن المراد بضمیر الجمع الناس عامه.

و المعنی:هذا کتاب أنزلناه إلیک کثیر الخیرات و البرکات للعامه و الخاصه لیتدبره الناس فیهتدوا به أو تتم لهم الحجه و لیتذکر به أولو الألباب فیهتدوا إلی الحق باستحضار حجته و تلقیها من بیانه.

۱- ۱) الحجه الأولی برهانیه و الثانیه جدلیه.

(بحث روائی)

روی فی الـدر المنثور،بطریق عن أنس و عن مجاهـد و السدی و بعده طرق عن ابن عباس قصه دخول الخصم علی داود(ع)علی اختلاف ما فی الروایات و روی مثلها القمی فی تفسیره،و رواها فی العرائس،و غیره و قد لخصها فی مجمع البیان،کما یأتی":

أن داود کان کثیر الصـلاه فقال:یا رب فضـلت علی إبراهیم فاتخذته خلیلا- و فضلت علی موسی فکلمته تکلیما-فقال:یا داود إنا ابتلیناهم بما لم نبتلک بمثله-فإن شئت ابتلیتک فقال:نعم یا رب فابتلنی.

فبینا هو فی محرابه ذات یوم إذ وقعت حمامه-فأراد أن یأخـذها فطارت إلی کوه المحراب-فذهب لیأخذها فاطلع من الکوه-فإذا امرأه أوریا بن حیان تغتسل فهواها و هم بتزویجها-فبعث بأوریا إلی بعض سـرایاه-و أمر بتقدیمه أمام التابوت الذی فیه السکینه-ففعل ذلک و قتل-.

فلما انقضت عـدتها تزوجها و بنی بها-فولد له منها سـلیمان-فبینا هو ذات یوم فی محرابه-إذ دخل علیه رجلان ففزع منهما-فقالا لاـ تخف خصـمان بغی بعضـنا علی بعض- -إلی قوله-و قلیـل ما هم،فنظر أحـد الرجلین إلی صاحبه ثم ضـحک-فتنبه داود علی أنهما ملکان-بعثهما الله إلیه فی صوره خصمین لیبکتاه علی خطیئته-فتاب و بکی حتی نبت الزرع من کثره دموعه.

ثم قـال فی المجمع،-و نعم مـا قال-:إنه مما لا شـبهه فی فساده فإن ذلک مما یقـدح فی العـداله فکیف یجوز أن یکون أنبیاء الله الذین هم أمناؤه علی وحیه و سفراؤه بینه و بین خلقه بصفه من لا تقبل شهادته و علی حاله تنفر عن الاستماع إلیه و القبول منه.

أقول:و القصه مأخوذه من التوراه غیر أن التی فیها أشنع و أفظع فعدلت بعض التعدیل علی ما سیلوح لک.

ففی التوراه ما ملخصه": و کان فی وقت المساء أن داود قام عن سـریره-و تمشـی علی سطح بیت الملک-فرأی من علی السطح امرأه تستحم-و کانت المرأه جمیله المنظر جدا.

فأرسل داود و سأل عن المرأه فقیل:إنها بتشبع امرأه أوریا الحتی-فأرسل

داود رسلا و أخذها فدخلت عليه فاضطجع معها-و هى مطهره من طمثها-ثم رجعت إلى بيتها و حبلت المرأه-فأرسلت و أخبرت داود أنها حبلى-.

و كان أوريا فى جيش لداود يحاربون بنى عمون-فكتب داود إلى يوآب أمير جيشه- يأمره بإرسال أوريا إليه-و لما أتاه و أقام عنده أياما-كتب مكتوبا إلى يوآب (۱)و أرسله بيد أوريا،و كتب فى المكتوب يقول:اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديده-و ارجعوا من ورائه فيضرب و يموت-ففعل به ذلك فقتل و أخبر داود بذلك-.

فلما سمعت امرأه أوريا أنه قد مات ندبت بعلها-و لما مضت المناحه أرسل داود و ضمها إلى بيته-و صارت له امرأه و ولدت له ابنا-و أما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب-.

فأرسل الرب ناثان النبى إلى داود-فجاء إليه و قال له-كان رجلان فى مدينه واحده-واحد منهما غنى و الآخر فقير،و كان للغنى غنم و بقر كثيره جدا-و أما الفقير فلم يكن له شىء إلا نعجه واحده صغيره-قد اقتناها و رباها فجاء ضيف إلى الرجل الغنى- فعفا أن يأخذ من غنمه و من بقره-ليهيئ للضيف الذى جاء إليه-فأخذ نعجه الرجل الفقير و هيأ لضيفه،فحمى غضب داود على الرجل جدا و قال لناثان:حى هو الرب إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك-و ترد النعجه أربعه أضعاف-لأنه فعل هذا الأمر و لأنه لم يشفق-.

فقال ناثان لداود:أنت هو الرجل يعاتبك الرب و يقول:سأقيم عليك الشر من بيتك-و آخذ نساءك أمام عينيك و أعطيهن لقريبك-فيضطجع معهن قدام جميع إسرائيل و قدام الشمس-جزاء لما فعلت بأوريا و امرأته-.

فقال داود لناثان:قد أخطأت إلى الرب-فقال ناثان لداود:الرب أيضا قد نقل عنك خطيئتك.لا تموت غير أنه من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر-أعداء الرب يشمتون فالابن المولود لك من المرأه يموت،فأمرض الله الصبى سبعه أيام ثم قبضه- ثم ولدت مرأه أوريا بعده لداود ابنه سليمان.

و فى العيون،فى باب مجلس الرضا عند المأمون مع أصحاب الملل و المقالات:قال

۱- ۱) ملخص من الإصحاح الحادى عشر و الثانى عشر من صموئيل الثانى.

الرضـا(ع)لابـن جهم: و أمـا داود فمـا يقول من قبلكم فيه؟قـال:يقولون:إن داود كـان يصـلى فى محرابه-إذ تصور له إبليس على صوره طير-أحسن مـا يكون من الطيور- فقطع داود صـلاته و قام يأخـذ الطير إلى الـدار-فخرج فى أثره فطار الطير إلى السـطح- فصعد فى طلبه فسقط الطير فى دار أوريا بن حيان-.

فاطلع داود فى أثر الطير فإذا بامرأه أوريا تغتسل-فلما نظر إليها هواها-و كان قد أخرج أوريا فى بعض غزواته-فكتب إلى صاحبه أن قـدم أوريا أمام التابوت-فقـدم فظفر أوريا بالمشـركين فصـعب ذلك على داود-فكتب إليه ثانيه أن قدمه أمام التابوت- فقدم فقتل أوريا و تزوج داود بامرأته-.

قال:فضـرب الرضا(ع)يده على جبهته و قال:إنا لله و إنا إليه راجعون-لقد نسـبتم نبيا من أنبياء الله إلى التهاون بصـلاته-حتى خرج فى أثر الطير ثم بالفاحشه ثم بالقتل-.

فقـال:يـا ابن رسول الله مـا كانت خطيئته؟فقال:ويحك إن داود(ع)إنما ظن-أنه ما خلق الله خلقا هو أعلم منه-فبعث الله عز و جل إليه الملكين فتسورا المحراب فقالا:خصمان بغى بعضنا على بعض-فاحكم بيننا بالحق و لا تشطط-و اهدنا إلى سواء الصراط-إن هـذا أخى له تسع و تسـعون نعجه-و لى نعجه واحده فقال أكفلنيها و عزنى فى الخطاب-فعجل داود على المدعى عليه فقال-لقد ظلمـك بسؤال نعجتـك إلى نعاجه- و لم يسأل المـدعى البينه على ذلك،و لم يقبل على المـدعى عليه فيقول له:ما تقول؟ فكان هذا خطيئه رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه-أ لا تسـمع الله عز و جل يقول:« يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ-فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ »إلى آخر الآيه-.

فقال:يا ابن رسول الله ما قصـته مع أوريا؟قال الرضا(ع):إن المرأه فى أيام داود-كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعـده أبـدا- فـأول من أبـاح الله عز و جل له-أن يتزوج بامرأه قتل بعلها داود(ع)-فتزوج بامرأه أوريا لما قتل و انقضت عـدتها- فـذلك الـذى شق على الناس من قتل أوريا.

و فى أمـالى الصـدوق،بإسناده إلى أبى عبـد الله(ع):أنه قـال لعلقمه: إن رضـا النـاس لا يملك و ألسـنتهم لا تضـبط-أ لم ينسـبوا داود(ع)إلى أنه تبع الطير-حتى نظر إلى امرأه أوريا فهواها،و أنه قدم زوجها أمام التابوت حتى قتل-ثم تزوج بها الحديث.

(كلام فی قصص داود فی فصول)

۱-قصته فی القرآن:

لم يقع من قصته فی القرآن إلا إشارات فقد ذكر سبحانه أنه كان فی جيش طالوت الملك حين حارب جالوت فقتل داود فأتاه الله الملك بعد طالوت و الحكمه و علمه مما يشاء«البقره:۲۵۱»و جعله خليفه له يحكم بين الناس و آتاه فصل الخطاب«(ص):۲۰ و ۲۶»و قد أيد الله ملكه و سخر معه الجبال و الطير يسبحن معه«الأنبياء:۷۹،ص ۱۹»و ألان له الحديد يعمل و ينسج منه الدروع «الأنبياء:۸۰ سبأ:۱۱».

۲-جميل الثناء عليه فی القرآن.

عده سبحانه من الأنبياء و أثنى عليه بما أثنى عليهم و خصه بقوله :«وَ آتَيْنٰا دٰاوُدَ زَبُوراً:» «النساء:-۱۶۳» و آتاه فضلا و علما«سبأ:۱۰ النمل:۱۵»و آتاه الحكمه و فصل الخطاب و جعله خليفه فی الأرض«_ص:۲۰ و ۲۶»و وصفه بأنه أواب و إن له عنده لزلفى و حسن مآب «_ص:۱۹ و ۲۵».

۳- [حول قصه المتخاصمين.]

التدبر فی آيات الكتاب المتعرضه لقصه دخول المتخاصمين على داود(ع) لا يعطی أزيد من كونه امتحانا منه تعالى له(ع)فی ظرف التمثل ليربيه تربيه إلهيه و يعلمه رسم القضاء العدل فلا يجور فی الحكم و لا يعدل عن العدل.

و أما ما تضمنته غالب الروايات من قصه أوريا و امرأته فهو مما يجل عنه الأنبياء و يتنزه عنه ساحتهم و قد تقدم فی بيان الآيات و البحث الروائی محصل الكلام فی ذلك.

[سوره ص (۳۸): الآيات ۳۰ الى ۴۰]

اشاره

وَ وَهَبْنٰا لِدٰاوُدَ سُلَيْمٰانَ نِعْمَ اَلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّٰابٌ (۳۰) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ اَلصّٰافِنٰاتُ اَلْجِيٰادُ (۳۱) فَقٰالَ إِنِّی أَحْبَبْتُ حُبَّ اَلْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّی حَتّٰى تَوٰارَتْ بِالْحِجٰابِ (۳۲) رُدُّوهٰا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ اَلْأَعْنٰاقِ (۳۳) وَ لَقَدْ فَتَنّٰا سُلَيْمٰانَ وَ أَلْقَيْنٰا عَلىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنٰابَ (۳۴) قٰالَ رَبِّ اِغْفِرْ لِی وَ هَبْ لِی مُلْكاً لاٰ يَنْبَغِی لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِی إِنَّكَ أَنْتَ اَلْوَهّٰابُ (۳۵) فَسَخَّرْنٰا لَهُ اَلرِّيحَ تَجْرِی بِأَمْرِهِ رُخٰاءً حَيْثُ أَصٰابَ (۳۶) وَ اَلشَّيٰاطِينَ كُلَّ بَنّٰاءٍ وَ غَوّٰاصٍ (۳۷) وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِی اَلْأَصْفٰادِ (۳۸) هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسٰابٍ (۳۹) وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنٰا لَزُلْفىٰ وَ حُسْنَ مَآبٍ (۴۰)

(بيان)

القصه الثانيه من قصص العباد الأوابين التى أمر النبى ص أن يصبر و يذكرها.

قوله تعالى::« وَ وَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ »أى وهبناه له ولدا و الباقى ظاهر مما تقدم.

قوله تعالى:« إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصّافِناتُ الْجِيادُ » العشى مقابل الغداه و هو آخر النهار بعد الزوال،و الصافنات على ما فى المجمع،جمع الصافنه من الخيل و هى التى تقوم على ثلاث قوائم و ترفع إحدى يديها حتى تكون على طرف الحافر.قال:

و الجياد جمع جواد و الياء هاهنا منقلبه عن واو و الأصل جواد و هى السراع من الخيل كأنها تجود بالركض.انتهى.

قوله تعالى:« فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ » الضمير لسليمان،و المراد بالخير:الخيل-على ما قيل-فإن العرب تسمى الخيل خيرا

و عن النبى ص: الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامه.

ص :۲۰۲

و قيل:المراد بالخير المال الكثير و قد استعمل بهذا المعنى فى مواضع من كلامه تعالى كقوله :«إِنْ تَرَكَ خَيْراً» البقره:-١٨٠.

و قوله:« إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي »قالوا:إن« أَحْبَبْتُ »مضمن معنى الإيثار و« عَنْ »بمعنى على،و المراد إنى آثرت حب الخيل على ذكر ربى و هو الصلاه محبا إياه أو أحببت الخيل حبا مؤثرا إياه على ذكر ربى-فاشتغلت بما عرض على من الخيل عن الصلاه حتى غربت الشمس.

و قوله:« حَتّٰى تَوٰارَتْ بِالْحِجٰابِ »الضمير على ما قالوا للشمس و المراد بتواريها بالحجاب غروبها و استتارها تحت حجاب الأفق،و يؤيد هذا المعنى ذكر العشى فى الآيه السابقه إذ لو لا ذلك لم يكن غرض ظاهر يترتب على ذكر العشى.

فمحصل معنى الآيه أنى شغلنى حب الخيل-حين عرض الخيل على-عن الصلاه حتى فات وقتها بغروب الشمس،و إنما كان يحب الخيل فى الله ليتهيأ به للجهاد فى سبيل الله فكان الحضور للعرض عباده منه فشغلته عباده عن عباده غير أنه يعد الصلاه أهم.

و قيل:ضمير« تَوٰارَتْ »للخيل و ذلك أنه أمر بإجراء الخيل فشغله النظر فى جريها حتى غابت عن نظره و توارت بحجاب البعد،و قد تقدم أن ذكر العشى يؤيد المعنى السابق و لا دليل على ما ذكره من حديث الأمر بالجرى من لفظ الآيه.

قوله تعالى:« رُدُّوهٰا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنٰاقِ »قيل:الضمير فى « رُدُّوهٰا »للشمس و هو أمر منه للملائكه برد الشمس ليصلى صلاته فى وقتها،و قوله:

« فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنٰاقِ »أى شرع يمسح ساقيه و عنقه و يأمر أصحابه أن يمسحوا سوقهم و أعناقهم و كان ذلك وضوءهم ثم صلى و صلوا،و قد ورد ذلك فى بعض الروايات عن أئمه أهل البيت(ع).

و قيل:الضمير للخيل و المعنى قال:ردوا الخيل فلما ردت.شرع يمسح مسحا بسوقها و أعناقها و يجعلها مسبله فى سبيل الله جزاء ما اشتغل بها عن الصلاه.

و قيل:الضمير للخيل و المراد بمسح أعناق الخيل و سوقها ضربها بالسيف و قطعها و المسح القطع فهو(ع)غضب عليها فى الله لما شغلته عن ذكر الله فأمر بردها ثم ضرب بالسيف أعناقها و سوقها فقتلها جميعا.

و فيه أن مثل هذا الفعل مما تتنزه ساحه الأنبياء(ع)عن مثله فما ذنب الخيل لو شغله النظر إليها عن الصلاه حتى تؤاخذ بأشد المؤاخذه فتقتل تلك القتله الفظيعه عن آخرها مع ما فيه من إتلاف المال المحترم.

و أما استدلال بعضهم عليه

بروايه أبي بن كعب عن النبي ص: في قوله تعالى:

فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنٰاقِ

-قطع سوقها و أعناقها بالسيف ثم أضاف إليها و قد جعلها بذلك قربانا لله و كان تقريب الخيل مشروعا في دينه فليس من التقريب ذكر في الحديث و لا في غيره.

على أنه(ع)لم يشتغل عن العباده بالهوى بل شغلته عباده عن عباده كما تقدمت الإشاره إليه.

فالمعول عليه هو أول الوجوه إن ساعده لفظ الآيه و إلا فالوجه الثاني.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ فَتَنّٰا سُلَيْمٰانَ وَ أَلْقَيْنٰا عَلىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنٰابَ » الجسد هو الجسم الذي لا روح فيه.

قيل:المراد بالجسد الملقى على كرسيه هو سليمان نفسه لمرض امتحنه الله به و تقدير الكلام ألقيناه على كرسيه جسدا أي كجسد لا روح فيه من شده المرض.

و فيه أن حذف الضمير من«ألقيناه»و إخراج الكلام على صورته التي في الآيه الظاهره في أن الملقى هو الجسد مخل بالمعنى المقصود لا يجوز حمل أفصح الكلام عليه.

و لسائر المفسرين أقوال مختلفه في المراد من الآيه تبعا للروايات المختلفه الوارده فيها و الذي يمكن أن يؤخذ من بينها إجمالا أنه كان جسد صبي له أماته الله و ألقى جسده على كرسيه،و لقوله:« ثُمَّ أَنٰابَ قٰالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي »إشعار أو دلاله على أنه كان له(ع)فيه رجاء أو أمنيه في الله فأماته الله سبحانه و ألقاه على كرسيه فنبهه أن يفوض الأمر إلى الله و يسلم له.

قوله:« قٰالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكاً لاٰ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهّٰابُ »ظاهر السياق أن الاستغفار مرتبط بما في الآيه السابقه من إلقاء الجسد على كرسيه،و الفصل لكون الكلام في محل دفع الدخل كأنه لما قيل:« ثُمَّ أَنٰابَ »قيل:

فما ذا قال؟فقيل: قٰالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي »إلخ.

و ربما استشکل فی قوله:« وَ هَبْ لِی مُلْکاً لاٰ یَنْبَغِی لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِی »أن فیه ضنا و بخلا،فإن فیه اشتراط أن لا یؤتی مثل ما أوتیه من الملک لأحد من العالمین غیره.

و یدفعه أن فیه سؤال ملک یختص به لا سؤال أن یمنع غیره عن مثل ما آتاه و یحرمه ففرق بین أن یسأل ملکا اختصاصیا و أن یسأل الاختصاص بملک أوتیه.

قوله تعالی:« فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّیحَ تَجْرِی بِأَمْرِهِ رُخاءً حَیْثُ أَصابَ متفرع علی سؤاله الملک و إخباره عن إجابه دعوته و بیان الملک الذی لا ینبغی لأحد غیره و هو تسخیر الریح و الجن.

و الرخاء بالضم اللینه و الظاهر أن المراد بکون الریح تجری بأمره رخاء مطاوعتها لأمره و سهوله جریانها علی ما یریده(ع)فلا یرد أن توصیف الریح هاهنا بالرخاء یناقض توصیفه فی قوله :«وَ لِسُلَیْمانَ الرِّیحَ عاصِفَهً تَجْرِی بِأَمْرِهِ:» الأنبیاء:-۸۱ بکونها عاصفه.

و ربما أجیب عنه بأن من الجائز أن یجعلها الله رخوه تاره و عاصفه أخری حسب ما أراد سلیمان(ع).

و قوله:« حَیْثُ أَصابَ »أی حیث شاء سلیمان(ع)و قصد و هو متعلق بتجری.

قوله تعالی:« وَ الشَّیاطِینَ کُلَّ بَنّاءٍ وَ غَوّاصٍ »أی و سخرنا له الشیاطین من الجن کل بناء منهم یبنی له فی البر و کل غواص یعمل له فی البحر فیستخرج اللئالئ و غیرها.

قوله تعالی:« وَ آخَرِینَ مُقَرَّنِینَ فِی الْأَصْفادِ » الأصفاد جمع صفد و هو الغل من الحدید،و المعنی سخرنا له آخرین منهم مجموعین فی الأغلال مشدودین بالسلاسل.

قوله تعالی:« هٰذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ بِغَیْرِ حِسابٍ »أی هذا الذی ذکر من الملک عطاؤنا لک بغیر حساب و الظاهر أن المراد بکونه بغیر حساب أنه لا ینفد بالعطاء و المن و لذا قیل:« فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ »أی أنهما یستویان فی عدم التأثیر فیه.

و قیل:المراد بغیر حساب أنک لا تحاسب علیه یوم القیامه،و قیل:المراد أن إعطاءه تفضل لا مجازاه و قیل غیر ذلک.

قوله تعالی:« وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفیٰ وَ حُسْنَ مَآبٍ »تقدم معناه.

ص :۲۰۵

(بحث روائی)

و فی المجمع، فی قوله تعالی:« فَقٰالَ إِنِّی أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَیْرِ عَنْ ذِکْرِ رَبِّی »الآیه- قیل:إن هذه الخیل-کانت شغلته عن صلاه العصر حتی فات وقتها : عن علی(ع)

و فی روایه أصحابنا: أنه فاته أول الوقت.

و فیه،قال ابن عباس: سألت علیا عن هذه الآیه-فقال:ما بلغک فیها یا ابن عباس؟ قلت:سمعت کعبا یقول:اشتغل سلیمان بعرض الأفراس حتی فاتته الصلاه-فقال:

ردوها علی یعنی الأفراس و کانت أربعه عشر-فأمر بضرب سوقها و أعناقها بالسیف فقتلها-فسلبه الله ملکه أربعه عشر یوما-لأنه ظلم الخیل بقتلها-.

فقال علی:کذب کعب-لکن اشتغل سلیمان بعرض الأفراس ذات یوم-لأنه أراد جهاد العدو حتی توارت الشمس بالحجاب-فقال بأمر الله للملائکه الموکلین بالشمس:

ردوها علی فردت فصلی العصر فی وقتها-و إن أنبیاء الله لا یظلمون و لا یأمرون بالظلم- لأنهم معصومون مطهرون.

أقول:و قول کعب الأحبار:فسلبه الله ملکه إشاره إلی حدیث الخاتم الذی سنشیر إلیه.

و فی الفقیه،روی عن الصادق(ع)أنه قال: إن سلیمان بن داود عرض علیه ذات یوم بالعشی الخیل-فاشتغل بالنظر إلیها حتی توارت الشمس بالحجاب-فقال للملائکه:

ردوا الشمس علی حتی أصلی صلاتی فی وقتها-فردوها فقام و مسح ساقیه و عنقه بمثل ذلک-و کان ذلک وضوءهم للصلاه- ثم قام فصلی فلما فرغ غابت الشمس و طلعت النجوم، و ذلک قول الله عز و جل:« وَ وَهَبْنٰا لِدٰاوُدَ سُلَیْمٰانَ -إلی قوله- مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنٰاقِ ».

أقول:و الروایه لا بأس بها لو ساعد لفظ الآیه أعنی قوله:« فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنٰاقِ »علی ما فیها من المعنی،و أما مسأله رد الشمس فلا إشکال فیه بعد ثبوت إعجاز الأنبیاء ،و قد ورد ردها لغیره(ع)کیوشع بن نون و علی بن أبی طالب (ع)فی النقل المعتبر و لا یعبأ بما أورده الرازی فی تفسیره الکبیر،

و أما عقره(ع)الخیل و ضربه أعناقها بالسیف فقد روی فی ذلک عده روایات

من طرق أهل السنه و أورده القمی فی تفسیره،و کأنها تنتهی إلی کعب کما مر فی روایه ابن عباس المتقدمه و کیف کان فلا یعبأ بها کما تقدم.

و قد بلغ من إغراقهم فی القصه أن رووا أن الخیل کانت عشرین ألف فرس ذات أجنه و مثله ما روی فی قوله: حَتّٰی تَوٰارَتْ بِالْحِجٰابِ عن کعب أنه حجاب من یاقوته خضراء محیط بالخلائق منه اخضرت السماء.

و مثل هذه الروایات أعاجیب من القصص رووها فی قوله تعالی:« وَ أَلْقَیْنٰا عَلیٰ کُرْسِیِّهِ جَسَداً »الآیه

کما روی: أنه ولد له ولد فأمر بإرضاعه-و حفظه فی السحاب إشفاقا علیه من مرده الجن-و فی بعضها خوفا علیه من ملک الموت-فوقع یوما جسده علی کرسیه میتا.

و ما روی: أنه قال یوما:لأطوفن اللیله بمائه امرأه من نسائی-تلد لی کل واحده منهن لی فارسا یجاهد فی سبیل الله-و لم یستثن فلم تحمل منهن إلا واحده بشق من ولد-و کان یحبه فخبأه له بعض الجن من ملک الموت-فأخذه من مخبئه و قبضه علی کرسی سلیمان.

و ما روی فی روایات کثیره تنتهی عده منها إلی ابن عباس و هو یصرح فی بعضها أنه أخذه عن کعب": أن ملک سلیمان کان فی خاتمه-فتخطفه شیطان منه فزال ملکه- و تسلط الشیطان علی ملکه أیاما-ثم أعاد الله الخاتم إلیه-فعاد إلی ما کان علیه من الملک ، و قد أوردوا فی القصه أمورا ینبغی أن تنزه ساحه الأنبیاء(ع)عن ذکرها فضلا عن نسبتها إلیهم.قالوا:و جلوس الشیطان علی کرسی سلیمان هو المراد بقوله تعالی:

« وَ أَلْقَیْنٰا عَلیٰ کُرْسِیِّهِ جَسَداً »الآیه.

فهذه (۱)کلها مما لا یعبأ بها علی ما تقدمت الإشاره إلیه و إنما هی مما لعبت بها أیدی الوضع.

[سوره ص (۳۸): الآیات ۴۱ الی ۴۸]

اشاره

وَ اُذْکُرْ عَبْدَنٰا أَیُّوبَ إِذْ نٰادیٰ رَبَّهُ أَنِّی مَسَّنِیَ اَلشَّیْطٰانُ بِنُصْبٍ وَ عَذٰابٍ (۴۱) اُرْکُضْ بِرِجْلِکَ هٰذٰا مُغْتَسَلٌ بٰارِدٌ وَ شَرٰابٌ (۴۲) وَ وَهَبْنٰا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَهً مِنّٰا وَ ذِکْریٰ لِأُولِی اَلْأَلْبٰابِ (۴۳) وَ خُذْ بِیَدِکَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لاٰ تَحْنَثْ إِنّٰا وَجَدْنٰاهُ صٰابِراً نِعْمَ اَلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّٰابٌ (۴۴) وَ اُذْکُرْ عِبٰادَنٰا إِبْرٰاهِیمَ وَ إِسْحٰاقَ وَ یَعْقُوبَ أُولِی اَلْأَیْدِی وَ اَلْأَبْصٰارِ (۴۵) إِنّٰا أَخْلَصْنٰاهُمْ بِخٰالِصَهٍ ذِکْرَی اَلدّٰارِ (۴۶) وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنٰا لَمِنَ اَلْمُصْطَفَیْنَ اَلْأَخْیٰارِ (۴۷) وَ اُذْکُرْ إِسْمٰاعِیلَ وَ اَلْیَسَعَ وَ ذَا اَلْکِفْلِ وَ کُلٌّ مِنَ اَلْأَخْیٰارِ (۴۸)

۱- ۱) لیراجع فی الحصول علی عامه هذه الروایات الدر المنثور.

(بيان)

القصه الثالثه مما أمر النبی ص أن یصبر و یذکرها و هی قصه أیوب النبی(ع) و ما ابتلی به من المحنه ثم أکرمه الله بالعافیه و العطیه.ثم الأمر بذکر إبراهیم و خمسه من ذریته من الأنبیاء(ع).

قوله تعالی:« وَ اذْکُرْ عَبْدَنا أَیُّوبَ إِذْ نادی رَبَّهُ أَنِّی مَسَّنِیَ الشَّیْطانُ بِنُصْبٍ وَ عَذابٍ » دعاء منه(ع)و سؤال للعافیه و أن یکشف عنه ربه ما أصابه من سوء الحال،و لم یصرح بما یریده و یسأله تواضعا و تذللا غیر أن نداءه تعالی بلفظ ربی یشعر بأنه ینادیه لحاجه.

و النصب التعب،و قوله:« إِذْ نادی »إلخ بدل اشتمال من« عَبْدَنا »أو« أَیُّوبَ » و قوله:« أَنِّی مَسَّنِیَ »إلخ حکایه ندائه.

و الظاهر من الآیات التالیه أن مراده من النصب و العذاب ما أصابه من سوء الحال فی بدنه و أهله و هو الذی ذکره عنه(ع)فی سوره الأنبیاء من ندائه أَنِّی مَسَّنِیَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِینَ بناء علی شمول الضر مصیبته فی نفسه و أهله و لم یشر فی هذه السوره و لا فی سوره الأنبیاء إلی ذهاب ماله و إن وقع ذکر المال فی الروایات.

ص :۲۰۸

و الظاهر أن المراد من مس الشيطان له بالنصب و العذاب استناد نصبه و عذابه من الشيطان بنحو من السببيه و التأثير و هو الذى يظهر من الروايات،و لا ينافى استناد المرض و نحوه إلى الشيطان استناده أيضا إلى بعض الأسباب العاديه الطبيعيه لأن السببين ليسا عرضيين متدافعين بل أحدهما فى طول الآخر و قد أوضحنا ذلك فى تفسير قوله تعالى :«وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بَرَكٰاتٍ مِنَ السَّمٰاءِ:» الأعراف:- ۹۶ فى الجزء الثامن من الكتاب.

و لا دليل يدل على امتناع وقوع هذا النوع من التأثير للشيطان فى الإنسان و قد قال تعالى :«إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصٰابُ وَ الْأَزْلاٰمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطٰانِ:» المائده:- ۹۰ فنسبها أنفسها إليه،و قال حاكيا عن موسى(ع) :«هٰذٰا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطٰانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ:» القصص:-۱۵ يشير إلى الاقتتال.

و لو أغمض عن الروايات أمكن أن يحتمل أن يكون المراد بانتساب ذلك إلى الشيطان إغراؤه الناس بوسوسته أن يتجنبوا من الاقتراب منه و ابتعادهم و طعنهم فيه أن لو كان نبيا لم تحط به البليه من كل جانب و لم يصر إلى ما صار إليه من العاقبه السوأى و شماتتهم و استهزائهم به.

و قد أنكر فى الكشاف،ما تقدم من الوجه قائلا:لا يجوز أن يسلط الله الشيطان على أنبيائه(ع)ليقضى من تعذيبهم و إتعابهم وطره و لو قدر على ذلك لم يدع صالحا إلا و قد نكبه و أهلكه،و قد تكرر فى القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسه فحسب.انتهى.

و فيه أن الذى يخص الأنبياء و أهل العصمه أنهم لمكان عصمتهم فى أمن من تأثير الشيطان فى نفوسهم بالوسوسه،و أما تأثيره فى أبدانهم و سائر ما ينسب إليهم بإيذاء أو إتعاب أو نحو ذلك من غير إضلال فلا دليل يدل على امتناعه،و قد حكى الله سبحانه عن فتى موسى و هو يوشع النبى(ع) :«فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَ مٰا أَنْسٰانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطٰانُ أَنْ أَذْكُرَهُ:» الكهف:-۶۳.

و لا يلزم من تسلطه على نبى بالإيذاء و الإتعاب لمصلحه تقتضيه كظهور صبره فى

الله سبحانه و أوبته إليه أن يقدر على ما يشاء فيمن يشاء من عباد الله تعالى إلا أن يشاء الله ذلك و هو ظاهر.

قوله تعالى:« اُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هٰذٰا مُغْتَسَلٌ بٰارِدٌ وَ شَرٰابٌ »وقوع الآيه عقيب نـدائه و مسألته يعطى أنه إيـذان باستجابه دعائه و أن قوله تعالى:« اُرْكُضْ بِرِجْلِكَ » إلخ حكايه لما أوحى إليه عند الكشف عن الاستجابه أو هو بإضمار القول و التقدير فاستجبنا له و قلنا:اركض«إلخ»و سياق الأمر مشعر بل كاشف عن أنه كان لا يقدر على القيام و المشى بقدميه و كان مصابا فى سائر بدنه فأبرأ الله ما فى رجليه من ضر و أظهر له عينا هناك و أمره أن يغتسل منها و يشرب حتى يبرأ ظاهر بدنه و باطنه و يتأيد بذلك ما سيأتى من الروايه.

و فى الكلام إيجاز بالحذف و التقدير فركض برجله و اغتسل و شرب فبرأه الله من مرضه.

قوله تعالى:« وَ وَهَبْنٰا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنّٰا وَ ذِكْرىٰ لِأُولِي الْأَلْبٰابِ » ورد فى الروايه أنه ابتلى فيما ابتلى بموت جميع أهله إلا امرأته و أن الله أحياهم له و وهبهم له و مثلهم معهم،و قيل:إنهم كانوا قد تفرقوا عنه أيام ابتلائه فجمعهم الله إليه بعد برئه و تناسلوا فكانوا مثلى ما كانوا عددا.

و قوله:« رَحْمَةً مِنّٰا وَ ذِكْرىٰ لِأُولِي الْأَلْبٰابِ »مفعول له أى فعلنا به ما فعلنا ليكون رحمه منا و ذكرى لأولى الألباب يتذكرون به.

قوله تعالى:« وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لاٰ تَحْنَثْ إِنّٰا وَجَدْنٰاهُ صٰابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّٰابٌ »فى المجمع،: الضغث ملء الكف من الشجره و الحشيش و الشماريخ و نحو ذلك انتهى،و كان(ع)قد حلف لئن عوفى أن يجلد امرأته مائه جلده لأمر أنكره عليها على ما سيأتى من الروايه فلما عافاه الله تعالى أمره أن يأخذ بيده ضغثا بعدد ما حلف عليه من الجلدات فيضربها به و لا يحنث.

و فى سياق الآيه تلويح إلى ذلك و إنما طوى ذكر المرأه و سبب الحلف تأدبا و رعايه لجانبه.

و قوله:« إِنّٰا وَجَدْنٰاهُ صٰابِراً »أى فيما ابتليناه به من المرض و ذهاب الأهل و المال،

و الجمله تعلیل لقوله:« وَ اذْکُرْ »أو لقوله:« عَبْدَنا »أی لتسمیته عبدا و إضافته إلیه تعالی،و الأول أولی.

و قوله:« نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ »مدح له(ع).

قوله تعالی:« وَ اذْکُرْ عِبادَنا إِبْراهِیمَ وَ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ أُولِی الْأَیْدِی وَ الْأَبْصارِ » مدحهم بتوصیفهم بأن لهم الأیدی و الأبصار و ید الإنسان و بصره إنما یمدحان إذا کانا ید إنسان و بصر إنسان و استعملا فیما خلقا له و خدما الإنسان فی إنسانیته فتکتسب الید صالح العمل و یجری منها الخیر علی الخلق و یمیز البصر طرق العافیه و السلامه من موارد الهلکه و یصیب الحق و لا یلتبس علیه الباطل.

فیکون کونهم أولی الأید و الأبصار کنایه عن قوتهم فی الطاعه و إیصال الخیر و تبصرهم فی إصابه الحق فی الاعتقاد و العمل و قد جمع المعنیین فی قوله تعالی :«وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ نافِلَهً وَ کُلاًّ جَعَلْنا صالِحِینَ وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَیْنا إِلَیْهِمْ فِعْلَ الْخَیْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاهِ وَ إِیتاءَ الزَّکاهِ وَ کانُوا لَنا عابِدِینَ:» الأنبیاء:-۷۳ فجعلهم أئمه و الأمر و الوحی لأبصارهم و فعل الخیرات و إقام الصلاه و إیتاء الزکاه لأیدیهم (۱)و إلیه یئول ما فی الروایه من تفسیر ذلک بأولی القوه فی العباده و البصر فیها.

قوله تعالی:« إِنّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَهٍ ذِکْرَی الدّارِ »الخالصه وصف قائم مقام موصوفه،و الباء للسببیه و التقدیر بسبب خصله خالصه،و ذِکْرَی الدّارِ بیان للخصله و الدار هی الدار الآخره.

و الآیه أعنی قوله:« إِنّا أَخْلَصْناهُمْ »إلخ لتعلیل ما فی الآیه السابقه من قوله:

« أُولِی الْأَیْدِی وَ الْأَبْصارِ »أو لقوله:« عِبادَنا »أو لقوله:« وَ اذْکُرْ »و أوجه الوجوه أولها،و ذلک لأن استغراق الإنسان فی ذکری الدار الآخره و جوار رب العالمین و رکوز همه فیها یلازم کمال معرفته فی جنب الله تعالی و إصابه نظره فی حق الاعتقاد و التبصر فی سلوک سبیل العبودیه و التخلص عن الجمود علی ظاهر الحیاه الدنیا و زینتها کما هو شأن أبنائها قال تعالی

۱- ۱) رواها القمی فی تفسیره عن أبی الجارود عن أبی جعفر ع.

:«فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّى عَنْ ذِكْرِنا وَ لَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَياةَ الدُّنْيا ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ:» النجم:-٣٠.

و معنى الآيه و إنما كانوا أولى الأيدى و الأبصار لأنا أخلصناهم بخصله خالصه غير مشوبه عظيمه الشأن هى ذكرى الدار الآخره.

و قيل:المراد بالدار هى الدنيا و المراد بالآيه بقاء ذكرهم الجميل فى الألسن ما دامت الدنيا كما قال تعالى :«وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ -Xإلى أن قالX -وَ جَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا:» مريم:-٥٠ و الوجه السابق أوجه.

قوله تعالى:« وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ »تقدم أن الاصطفاء يلازم الإسلام التام لله سبحانه،و فى الآيه إشاره إلى قوله تعالى :«إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ:» آل عمران:-٣٣.

و الأخيار جمع خير مقابل الشر على ما قيل،و قيل:جمع خير بالتشديد أو التخفيف كأموات جمع ميت بالتشديد أو بالتخفيف.

قوله تعالى:« وَ اذْكُرْ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكِفْلِ وَ كُلٌّ مِنَ الْأَخْيارِ »معناه ظاهر.

(كلام فى قصه أيوب(ع)فى فصول)

١-قصته فى القرآن:

لم يذكر من قصته فى القرآن إلا ابتلاؤه بالضر فى نفسه و أولاده ثم تفريجه تعالى بمعافاته و إيتائه أهله و مثلهم معهم رحمه منه و ذكرى للعابدين «الأنبياء:٨٣-٨٤.ص:٤١-٤٤».

٢-جميل ثنائه:

ذكره تعالى فى زمره الأنبياء من ذريه إبراهيم(ع)فى سوره الأنعام و أثنى عليهم بكل ثناء جميل«الأنعام:٨٤-٩٠»و ذكره فى سوره_ص فعده صابرا و نعم العبد و أوابا«_ص:٤۴».

قصته فى الروايات:

فى تفسير القمى،حدثنى أبى عن ابن فضال عن عبد الله بن بحر عن ابن مسكان عن أبى بصير عن أبى عبد الله(ع)قال: سألته عن بليه أيوب التى ابتلى بها فى الدنيا-لأى عله كانت؟قال:لنعمه أنعم الله عز و جل عليه بها فى الدنيا- و أدى شكرها-و كان فى ذلك الزمان لا يحجب إبليس دون العرش-فلما صعد و رأى

شكر نعمه أيوب حسده إبليس.

فقال:يا رب إن أيوب لم يؤد إليك شكر هـذه النعمه-إلا بما أعطيته من الـدنيا-و لو حرمته دنياه ما أدى إليك شـكر نعمه أبدا-فسلطنى على دنياه-حتى تعلم أنه لم يؤد إليه شكر نعمه أبدا-فقيل له:قد سلطتك على ماله و ولده-.

قـال:فانحـدر إبليس فلم يبق له مالا و لا ولـدا إلا أعطبه-فازداد أيوب لله شـكرا و حمـدا،و قال:فسـلطنى على زرعه يا رب.قال:قد فعلت فجاء مع شياطينه فنفخ فيه فاحترق-فازداد أيوب لله شكرا و حمدا-فقال:يا رب سلطنى على غنمه فأهلكها- فازداد أيوب لله شكرا و حمدا-.

فقال:يا رب سلطنى على بدنه-فسلطه على بدنه ما خلا عقله و عينيه-فنفخ فيه إبليس-فصار قرحه واحده من قرنه إلى قدمه-فبقى فى ذلـك دهرا طويلاـ يحمـد الله و يشـكره-حـتى وقـع فى بـدنه الـدود فكـانت تخرج من بـدنه-فيردهـا فيقـول لهـا:ارجعى إلى موضعك الذى خلقك الله منه،و نتن حتى أخرجه أهل القريه من القريه-و ألقوه فى المزبله خارج القريه-.

و كـانت امرأتـه رحمـه بنت أفراييم-بن يوسـف بن يعقـوب بن إسـحاق بن إبراهيم (ع)-و عليهـا يتصـدق من النـاس و تـأتيه بما تجده-.

قال:فلما طال عليه البلاء و رأى إبليس صبره-أتى أصـحابا لأيوب كانوا رهبانا فى الجبال و قال لهم:مروا بنا إلى هذا العبد المبتلى فنسأله عن بليته-فركبوا بغالا شهبا و جاءوا-فلما دنوا منه نفرت بغالهم من نتن ريحه-فنظر بعضهم إلى بعض ثم مشوا إليه- و كان فيهم شـاب حـدث السن فقعـدوا إليه فقـالوا:يـا أيوب لو أخبرتنا بـذنبك لعل الله يهلكنا إذا سألناه،و ما نرى ابتلاءك بهـذا البلاء الذى لم يبتل به أحد-إلا من أمر كنت تستره-.

فقـال أيوب:و عزه ربى إنه ليعلم أنى ما أكلت طعاما-إلا و يتيم أو ضـعيف يأكل معى،و ما عرض لى أمران كلاهما طاعه الله-إلا أخذت بأشدهما على بدنى.فقال الشاب:

سوأه لكم عيرتم نبى الله-حتى أظهر من عباده ربه ما كان يسترها-.

فقال أيوب:يا رب-لو جلست مجلس الحكم منك لأدليت بحجتى -فبعث الله إليه

غمامه فقال:یا أیوب أدل بحجتک فقد أقعدتک مقعد الحکم-و ها أنا ذا قریب و لم أزل-.

فقال:یا رب إنک لتعلم أنه لم یعرض لی أمران قط-کلاهما لک طاعه إلا أخذت بأشدهما علی نفسی.أ لم أحمدک؟أ لم أشکرک؟أ لم أسبحک؟-.

قال:فنودی من الغمامه بعشره آلاف لسان:یا أیوب من صیرک تعبد الله و الناس عنه غافلون؟و تحمده و تسبحه و تکبره و الناس عنه غافلون؟أ تمن علی الله بما لله فیه المنه علیک؟قال:فأخذ التراب و وضعه فی فیه-ثم قال:لک العتبی یا رب أنت فعلت ذلک بی-.

فأنزل الله علیه ملکا فرکض برجله فخرج الماء-فغسله بذلک الماء فعاد أحسن ما کان و أطرأ،و أنبت الله علیه روضه خضراء،و رد علیه أهله و ماله و ولده و زرعه- و قعد معه الملک یحدثه و یؤنسه-.

فأقبلت امرأته معها الکسره- (۱)فلما انتهت إلی الموضع إذا الموضع متغیر-و إذا رجلان جالسان فبکت و صاحت و قالت:یا أیوب ما دهاک؟فناداها أیوب فأقبلت- فلما رأته و قد رد الله علیه بدنه و نعمه-سجدت لله شکرا.فرأی ذؤابتها مقطوعه- و ذلک أنها سألت قوما أن یعطوها ما تحمله إلی أیوب-من الطعام و کانت حسنه الذوائب- فقالوا لها:تبیعینا ذؤابتک هذه حتی نعطیک؟فقطعتها و دفعتها إلیهم و أخذت منهم طعاما لأیوب، فلما رآها مقطوعه الشعر غضب-و حلف علیها أن یضربها مائه- فأخبرته أنه کان سببه کیت و کیت.فاغتم أیوب من ذلک فأوحی الله عز و جل إلیه« خُذْ بِیَدِکَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لاٰ تَحْنَثْ »فأخذ عذقا مشتملا علی مائه شمراخ-فضربها ضربه واحده فخرج من یمینه.

أقول:و روی عن ابن عباس ما یقرب منه،و عن وهب أن امرأته کانت بنت میشا بن یوسف،و الروایه-کما تری-تذکر ابتلاءه بما تتنفر عنه الطباع و هناک من الروایات ما یؤید ذلک لکن بعض الأخبار المرویه عن أئمه أهل البیت(ع) ینفی ذلک و ینکره أشد الإنکار کما یأتی.

و عن الخصال،:القطان عن السکری عن الجوهری عن ابن عماره عن أبیه عن

۱- ۱) الکسره القطعه من الخبز.

جعفر بن محمد عن أبيه(ع)قال: إن أيوب(ع)ابتلى سبع سنين من غير ذنب-و إن الأنبياء لا يذنبون لأنهم معصومون مطهرون-لا يذنبون و لا يزيغون-و لا يرتكبون ذنبا صغيرا و لا كبيرا-.

و قال:إن أيوب من جميع ما ابتلى به-لم تنتن له رائحه،و لا قبحت له صوره- و لا خرجت منه مده من دم و لا قيح،و لا استقذره أحد رآه،و لا استوحش منه أحد شاهده،و لا تدود شيء من جسده-و هكذا يصنع الله عز و جل بجميع من يبتليه- من أنبيائه و أوليائه المكرمين عليه-.

و إنما اجتنبه الناس لفقره و ضعفه فى ظاهر أمره-لجهلهم بما له عند ربه تعالى ذكره من التأييد و الفرج،و قد قال النبى ص:أعظم الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل-.

و إنما ابتلاه الله بالبلاء العظيم-الذى يهون معه على جميع الناس-لئلا يدعوا له الربوبيه إذا شاهدوا ما أراد الله-أن يوصله إليه من عظائم نعمه متى شاهدوه،و ليستدلوا بذلک على أن الثواب من الله على ضربين:استحقاق و اختصاص،و لئلا يحتقروا ضعيفا لضعفه و لا فقيرا لفقره-و لا مريضا لمرضه،و ليعلموا أنه يسقم من يشاء،و يشفى من يشاء-متى شاء كيف شاء،بأى سبب شاء-و يجعل ذلک عبره لمن شاء،و شقاوه لمن شاء،و سعاده لمن شاء،و هو عز و جل فى جميع ذلک عدل فى قضائه-و حكيم فى أفعاله- لا يفعل بعباده إلا الأصلح لهم و لا قوه لهم إلا به.

و فى تفسير القمى،:فى قوله تعالى:« وَ وَهَبْنٰا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ »الآيه-قال:

فرد الله عليه أهله الذين ماتوا قبل البلاء،و رد عليه أهله الذين ماتوا بعد ما أصابهم البلاء-كلهم أحياهم الله له فعاشوا معه-.

و سئل أيوب بعد ما عافاه الله:أى شيء كان أشد عليک مما مر؟فقال:

شماته الأعداء.

و فى المجمع،": فى قوله تعالى:« أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطٰانُ »الآيه-قيل:إنه اشتد مرضه حتى تجنبه الناس-فوسوس الشيطان إلى الناس أن يستقذروه-و يخرجوه من بينهم-و لا يتركوا امرأته التى تخدمه أن تدخل عليهم-فكان أيوب يتأذى بذلک و يتألم به-و لم يشک

الألم الذی کان من أمر الله سبحانه. قال قتاده:دام ذلک سبع سنین": و روی ذلک عن أبی عبد الله(ع) .

(خبر الیسع و ذی الکفل«(ع)»)

ذکر سبحانه اسمهما فی کلامه و عدهما من الأنبیاء و أثنی علیهما و عدهما من الأخیار «_ص:۴۸»و عد ذا الکفل من الصابرین«الأنبیاء:۸۵»و لهما ذکر فی الأخبار.

ففی البحار،عن الإحتجاج و التوحید و العیون فی خبر طویل رواه الحسن بن محمد النوفلی عن الرضا(ع)فیما احتج به علی جاثلیق النصاری أن قال(ع): إن الیسع قد صنع مثل ما صنع عیسی(ع)-مشی علی الماء و أحیا الموتی و أبرأ الأکمه و الأبرص- فلم یتخذه أمته ربا،الخبر.

و عن قصص الأنبیاء،:الصدوق عن الدقاق عن الأسدی عن سهل عن عبد العظیم الحسنی قال: کتبت إلی أبی جعفر الثانی-أسأله عن ذی الکفل ما اسمه؟و هل کان من المرسلین؟.

فکتب(ع)بعث الله جل ذکره-مائه ألف نبی و أربعه و عشرین ألف نبی.

مرسلون منهم ثلاثمائه و ثلاثه عشر رجلا،و إن ذا الکفل منهم،و کان بعد سلیمان بن داود،و کان یقضی بین الناس کما کان یقضی داود،و لم یغضب إلا لله عز و جل و کان اسمه عویدیا-و هو الذی ذکره الله جلت عظمته فی کتابه حیث قال:« وَ اذْکُرْ إِسْمٰاعِیلَ وَ الْیَسَعَ وَ ذَا الْکِفْلِ وَ کُلٌّ مِنَ الْأَخْیٰارِ ».

أقول:و هناک روایات متفرقه أخر فی قصصهما(ع)ترکنا إیرادها لضعفها و عدم الاعتماد علیها.

ص:۲۱۶

[سوره ص (۳۸): الآيات ۴۹ الى ۶۴]

اشاره

هٰذٰا ذِكْرٌ وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (۴۹) جَنّٰاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ اَلْأَبْوٰابُ (۵۰) مُتَّكِئِينَ فِيهٰا يَدْعُونَ فِيهٰا بِفٰاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرٰابٍ (۵۱) وَ عِنْدَهُمْ قٰاصِرٰاتُ اَلطَّرْفِ أَتْرٰابٌ (۵۲) هٰذٰا مٰا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ اَلْحِسٰابِ (۵۳) إِنَّ هٰذٰا لَرِزْقُنٰا مٰا لَهُ مِنْ نَفٰادٍ (۵۴) هٰذٰا وَ إِنَّ لِلطّٰاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (۵۵) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهٰا فَبِئْسَ اَلْمِهٰادُ (۵۶) هٰذٰا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَ غَسّٰاقٌ (۵۷) وَ آخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوٰاجٌ (۵۸) هٰذٰا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لاٰ مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صٰالُوا اَلنّٰارِ (۵۹) قٰالُوا بَلْ أَنْتُمْ لاٰ مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنٰا فَبِئْسَ اَلْقَرٰارُ (۶۰) قٰالُوا رَبَّنٰا مَنْ قَدَّمَ لَنٰا هٰذٰا فَزِدْهُ عَذٰاباً ضِعْفاً فِي اَلنّٰارِ (۶۱) وَ قٰالُوا مٰا لَنٰا لاٰ نَرىٰ رِجٰالاً كُنّٰا نَعُدُّهُمْ مِنَ اَلْأَشْرٰارِ (۶۲) أَتَّخَذْنٰاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زٰاغَتْ عَنْهُمُ اَلْأَبْصٰارُ (۶۳) إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ تَخٰاصُمُ أَهْلِ اَلنّٰارِ (۶۴)

(بيان)

فصل آخر من الكلام يبين فيه مآل أمر المتقين و الطاغين تبشيرا و إنذارا.

قوله تعالى:« هٰذٰا ذِكْرٌ وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ »الإشاره بهذا إلى ما ذكر من قصص الأوابين من الأنبياء الكرام(ع)، و المراد بالذكر الشرف و الثناء الجميل أي هذا الذي ذكر شرف و ذكر جميل و ثناء حسن لهم يذكرون به في الدنيا أبدا و لهم حسن مآب من ثواب الآخره.كذا قالوا.

ص: ۲۱۷

و على هذا فالمراد بالمتقين هم المذكورون من الأنبياء بالخصوص أو عموم أهل التقوى و هم داخلون فيهم و يكون ذكر مآب الطاغين بعد من باب الاستطراد.

و الظاهر أن الإشاره بهذا إلى القرآن و المراد بالذكر ما يشتمل عليه من الذكر و فى الكلام عود إلى ما بدئ به فى السوره من قوله« وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ »فهو فصل من الكلام يذكر فيه الله سبحانه ما فى الدار الآخره من ثواب المتقين و عقاب الطاغين.

و قوله:« وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ » المآب المرجع و التنكير للتفخيم،و المعنى ظاهر.

قوله تعالى:« جَنّٰاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوٰابُ »أى جنات استقرار و خلود و كون الأبواب مفتحه لهم كنايه عن أنهم غير ممنوعين عن شىء من النعم الموجوده فيها فهى مهيأه لهم مخلوقه لأجلهم،و قيل:المراد أن أبوابها مفتحه لهم لا تحتاج إلى الوقوف وراءها و دقها،و قيل:المراد أنها تفتح بغير مفتاح و تغلق بغير مغلاق.

و الآيه و ما بعدها بيان لحسن مآبهم.

قوله تعالى:« مُتَّكِئِينَ فِيهٰا يَدْعُونَ فِيهٰا بِفٰاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرٰابٍ »أى حال كونهم جالسين فيها بنحو الاتكاء و الاستناد جلسه الأعزه و الأشراف.

و قوله:« يَدْعُونَ فِيهٰا بِفٰاكِهَةٍ إلخ أى يتحكمون فيها بدعوه الفاكهه و هى كثيره و الشراب فإذا دعيت فاكهه أو دعى شراب أجابهم المدعو فأتاهم من غير حاجه إلى من يحمله و يناوله.

قوله تعالى:« وَ عِنْدَهُمْ قٰاصِرٰاتُ الطَّرْفِ أَتْرٰابٌ »الضمير للمتقين و قاصرات الطرف صفه قائمه مقام الموصوف و التقدير و عندهم أزواج قاصرات الطرف و المراد قصور طرفهن على أزواجهن يرضين بهم و لا يرون غيرهم أو هو كنايه عن كونهن ذوات غنج و دلال.

و الأتراب الأقران أى أنهن أمثال لا يختلفن سنا أو جمالا أو أنهن أمثال لأزواجهن فكلما زادوا نورا و بهاء زدن حسنا و جمالا.

قوله تعالى:« هٰذٰا مٰا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسٰابِ »الإشاره إلى ما ذكر من الجنه و نعيمها،و الخطاب للمتقين ففى الكلام التفات من الغيبه إلى الخطاب و النكته فيه

إظهار القرب منهم و الإشراف عليهم ليكمل نعمهم الصوريه بهذه النعمه المعنويه.

قوله تعالى:« إِنَّ هٰذٰا لَرِزْقُنٰا مٰا لَهُ مِنْ نَفٰادٍ » النفاد الفناء و الانقطاع،و الآيه من تمام الخطاب الذى فى الآيه السابقه على ما يعطيه السياق.

قوله تعالى:« هٰذٰا وَ إِنَّ لِلطّٰاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ »الإشاره بهذا إلى ما ذكر من مقام المتقين أى هذا ما للمتقين من المآب،و يمكن أن يكون هذا اسم فعل أى خذ هذا.

و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهٰا فَبِئْسَ الْمِهٰادُ » الصلى دخول النار و مقاساه حرارتها أو اتباعها و المهاد -على ما فى المجمع،-الفراش الموطأ يقال:مهدت له تمهيدا مثل وطأت له توطئه،و الآيه و ما بعدها تفسير لمآب الطاغين.

قوله تعالى:« هٰذٰا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَ غَسّٰاقٌ » الحميم الحار الشديد الحراره الغساق -على ما فى المجمع،-قيح شديد النتن،و فسر بتفاسير أخر،و قوله:« حَمِيمٌ وَ غَسّٰاقٌ » بيان لهذا،و قوله:« فَلْيَذُوقُوهُ »دال على إكراههم و حملهم على ذوقه و تقديم المخبر عنه و جعله اسم إشاره يؤكد ذلك،و المعنى هذا حميم و غساق عليهم أن يذوقوه ليس إلا.

قوله تعالى:« وَ آخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوٰاجٌ » شكل الشىء ما يشابهه و جنسه و الأزواج الأنواع و الأقسام أى و هذا آخر من جنس الحميم و الغساق أنواع مختلفه ليذوقوها.

قوله تعالى:« هٰذٰا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ -إلى قوله- فِي النّٰارِ »الآيات الثلاث-على ما يعطيه السياق-حكايه ما يجرى بين التابعين و المتبوعين من الطاغين فى النار من التخاصم و المجاراه.

فقوله:« هٰذٰا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ »خطاب يخاطب به المتبوعون يشار به إلى التابعين الذين يدخلون النار مع المتبوعين فوجا،و الاقتحام الدخول فى الشىء بشده و صعوبه.

و قوله:« لاٰ مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صٰالُوا النّٰارِ »جواب المتبوعين لمن يخاطبهم بقوله:

« هٰذٰا فَوْجٌ »و مرحبا تحيه للوارد معناه عرض رحب الدار و سعتها له فقولهم:

« لاٰ مَرْحَباً بِهِمْ »معناه نفى الرحب و السعه عنهم.و قولهم:« إِنَّهُمْ صٰالُوا النّٰارِ »أى داخلوها و مقاسو حرارتها أو متبعوها تعليل لتحيتهم بنفى التحيه.

و قوله:« قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لاٰ مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنٰا فَبِئْسَ اَلْقَرٰارُ »نقل كلام التابعين و هم القائلون يردون إلى متبوعيهم نفى التحيه و يذمون القرار فى النار.

قوله تعالى:« قٰالُوا رَبَّنٰا مَنْ قَدَّمَ لَنٰا هٰذٰا فَزِدْهُ عَذٰاباً ضِعْفاً فِي اَلنّٰارِ »لم يذكر تعالى جواب المتبوعين لقولهم:« أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنٰا »إلخ و قد ذكره فى سوره الصافات فيما حكى من تساؤلهم بقوله :«قٰالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَ مٰا كٰانَ لَنٰا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طٰاغِينَ» Xالخ X:الآيه-٣٠ فقولهم: رَبَّنٰا مَنْ قَدَّمَ لَنٰا هٰذٰا فَزِدْهُ عَذٰاباً ضِعْفاً فِي اَلنّٰارِ »كلامهم بعد الانقطاع عن المخاصمه.

و جمله« مَنْ قَدَّمَ »إلخ شرط و جزاء،و الضعف المثل و« عَذٰاباً ضِعْفاً »أى ذا ضعف و مثل أى ضعفين من العذاب.

قوله تعالى:« وَ قٰالُوا مٰا لَنٰا لاٰ نَرىٰ رِجٰالاً كُنّٰا نَعُدُّهُمْ مِنَ اَلْأَشْرٰارِ »القائلون-على ما يعطيه السياق-مطلق أهل النار،و مرادهم بالرجال الذين كانوا يعدونهم من الأشرار المؤمنون و هم فى الجنه فيطلبهم أهل النار فلا يجدونهم فيها.

قوله تعالى:« أَتَّخَذْنٰاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زٰاغَتْ عَنْهُمُ اَلْأَبْصٰارُ »أى اتخذناهم سخريا فى الدنيا فأخطأنا و قد كانوا ناجين أم عدلت أبصارنا فلا نراهم و هم معنا فى النار.

قوله تعالى:« إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ تَخٰاصُمُ أَهْلِ اَلنّٰارِ »إشاره إلى ما حكى من تخاصمهم و بيان أن تخاصم أهل النار ثابت واقع لا ريب فيه و هو ظهور ما استقر فى نفوسهم فى الدنيا من ملكه التنازع و التشاجر.

[سوره ص (٣٨): الآيات ۶۵ الى ٨٨]

اشاره

قُلْ إِنَّمٰا أَنَا مُنْذِرٌ وَ مٰا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ اَللّٰهُ اَلْوٰاحِدُ اَلْقَهّٰارُ (۶۵) رَبُّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمَا اَلْعَزِيزُ اَلْغَفّٰارُ (۶۶) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (۶٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (۶٨) مٰا كٰانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ اَلْأَعْلىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (۶٩) إِنْ يُوحىٰ إِلَيَّ إِلاّٰ أَنَّمٰا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) إِذْ قٰالَ رَبُّكَ لِلْمَلاٰئِكَةِ إِنِّي خٰالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذٰا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سٰاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ اَلْمَلاٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاّٰ إِبْلِيسَ اِسْتَكْبَرَ وَ كٰانَ مِنَ اَلْكٰافِرِينَ (٧۴) قٰالَ يٰا إِبْلِيسُ مٰا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمٰا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ اَلْعٰالِينَ (٧۵) قٰالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧۶) قٰالَ فَاخْرُجْ مِنْهٰا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلىٰ يَوْمِ اَلدِّينِ (٧٨) قٰالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قٰالَ فَإِنَّكَ مِنَ اَلْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلىٰ يَوْمِ اَلْوَقْتِ اَلْمَعْلُومِ (٨١) قٰالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاّٰ عِبٰادَكَ مِنْهُمُ اَلْمُخْلَصِينَ (٨٣) قٰالَ فَالْحَقُّ وَ اَلْحَقَّ أَقُولُ (٨۴) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨۵) قُلْ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مٰا أَنَا مِنَ اَلْمُتَكَلِّفِينَ (٨۶) إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ (٨٧) وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)

(بیان)

الفصل الأخير من فصول السوره المشـتمل على أمر النبى ص بإبلاغ نذارته و دعوته إلى التوحيد.و أن الإعراض عن الحق و اتباع الشيطان ينتهى بالإنسان إلى

ص :۲۲۱

عذاب النار المقضى فى حقه و حق أتباعه و عند ذلك تختتم السوره.

قوله تعالى:« قُلْ إِنَّمٰا أَنَا مُنْذِرٌ وَ مٰا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ اللّٰهُ الْوٰاحِدُ الْقَهّٰارُ -إلى قوله- اَلْعَزِيزُ الْغَفّٰارُ »فى الآيتين أمر النبى ص بإبلاغ أنه منذر و أن الله تعالى واحد فى الألوهيه فقوله:« إِنَّمٰا أَنَا مُنْذِرٌ »يفيد قصره فى كونه منذرا و نفى سائر الأغراض التى ربما تتلبس به الدعوه بين الناس من طلب مال أو جاه كما يشير إليه ما فى آخر الآيات من قوله:« قُلْ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مٰا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ».

و قوله:« وَ مٰا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ اللّٰهُ »إلى آخر الآيتين إبلاغ لتوحيده تعالى بحجه يدل عليها ما أورد من صفاته المدلول عليها بأسمائه.

فقوله:« وَ مٰا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ اللّٰهُ »نفى لكل إله-و الإله هو المعبود بالحق-غيره تعالى و أما ثبوت ألوهيته تعالى فهو مسلم بانتفاء ألوهيه غيره إذ لا نزاع بين الإسلام و الشرك فى أصل ثبوت الإله و إنما النزاع فى أن الإله و هو المعبود بالحق هو الله تعالى أو غيره.على أن ما ذكر فى الآيتين من الصفات متضمن لإثبات ألوهيته كما أنها حجه على انتفاء ألوهيه غيره تعالى.

و قوله:« اَلْوٰاحِدُ الْقَهّٰارُ »يدل على توحده تعالى فى وجوده و قهره كل شىء و ذلك أنه تعالى واحد لا يماثله شىء فى وجوده و لا تناهى كماله الذى هو عين وجوده الواجب فهو الغنى بذاته و على الإطلاق و غيره من شىء فقير يحتاج إليه من كل جهه ليس له من الوجود و آثار الوجود إلا ما أنعم و أفاض فهو سبحانه القاهر لكل شىء على ما يريد و كل شىء مطيع له فيما أراد خاضع له فيما شاء.

و هذا الخضوع الذاتى هو حقيقه العباده فلو جاز أن يعبد شىء فى الوجود عملا بأن يؤتى بعمل يمثل به العبوديه و الخضوع فهى عبادته سبحانه إذ كل شىء مفروض دونه فهو مقهور خاضع له لا يملك لنفسه و لا لغيره شىء و لا يستقل من الوجود و آثار الوجود بشىء فهو سبحانه الإله المعبود بالحق لا غير.

و قوله:« رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمَا »يفيد حجه أخرى على توحده تعالى فى الألوهيه و ذلك أن نظام التدبير الجارى فى العالم برمته نظام واحد متصل غير متبعض و لا متجز و هو آيه وحده المدبر،و قد تقدم كرارا أن الخلق و التدبير لا ينفكان

فالتدبير خلق بوجه كما أن الخلق تدبير بوجه و الخالق الموجد للسماوات و الأرض و ما بينهما هو الله سبحانه-حتى عند الخصم- فهو تعالى ربها المدبر لها جميعا فهو وحده الإله الذى يجب أن يقصد بالعباده لأن العباده تمثيل عبوديه العابد و مملوكيته تجاه مولويه المعبود و مالكيته و تصرفه فى العابد بإفاضه النعمه و دفع النقمه فهو سبحانه الإله فى السماوات و الأرض و ما بينهما لا إله غيره.فافهم ذلک.

و يمكن أن يكون قوله:« رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمَا »بيانا لقوله « اَلْقَهّٰارُ »أو« اَلْوٰاحِدُ الْقَهّٰارُ ».

و قوله:« اَلْعَزِيزُ الْغَفّٰارُ »يفيد حجه أخرى على توحده تعالى فى الألوهيه و ذلک أنه تعالى عزيز لا يغلبه شىء بإكراهه على ما لم يرد أو بمنعه عما أراد فهو العزيز على الإطلاق و غيره من شىء ذليل عنده قانت له و العباده إظهار للمذله و لا يستقيم إلا قبال العزه و لا عزه لغيره تعالى إلا به.

و أيضا غايه العباده و هى تمثيل العبوديه التقرب إلى المعبود و رفع وصمه البعد عن العبد العابد و هو مغفره الذنب و الله سبحانه هو المستقل بالرحمه التى لا تنفد خزائنها و هو الذى يورد عباده العابدين له فى الآخره دار كرامته فهو الغفار الذى يجب أن يعبد طمعا فى مغفرته.

و يمكن أن يكون قوله:« اَلْعَزِيزُ الْغَفّٰارُ »تلويحا إلى وجه الدعوه إلى التوحيد أو وجوب الإيمان به المفهوم بحسب المقام من قوله:« وَ مٰا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ اللّٰهُ الْوٰاحِدُ الْقَهّٰارُ »و المعنى أدعوكم إلى توحيده فآمنوا به لأنه العزيز الذى لا يشوبه ذله الغفار للذنوب و هكذا يجب أن يكون الإله.

قوله تعالى:« قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ »مرجع الضمير ما ذكره من حديث الوحدانيه فى قوله:« وَ مٰا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ اللّٰهُ »إلخ.

و قيل:الضمير للقرآن فهو النبأ العظيم الذى أعرضوا عنه،و هو أوفق لسياق الآيات السابقه المرتبطه بأمر القرآن،و أوفق أيضا لقوله الآتى:« مٰا كٰانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ »أى حتى أخبرنى به القرآن،و قيل:المراد به يوم القيامه و هو أبعد الوجوه.

قوله تعالى:« مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ » الملأ الأعلى جماعه الملائكه و كأن المراد باختصامهم ما أشار تعالى إليه بقوله:« إِذْ قَالَ رَبُّکَ لِلْمَلاٰئِکَهِ إِنِّی جٰاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً »إلى آخر الآيات.

و كأن المعنى إنى ما كنت أعلم اختصام الملإ الأعلى حتى أوحى الله إلى ذلك فى كتابه فإنما أنا منذر أتبع الوحى.

قوله تعالى:« إِنْ يُوحىٰ إِلَيَّ إِلاّٰ أَنَّمٰا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ »تأكيد لقوله:« إِنَّمٰا أَنَا مُنْذِرٌ »و بمنزله التعليل لقوله:« مٰا كٰانَ لِی مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلىٰ »و المعنى لم أكن أعلم ذلك لأن علمى ليس من قبل نفسى و إنما هو بالوحى و ليس يوحى إلى إلا ما يتعلق بالإنذار.

قوله تعالى:« إِذْ قٰالَ رَبُّکَ لِلْمَلاٰئِکَهِ إِنِّی خٰالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ »الذى يعطيه السياق أن الآيه و ما بعدها ليست تتمه لقول النبى ص:« إِنَّمٰا أَنَا مُنْذِرٌ »إلخ و الشاهد عليه قوله:« رَبُّکَ »فهو من كلامه تعالى يشير إلى زمان اختصام الملإ الأعلى و الظرف متعلق بما تعلق به قوله:« إِذْ يَخْتَصِمُونَ »أو متعلق بمحذوف و التقدير«اذكر إذ قال ربك للملائكه»إلخ فإن قوله تعالى للملائكه:« إِنِّی جٰاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً »و قوله لهم:« إِنِّی خٰالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ »متقارنان وقعا فى ظرف واحد.

و على هذا يؤول معنى قوله:« إِذْ قٰالَ رَبُّکَ »إلخ إلى نحو من قولنا:اذكر وقتئذ قال ربك كذا و كذا فهو وقت اختصامهم.

و جعل بعضهم قوله:« إِذْ قٰالَ رَبُّکَ »إلخ مفسرا لقوله:« إِذْ يَخْتَصِمُونَ »ثم أخذ الاختصام بعد تفسيره بالتقاول مجموع قوله تعالى للملائكه« إِنِّی جٰاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً »و قولهم:« أَ تَجْعَلُ »إلخ،و قوله لآدم و قول آدم لهم،و قوله تعالى لهم: إِنِّی خٰالِقٌ بَشَراً »و قول إبليس و قوله تعالى له.

و قال على تقدير كون الاختصام بمعنى المخاصمه و دلاله قوله:« إِذْ يَخْتَصِمُونَ » على كون المخاصمه بين الملائكه أنفسهم لا بينهم و بين الله سبحانه أن إخباره تعالى لهم بقوله:« إِنِّی جٰاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً »« إِنِّی خٰالِقٌ بَشَراً »كان بتوسط ملك من الملائكه و كذا قوله لآدم و لإبليس فيكون قولهم لربهم:« أَ تَجْعَلُ فِیهٰا مَنْ یُفْسِدُ فِیهٰا » إلخ و غيره قولا منهم للملك المتوسط و يقع الاختصام فيما بينهم أنفسهم.

و أنت خبير بأن شيئا مما ذكره لا يستفاد من سياق الآيات.

و قوله:« إِنِّي خٰالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ » البشر الإنسان،قال الراغب:البشر ظاهر الجلد و الأدمه باطنه.كذا قال عامه الأدباء،قال:و عبر عن الإنسان بالبشر اعتبارا بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الوبر،و استوى في لفظ البشر الواحد و الجمع و ثني فقال تعالى:« أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ »و خص في القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته و ظاهره بلفظ البشر.انتهى.

و قد عد في الآيه مبدأ خلق الإنسان الطين،و في سوره الروم التراب و في سوره الحجر صلصال من حمإ مسنون،و في سوره الرحمن صلصال كالفخار و لا ضير فإنها أحوال مختلفه لمادته الأصليه التي منها خلق و قد أشير في كل موضع إلى واحده منها.

قوله تعالى:« فَإِذٰا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سٰاجِدِينَ » تسويه الإنسان تعديل أعضائه بتركيب بعضها على بعض و تتميمها صوره إنسان تام،و نفخ الروح فيه جعله ذا نفس حيه إنسانيه و إضافه الروح إليه تعالى تشريفيه و قوله:« فَقَعُوا » أمر من الوقوع و هو متفرع على التسويه و النفخ.

قوله تعالى:« فَسَجَدَ الْمَلاٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ »ظاهر الدلاله على سجود الملائكه له من غير استثناء.

قوله تعالى:« إِلاّٰ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كٰانَ مِنَ الْكٰافِرِينَ »أي استكبر إبليس فلم يسجد له و كان قبل ذلك من الكافرين كما حكى سبحانه عنه في سوره الحجر قوله :«لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصٰالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ:» الحجر:-٣٣.

قوله تعالى:« قٰالَ يٰا إِبْلِيسُ مٰا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمٰا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعٰالِينَ »نسبه خلقه إلى اليد للتشريف بالاختصاص كما قال:« وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي »و تثنيه اليد كنايه عن الاهتمام التام بخلقه و صنعه فإن الإنسان إنما يستعمل اليدين فيما يهتم به من العمل فقوله:« خَلَقْتُ بِيَدَيَّ »كقوله :«مِمّٰا عَمِلَتْ أَيْدِينٰا:» يس:-٧١.

و قيل:المراد باليد القدره و التثنيه لمجرد التأكيد كقوله :«ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ:»

الملک:-۳ و قد وردت به الروایه.

و قیل:المراد بالیدین نعم الدنیا و الآخره،و یمکن أن یحتمل إراده مبدأی الجسم و الروح أو الصوره و المعنی أو صفتی الجلال و الجمال من الیدین لکنها معان لا دلیل علی شیء منها من اللفظ.

و قوله:« أَسْتَکْبَرْتَ أَمْ کُنْتَ مِنَ الْعٰالِینَ »استفهام توبیخ أی أ کان عدم سجودک لأنک استکبرت أم کنت من الذین یعلون أی یعلو قدرهم أن یؤمروا بالسجود،و لذا قال بعضهم بالاستفاده من الآیه أن العالین قوم من خلقه تعالی مستغرقون فی التوجه إلی ربهم لا یشعرون بغیره تعالی.

و قیل:المراد بالعلو الاستکبار کما فی قوله تعالی :«وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعٰالٍ فِی الْأَرْضِ:» یونس:-۸۳ و المعنی استکبرت حین أمرت بالسجده أم کنت من قبل من المستکبرین؟.

و یدفعه أنه لا یلائم مقتضی المقام فإن مقتضاه تعلق الغرض باستعلام أصل استکباره لا تعیین کون استکباره قدیما أو حدیثا.

و قیل:المراد بالعالین ملائکه السماء فإن المأمورین بالسجود هم ملائکه الأرض.

و یدفعه ما فی الآیه من العموم.

قوله تعالی:« قٰالَ أَنَا خَیْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ »تعلیل عدم سجوده بما یدعیه من شرافه ذاته و أنه لکون خلقه من نار خیر من آدم المخلوق من طین، و فیه تلویح أن الأمر الإلهی إنما یطاع إذا کان حقا لا لذاته،و لیس أمره بالسجود له حقا،و یؤول إلی إنکار إطلاق ملکه تعالی و حکمته و هو الأصل الذی ینتهی إلیه کل معصیه فإن المعصیه إنما تقع بالخروج عن حکم عبودیته تعالی و مملوکیته و بالإعراض عن کون ترکها أولی من فعلها و اقترافها.

قوله تعالی:« قٰالَ فَاخْرُجْ مِنْهٰا فَإِنَّکَ رَجِیمٌ وَ إِنَّ عَلَیْکَ لَعْنَتِی إِلیٰ یَوْمِ الدِّینِ » الرجم الطرد،و یوم الدین یوم الجزاء.

و قوله:« وَ إِنَّ عَلَیْکَ لَعْنَتِی »و فی سوره الحجر :«وَ إِنَّ عَلَیْکَ اللَّعْنَهَ:» الآیه-۳۵ قیل فی وجهه:لو کانت اللام للعهد فلا فرق بین التعبیرین،و لو کانت للجنس فکذلک

أيضا لأن لعن غيره تعالى من الملائكه و الناس عليه إنما يكون طردا له حقيقه و إبعادا من الرحمه إذا كان بأمر الله و بإبعاده من رحمته.

قوله تعالى:« قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِی إِلیٰ یَوْمِ یُبْعَثُونَ إلى قوله- إِلیٰ یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ »ظاهر تغير الغايه فی السؤال و الجواب حيث قال:« إِلیٰ یَوْمِ یُبْعَثُونَ »فأجيب بقوله:« إِلیٰ یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ »أن ما أجيب إليه غير ما سأله فهو لا محاله آخر يوم يعصى فيه الناس ربهم و هو قبل يوم البعث،و الظاهر أن المراد باليوم الظرف فتفيد إضافته إلى الوقت التأكيد.

قوله تعالى:« قَالَ فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ إِلاّٰ عِبَادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ »الباء فی« فَبِعِزَّتِکَ »للقسم أقسم بعزته ليغوينهم أجمعين و استثنى منهم المخلصين و هم الذين أخلصهم الله لنفسه فلا نصيب فيهم لإبليس و لا لغيره.

قوله تعالى:« قَالَ فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکَ وَ مِمَّنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ أَجْمَعِینَ »جوابه تعالى لإبليس و هو يتضمن القضاء عليه و على من تبعه بالنار.

فقوله:« فَالْحَقُّ »مبتدأ محذوف الخبر أو خبر محذوف المبتدإ،و الفاء لترتيب ما بعده على ما قبله،و المراد بالحق ما يقابل الباطل على ما يؤيده إعاده الحق ثانيا باللام و المراد به ما يقابل الباطل قطعا و التقدير فالحق أقسم به لأملأن جهنم منك و ممن تبعك منهم،أو فقولی الحق لأملأن«إلخ».

و قوله:« وَ الْحَقَّ أَقُولُ »جمله معترضه تشير إلى حتميه القضاء و ترد على إبليس ما يلوح إليه قوله:« أَنَا خَیْرٌ مِنْهُ »إلخ من كون قوله تعالى و هو أمره بالسجود غير حق،و تقديم الحق فی« وَ الْحَقَّ أَقُولُ »و تحليته باللام لإفاده الحصر.

و قوله:« لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکَ وَ مِمَّنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ أَجْمَعِینَ »متن القضاء الذى قضى به و كأن المراد بقوله:« مِنْکَ »جنس الشياطين حتى يشمل إبليس و ذريته و قبيله، و قوله:« وَ مِمَّنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ »أی من الناس ذريه آدم.

و قد أشبعنا الكلام فی نظائر الآيات من سوره الحجر و فی القصه من سور البقره و الأعراف و الإسراء فعليك بالرجوع إليها.

قوله تعالی:« قُلْ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مٰا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ »رجوع إلی ما تقدم فی أول السوره و خلال آیاتها أن القرآن ذکر و أن لیس النبی ص إلا منذرا لا غیر و رد لما رموه بقولهم« اِمْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلیٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذٰا لَشَيْءٌ يُرٰادُ ».

فقوله:« مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ »أی أجرا دنیویا من مال أو جاه،و قوله:

« وَ مٰا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ »أی من أهل التکلف و هو التصنع و التحلی بما لیس له.

قوله تعالی:« إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ »أی القرآن ذکر عام للعالمین من جماعات الناس و مختلف الشعوب و الأمم و غیرهم لا یختص بقوم دون قوم حتی یؤخذ علی تلاوته مال و علی تعلیمه أجر بل هو للجمیع.

قوله تعالی:« وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ »أی لتعلمن ما أخبر به القرآن من الوعد و الوعید و ظهوره علی الأدیان و غیر ذلک بعد حین أی بعد مرور زمان.

قیل:المراد بعد حین یوم القیامه،و قیل:یوم الموت،و قیل:یوم بدر،و لا یبعد أن یقال:إن نبأه مختلف لا یختص بیوم من هذه الأیام حتی یکون هو المراد بل المراد به المطلق فلکل من أقسام نبئه حینه.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،بإسناده عن إسماعیل الجعفی عن أبی جعفر(ع):فی حدیث یذکر فیه المعراج،عن النبی ص: قال تعالی:یا محمد.قلت:لبیک یا رب.قال:

فیما اختصم الملأ الأعلی؟قال:قلت:سبحانک لا علم لی إلا ما علمتنی.قال:فوضع یده أی ید القدره بین ثدیی-فوجدت بردها بین کتفی-قال:فلم یسألنی عما مضی و لا عما بقی إلا علمته.فقال:یا محمد فیم اختصم الملأ الأعلی؟قال:قلت:فی الکفارات و الدرجات و الحسنات-الحدیث.

و فی المجمع،روی ابن عباس عن النبی ص قال: قال لی ربی:أ تدری فیم یختصم الملأ الأعلی؟فقلت:لا.قال:اختصموا فی الکفارات و الدرجات-فأما الکفارات فإسباغ الوضوء فی السبرات-و نقل الأقدام إلی الجماعات-و انتظار الصلاه بعد الصلاه،

و أما الدرجات فإفشاء السلام و إطعام الطعام-و الصلاه بالليل و الناس نيام.:

أقول:و رواه فی الخصال،عن النبی ص

فجعل ما فسر به الکفارات تفسیرا للدرجات و بالعکس، و روی فی الدر المنثور،حدیث المجمع بطرق کثیره عن عده من الصحابه عن النبی ص علی اختلاف ما فی الروایات.

و کیفما کان فسیاق الآیه یأبی الانطباق علی مضمون هذه الروایات و لا دلیل یدل علی کون الروایات فی مقام تفسیر الآیه فلعل الاختصام المذکور فیها غیر المذکور فی الآیه.

و فی نهج البلاغه،: الحمد لله الذی لبس العز و الکبریاء-و اختارهما لنفسه دون خلقه، و جعلهما حمی و حرما علی غیره،و اصطفاهما لجلاله،و جعل اللعنه علی من نازعه فیهما من عباده،ثم اختبر بذلک ملائکته المقربین-لیمیز المتواضعین منهم من المستکبرین-فقال سبحانه-و هو العالم بمضمرات القلوب و محجوبات الغیوب: إِنِّی خٰالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ- فَإِذٰا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ سٰاجِدِینَ- فَسَجَدَ الْمَلاٰئِکَهُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاّٰ إِبْلِیسَ - اعترضته الحمیه فافتخر علی آدم بخلقه-و تعصب علیه بأصله-.

فعدو الله إمام المتعصبین و سلف المستکبرین-الذی وضع أساس العصبیه،و نازع الله رداء الجبریه،و أدرع لباس التعزز،و خلع قناع التذلل-أ لا ترون کیف صغره الله بتکبره،و وضعه بترفعه-فجعله فی الدنیا مدحورا،و أعد له فی الآخره سعیرا.الخطبه.

و فی العیون،بإسناده إلی محمد بن عبیده قال: سألت الرضا(ع)عن قول الله تعالی لإبلیس:« مٰا مَنَعَکَ أَنْ تَسْجُدَ لِمٰا خَلَقْتُ بِیَدَیَّ »قال:یعنی بقدرتی و قوتی). أقول:و روی مثله فی التوحید،بإسناده عن محمد بن مسلم عن الصادق(ع).

و فی القصه روایات أخر أوردناها فی ذیلها من سور البقره و الأعراف و الحجر و الإسراء فراجع.

و عن جوامع الجامع،عن النبی ص: للمتکلف ثلاث علامات:ینازع من فوقه، و یتعاطی ما لا ینال،و یقول ما لا یعلم.

أقول:و روی مثله فی الخصال،عن الصادق(ع)عن لقمان فی وصیته لابنه،

و روی أیضا من طرق أهل السنه،و فی بعض الروایات:ینازل من فوقه .

(۳۹)سوره الزمر مکیه و هی خمس و سبعون آیه(۷۵)

[سوره الزمر (۳۹): الآیات ۱ الی ۱۰]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

تَنْزِیلُ اَلْکِتٰابِ مِنَ اَللّٰهِ اَلْعَزِیزِ اَلْحَکِیمِ (۱) إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ اَلْکِتٰابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اَللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ اَلدِّینَ (۲) أَلاٰ لِلّٰهِ اَلدِّینُ اَلْخٰالِصُ وَ اَلَّذِینَ اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیٰاءَ مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِیُقَرِّبُونٰا إِلَی اَللّٰهِ زُلْفیٰ إِنَّ اَللّٰهَ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ فِی مٰا هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یَهْدِی مَنْ هُوَ کٰاذِبٌ کَفّٰارٌ (۳) لَوْ أَرٰادَ اَللّٰهُ أَنْ یَتَّخِذَ وَلَداً لاَصْطَفیٰ مِمّٰا یَخْلُقُ مٰا یَشٰاءُ سُبْحٰانَهُ هُوَ اَللّٰهُ اَلْوٰاحِدُ اَلْقَهّٰارُ (۴) خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ بِالْحَقِّ یُکَوِّرُ اَللَّیْلَ عَلَی اَلنَّهٰارِ وَ یُکَوِّرُ اَلنَّهٰارَ عَلَی اَللَّیْلِ وَ سَخَّرَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّی أَلاٰ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْغَفّٰارُ (۵) خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَهٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا وَ أَنْزَلَ لَکُمْ مِنَ اَلْأَنْعٰامِ ثَمٰانِیَهَ أَزْوٰاجٍ یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهٰاتِکُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِی ظُلُمٰاتٍ ثَلاٰثٍ ذٰلِکُمُ اَللّٰهُ رَبُّکُمْ لَهُ اَلْمُلْکُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فَأَنّٰی تُصْرَفُونَ (۶) إِنْ تَکْفُرُوا فَإِنَّ اَللّٰهَ غَنِیٌّ عَنْکُمْ وَ لاٰ یَرْضیٰ لِعِبٰادِهِ اَلْکُفْرَ وَ إِنْ تَشْکُرُوا یَرْضَهُ لَکُمْ وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَهٌ وِزْرَ أُخْریٰ ثُمَّ إِلیٰ رَبِّکُمْ مَرْجِعُکُمْ فَیُنَبِّئُکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِیمٌ بِذٰاتِ اَلصُّدُورِ (۷) وَ إِذٰا مَسَّ اَلْإِنْسٰانَ ضُرٌّ دَعٰا رَبَّهُ مُنِیباً إِلَیْهِ ثُمَّ إِذٰا خَوَّلَهُ نِعْمَهً مِنْهُ نَسِیَ مٰا کٰانَ یَدْعُوا إِلَیْهِ مِنْ قَبْلُ وَ جَعَلَ لِلّٰهِ أَنْدٰاداً لِیُضِلَّ عَنْ سَبِیلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِکُفْرِکَ قَلِیلاً إِنَّکَ مِنْ أَصْحٰابِ اَلنّٰارِ (۸) أَمَّنْ هُوَ قٰانِتٌ آنٰاءَ اَللَّیْلِ سٰاجِداً وَ قٰائِماً یَحْذَرُ اَلْآخِرَهَ وَ یَرْجُوا رَحْمَهَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ یَسْتَوِی اَلَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ اَلَّذِینَ لاٰ یَعْلَمُونَ إِنَّمٰا یَتَذَکَّرُ أُولُوا اَلْأَلْبٰابِ (۹) قُلْ یٰا عِبٰادِ اَلَّذِینَ آمَنُوا اِتَّقُوا رَبَّکُمْ لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا فِی هٰذِهِ اَلدُّنْیٰا حَسَنَهٌ وَ أَرْضُ اَللّٰهِ وٰاسِعَهٌ إِنَّمٰا یُوَفَّی اَلصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَیْرِ حِسٰابٍ (۱۰)

(بیان)

یظهر من خلال آیات السوره أن المشرکین من قومه(ص)سألوه أن ینصرف عما هو علیه من التوحید و الدعوه إلیه و التعرض لآلهتهم و خوفوه بآلهتهم فنزلت السوره -و هی قرینه سوره_ص بوجه-و هی تؤکد الأمر بأن یخلص دینه لله سبحانه و لا یعبأ بآلهتهم و أن یعلمهم أنه مأمور بالتوحید و إخلاص الدین الذی تواترت الآیات من طریق الوحی و العقل جمیعا علیه.

و لذلک نراه سبحانه یعطف الکلام علیه فی خلال السوره مره بعد مره کقوله فی مفتتح السوره:« فَاعْبُدِ اللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّینَ أَلاٰ لِلّٰهِ الدِّینُ الْخٰالِصُ »ثم یرجع إلیه و یقول:

« قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّینَ »-إلی قوله-« قُلِ اللّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِینِی فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ».

ثم یقول:« إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ »إلخ ثم یقول:« أَ لَیْسَ اللّهُ بِکافٍ عَبْدَهُ وَ یُخَوِّفُونَکَ بِالَّذِینَ مِنْ دُونِهِ »ثم یقول:« قُلْ یا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلی مَکانَتِکُمْ إِنِّی عامِلٌ »ثم یقول:« قُلْ أَ فَغَیْرَ اللّهِ تَأْمُرُونِّی أَعْبُدُ أَیُّهَا الْجاهِلُونَ »إلی غیر ذلک من الإشارات.

ثم عمم الاحتجاج علی توحده تعالی فی الربوبیه و الألوهیه من الوحی و من طریق البرهان و قایس بین المؤمنین و المشرکین مقایسات لطیفه فوصف المؤمنین بأجمل أوصافهم و بشرهم بما سیثیبهم فی الآخره مره بعد مره و ذکر المشرکین و أنذرهم بما سیلحقهم من الخسران و عذاب الآخره مضافا إلی ما یصیبهم فی الدنیا من وبال أمرهم کما أصاب الذین کذبوا من الأمم الدارجه من عذاب الخزی فی الحیاه الدنیا و لعذاب الآخره أکبر.

و من ثم وصفت السوره یوم البعث و خاصه فی مختتمها بأوضح الوصف و أتمه.

و السوره مکیه لشهاده سیاق آیاتها بذلک و کأنها نزلت دفعه واحده لما بین آیاتها من الاتصال.

و الآیات العشر المنقوله تجمع الدعوه من طریق الوحی و الحجه العقلیه بادئه بالنبی ص.

قوله تعالی:« تَنْزِیلُ الْکِتابِ مِنَ اللّهِ الْعَزِیزِ الْحَکِیمِ »« تَنْزِیلُ الْکِتابِ »خبر لمبتدإ محذوف،و هو مصدر بمعنی المفعول فیکون إضافته إلی الکتاب من إضافه الصفه إلی موصوفها و« مِنَ اللّهِ »متعلق بتنزیل و المعنی هذا کتاب منزل من الله العزیز الحکیم.

و قیل:« تَنْزِیلُ الْکِتابِ »مبتدأ و« مِنَ اللّهِ »خبره و لعل الأول أقرب إلی الذهن.

قوله تعالی:« إِنّا أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّینَ »عبر بالإنزال دون التنزیل کما فی الآیه السابقه لأن القصد إلی بیان کونه بالحق و هو یناسب مجموع ما نزل إلیه من ربه.

و قوله:« بِالْحَقِّ »الباء فیه للملابسه أی أنزلناه إلیک متلبسا بالحق فما فیه من الأمر بعباده الله وحده حق،و علی هذا المعنی فرع علیه قوله:« فَاعْبُدِ اللّهَ مُخْلِصاً لَهُ

الدِّينَ

»و المعنى فإذا كان بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين لأن فيه ذلك.

و المراد بالدين-على ما يعطيه السياق-العباده و يمكن أن يراد به سنه الحياه و هى الطريقه المسلوكه فى الحياه فى المجتمع الإنسانى،و يراد بالعباده تمثيل العبوديه بسلوك الطريق التى شرعها الله سبحانه و المعنى فأظهر العبوديه لله فى جميع شئون حياتك باتباع ما شرعه لك فيها و الحال أنك مخلص له دينك لا تتبع غير ما شرعه لك.

قوله تعالى:« أَلاٰ لِلّٰهِ الدِّينُ الْخٰالِصُ »إظهار و إعلان لما أضمر و أجمل فى قوله:

« بِالْحَقِّ »و تعميم لما خصص فى قوله:« فَاعْبُدِ اللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ »أى إن الذى أوحيناه إليك من إخلاص الدين لله واجب على كل من سمع هذا النداء،و لكون الجمله نداء مستقلا أظهر اسم الجلاله و كان مقتضى الظاهر أن يضمر و يقال:له الدين الخالص.

و معنى كون الدين الخالص له أنه لا يقبل العباده ممن لا يعبده وحده سواء عبده و غيره أو عبد غيره وحده.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيٰاءَ مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِيُقَرِّبُونٰا إِلَى اللّٰهِ زُلْفىٰ » إلى آخر الآيه تقدم أن الوثنيه يرون أن الله سبحانه أجل من أن يحيط به الإدراك الإنسانى من عقل أو وهم أو حس فيتنزه تعالى عن أن يقع عليه توجه عبادى منا.

فمن الواجب أن نتقرب إليه بالتقرب إلى مقربيه من خلقه و هم الذين فوض إليهم تدبير شئون العالم فنتخذهم أربابا من دون الله ثم آلهه نعبدهم و نتقرب إليهم ليشفعوا لنا عند الله و يقربونا إليه زلفى و هؤلاء هم الملائكه و الجن و قديسو البشر و هؤلاء هم الأرباب و الآلهه بالحقيقه.

أما الأصنام المصنوعه المنصوبه فى الهياكل و المعابد فإنما هى تماثيل للأرباب و الآلهه و ليست فى نفسها أربابا و لا آلهه غير أن الجهله من عامتهم ربما لم يفرقوا بين الأصنام و أرباب الأصنام فعبدوا الأصنام كما يعبد الأرباب و الآلهه و كذلك كانت عرب الجاهليه و كذلك الجهله من عامه الصابئين ربما لم يفرقوا بين أصنام الكواكب و الكواكب التى هى أيضا أصنام لأرواحها الموكله عليها و بين أرواحها التى هى الأرباب و الآلهه بالحقيقه عند خاصتهم.

و کیف کان فالأرباب و الآلهه هم المعبودون عندهم و هم موجودات ممکنه مخلوقه لله مقربه عنده مفوضه إلیهم تدبیر أمر العالم لکل بحسب منزلته و أما الله سبحانه فلیس له إلا الخلق و الإیجاد و هو رب الأرباب و إله الآلهه.

إذا تذکرت ما مر ظهر أن المراد بقوله:« وَ الَّذِینَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیاءَ » اتخاذهم أربابا یدبرون الأمر بأن یسندوا الربوبیه و أمر التدبیر إلیهم لا إلی الله فهم المدبرون للأمر عندهم و یتفرع علیه أن یخضع لهم و یعبدوا لأن العباده لجلب النفع أو لدفع الضرر أو شکر النعم و کل ذلک إلیهم لتصدیهم أمر التدبیر دون الله سبحانه.

فالمراد باتخاذهم أولیاء اتخاذهم أربابا(۱)، (۱)و لذا عقب اتخاذ الأولیاء بذکر العباده « مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِیُقَرِّبُونٰا »فقوله:« وَ الَّذِینَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیاءَ »مبتدأ خبره« إِنَّ اللّٰهَ یَحْکُمُ »إلخ و المراد بهم المشرکون القائلون بربوبیه الشرکاء و ألوهیتهم دون الله إلا ما ذهب إلیه جهلتهم من کونه تعالی شریکا لهم فی المعبودیه.

و قوله:« مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِیُقَرِّبُونٰا إِلَی اللّٰهِ زُلْفیٰ »تفسیر لمعنی اتخاذ الأولیاء من دون الله و هو حکایه لقولهم أو بتقدیر القول أی یقولون:ما نعبدهم هؤلاء إلا لیقربونا بسبب عبادتنا لهم إلی الله تقریبا فهم عادلون منه تعالی إلی غیره،و إنما سموا مشرکین لأنهم یشرکون به تعالی غیره حیث یقولون بکونهم أربابا و آلهه للعالم و کونه تعالی ربا و إلها لأولئک الأرباب و الآلهه،و أما الشرکه فی الخلق و الإیجاد فلم یقل به لا مشرک و لا موحد.

و قوله:« إِنَّ اللّٰهَ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ فِی مٰا هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ »قیل:ضمیر الجمع للمشرکین و أولیائهم أی إن الله یحکم بین المشرکین و بین أولیائهم فیما هم فیه یختلفون،و قیل:

الضمیران راجعان إلی المشرکین و خصمائهم من أهل الإخلاص فی الدین المفهوم من السیاق، و المعنی إن الله یحکم بینهم و بین المخلصین للدین.

و قوله:« إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَهْدِی مَنْ هُوَ کٰاذِبٌ کَفّٰارٌ » الکفار کثیر الکفران لنعم الله

ص:۲۳۴

۱- ۱) فالولایه و الربوبیه قریبا المعنی فالرب هو المالک المدبر و الولی هو مالک التدبیر أو متصدی التدبیر.

أو كثير الستر للحق،و فى الجمله إشعار بل دلاله على أن الحكم يوم القيامه على المشركين لا لهم و أنهم مسيرون إلى العذاب،و المراد بالهدايه الإيصال إلى حسن العاقبه.

قوله تعالى:« لَوْ أَرادَ اللّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاَصْطَفىٰ مِمّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ سُبْحانَهُ هُوَ اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ »احتجاج على نفى قولهم:إن الله اتخذ ولدا،و قول بعضهم:الملائكه بنات الله.و القول بالولد دائر بين عامه الوثنيه على اختلاف مذاهبهم و قد قالت النصارى:

المسيح ابن الله،و قالت اليهود على ما حكاه القرآن عنهم:عزير ابن الله و كأنها بنوه تشريفيه.

و البنوه كيفما كانت تقتضى شركه ما بين الابن و الأب و الولد و الوالد فإن كانت بنوه حقيقيه و هى اشتقاق شىء من شىء و انفصاله منه اقتضت الشركه فى حقيقه الذات و الخواص و الآثار المنبعثه من الذات كبنوه إنسان لإنسان المقتضيه لشركه الابن لأبيه فى الإنسانيه و لوازمها،و إن كانت بنوه اعتباريه كالبنوه الاجتماعيه و هو التبنى اقتضت الاشتراك فى الشئونات الخاصه بالأب كالسؤدد و الملك و الشرف و التقدم و الوراثه و بعض أحكام النسب،و الحجه المسوقه فى الآيه تدل على استحاله اتخاذ الولد عليه تعالى بكلا المعنيين.

فقوله:« لَوْ أَرادَ اللّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً »شرط صدر بلو الدال على الامتناع للامتناع،و قوله:« لاَصْطَفىٰ مِمّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ »أى لاختار لذلك مما يخلق ما يتعلق به مشيئته على ما يفيده السياق و كونه مما يخلق لكون ما عداه سبحانه خلقا له.

و قوله:« سُبْحانَهُ »تنزيه له سبحانه،و قوله:« هُوَ اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ »بيان لاستحاله الشرط و هو إراده اتخاذ الولد ليترتب عليه استحاله الجزاء و هو اصطفاء ما يشاء مما يخلق و ذلك لأنه سبحانه واحد فى ذاته المتعاليه لا يشاركه فيها شىء و لا يماثله فيها أحد لأدله التوحيد،و واحد فى صفاته الذاتيه التى هى عين ذاته كالحياه و العلم و القدره،و واحد فى شئونه التى هى من لوازم ذاته كالخلق و الملك و العزه و الكبرياء لا يشاركه فيها أحد.

و هو سبحانه قهار يقهر كل شىء بذاته و صفاته فلا يستقل قبال ذاته و وجوده شىء فى ذاته و وجوده و لا يستغنى عنه شىء فى صفاته و آثار وجوده فالكل أذلاء داخرون بالنسبه إليه مملوكون له فقراء إليه.

فمحصـل حجه الآیه قیاس اسـتثنائی ساذج یسـتثنی فیه نقیض المقـدم لینتـج نقیض التالی و هو نحو من قولنا:لو أراد الله أن یتخذ ولـدا لاصـطفی لـذلک بعض من یشاء من خلقه لکن إرادته اتخاذ الولـد ممتنعه لکونه واحـدا قهارا فاصـطفاؤه لذلک بعض من یشاء من خلقه ممتنع.

و قد أغرب بعضـهم فی تقریب حجه الآیه فقال:حاصل المعنی لو أراد سبحانه اتخاذ الولد لامتنعت تلک الإراده لتعلقها بالممتنع أعنی الاتخاذ لکن لا یجوز للباری إراده ممتنعه لأنها ترجح بعض الممکنات علی بعض.

و أصل الکلام لو اتخـذ الولـد لامتنع لاسـتلزامه ما ینافی الألوهیه فعدل إلی لو أراد الاتخاذ لامتنع أن یریده لیکون أبلغ و أبلغ ثم حـذف هذا الجواب و جیء بدله لاصـطفی تنبیها علی أن الممکن هذا لا الأول و أنه لو کان هذا من اتخاذ الولد فی شـیء لجاز اتخاذ الولد علیه سبحانه و تعالی شأنه عن ذلک فقد تحقق التلازم و حق نفی اللازم و إثبات الملزوم دون صعوبه.انتهی.

و کأنه مأخوذ من قول الزمخشـری فی الکشاف،فی تفسیر الآیه حیث قال:یعنی لو أراد اتخاذ الولد لامتنع و لم یصح لکونه محالا و لم یتأت إلاـ أن یصـطفی من خلقه بعضه و یختصـهم و یقربهم کمـا یختص الرجـل ولـده و یقربه و قـد فعـل ذلک بالملائکه فـافتتنتم به و غرکم اختصـاصه إیـاهم فزعمتم أنهم أولاـده جهلاـ منکم به و بحقیقته المخـالفه لحقـائق الأجسام و الأعراض کأنه قـال:لو أراد اتخاذ الولـد لم یزد علی ما فعل من اصـطفاء ما یشاء من خلقه و هم الملائکه لکنکم لجهلکم به حسـبتم اصـطفاءهم اتخاذهم أولادا ثم تمادیتم فی جهلکم و سفهکم فجعلتموهم بنات فکنتم کذابین کفارین متبالغین فی الافتراء علی الله و ملائکته غالین فی الکفر انتهی.

و أنت خبیر أن سیاق الآـیه لا یلائم هـذا البیان.علی أنه لا یـدفع قول القائل بالتبنی التشـریفی کقول الیهود عزیر ابن الله فإنهم لا یریدون بالتبنی إلا اصطفاء من یشاء من خلقه.

و هناک بعض تقریبات أخر منهم لا جدوی فیه ترکنا إیراده.

قوله تعالی:« خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ »لا یبعد أن یکون ما فیه من

الإشاره إلی الخلق و التدبیر بیانا لقهاریته تعالی لکن اتصال الآیتین و ارتباطهما مضمونا و انتهاء الثانیه إلی قوله: « ذٰلِکُمُ اللّٰهُ رَبُّکُمْ »إلخ کالصریح فی أن ذلک استئناف بیان للاحتجاج علی توحید الربوبیه.

فالآیه و التی تلیها مسوقتان لتوحید الربوبیه و قد جمع فیهما بین الخلق و التدبیر لما مر مرارا أن إثبات وحده الخالق لا یستلزم عند الوثنی نفی تعدد الأرباب و الآلهه لأنهم لا ینکرون انحصار الخلق و الإیجاد فیه تعالی لکنه سبحانه فیما یحتج علی توحده فی الربوبیه و الألوهیه فی کلامه یجمع بین الخلق و التدبیر إشاره إلی أن التدبیر غیر خارج من الخلق بل هو خلق بوجه کما أن الخلق تدبیر بوجه و عند ذلک یتم الاحتجاج علی رجوع التدبیر إلیه تعالی و انحصاره فیه برجوع الخلق إلیه.

و قوله:« خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ »إشاره إلی الخلقه،و فی قوله:« بِالْحَقِّ » -و الباء للملابسه-إشاره إلی البعث فإن کون الخلقه حقا غیر باطل یلازم کونها لغایه تقصدها و تنساق إلیها و هی البعث قال تعالی :«وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا بٰاطِلاً:» -ص:-٢٧.

و قوله:« یُکَوِّرُ اللَّیْلَ عَلَی النَّهٰارِ وَ یُکَوِّرُ النَّهٰارَ عَلَی اللَّیْلِ »قال فی المجمع، التکویر طرح الشیء بعضه علی بعض.انتهی فالمراد طرح اللیل علی النهار و طرح النهار علی اللیل فیکون من الاستعاره بالکنایه قریب المعنی من قوله :«یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهٰارَ:» الأعراف:-۵۴ و المراد استمرار توالی اللیل و النهار بظهور هذا علی ذاک ثم ذاک علی هذا و هکذا،و هو من التدبیر.

و قوله:« وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّی »أی سخر الشمس و القمر فأجراهما للنظام الجاری فی العالم الأرضی إلی أجل مسمی معین لا یتجاوزانه.

و قوله:« أَلاٰ هُوَ الْعَزِیزُ الْغَفّٰارُ »یمکن أن یکون فی ذکر الاسمین إشاره إلی ما یحتج به علی توحده تعالی فی الربوبیه و الألوهیه فإن العزیز الذی لا یعتریه ذله إن کان فهو الله و هو المتعین للعباده لا غیره الذی تغشاه الذله و تغمره الفاقه و کذا الغفار للذنوب إذا قیس إلی من لیس من شأنه ذلک.

و یمکن أن یکون ذکرهما تحضیضا علی التوحید و الإیمان بالله الواحد و المعنی

أنبهكم أنه هو العزيز فآمنوا به و اعتزوا بعزته،الغفار فآمنوا به يغفر لكم.

قوله تعالى:« خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا »إلخ الخطاب لعامه البشر،و المراد بالنفس الواحده-على ما تؤيده نظائره من الآيات-آدم أبو البشر، و المراد بزوجها امرأته التى هى من نوعها و تماثلها فى الإنسانيه،و« ثُمَّ »للتراخى بحسب رتبه الكلام.

و المراد أنه تعالى خلق هذا النوع و كثر أفراده من نفس واحده و زوجها.

و قوله:« وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعٰامِ ثَمٰانِيَةَ أَزْوٰاجٍ »الأنعام هى الإبل و البقر و الضأن و المعز،و كونها ثمانيه أزواج باعتبار انقسامها إلى الذكر و الأنثى.

و تسميه خلق الأنعام فى الأرض إنزالا لها باعتبار أنه تعالى يسمى ظهور الأشياء فى الكون بعد ما لم يكن إنزالا لها من خزائنه التى هى عنده و من الغيب إلى الشهاده قال تعالى :«وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاّٰ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ:» الحجر:-٢١.

و قوله:« يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهٰاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمٰاتٍ ثَلاٰثٍ »بيان لكيفيه خلق من تقدم ذكره من البشر و الأنعام، و فى الخطاب تغليب أولى العقل على غيرهم،و الخلق من بعد الخلق التوالى و التوارد كخلق النطفه علقه و خلق العلقه مضغه و هكذا،و الظلمات الثلاث هى ظلمه البطن و الرحم و المشيمه كما قيل و رواه فى المجمع، عن أبى جعفر(ع).

و قيل:المراد بها ظلمه الصلب و الرحم و المشيمه و هو خطأ فإن قوله:« فِي بُطُونِ أُمَّهٰاتِكُمْ »صريح فى أن المراد بالظلمات الثلاث ما فى بطون النساء دون أصلاب الرجال.

و قوله:« ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ »أى الذى وصف لكم فى الآيتين بالخلق و التدبير هو ربكم دون غيره لأن الرب هو المالك الذى يدبر أمر ما ملكه و إذ كان خالقا لكم و لكل شيء دونكم و للنظام الجارى فيكم فهو الذى يملككم و يدبر أمركم فهو ربكم لا غير.

و قوله:« لَهُ الْمُلْكُ »أى على جميع المخلوقات فى الدنيا و الآخره فهو المليك على الإطلاق»و تقديم الظرف يفيد الحصر،و الجمله خبر بعد خبر لقوله:« ذٰلِكُمُ اللّٰهُ »كما أن قوله:« لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ ، كذلك،و انحصار الألوهيه فيه تعالى فرع انحصار الربوبيه فيه

لأن الإله إنما يعبد لأنه رب مدبر فيعبد إما خوفا منه أو رجاء فيه أو شكرا له.

و قوله:« فَأَنّٰى تُصْرَفُونَ »أی فکیف تصرفون عن عبادته إلی عباده غیره و هو ربکم الذی خلقکم و دبر أمرکم و هو المليک عليکم.

قوله تعالی:« إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَ لاٰ يَرْضىٰ لِعِبٰادِهِ الْكُفْرَ »إلی آخر الآیه.مسوق لبیان أن الدعوه إلی التوحید و إخلاص الدین لله سبحانه لیست لحاجه منه تعالی إلی إقبالهم إلیه بالانصراف عن عباده غیره بل لعنایه منه تعالی بهم فیدعوهم إلی سعادتهم اعتناء بها کما یعتنی برزقهم فیفیض النعم علیهم و کما یعتنی بحفظهم فیلهمهم أن یدفعوا الآفات عن أنفسهم.

فقوله:« إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ »الخطاب لعامه المکلفین أی إن تکفروا بالله فلم توحدوه فإنه غنی عنکم لذاته لا ینتفع بإیمانکم و طاعتکم و لا یتضرر بکفرکم و معصیتکم فالنفع و الضرر إنما یتحققان فی مجال الإمکان و الحاجه و أما الواجب الغنی بذاته فلا یتصور فی حقه انتفاع و لا تضرر.

و قوله:« وَ لاٰ يَرْضىٰ لِعِبٰادِهِ الْكُفْرَ »دفع لما ربما یمکن أن یتوهم من قوله:« فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ »إنه إذا لم یتضرر بکفر و لم ینتفع بإیمان فلا موجب له أن یرید منا الإیمان و الشکر فدفعه بأن تعلق العنایه الإلهیه بکم یقتضی أن لا یرضی بکفرکم و أنتم عباده.

و المراد بالکفر کفر النعمه الذی هو ترک الشکر بقرینه مقابله قوله:« وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ »و بذلک یظهر أن التعبیر بقوله:« لِعِبٰادِهِ »دون أن یقول:لکم للدلاله علی عله الحکم أعنی سبب عدم الرضا.

و المحصل أنکم عباد مملوکون لله سبحانه منغمرون فی نعمه و رابطه المولویه و العبودیه و هی نسبه المالکیه و المملوکیه لا تلائمه أن یکفر العبد بنعمه سیده فینسی ولایه مولاه و یتخذ لنفسه أولیاء من دونه و یعصی المولی و یطیع عدوه و هو عبد علیه طابع العبودیه لا یملک لنفسه نفعا و لا ضرا.

و قوله:« وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ »الضمیر للشکر نظیر قوله تعالی :«اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ:» المائده:-٨ و المعنی و إن تشکروا الله بالجری علی مقتضی العبودیه

و إخلاص الدين له يرض الشكر لكم و أنتم عباده،و الشكر و الكفر المقابل له ينطبقان على الإيمان و الكفر المقابل له.

و مما تقدم يظهر أن العباد فى قوله:« وَ لاٰ يَرْضىٰ لِعِبٰادِهِ الْكُفْرَ »عام يشمل الجميع فقول بعضهم:إنه خاص أريد به من عناهم فى قوله :«إِنَّ عِبٰادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰانٌ إِلاّٰ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغٰاوِينَ:» الحجر:-۴۲ و هم المخلصون-أو المعصومون على ما فسره الزمخشرى-و لازمه أن الله سبحانه رضى الإيمان لمن آمن و رضى الكفر لمن كفر إلا المعصومين فإنه أراد منهم الإيمان،و صانهم عن الكفر سخيف جدا،و السياق يأباه كل الإباء،إذ الكلام مشعر حينئذ برضاه الكفر للكافر فيؤول معنى الكلام إلى نحو من قولنا:إن تكفروا فإن الله غنى عنكم و لا يرضى للأنبياء مثلا الكفر لرضاه لهم الإيمان و إن تشكروا أنتم يرضه لكم و إن تكفروا يرضه لكم و هذا-كما ترى-معنى ردىء ساقط و خاصه من حيث وقوعه فى سياق الدعوه.

على أن الأنبياء مثلا داخلون فيمن شكر و قد رضى لهم الشكر و الإيمان و لم يرض لهم الكفر فلا موجب لإفرادهم بالذكر و قد ذكر الرضا عمن شكر.

و قوله:« وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ »أى لا تحمل نفس حامله حمل نفس أخرى أى لا يؤاخذ بالذنب إلا من ارتكبه.

و قوله:« ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ »أى هذا فى الدنيا من كفر أو شكر ثم يبعثكم الله فيظهر لكم حقيقه أعمالكم و يحاسبكم على ما فى قلوبكم و قد تكرر الكلام فى معانى هذه الجمل فيما تقدم.

(كلام فى معنى الرضا و السخط من الله)

الرضا من المعانى التى يتصف بها أولو الشعور و الإراده و يقابله السخط و كلاهما وصفان وجوديان.

ثم الرضا يتعلق بالمعانى من الأوصاف و الأفعال دون الذوات يقال:رضى له كذا و رضى بكذا قال تعالى :«وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مٰا آتٰاهُمُ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ:» التوبه:-۵۹ و قال:

وَ رَضُوا بِالْحَیاهِ الدُّنْیا:» یونس:-۷ و ما ربما یتعلق بالذوات فإنما هو بعنایه ما و یؤول بالآخره إلی المعنی کقوله :«وَ لَنْ تَرْضی عَنْکَ الْیَهُودُ وَ لاَ النَّصاری:» البقره:-۱۲۰.

و لیس الرضا هو الإراده بعینها و إن کان کلما تعلقت به الإراده فقد تعلق به الرضا بعد وقوعه بوجه.و ذلک لأن الإراده-کما قیل-تتعلق بأمر غیر واقع و الرضا إنما یتعلق بالأمر بعد وقوعه أو فرض وقوعه فإذن کون الإنسان راضیا بفعل کذا کونه بحیث یلائم ذلک الفعل و لا ینافره،و هو وصف قائم بالراضی دون المرضی.

ثم الرضا لکونه متعلقا بالأمر بعد وقوعه کان متحققا بتحقق المرضی حادثا بحدوثه فیمتنع أن یکون صفه من الصفات القائمه بذاته لتنزهه تعالی عن أن یکون محلا للحوادث فما نسب إلیه تعالی من الرضا صفه فعل قائم بفعله منتزع عنه کالرحمه و الغضب و الإراده و الکراهه قال تعالی :«رَضِیَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ:» البینه:-۸ و قال :«وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ:» النمل:-۱۹،و قال :«وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً:» المائده:-۳.

فرضاه تعالی عن أمر من الأمور ملائمه فعله تعالی له،و إذ کان فعله قسمین تکوینی و تشریعی انقسم الرضا منه أیضا إلی تکوینی و تشریعی فکل أمر تکوینی و هو الذی أراد الله و أوجده فهو مرضی له رضا تکوینیا بمعنی کون فعله و هو إیجاده عن مشیه ملائما لما أوجده، و کل أمر تشریعی و هو الذی تعلق به التکلیف من اعتقاد أو عمل کالإیمان و العمل الصالح فهو مرضی له رضا تشریعیا بمعنی ملاءمه تشریعه للمأتی به.

و أما ما یقابل هذه الأمور المأمور بها مما تعلق به نهی فلا یتعلق بها رضا البته لعدم ملاءمه التشریع لها کالکفر و الفسوق کما قال تعالی :«إِنْ تَکْفُرُوا فَإِنَّ اللّهَ غَنِیٌّ عَنْکُمْ وَ لا یَرْضی لِعِبادِهِ الْکُفْرَ:» الزمر:-۷،و قال :«فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لا یَرْضی عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِینَ:» التوبه:-۹۶.

[بیان]

قوله تعالی:« وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِیباً إِلَیْهِ »إلی آخر الآیه الإنابه الرجوع،و التخویل العطیه العظیمه علی وجه الهبه و هی المنحه.علی ما فی المجمع،.

لما مر فی الآیه السابقه ذکر من کفر النعمه و أن الله سبحانه علی غناه من الناس

لاـ يرضـى لهم ذلك نبه فى هـذه الآيه على أن الإنسان كفور بالطبع مع أنه يعرف ربه بالفطره و لا يلبث عنـد الاضـطرار دون أن يرجع إليه فيسأله كشف ضره كما قال :«وَ كٰانَ الْإِنْسٰانُ كَفُوراً:» الإسراء:-٦٧،و قال :«إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَظَلُومٌ كَفّٰارٌ:» إبراهيم:-٣٤.

فقوله:« وَ إِذٰا مَسَّ الْإِنْسٰانَ ضُـرٌّ دَعٰا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ »أى إذا أصاب الإنسان ضر من شده أو مرض أو قحط و نحوه دعا ربه-و هو الله يعترف عند ذلك بربوبيته- راجعا إليه معرضا عمن سواه يسأله كشف الضر عنه.

و قوله:« ثُمَّ إِذٰا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِـيَ مٰا كٰانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ »أى و إذا أعطاه ربه سبحانه بعد كشف الضـر نعمه منه اشـتغل به مستغرقا و نسى الضر الذى كان يدعو إليه أى إلى كشفه من قبل إعطاء النعمه.

فما فى قوله:« مٰا كٰانَ يَـدْعُوا إِلَيْهِ »موصوله و المراد به الضـر و ضـمير« إِلَيْهِ »له و قيل:مصـدريه و الضـمير للرب سـبحانه و المعنى نسى دعاءه إلى ربه من قبل الإعطاء، و قيل:موصوله و المراد به الله سبحانه و هو أبعد الوجوه.

و قوله:« وَ جَعَـلَ لِلّٰهِ أَنْـدٰاداً لِيُضِـلَّ عَنْ سَبِيلِهِ » الأنـداد الأمثـال و المراد بهـا-على ما قيل-الأصـنام و أربابها،و اللام فى« لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ »للعـاقبه،و المعنى و اتخـذ الله أمثالاـ يشـاركونه فى الربوبيه و الأـلوهيه على مزعمته لينتهى به ذلـك إلى إضـلال الناس عن سبيل الله لأن الناس مطبوعون على التقليد يتشبه بعضهم ببعض و فى الفعل دعوه كالقول.

و لا يبعد أن يراد بالأنداد مطلق الأسباب التى يعتمد عليها الإنسان و يطمئن إليها و من جملتها أرباب الأصنام عند الوثنى و ذلك لأن الآيه تصف الإنسان و هو أعم من المشرك نعم مورد الآيه هو الكافر.

و قوله:« قُـلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاًـ إِنَّكَ مِنْ أَصْـحٰابِ النّٰارِ »أى تمتع تمتعـا قليلا لا يـدوم لك لأنك من أصـحاب النار مصـيرك إليها،و هو أمر تهديدى فى معنى الإخبار أى إنك إلى النار و لا يدفعها عنك تمتعك بالكفر أياما قلائل.

قوله تعـالى:« أَمَّنْ هُوَ قٰانِتٌ آنٰاءَ اللَّيْـلِ سٰاجِـداً وَ قٰائِماً يَحْـذَرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ »الآيه لا تخلو عن مناسـبه و اتصال بقوله السابق:« وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ »

فإن فحواه أن الكافر و الشاكر لا يستويان و لا يختلطان فأوضح ذلك فى هذه الآيه بأن القانت الذى يخاف العذاب و يرجو رحمه لا يساوى غيره.

فقوله:« أَمَّنْ هُوَ قٰانِتٌ آنٰاءَ اللَّيْلِ سٰاجِداً وَ قٰائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ » أحد شقى الترديد محذوف و التقدير أ هذا الذى ذكرناه خير أم من هو قانت إلخ؟.

و القنوت -على ما ذكره الراغب-لزوم الطاعه مع الخضوع،و الآناء جمع أنى و هو الوقت،و« يَحْذَرُ الْآخِرَةَ »أى عذاب الله فى الآخره قال تعالى :«إِنَّ عَذٰابَ رَبِّكَ كٰانَ مَحْذُوراً:» الإسراء:-۵۷،و قوله:« يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ »هو و ما قبله يجمعان خوف العذاب و رجاء الرحمه،و لم يقيد الرحمه بالآخره فإن رحمه الآخره ربما وسعت الدنيا.

و المعنى أ هذا الكافر الذى هو من أصحاب النار خير أم من هو لازم للطاعه و الخضوع لربه فى أوقات الليل إذا جن عليه ساجدا فى صلاته تاره قائما فيها أخرى يحذر عذاب الآخره و يرجو رحمه ربه؟أى لا يستويان.

و قوله:« قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ »العلم و عدمه مطلقان لكن المراد بهما بحسب ما ينطبق على مورد الآيه العلم بالله و عدمه فإن ذلك هو الذى يكمل به الإنسان و ينتفع بحقيقه معنى الكلمه و يتضرر بعدمه،و غيره من العلم كالمال ينتفع به فى الحياه الدنيا و يفنى بفنائها.

و قوله:« إِنَّمٰا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبٰابِ »أى ذوو العقول و هو فى مقام التعليل لعدم تساوى الفريقين بأن أحد الفريقين يتذكر حقائق الأمور دون الفريق الآخر فلا يستويان بل يترجح الذين يعلمون على غيرهم.

قوله تعالى:« قُلْ يٰا عِبٰادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيٰا حَسَنَةٌ » إلى آخر الآيه،الجار و المجرور« فِي هٰذِهِ الدُّنْيٰا »متعلق بقوله:« أَحْسَنُوا »فالمراد بالجمله وعد الذين أحسنوا أى لزموا الأعمال الحسنه أن لهم حسنه لا يقدر وصفها بقدر.

و قد أطلق الحسنه فلم يقيدها بدنيا أو آخره و ظاهرها ما يعلم الدنيا فللمؤمنين المحسنين فى هذه الدنيا طيب النفس و سلامه الروح و صون النفوس عما يتقلب فيه الكفار من تشوش البال و تقسم القلب و غل الصدر و الخضوع للأسباب الظاهريه و فقد من يرجى

فی کل نائبه و ینصر عند طروق الطارقه و یطمأن إلیه فی کل نازله و فی الآخره سعاده دائمه و نعیم مقیم.

و قیل:« فِی هٰذِهِ الدُّنْیٰا »متعلق بحسنه.و لیس بذاک.

و قوله:« وَ أَرْضُ اللّٰهِ وٰاسِعَهٌ »حث و ترغیب لهم فی الهجره من مکه إذ کان التوقف فیها صعبا علی المؤمنین بالنبی ص و المشرکون یزیدون کل یوم فی التشدید علیهم و فتنتهم،و الآیه بحسب لفظها عامه.

و قیل:المراد بأرض الله الجنه أی إن الجنه واسعه لا تزاحم فیها فاکتسبوها بالطاعه و العباده.و هو بعید.

و قوله:« إِنَّمٰا یُوَفَّی الصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَیْرِ حِسٰابٍ »توفیه الأجر إعطاؤه تاما کاملا،و السیاق یفید أن القصر فی الکلام متوجه إلی قوله:« بِغَیْرِ حِسٰابٍ »فالجار و المجرور متعلق بقوله:« یُوَفَّی »صفه لمصدر یدل علیه و المعنی لا یعطی الصابرون أجرهم إلا إعطاء بغیر حساب،فالصابرون لا یحاسبون علی أعمالهم و لا ینشر لهم دیوان و لا یقدر أجرهم بزنه عملهم.

و قد أطلق الصابرون فی الآیه و لم یقید بکون الصبر علی الطاعه أو عن المعصیه أو عند المصیبه و إن کان الذی ینطبق علی مورد الآیه هو الصبر علی مصائب الدنیا و خاصه ما یصیب من جهه أهل الکفر و السوق من آمن بالله و أخلص له دینه و اتقاه.

و قیل:« بِغَیْرِ حِسٰابٍ »حال من« أَجْرَهُمْ »و یفید کثره الأجر الذی یوفونه، و الوجه السابق أقرب.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن یزید الرقاشی: أن رجلا قال:یا رسول الله- إنا نعطی أموالنا التماس الذکر فهل لنا فی ذلک من أجر؟فقال رسول الله ص:إن الله لا یقبل إلا ممن أخلص له.ثم تلا رسول الله ص هذه الآیه« أَلاٰ لِلّٰهِ الدِّینُ الْخٰالِصُ ».

و فیه،أخرج ابن جریر من طریق جویبر عن ابن عباس ":« وَ الَّذِینَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ

أَوْلِیاءَ

»الآیه-قال:أنزلت فی ثلاثه أحیاء:عامر و کنانه و بنی سلمه-کانوا یعبدون الأوثان و یقولون:الملائکه بناته فقالوا:« مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِیُقَرِّبُونٰا إِلَی اللّٰهِ زُلْفیٰ ».

أقول:الآیه مطلقه تشمل عامه الوثنیین،و قول:« مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِیُقَرِّبُونٰا إِلَی اللّٰهِ زُلْفیٰ »قول جمیعهم،و کذا القول بالولد و لا تصریح فی الآیه بالقول بکون الملائکه بنات فالحق أن الخبر من التطبیق.

و فی الکافی،و العلل،بإسنادهما عن زراره عن أبی جعفر(ع)قال: قلت:« آنٰاءَ اللَّیْلِ سٰاجِداً وَ قٰائِماً »إلخ-قال:یعنی صلاه اللیل.

و فی الکافی،بإسناده عن أبی جعفر(ع): فی قوله عز و جل:« هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لاٰ یَعْلَمُونَ-إِنَّمٰا یَتَذَکَّرُ أُولُوا الْأَلْبٰابِ »قال نحن الذین یعلمون،و عدونا الذین لا یعلمون،و شیعتنا أولو الألباب.

أقول:و هذا المعنی مروی بطرق کثیره عن الباقر و الصادق(ع)و هو جری و لیس من التفسیر فی شیء.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن سعد فی طبقاته و ابن مردویه عن ابن عباس":فی قوله:

« أَمَّنْ هُوَ قٰانِتٌ آنٰاءَ اللَّیْلِ سٰاجِداً وَ قٰائِماً »قال:نزلت فی عمار بن یاسر".:

أقول:و روی مثله عن جویبر عن عکرمه،و روی عن جویبر عن ابن عباس أیضا":أنها نزلت فی ابن مسعود و عمار و سالم مولی أبی حذیفه".و روی عن أبی نعیم و ابن عساکر عن ابن عمر أنه عثمان و قیل غیر ذلک،و الجمیع من التطبیق و لیس من النزول بالمعنی المصطلح علیه،و السوره نازله دفعه.

و فی المجمع،روی العیاشی بالإسناد عن عبد الله بن سنان عن أبی عبد الله(ع) قال:قال رسول الله ص: إذا نشرت الدواوین و نصبت الموازین-لم ینصب لأهل البلاء میزان و لم ینشر لهم دیوان.ثم تلا هذه الآیه« إِنَّمٰا یُوَفَّی الصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَیْرِ حِسٰابٍ ».

أقول:و روی ما فی معناه فی الدر المنثور،عن ابن مردویه عن أنس بن مالک عن النبی ص فی حدیث.

[سوره الزمر (۳۹): الآیات ۱۱ الی ۲۰]

اشاره

قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اَللّهَ مُخْلِصاً لَهُ اَلدِّینَ (۱۱) وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَکُونَ أَوَّلَ اَلْمُسْلِمِینَ (۱۲) قُلْ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ (۱۳) قُلِ اَللّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِینِی (۱۴) فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ اَلْخاسِرِینَ اَلَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِیهِمْ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ أَلا ذلِکَ هُوَ اَلْخُسْرانُ اَلْمُبِینُ (۱۵) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ اَلنّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذلِکَ یُخَوِّفُ اَللّهُ بِهِ عِبادَهُ یا عِبادِ فَاتَّقُونِ (۱۶) وَ اَلَّذِینَ اِجْتَنَبُوا اَلطّاغُوتَ أَنْ یَعْبُدُوها وَ أَنابُوا إِلَی اَللّهِ لَهُمُ اَلْبُشْری فَبَشِّرْ عِبادِ (۱۷) اَلَّذِینَ یَسْتَمِعُونَ اَلْقَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِکَ اَلَّذِینَ هَداهُمُ اَللّهُ وَ أُولئِکَ هُمْ أُولُوا اَلْأَلْبابِ (۱۸) أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَیْهِ کَلِمَهُ اَلْعَذابِ أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِی اَلنّارِ (۱۹) لکِنِ اَلَّذِینَ اِتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِیَّهٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ وَعْدَ اَللّهِ لا یُخْلِفُ اَللّهُ اَلْمِیعادَ (۲۰)

(بیان)

فی الآیات نوع رجوع إلی أول الکلام و أمره(ص)أن یبلغهم أن الـذی یدعوهم إلیه من التوحید و إخلاص الدین لله هو مأمور به کأحدهم و یزید أنه مأمور أن یکون

ص: ۲۴۶

أول مسلم لما يدعو إليه أى يكون بحيث يدعو إلى ما قد أسلم له و آمن به قبل،سواء أجابوا إلى دعوته أو ردوها.

فعليهم أن لا يطمعوا فيه أن يخالف فعله قوله و سيرته دعوته فإنه مجيب لربه مسلم له متصلب فى دينه خائف منه أن يعصيه ثم تنذر الكافرين و تبشر المؤمنين بما أعد الله سبحانه لكل من الفريقين من عذاب أو نعمه.

قوله تعالى:« قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّینَ إلى قوله- أَوَّلَ الْمُسْلِمِینَ »نحو رجوع إلى قوله تعالى فى مفتتح السوره:« إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ الْکِتٰابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّینَ »بداعى أن يؤيسهم من نفسه،فلا يطمعوا فيه أن يترک دعوتهم و يوافقهم على الإشراک بالله كما يشير إليه أول سوره_ص و آيات أخر.

فكأنه يقول:قل لهم إن الذى تلوت عليكم من أمره تعالى بعبادته بإخلاص الدين-و قد وجه به الخطاب إلى-ليس المراد به مجرد دعوتكم إلى ذلک بإقامتى فى الخطاب مقام السامع فيكون من قبيل«إياک أعنى و اسمعى يا جاره»بل أنا كأحدكم مأمور بعبادته مخلصا له الدين،و لا ـ ذلک فحسب،بل مأمور بأن أكون أول المسلمين لما ينزل إلى من الوحى فأسلم له أولا ثم أبلغه لغيرى-فأنا أخاف ربى و أعبده بالإخلاص آمنتم به أو كفرتم فلا تطمعوا فى.

فقوله:« قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّینَ »إشاره إلى أنه(ص) يشارک غيره فى الأمر بدون الإخلاص.

و قوله:« وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَکُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِینَ »إشاره إلى أن فى الأمر المتوجه إلى زياده على ما توجه إليكم من التكليف و هو أنى أمرت بما أمرت و قد توجه الخطاب إلى قبلكم و الغرض منه أن أكون أول من أسلم لهذا الأمر و آمن به.

قيل:اللام فى قوله:« لِأَنْ أَکُونَ »للتعليل و المعنى و أمرت بذلک لأجل أن أكون أول المسلمين،و قيل:اللام زائده كما تركت اللام فى قوله تعالى :«قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ:» الأنعام:-۱۴.

و مآل الوجهين واحد بحسب المعنى فإن كونه(ص)أول المسلمين يعطى عنوانا

لإسلامه و عنوان الفعل يصح أن يجعل غايه للأمر بالفعل و أن يجعل متعلقا للأمر فيؤمر به يقال:اضربه للتأديب،و يقال:أدبه بالضرب.

قال فی الکشاف،:و فی معناه أوجه:أن أکون أول من أسلم فی زمانی و من قومی لأنه أول من خالف دین آبائه و خلع الأصنام و حطمها،و أن أکون أول الذین دعوتهم إلی الإسلام إسلاما،و أن أکون أول من دعا نفسه إلی ما دعا غیره لأکون مقتدی بی فی قولی و فعلی جمیعا و لا تکون صفتی صفه الملوک الذین یأمرون بما لا یفعلون،و أن أفعل ما استحق به الأولیه من أعمال السابقین دلاله علی السبب بالمسبب.انتهی.

و أنت خبیر بأن الأنسب لسیاق الآیات هو الوجه الثالث و هو الذی قدمناه و یلزمه سائر الوجوه.

قوله تعالی:« قُلْ إِنِّی أَخٰافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذٰابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ »المراد بمعصیه ربه بشهاده السیاق مخالفه أمره بعبادته مخلصا له الدین،و بالیوم العظیم یوم القیامه و الآیه کالتوطئه لمضمون الآیه التالیه.

قوله تعالی:« قُلِ اللّٰهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِینِی فَاعْبُدُوا مٰا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ »تصریح بأنه ممتثل لأمر ربه مطیع له بعد التکنیه عنه فی الآیه السابقه،و إیاس لهم أن یطمعوا فیه أن یخالف أمر ربه.

و تقدیم المفعول فی قوله:« قُلِ اللّٰهَ أَعْبُدُ »یفید الحصر،و قوله:« مُخْلِصاً لَهُ دِینِی » یؤکد معنی الحصر،و قوله:« فَاعْبُدُوا مٰا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ »أمر تهدیدی بمعنی أنهم لا ینفعهم ذلک فإنهم مصیبهم وبال إعراضهم عن عباده الله بالإخلاص کما یشیر إلیه ذیل الآیه« قُلْ إِنَّ الْخٰاسِرِینَ »إلخ.

قوله تعالی:« قُلْ إِنَّ الْخٰاسِرِینَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِیهِمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ »إلخ الخسر و الخسران ذهاب رأس المال إما کلا أو بعضا و الخسران أبلغ من الخسر، و خسران النفس هو إیرادها مورد الهلکه و الشقاء بحیث یبطل منها استعداد الکمال فیفوتها السعاده بحیث لا یطمع فیها و کذا خساره الأهل.

و فی الآیه تعریض للمشرکین المخاطبین بقوله:« فَاعْبُدُوا مٰا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ »کأنه

يقول:فأيا ما عبدتم فإنكم تخسرون أنفسكم بإيرادها بالكفر مورد الهلكه و أهليكم و هم خاصتكم بحملهم على الكفر و الشرك و هى الخسران بالحقيقه.

و قوله:« أَلاٰ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرٰانُ الْمُبِينُ »و ذلك لأن الخسران المتعلق بالدنيا-و هو الخسران فى مال أو جاه-سريع الزوال منقطع الآخر بخلاف خسران يوم القيامه الدائم الخالد فإنه لا زوال له و لا انقطاع.

على أن المال أو الجاه إذا زال بالخسران أمكن أن يخلفه آخر مثله أو خير منه بخلاف النفس إذا خسرت.

هذا على تقدير كون المراد بالأهل خاصه الإنسان فى الدنيا ،و قيل:المراد بالأهل من أعده الله فى الجنه للإنسان لو آمن و اتقى من أزواج و خدم و غيرهم و هو أوجه و أنسب للمقام فإن النسب و كل رابطه من الروابط الدنيويه الاجتماعيه مقطوعه يوم القيامه قال تعالى :«فَلاٰ أَنْسٰابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ:» المؤمنون:-۱۰۱ و قال :«يَوْمَ لاٰ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً:» الانفطار:-۱۹ إلى غير ذلك من الآيات.

و يؤيده أيضا قوله تعالى :«فَأَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحٰاسَبُ حِسٰاباً يَسِيراً وَ يَنْقَلِبُ إِلىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً:» الانشقاق:-۹.

قوله تعالى:« لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النّٰارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ »إلخ الظلل جمع ظله و هى-كما قيل-الستر العالى.

و المراد بكونها من فوقهم و من تحتهم إحاطتها بهم فإن المعهود من النار الجهتان و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّٰاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهٰا وَ أَنٰابُوا إِلَى اللّٰهِ لَهُمُ الْبُشْرىٰ » قال الراغب: الطاغوت عباره عن كل متعد و كل معبود من دون الله،و يستعمل فى الواحد و الجمع.انتهى،و الظاهر أن المراد بها فى الآيه الأوثان و كل معبود طاغ من دون الله.

و لم يقتصر على مجرد اجتناب عباده الطاغوت بل أضاف إليه قوله:« وَ أَنٰابُوا إِلَى اللّٰهِ »إشاره إلى أن مجرد النفى لا يجدى شيئا بل الذى ينفع الإنسان مجموع النفى

و الإثبات،عباده الله و ترک عباده غیره و هو عبادته مخلصا له الدین.

و قوله:« لَهُمُ الْبُشْریٰ »إنشاء بشری و خبر لقوله:« وَ الَّذِینَ اجْتَنَبُوا »إلخ.

قوله تعالی:« فَبَشِّرْ عِبٰادِ الَّذِینَ یَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ »إلی آخر الآیه کان مقتضی الظاهر أن یقال:فبشرهم غیر أنه قیل: فبشر عباد و أضیف إلی ضمیر التکلم لتشریفهم به و لتوصیفهم بقوله:« اَلَّذِینَ یَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ »إلخ.

و المراد بالقول بقرینه ما ذکر من الاتباع ما له نوع ارتباط و مساس بالعمل فأحسن القول أرشده فی إصابه الحق و أنصحه للإنسان،و الإنسان إذا کان ممن یحب الحسن و ینجذب إلی الجمال کان کلما زاد الحسن زاد انجذابا فإذا وجد قبیحا و حسنا مال إلی الحسن،و إذا وجد حسنا و أحسن قصد ما هو أحسن،و أما لو لم یمل إلی الأحسن و انجمد علی الحسن کشف ذلک عن أنه لا ینجذب إلیه من حیث حسنه و إلا زاد الانجذاب بزیاده الحسن.

فتوصیفهم باتباع أحسن القول معناه أنهم مطبوعون علی طلب الحق و إراده الرشد و إصابه الواقع فکلما دار الأمر بین الحق و الباطل و الرشد و الغی اتبعوا الحق و الرشد و ترکوا الباطل و الغی و کلما دار الأمر بین الحق و الأحق و الرشد و ما هو أکثر رشدا أخذوا بالأحق الأرشد.

فالحق و الرشد هو مطلوبهم و لذلک یستمعون القول و لا یردون قولا بمجرد ما قرع سمعهم اتباعا لهوی أنفسهم من غیر أن یتدبروا فیه و یفقهوه.

فقوله:« اَلَّذِینَ یَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ »مفاده أنهم طالبو الحق و الرشد یستمعون القول رجاء أن یجدوا فیه حقا و خوفا أن یفوتهم شیء منه.

و قیل:المراد باستماع القول و اتباع أحسنه استماع القرآن و غیره و اتباع القرآن، و قیل:المراد استماع أوامر الله تعالی و اتباع أحسنها کالقصاص و العفو فیتبعون العفو و إبداء الصدقات و إخفائها فیتبعون الإخفاء،و القولان من قبیل التخصیص من غیر مخصص.

و قوله:« أُولٰئِکَ الَّذِینَ هَدٰاهُمُ اللّٰهُ »إشاره إلی أن هذه الصفه هی الهدایه الإلهیه و هذه الهدایه أعنی طلب الحق و التهیؤ التام لاتباع الحق أینما وجد هی الهدایه الإجمالیه

و إليها تنتهى كل هدايه تفصيليه إلى المعارف الإلهيه.

و قوله:« وَ أُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبٰابِ »أى ذوو العقول و يستفاد منه أن العقل هو الـذى به الاهتـداء إلى الحق و آيته صفه اتباع الحق،و قد تقدم فى تفسير قوله :«وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّهِ إِبْرٰاهِيمَ إِلاّٰ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ:» البقره:-١٣٠ أنه يستفاد منه أن العقل ما يتبع به دين الله.

قوله تعالى:« أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَهُ الْعَذٰابِ أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النّٰارِ »ثبوت كلمه العـذاب وجوب دخول النار بالكفر بقوله عند إهباط آدم إلى الأرض :«وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ:» البقره:-٣٩ و ما فى معناه من الآيات.

و مقتضى السياق أن فى الآيه إضمارا يدل عليه قوله:« أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النّٰارِ » و التقدير أ فمن حقت عليه كلمه العذاب ينجو منه و هو أولى من تقدير قولنا:خير أم من وجبت عليه الجنه.

و قيل:المعنى أ فمن وجب عليه وعيده تعالى بالعقاب أ فأنت تخلصه من النار فاكتفى بذكر« مَنْ فِي النّٰارِ »عن ذكر الضمير العائد إلى المبتدإ و جىء بالاستفهام مرتين للتأكيد تنبيها على المعنى.

و قيل:التقدير أ فأنت تنقذ من فى النار منهم فحذف الضمير و هو أردأ الوجوه.

قوله تعالى:« لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهٰا غُرَفٌ مَبْنِيَّهٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ » الغرف جمع غرفه و هى المنزل الرفيع.قيل:و هذا فى مقابله قوله فى الكافرين:« لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النّٰارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ».

و قوله:« وَعْدَ اللّٰهِ »أى وعدهم الله ذلك وعدا فهو مفعول مطلق قائم مقام فعله و قوله:« لاٰ يُخْلِفُ اللّٰهُ الْمِيعٰادَ »إخبار عن سنته تعالى فى مواعيده و فيه تطييب لنفوسهم.

(بحث روائى)

فى تفسير القمى،فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع): فى قوله تعالى:« قُلْ

إِنَّ الْخٰاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ

»يقول:غبنوا أنفسهم و أهليهم.

و فى المجمع،:فى قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّٰاغُوتَ-أَنْ يَعْبُدُوهٰا وَ أَنٰابُوا إِلَى اللّٰهِ لَهُمُ الْبُشْرىٰ »:

روى أبو بصير عن أبى عبد الله(ع)أنه قال: أنتم هم و من أطاع جبارا فقد عبده.

أقول:و هو من الجرى.

و فى الكافى،:بعض أصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم قال:قال لى أبو الحسن موسى بن جعفر(ع): يا هشام إن الله تبارك و تعالى-بشر أهل العقل و الفهم فى كتابه فقال:« فَبَشِّرْ عِبٰادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ-أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدٰاهُمُ اللّٰهُ وَ أُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبٰابِ ».

و فى الدر المنثور،أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم عن زيد بن أسلم": فى قوله تعالى:

« وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّٰاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهٰا »قال:نزلت هاتان الآيتان فى ثلاثه نفر- كانوا فى الجاهليه يقولون:لا إله إلا الله،فى زيد بن عمرو بن نفيل-و أبى ذر الغفارى و سلمان الفارسى.:

أقول:و رواه فى المجمع،عن عبد الله بن زيد

،و روى فى الدر المنثور،أيضا عن ابن مردويه عن ابن عمر":أنها نزلت فى سعيد بن زيد و أبى ذر و سلمان،و روى أيضا عن جويبر عن جابر بن عبد الله":أنها نزلت فى رجل من الأنصار أعتق سبعه مماليك-لما نزل قوله تعالى:« لَهٰا سَبْعَةُ أَبْوٰابٍ »الآيه،و الظاهر أن الجميع من تطبيق القصه على الآيه.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٢١ الى ٣٧]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً فَسَلَكَهُ يَنٰابِيعَ فِي اَلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوٰانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرٰاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطٰاماً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِأُولِي اَلْأَلْبٰابِ (٢١) أَ فَمَنْ شَرَحَ اَللّٰهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقٰاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اَللّٰهِ أُولٰئِكَ فِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (٢٢) اَللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ اَلْحَدِيثِ كِتٰاباً مُتَشٰابِهاً مَثٰانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ اَلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلىٰ ذِكْرِ اَللّٰهِ ذٰلِكَ هُدَى اَللّٰهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اَللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ (٢٣) أَ فَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ اَلْعَذٰابِ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ وَ قِيلَ لِلظّٰالِمِينَ ذُوقُوا مٰا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٢۴) كَذَّبَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتٰاهُمُ اَلْعَذٰابُ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَشْعُرُونَ (٢۵) فَأَذٰاقَهُمُ اَللّٰهُ اَلْخِزْيَ فِي اَلْحَيٰاهِ اَلدُّنْيٰا وَ لَعَذٰابُ اَلْآخِرَهِ أَكْبَرُ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ (٢۶) وَ لَقَدْ ضَرَبْنٰا لِلنّٰاسِ فِي هٰذَا اَلْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ اَللّٰهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكٰاءُ مُتَشٰاكِسُونَ وَ رَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيٰانِ مَثَلاً اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ (٢٩) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ

(۳۱) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اَللّهِ وَ كَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جٰاءَهُ أَ لَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكٰافِرِينَ (۳۲) وَ اَلَّذِى جٰاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُتَّقُونَ (۳۳) لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ جَزٰاءُ اَلْمُحْسِنِينَ (۳۴) لِيُكَفِّرَ اَللّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ اَلَّذِى عَمِلُوا وَ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ اَلَّذِى كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۳۵) أَ لَيْسَ اَللّهُ بِكٰافٍ عَبْدَهُ وَ يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اَللّهُ فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ (۳۶) وَ مَنْ يَهْدِ اَللّهُ فَمٰا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَ لَيْسَ اَللّهُ بِعَزِيزٍ ذِى اِنْتِقٰامٍ (۳۷)

(بیان)

عود إلی بدء من الاحتجاج علی ربوبیته تعالی و القول فی اهتداء المهتدین و ضلال الضالین و المقایسه بین الفریقین و ما ینتهی إلیه عاقبه أمر کل منهما،و فیها معنی هدایه القرآن.

قوله تعالی:« أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَسَلَکَهُ یَنٰابِیعَ فِی الْأَرْضِ »إلی آخر الآیه،قال فی المجمع،: الینابیع جمع ینبوع و هو الذی ینبع منه الماء یقال نبع الماء من موضع کذا إذا فار منه،و الزرع ما ینبت علی غیر ساق و الشجر ما له ساق و أغصان النبات یعم الجمیع،و هاج النبت یهیج هیجا إذا جف و بلغ نهایته فی الیبوسه،و الحطام فتات التبن و الحشیش.انتهی.

و قوله:« فَسَلَکَهُ یَنٰابِیعَ فِی الْأَرْضِ »أی فأدخله فی عیون و مجاری فی الأرض هی کالعروق فی الأبدان تنقل ما تحمله من جانب إلی جانب،و الباقی ظاهر و الآیه- کما تری-تحتج علی توحده تعالی فی الربوبیه.

قوله تعالی:« أَ فَمَنْ شَرَحَ اللّٰهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ فَهُوَ عَلیٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَیْلٌ لِلْقٰاسِیَهِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِکْرِ اللّٰهِ »إلخ لما ذکر فی الآیه السابقه أن فیما ذکره من إنزال الماء و إنبات

النبات ذكرى لأولى الألباب و هم عباده المتقون و قد ذكر قبل أنهم الـذين هداهم الله ذكر فى هذه الآيه أنهم ليسوا كغيرهم من الضالين و أوضح السبب فى ذلك و هو أنهم على نور من ربهم يبصرون به الحق و فى قلوبهم لين لا تعصى عن قبول ما يلقى إليهم من أحسن القول.

فقوله:« أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ »خبره محذوف يدل عليه قوله:« فَوَيْلٌ لِلْقٰاسِيَهِ قُلُوبُهُمْ »إلخ أى كالقاسيه قلوبهم و الاستفهام للإنكار أى لا يستويان.

و شرح الصدر بسطه ليسع ما يلقى إليه من القول و إذ كان ذلك للإسلام و هو التسليم لله فيما أراد و ليس إلا الحق كان معناه كون الإنسان بحيث يقبل ما يلقى إليه من القول الحق و لا يرده،و ليس قبولا من غير درايه و كيفما كان بل عن بصيره بالحق و عرفان بالرشد و لذا عقبه بقوله:« فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ »فجعله بحسب التمثيل راكب نور يسير عليه و يبصر ما يمر به فى ساحه صدره الرحب الوسيع من الحق فيبصره و يميزه من الباطل بخلاف الضال الذى لا فى صدره شرح فيسع الحق و لا هو راكب نور من ربه فيبصر الحق و يميزه.

و قوله:« فَوَيْلٌ لِلْقٰاسِيَهِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللّٰهِ »تفريع على الجمله السابقه بما يدل على أن القاسيه القلوب-و قساوه القلب و صلابته لازمه عدم شرح الصدر و عدم النور- لا يتذكرون بآيات الله فلا يهتدون إلى ما تدل عليه من الحق،و لذا عقبه بقوله:« أُولٰئِكَ فِى ضَلاٰلٍ مُبِينٍ ».

و فى الآيه تعريف الهدايه بلازمها و هو شرح الصدر و جعله على نور من ربه، و تعريف الضلال بلازمه و هو قساوه القلب من ذكر الله.

و قد تقدم فى تفسير قوله :«فَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ» XالخX:الأنعام:-۱۲۵ كلام فى معنى الهدايه فراجع.

قوله تعالى:« اَللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتٰاباً مُتَشٰابِهاً مَثٰانِيَ »إلى آخر الآيه كالإجمال بعد التفصيل بالنسبه إلى الآيه السابقه بالنظر إلى ما يتحصل من الآيه فى معنى الهدايه و إن كانت بيانا لهدايه القرآن.

فقوله:« اَللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ »هو القرآن الكريم و الحديث هو القول كما فى قوله تعالى :«فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ:» الطور:-٣۴،و قوله :«فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ:» المرسلات:-۵٠ فهو أحسن القول لاشتماله على محض الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه،و هو كلامه المجيد.

و قوله:« كِتٰاباً مُتَشٰابِهاً »أى يشبه بعض أجزائه بعضا و هذا غير التشابه الذى فى المتشابه المقابل للمحكم فإنه صفه بعض آيات الكتاب و هذا صفه الجميع.

و قوله:« مَثٰانِيَ »جمع مثنيه بمعنى المعطوف لانعطاف بعض آياته على بعض و رجوعه إليه بتبين بعضها ببعض و تفسير بعضها لبعض من غير اختلاف فيها بحيث يدفع بعضه بعضا و يناقضه كما قال تعالى :«أَ فَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كٰانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّٰهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاٰفاً كَثِيراً:» النساء:-٨٢.

و قوله:« تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ »صفه الكتاب و ليس استئنافا، و الاقشعرار تقبض الجلد تقبضا شديدا لخشيه عارضه عن استماع أمر هائل أو رؤيته، و ليس ذلك إلا لأنهم على تبصر من موقف نفوسهم قبال عظمه ربهم فإذا سمعوا كلامه توجهوا إلى ساحه العظمه و الكبرياء فغشيت قلوبهم الخشيه و أخذت جلودهم فى الاقشعرار.

و قوله:« ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلىٰ ذِكْرِ اللّٰهِ »« تَلِينُ »مضمنه معنى السكون و الطمأنينه و لذا عدى بإلى و المعنى ثم تسكن و تطمئن جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله لينه تقبله أو تلين له ساكنه إليه.

و لم يذكر القلوب فى الجمله السابقه عند ذكر الاقشعرار لأن المراد بالقلوب النفوس و لا اقشعرار لها و إنما لها الخشيه.

و قوله:« ذٰلِكَ هُدَى اللّٰهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشٰاءُ »أى ما يأخذهم من اقشعرار الجلود من القرآن ثم سكون جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله هو هدى الله و هذا تعريف آخر للهدايه بلازمها.

و قوله:« يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشٰاءُ »أى يهدى بهداه من يشاء من عباده و هو الذى لن يبطل استعداده للاهتداء و لم يشغل بالموانع عنه كالفسق و الظلم و فى السياق

ص :٢۵۶

إشعار بأن الهدایه من فضله و لیس بموجب فیها مضطر إلیها.

و قیل:المشار إلیه بقوله:« ذٰلِکَ هُدَی اللّٰهِ »القرآن و هو کما تری،و قد استدل بالآیات علی أن الهدایه من صنع الله لا یشارکه فیها غیره،و الحق أنها خالیه عن الدلاله علی ذلک و إن کان الحق هو ذلک بمعنی کونها لله سبحانه أصاله و لمن اختاره من عباده لذلک تبعا کما یستفاد من مثل قوله :«قُلْ إِنَّ هُدَی اللّٰهِ هُوَ الْهُدیٰ:» البقره:-١٢٠ و قوله :«إِنَّ عَلَیْنٰا لَلْهُدیٰ:» اللیل:-١٢،و قوله :«وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا:» الأنبیاء:-٧٣،و قوله :«وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ:» الشوری:-٥٢.

فالهدایه کلها لله إما بلا واسطه أو بواسطه الهداه المهدیین من خلقه و علی هذا فمن أضله من خلقه بأن لم یهده بالواسطه و لا بلا واسطه فلا هادی له و ذلک قوله فی ذیل الآیه:« وَ مَنْ یُضْلِلِ اللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ »و سیأتی الجمله بعد عده آیات و هی متکرره فی کلامه تعالی.

قوله تعالی:« أَ فَمَنْ یَتَّقِی بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذٰابِ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ وَ قِیلَ لِلظّٰالِمِینَ ذُوقُوا مٰا کُنْتُمْ تَکْسِبُونَ »مقایسه بین أهل العذاب یوم القیامه و الآمنین منه و الفریقان هما أهل الضلال و أهل الهدی و لذا عقب الآیه السابقه بهذه الآیه.

و الاستفهام للإنکار و خبر« فَمَنْ »محذوف و التقدیر کمن هو فی أمن منه،و یوم القیامه متعلق بیتقی،و المعنی أ فمن یتقی بوجهه سوء العذاب یوم القیامه لکون یده التی بها کان یتقی المکاره مغلوله إلی عنقه کمن هو آمن من العذاب لا یصیبه مکروه.کذا قیل.

و قیل:الاتقاء بوجهه بالمعنی المذکور لا وجه له لأن الوجه لیس مما یتقی به بل المراد الاتقاء بکلیته أو بخصوص وجهه سوء عذاب یوم القیامه و یوم القیامه قید للعذاب و المراد عکس الوجه السابق،و المعنی أ فمن یتقی سوء العذاب الذی یوم القیامه فی الدنیا بتقوی الله کالمصر علی کفره،و لا یخلو من التکلف.

و قوله:« وَ قِیلَ لِلظّٰالِمِینَ ذُوقُوا مٰا کُنْتُمْ تَکْسِبُونَ »القول لملائکه النار،و الظاهر أن الجمله بتقدیر قد أو بدونه و الأصل و قیل لهم ذوقوا«إلخ»لکن وضع الظاهر موضع

الضمیر للدلاله علی عله الحکم و هی الظلم.

قوله تعالی:« کَذَّبَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَیْثُ لا یَشْعُرُونَ »أی من الجهه التی لا یحتسبون ففوجئوا و أخذوا علی غفله و هو أشد الأخذ،و فی الآیه و ما بعدها بیان لما أصاب بعض الکفار من عذاب الخزی لیکون عبره لغیرهم.

قوله تعالی:« فَأَذاقَهُمُ اللّهُ الْخِزْیَ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ لَعَذابُ الْآخِرَهِ أَکْبَرُ لَوْ کانُوا یَعْلَمُونَ » الخزی هو الذل و الصغار،و قد أذاقهم الله ذلک فی ألوان من العذاب أنزلنا علیهم کالغرق و الخسف و الصیحه و الرجفه و المسخ و القتل.

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فِی هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ » أی ضربنا لهم من کل نوع من الأمثال شیئا لعلهم یتنبهون و یعتبرون و یتعظون بتذکر ما تتضمنه.

قوله تعالی:« قُرْآناً عَرَبِیًّا غَیْرَ ذِی عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ » العوج الانحراف و الانعطاف،« قُرْآناً عَرَبِیًّا »منصوب علی المدح بتقدیر أمدح أو أخص و نحوه أو حال معتمد علی الوصف.

قوله تعالی:« ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِیهِ شُرَکاءُ مُتَشاکِسُونَ وَ رَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ یَسْتَوِیانِ »إلخ،قال الراغب: الشکس -بالفتح فالکسر-سیئ الخلق،و قوله:

« شُرَکاءُ مُتَشاکِسُونَ »أی متشاجرون لشکاسه خلقهم.انتهی و فسروا السلم بالخالص الذی لا یشترک فیه کثیرون.

مثل ضربه الله للمشرک الذی یعبد أربابا و آلهه مختلفین فیشترکون فیه و هم متنازعون فیأمره هذا بما ینهاه عنه الآخر و کل یرید أن یتفرد فیه و یخصه بخدمه نفسه، و للموحد الذی هو خالص لمخدوم واحد لا یشارکه فیه غیره فیخدمه فیما یرید منه من غیر تنازع یؤدی إلی الحیره فالمشرک هو الرجل الذی فیه شرکاء متشاکسون و الموحد هو الرجل الذی هو سلم لرجل.لا یستویان بل الذی هو سلم لرجل أحسن حالا من صاحبه.

و هذا مثل ساذج ممکن الفهم لعامه الناس لکنه عند المداقه یرجع إلی قوله

تعالی :«لَوْ کٰانَ فِیهِمٰا آلِهَهٌ إِلاَّ اللّٰهُ لَفَسَدَتٰا:» الأنبیاء:-۲۲ و عاد برهانا علی نفی تعدد الأرباب و الآلهه.

و قوله:« اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ »ثناء لله بما أن عبودیته خیر من عبودیه من سواه.

و قوله:« بَلْ أَکْثَرُهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ »مزیه عبادته علی عباده غیره علی ما له من الظهور التام لمن له أدنی بصیره.

قوله تعالی:« إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ ثُمَّ إِنَّکُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ عِنْدَ رَبِّکُمْ تَخْتَصِمُونَ » الآیه الأولی تمهید لما یذکر فی الثانیه من اختصامهم یوم القیامه عند ربهم و الخطاب فی « إِنَّکُمْ »للنبی ص و أمته أو المشرکین منهم خاصه و الاختصام -کما فی المجمع،- رد کل واحد من الاثنین ما أتی به الآخر علی وجه الإنکار علیه.

و المعنی:إن عاقبتک و عاقبتهم الموت ثم إنکم جمیعا یوم القیامه بعد ما حضرتم عند ربکم تختصمون و قد حکی مما یلقیه النبی ص «وَ قٰالَ الرَّسُولُ یٰا رَبِّ إِنَّ قَوْمِی اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً:» الفرقان:-۳۰.

و الآیتان عامتان بحسب لفظهما لکن الآیات الأربع التالیه تؤید أن المراد بالاختصام ما یقع بین النبی ص و بین الکافرین من أمته یوم القیامه.

قوله تعالی:« فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ کَذَبَ عَلَی اللّٰهِ وَ کَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جٰاءَهُ أَ لَیْسَ فِی جَهَنَّمَ مَثْویً لِلْکٰافِرِینَ »فی الآیه و ما بعدها مبادره إلی ذکر ما ینتهی إلیه أمر اختصامهم یوم القیامه و تلویح إلی ما هو نتیجه القضاء بینهم کأنه قیل:و نتیجه ما یقضی به بینکم معلومه الیوم و أنه من هو الناجی منکم،و من هو الهالک؟فإن القضاء یومئذ یدور مدار الظلم و الإحسان و لا أظلم من الکافر و المؤمن متق محسن و الظلم إلی النار و الإحسان إلی الجنه.هذا ما یعطیه السیاق.

فقوله:« فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ کَذَبَ عَلَی اللّٰهِ »أی افتری علیه بأن ادعی أن له شرکاء و الظلم یعظم بعظم من تعلق به و إذا کان هو الله سبحانه کان أعظم من کل ظلم و مرتکبه أظلم من کل ظالم.

و قوله:« وَ کَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جٰاءَهُ »المراد بالصدق الصادق من النبإ و هو الدین

الإلهی الذی جاء به الرسول بقرینه قوله:« إِذْ جٰاءَهُ ».

و قوله:« أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكٰافِرِينَ » المثوی اسم مکان بمعنی المنزل و المقام،و الاستفهام للتقریر أی إن فی جهنم مقام هؤلاء الظالمین لتکبرهم علی الحق الموجب لافترائهم علی الله و تکذیبهم بصادق النبإ الذی جاء به الرسول.

و الآیه خاصه بمشرکی عهد النبی ص أو بمشرکی أمته بحسب السیاق و عامه لکل من ابتدع بدعه و ترک سنه من سنن الدین.

قوله تعالی:« وَ الَّذِي جٰاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ »المراد بالمجیء بالصدق الإتیان بالدین الحق و المراد بالتصدیق به الإیمان به و الذی جاء به النبی ص.

و قوله:« أُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » لعل الإشاره إلی الذی جاء به بصیغه الجمع لکونه جمعا بحسب المعنی و هو کل نبی جاء بالدین الحق و آمن بما جاء به بل و کل مؤمن آمن بالدین الحق و دعی إلیه فإن الدعوه إلی الحق قولا و فعلا من شئون اتباع النبی،قال تعالی :«قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللّٰهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي:» یوسف:-۱۰۸.

قوله تعالی:« لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ جَزٰاءُ الْمُحْسِنِينَ »هذا جزاؤهم عند ربهم و هو أن لهم ما تتعلق به مشیتهم فالمشیه هناک هی السبب التام لحصول ما یشاؤه الإنسان أیا ما کان بخلاف ما علیه الأمر فی الدنیا فإن حصول شیء من مقاصد الحیاه فیها یتوقف-مضافا إلی المشیه-علی عوامل و أسباب کثیره منها السعی و العمل المستمد من الاجتماع و التعاون.

فالآیه تدل أولا علی إقامتهم فی دار القرب و جوار رب العالمین،و ثانیا أن لهم ما یشاءون فهذان جزاء المتقین و هم المحسنون فإحسانهم هو السبب فی إیتائهم الأجر المذکور و هذه هی النکته فی إقامه الظاهر مقام الضمیر فی قوله:« ذٰلِكَ جَزٰاءُ الْمُحْسِنِينَ » و کان مقتضی الظاهر أن یقال:و ذلک جزاؤهم.

و توصیفهم بالإحسان و ظاهره العمل الصالح أو الاعتقاد الحق و العمل الحسن جمیعا یشهد أن المراد بالتصدیق المذکور هو التصدیق قولا و فعلا.علی أن القرآن لا یسمی تارک بعض ما أنزله الله من حکم مصدقا به.

قوله تعالى:« لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُوا »إلى آخر الآيه و من المعلوم أنه إذا كفر أسوأ أعمالهم كفر ما دون ذلك،و المراد بأسوإ الذى عملوا ما هو كالشرك و الكبائر.

قال فى المجمع البيان،فى الآيه:أى أسقط الله عنهم عقاب الشرك و المعاصى التى فعلوها قبل ذلك بإيمانهم و إحسانهم و رجوعهم إلى الله تعالى انتهى و هو حسن من جهه تعميم الأعمال السيئه،و من جهه تقييد التكفير بكونه قبل ذلك بالإيمان و الإحسان و التوبه فإن الآيه تبين أثر تصديق الصدق الذى أتاهم و هو تكفير السيئات بالتصديق و الجزاء الحسن فى الآخره.

و قوله:« وَ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِى كانُوا يَعْمَلُونَ ».

قيل:المراد أنه ينظر إلى أعمالهم فيجازيهم فى أحسنها جزاءه اللائق به و فى غير الأحسن يجازيهم جزاء الأحسن فالباء للمقابله نحو بعت هذا بهذا.

و يمكن أن يقال:إن المراد أنه ينظر إلى أرفع أعمالهم درجه فيترفع درجتهم بحسبه فلا يضيع شىء مما هو آخر ما بلغه عملهم من الكمال لكن فى جريان نظير الكلام فى تكفير الأسوإ خفاء.

و قيل:صيغه التفضيل فى الآيه« أَسْوَأَ »و« بِأَحْسَنِ »مستعمله فى الزياده المطلقه من غير نظر إلى مفضل عليه فإن معصيه الله كلها أسوأ و طاعته كلها أحسن.

قوله تعالى:« أَ لَيْسَ اللّٰهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَ يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ »المراد بالذين من دونه آلهتهم من دون الله على ما يستفاد من السياق،و المراد بالعبد من مدحه الله تعالى فى الآيات السابقه و يشمل النبى ص شمولا أوليا.

و الاستفهام للتقرير و المعنى هو يكفيهم،و فيه تأمين للنبى ص قبال تخويفهم إياه بآلهتهم و كنايه عن وعده بالكفايه كما صرح به فى قوله :«فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّٰهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ:» البقره:-١٣٧.

قوله تعالى:« وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ وَ مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ »إلخ جملتان كالمتعاكستين مرسلتان إرسال الضوابط الكليه و لذا جىء فيهما باسم الجلاله

و كان من قبيل وضع الظاهر موضع الضمير.

و فى تعقيب قوله:« أَ لَيْسَ اللّهُ بِكافٍ »إلخ بقوله:« وَ مَنْ يُضْلِلِ »إلخ إشاره إلى أن هؤلاء المخوفين لا يهتدون بالإيمان أبدا و لن ينجح مسعاهم و أنهم لن ينالوا بغيتهم و لا أمنيتهم من النبى ص فإن الله لن يضله و قد هداه.

و قوله:« أَ لَيْسَ اللّهُ بِعَزِيزٍ ذِی انْتِقامٍ »استفهام للتقرير أی هو كذلك،و هو تعليل ظاهر لقوله:« وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ »إلخ فإن عزته و كونه ذا انتقام يقتضيان أن ينتقم ممن جحد الحق و أصر على كفره فيضله و لا هادى يهديه لأنه تعالى عزيز لا يغلبه فيما يريد غالب،و كذا إذا هدى عبدا من عباده لتقواه و إحسانه لم يقدر على إضلاله مضل.

و فى التعليل دلاله على أن الإضلال المنسوب إلى الله تعالى هو ما كان على نحو المجازاه و الانتقام دون الضلال الابتدائى و قد مر مرارا.

(بحث روائى)

عن روضه الواعظين،روى: أن النبى ص قرأ« أَ فَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ »فقال:إن النور إذا وقع فى القلب انفسح له و انشرح.

قالوا:يا رسول الله فهل لذلك علامه يعرف بها؟قال:التجافى عن دار الغرور،و الإنابه إلى دار الخلود،و الاستعداد للموت قبل نزول الموت.:

أقول:و رواه فى الدر المنثور،عن ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود و عن الحكيم الترمذى عن ابن عمر،و عن ابن جرير و غيره عن قتاده .

و فى تفسير القمى،:فى قوله تعالى:« أَ فَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ »الآيه-قال:نزلت فى أمير المؤمنين(ع).

أقول:و نزول السوره دفعه لا يلائمه كما مر فى نظيره.

و فى الدر المنثور،أخرج ابن جرير عن ابن عباس: قالوا:يا رسول الله لو حدثتنا فنزل:« اَللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ».

أقول:و هو من التطبيق.

ص :۲۶۲

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ »الآیه:

روی عن العباس بن عبد المطلب أن النبی ص قال: إذا اقشعر جلد العبد من خشیه الله-تحاتت (۱)عنه ذنوبه- کما یتحات عن الشجره الیابسه ورقها.

و فی الدر المنثور،:فی قوله تعالی:« قُرْآناً عَرَبِیًّا غَیْرَ ذِی عِوَجٍ »:

أخرج الدیلمی فی مسند الفردوس عن أنس عن النبی ص: فی قوله:« قُرْآناً عَرَبِیًّا غَیْرَ ذِی عِوَجٍ »قال:

غیر مخلوق.

أقول:الآیه تأبی عن الانطباق علی الروایه و قد تقدم کلام فی معنی الکلام فی ذیل قوله تعالی :«تِلْکَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ:» البقره:-۲۵۳ فی الجزء الثانی من الکتاب.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« وَ رَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ »:

روی الحاکم أبو القاسم الحسکانی بالإسناد عن علی أنه قال: أنا ذلک الرجل السلم لرسول الله ص.:

أقول:و رواه أیضا عن العیاشی بإسناده عن أبی خالد عن أبی جعفر(ع)

و هو من الجری و المثل عام.

و فیه،":فی قوله تعالی:« ثُمَّ إِنَّکُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ عِنْدَ رَبِّکُمْ تَخْتَصِمُونَ »قال ابن عمر:

کنا نری أن هذه فینا و فی أهل الکتابین-و قلنا:کیف نختصم نحن و نبینا واحد و کتابنا واحد،حتی رأیت بعضنا یضرب وجوه بعض بالسیف-فعلمت أنها فینا نزلت.

و قال أبو سعید الخدری":کنا نقول:إن ربنا واحد و نبینا واحد و دیننا واحد- فما هذه الخصومه؟فلما کان یوم صفین و شد بعضنا علی بعض بالسیوف-قلنا:نعم هو هذا".:

أقول:و روی فی الدر المنثور،الحدیث الأول بطرق مختلفه عن ابن عمر و فی ألفاظها اختلاف و المعنی واحد،و رواه أیضا عن عده من أصحاب الجوامع عن إبراهیم النخعی،و روی ما یقرب منه بطریقین عن الزبیر بن العوام،و روی الحدیث الثانی عن سعید بن منصور عن أبی سعید الخدری.

۱- ۱) أی تناثرت.

و الأحادیث تعارض ما روی أن الصحابه مجتهدون مأجورون إن أصابوا و إن أخطئوا.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« وَ اَلَّذِی جٰاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ »قیل:الذی جاء بالصدق محمد ص-و صدق به علی بن أبی طالب(ع)-و هو المروی عن أئمه الهدی من آل محمد ص.:

أقول:و رواه فی الدر المنثور،عن ابن مردویه عن أبی هریره،و الظاهر أنه من الجری نظرا إلی قوله فی ذیل الآیه« أُولٰئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ».

و روی من طرقهم:أن الذی صدق به أبو بکر و هو أیضا من تطبیق الراوی، روی:أن الذی جاء به جبرئیل و الذی صدق به محمد ص و هو أیضا تطبیق غیر أن السیاق یدفعه فإن الآیات مسوقه لوصف النبی ص و المؤمنین و جبرئیل أجنبی عنه لا تعلق للکلام به.

[سوره الزمر (۳۹): الآیات ۳۸ الی ۵۲]

اشاره

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ لَیَقُولُنَّ اَللّٰهُ قُلْ أَ فَرَأَیْتُمْ مٰا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ إِنْ أَرٰادَنِیَ اَللّٰهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ کٰاشِفٰاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرٰادَنِی بِرَحْمَهٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِکٰاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِیَ اَللّٰهُ عَلَیْهِ یَتَوَکَّلُ اَلْمُتَوَکِّلُونَ (۳۸) قُلْ یٰا قَوْمِ اِعْمَلُوا عَلیٰ مَکٰانَتِکُمْ إِنِّی عٰامِلٌ فَسَوْفَ تَع۳۹)Π...ȩĪř...ş...) مَنْ یَأْتِیهِ عَذٰابٌ یُخْزِیهِ وَ یَحِلُّ عَلَیْهِ عَذٰابٌ مُقِیمٌ (۴۰) إِنّٰا أَنْزَلْنٰا عَلَیْکَ اَلْکِتٰابَ لِلنّٰاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اِهْتَدیٰ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمٰا یَضِلُّ عَلَیْهٰا وَ مٰا أَنْتَ عَلَیْهِمْ بِوَکِیلٍ (۴۱) اَللّٰهُ یَتَوَفَّی اَلْأَنْفُسَ حِینَ مَوْتِهٰا وَ اَلَّتِی لَمْ تَمُتْ فِی مَنٰامِهٰا فَیُمْسِکُ اَلَّتِی قَضیٰ عَلَیْهَا اَلْمَوْتَ وَ یُرْسِلُ اَلْأُخْریٰ إِلیٰ أَجَلٍ مُسَمًّی إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ (۴۲) أَمِ اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ شُفَعٰاءَ قُلْ أَ وَ لَوْ کٰانُوا لاٰ یَمْلِکُونَ شَیْئاً وَ لاٰ یَعْقِلُونَ (۴۳) قُلْ لِلّٰهِ اَلشَّفٰاعَهُ جَمِیعاً لَهُ مُلْکُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (۴۴) وَ إِذٰا ذُکِرَ اَللّٰهُ وَحْدَهُ اِشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ اَلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ وَ إِذٰا ذُکِرَ اَلَّذِینَ مِنْ دُونِهِ إِذٰا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ (۴۵) قُلِ اَللّٰهُمَّ فٰاطِرَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ عٰالِمَ اَلْغَیْبِ وَ اَلشَّهٰادَهِ أَنْتَ تَحْکُمُ بَیْنَ عِبٰادِکَ فِی مٰا کٰانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ (۴۶) وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا مٰا فِی اَلْأَرْضِ جَمِیعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ اَلْعَذٰابِ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ وَ بَدٰا لَهُمْ مِنَ اَللّٰهِ مٰا لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُونَ (۴۷) وَ بَدٰا لَهُمْ سَیِّئٰاتُ مٰا کَسَبُوا وَ حٰاقَ بِهِمْ مٰا کٰانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ (۴۸) فَإِذٰا مَسَّ اَلْإِنْسٰانَ ضُرٌّ دَعٰانٰا ثُمَّ إِذٰا خَوَّلْنٰاهُ نِعْمَهً مِنّٰا قٰالَ إِنَّمٰا أُوتِیتُهُ عَلیٰ عِلْمٍ بَلْ هِیَ فِتْنَهٌ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ (۴۹) قَدْ قٰالَهَا اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمٰا أَغْنیٰ عَنْهُمْ مٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ (۵۰) فَأَصٰابَهُمْ سَیِّئٰاتُ مٰا کَسَبُوا وَ اَلَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْ هٰؤُلاٰءِ سَیُصِیبُهُمْ سَیِّئٰاتُ مٰا کَسَبُوا وَ مٰا هُمْ بِمُعْجِزِینَ (۵۱) أَ وَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ یَبْسُطُ اَلرِّزْقَ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یَقْدِرُ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۵۲)

(بیان)

فی الآیات کره أخری علی المشرکین بالاحتجاج علی توحده تعالی فی الربوبیه و أنه لا یصلح لها شرکاؤهم و أن الشفاعه التی یدعونها لشرکائهم لا یملکها إلا الله سبحانه و فیها أمور أخر متعلقه بالدعوه من موعظه و إنذار و تبشیر.

قوله تعالی:« وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ »إلی آخر الآیه شروع فی إقامه الحجه و قد قدم لها مقدمه تبتنی الحجه علیها و هی مسلمه عند الخصم و هی أن خالق العالم هو الله سبحانه فإن الخصم لا نزاع له فی أن الخالق هو الله وحده لا شریک له و إنما یدعی لشرکائه التدبیر دون الخلق.

و إذا کان الخلق إلیه تعالی فما فی السماوات و الأرض من عین و لا أثر إلا و ینتهی وجوده إلیه تعالی فما یصیب کل شیء من خیر أو شر کان وجوده منه تعالی و لیس لأحد أن یمسک خیرا یریده تعالی له أو یکشف شرا یریده تعالی له لأنه من الخلق و الإیجاد و لا شریک له تعالی فی الخلق و الإیجاد حتی یزاحمه فی خلق شیء أو یمنعه من خلق شیء أو یسبقه إلی خلق شیء و التدبیر نظم الأمور و ترتیب بعضها علی بعض خلق و إیجاد فالله الخالق لکل شیء کاف فی تدبیر أمر العالم لأنه الخالق لکل شیء و لیس وراء الخلق شیء حتی یتوهم استناده إلی غیره فهو الله رب کل شیء و إلهه لا رب سواه و لا إله غیره.

فقوله:« قُلْ أَ فَرَأَيْتُمْ مٰا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ »أی أقم الحجه علیهم بانیا لها علی هذه المقدمه المسلمه عندهم أن الله خالق کل شیء و قل مفرعا علیه أخبرونی عما تدعون من دون الله،و التعبیر عن آلهتهم بلفظه«ما»دون«من»و نحوه یفید تعمیم البیان للأصنام و أربابها جمیعا فإن الخواص منهم و إن قصروا العباده علی الأرباب من الملائکه

ص:۲۶۶

و غيرهم و اتخذوا الأصنام قبله و ذريعه إلى التوجه إلى أربابها لكن عامتهم ربما أخذوا الأصنام نفسها أربابا و آلهه يعبدونها و نتيجه الحجه عامه تشمل الجميع.

و قوله:« إِنْ أَرادَنِيَ اللّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِي بِرَحْمَهٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ »الضر كالمرض و الشده و نحوهما و ظاهر مقابلته الرحمه عمومه لكل مصيبه،و إضافه الضر و الرحمه إلى ضميره تعالى فى« كاشِفاتُ ضُرِّهِ »و« مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ » لحفظ النسبه لأن المانع من كشف الضر و إمساك الرحمه هو نسبتهما إليه تعالى.

و تخصيص الضر و الرحمه به(ص)من عموم الحجه له و لغيره لكونه المخاصم الأصيل لهم و قد خوفوه بآلهتهم من دون الله.

و إرجاع ضمير الجمع المؤنث إلى ما يدعونه من دون الله لتغليب جانب غير أولى العقل من الأصنام و هو يؤيد ما قدمناه فى قوله:« أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ » أن التعبير بما لتعميم الحجه للأصنام و أربابها.

و قوله:« قُلْ حَسْبِيَ اللّهُ »أمر بالتوكل عليه تعالى كما يدل عليه قوله بعده:

« عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ »و هو موضوع موضع نتيجه الحجه كأنه قيل:قل لهم:إنى اتخذت الله وكيلا لأن أمر تدبيرى إليه كما أن أمر خلقى إليه فهو فى معنى قولنا:فقد دلت الحجه على ربوبيته و صدقت ذلك عملا باتخاذه وكيلا فى أمورى.

و قوله:« عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ »تقديم الظرف على متعلقه للدلاله على الحصر أى عليه يتوكلون لا على غيره،و إسناد الفعل إلى الوصف من مادته للدلاله على كون المراد المتوكلين بحقيقه معنى التوكل ففى الجمله ثناء عليه تعالى بأنه الأهل للتوكل عليه يتوكل أهل البصيره فى التوكل فلا لوم على أن توكلت عليه و قلت:حسبى الله.

قوله تعالى:« قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ إلى قوله- عَذابٌ مُقِيمٌ » المكانه هى المنزله و القدر و هى فى المعقولات كالمكان فى المحسوسات فأمرهم بأن يعملوا على مكانتهم معناه أمرهم أن يستمروا على الحاله التى هم عليها من الكفر و العناد و الصد عن سبيل الله.

و قوله:« فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ »الظاهر أن« مَنْ »استفهاميه

لا موصوله لظهور العلم فيما يتعلق بالجمله لا بالمفرد.

و قوله:« وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذٰابٌ مُقِيمٌ »أی دائم و هو المناسب للحلول،و تفكيك أمر العذابين يشهد أن المراد بالأول عذاب الدنيا و بالثانی عذاب الآخره،و فی الكلام أشد التهديد.

و المعنى قل مخاطبا للمشركين من قومك:يا قوم اعملوا-مستمرين-على حالتكم التی أنتم عليها من الكفر و العناد إنی عامل-كما أومر غير منصرف عنه-فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يذله؟و هو عذاب الدنيا كما فی يوم بدر و يحل عليه و لا يفارقه عذاب دائم و هو عذاب الآخره.

قوله تعالى:« إِنّٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ الْكِتٰابَ لِلنّٰاسِ بِالْحَقِّ »إلى آخر الآيه.فی مقام التعليل للأمر الذی فی الآيه السابقه،و اللام فی قوله:« لِلنّٰاسِ »للتعليل أی لأجل الناس أن تتلوه عليهم و تبلغهم ما فيه،و الباء فی قوله:« بِالْحَقِّ »للملابسه أی ملابسا للحق لا يشوبه باطل.

و قوله:« فَمَنِ اهْتَدىٰ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمٰا يَضِلُّ عَلَيْهٰا »أی يتفرع على هذا الإنزال أن من اهتدى فإنما يعود نفعه من سعاده الحياه و ثواب الدار الآخره إلى نفسه،و من ضل و لم يهتد به فإنما يعود شقاؤه و وباله من عقاب الدار الآخره إلى نفسه فالله سبحانه أجل من أن ينتفع بهداهم أو يتضرر بضلالهم.

و قوله:« وَ مٰا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ »أی مفوضا إليه أمرهم قائما بتدبير شئونهم حتى توصل ما فيه من الهدى إلى قلوبهم.

و المعنى إنما أمرناك أن تهددهم بما قلنا لأنا نزلنا عليك الكتاب بالحق لأجل أن تقرأه على الناس لا غير فمن اهتدى منهم فإنما يعود نفعه إلى نفسه و من ضل و لم يهتد به فإنما يعود ضرره إلى نفسه و ما أنت وكيلا من قبلنا عليهم تدبر شئونهم فتوصل الهدى إلى قلوبهم فليس لك من الأمر شیء.

قوله تعالى:« اَللّٰهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهٰا »إلى آخر الآيه،قال فی المجمع،:

التوفی قبض الشیء على الإيفاء و الإتمام يقال:توفيت حقی من فلان و استوفيته بمعنى.

انتهى.تقديم المسند إليه فى الآيه يفيد الحصر أى هو تعالى المتوفى لها لا غير و إذا انضمت الآيه إلى مثل قوله تعالى :«قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ:» السجده:- ١١،و قوله :«حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا:» الأنعام:-٦١ أفادت معنى الأصاله و التبعيه أى إنه تعالى هو المتوفى بالحقيقه و ملك الموت و الملائكه الذين هم أعوانه أسباب متوسطه يعملون بأمره.

و قوله:« اَللّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها »المراد بالأنفس الأرواح المتعلقه بالأبدان لا مجموع الأرواح و الأبدان لأن المجموع غير مقبوض عند الموت و إنما المقبوض هو الروح يقبض من البدن بمعنى قطع تعلقه بالبدن تعلق التصرف و التدبير و المراد بموتها موت أبدانها إما بتقدير المضاف أو بنحو المجاز العقلى،و كذا المراد بمنامها.

و قوله:« وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها »معطوف على الأنفس فى الجمله السابقه، و الظاهر أن المنام اسم زمان و فى منامها متعلق بيتوفى و التقدير و يتوفى الأنفس التى لم تمت فى وقت نومها.

ثم فصل تعالى فى القول فى الأنفس المتوفاه فى وقت النوم فقال:« فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى »أى فيحفظ النفس التى قضى عليها الموت كما يحفظ النفس التى توفاها حين موتها و لا يردها إلى بدنها،و يرسل النفس الأخرى التى لم يقض عليها الموت إلى بدنها إلى أجل مسمى تنتهى إليه الحياه.

و جعل الأجل المسمى غايه للإرسال دليل على أن المراد بالإرسال جنسه بمعنى أنه يرسل بعض الأنفس إرسالا واحدا و بعضها إرسالا بعد إرسال حتى ينتهى إلى الأجل المسمى.

و يستفاد من الآيه أولا:أن النفس موجود مغاير للبدن بحيث تفارقه و تستقل عنه و تبقى بحيالها.

و ثانيا:أن الموت و النوم كلاهما توف و إن افترقا فى أن الموت توف لا إرسال بعده و النوم توف ربما كان بعده إرسال.

ثم تمم الآيه بقوله:« إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »فيتذكرون أن الله

سبحانه هو المدبر لأمرهم و أنهم إليه راجعون سيحاسبهم على ما عملوا.

قوله تعالى:« أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ شُفَعٰاءَ »إلخ« أَمِ »منقطعه أى بل اتخذ المشركون من دون الله شفعاء و هم آلهتهم الذين يعبدونهم ليشفعوا لهم عند الله سبحانه كما قال فى أول السوره:« مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِيُقَرِّبُونٰا إِلَى اللّٰهِ زُلْفىٰ » و قال :«يَقُولُونَ هٰؤُلاٰءِ شُفَعٰاؤُنٰا عِنْدَ اللّٰهِ:» يونس:-١٨.

و قوله:« قُلْ أَ وَ لَوْ كٰانُوا لاٰ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَ لاٰ يَعْقِلُونَ »أمر بأن يرده عليهم بالمناقشه فى إطلاق كلامهم فإن من البديهى أن الشفاعه تتوقف على علم فى الشفيع يعلم به ما يريد؟و ممن يريد؟و لمن يريد؟فلا معنى لشفاعه الجهاد الذى لا شعور له و كذا تتوقف على أن يملك الشفيع الشفاعه و يكون له حق أن يشفع و لا ملك لغير الله إلا أن يملكه الله شيئا و يأذن له فى التصرف فيه فقولهم بشفاعه أوليائهم مطلقا الشامل لما لا يملكونه و لا علم لهم بإذنه تعالى لهم فيها تخرص.

فالاستفهام فى« أَ وَ لَوْ كٰانُوا »إلخ للإنكار و المعنى قل لهم هل تتخذونهم شفعاء لكم و لو كانوا لا يملكون من عند أنفسهم شيئا كالملائكه و لا يعقلون شيئا كالأصنام؟فإنه سفه.

قوله تعالى:« قُلْ لِلّٰهِ الشَّفٰاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ »إلخ توضيح و تأكيد لما مر من قوله:« قُلْ أَ وَ لَوْ كٰانُوا لاٰ يَمْلِكُونَ شَيْئاً »و اللام فى« لِلّٰهِ »للملك، و قوله:« لَهُ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ »فى مقام التعليل للجمله السابقه،و المعنى كل شفاعه فإنها مملوكه لله فإنه المالك لكل شىء إلا أن يأذن لأحد فى شىء منها فيملكه إياها، و أما استغلال بعض عباده كالملائكه يملك الشفاعه مطلقا كما يقولون فمما لا يكون قال تعالى :«مٰا مِنْ شَفِيعٍ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ:» يونس:-٣.

و للآيه معنى آخر أدق إذا انضمت إلى مثل قوله تعالى :«لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لاٰ شَفِيعٌ:» الأنعام:-٥١ و هو أن الشفيع بالحقيقه هو الله سبحانه و غيره من الشفعاء لهم الشفاعه بإذن منه فقد تقدم فى بحث الشفاعه فى الجزء الأول من الكتاب أن الشفاعه ينتهى إلى توسط بعض صفاته تعالى بينه و بين المشفوع له لإصلاح حاله كتوسط الرحمه و المغفره بينه و بين عبده المذنب لإنجائه من وبال الذنب و تخليصه من العذاب.

و الفرق بين هذا الملك و ما فى الوجه السابق أن المالك لا يتصف بمملوكه فى الوجه

السابق كما فى ملك زيد للدار بخلاف الملك فى هذا الوجه فإن المالك فيه يتصف بمملوكه كملك زيد الشجاع لشجاعته.

و قوله:« ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »تعليل آخر لكونه يملك الشفاعه جميعا الدال على الحصر و ذلك أن الشفاعه إنما يملكها الذى ينتهى إليه أمر المشفوع له إن شاء قبلها و أصلح حال المشفوع له و أما غيره فإنما يملكها إذا رضى بها و أذن فيها و الله سبحانه هو الذى يرجع إليه العباد دون الذين يدعون من دون الله فالله هو المالك للشفاعه جميعا فقولهم بكون أوليائهم شفعاء لهم مطلقا ثم عبادتهم لهم كذلك بناء بلا مبنى يعتمد عليه.

و قيل:قوله:« ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »تهديد لهم كأنه قيل:ثم إليه ترجعون فتعلمون أنهم لا يشفعون لكم و يخيب سعيكم فى عبادتهم.

و قيل:يحتمل أن يكون تنصيصا على مالكيه الآخره التى فيها معظم نفع الشفاعه و إيماء إلى انقطاع الملك الصورى عما سواه تعالى،و الوجه ما قدمناه.

قوله تعالى:« وَ إِذٰا ذُكِرَ اللّٰهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ » إلخ المراد من ذكره تعالى وحده جعله مفردا بالذكر من غير ذكر آلهتهم و من مصاديقه قول لا إله إلا الله،و الاشمئزاز الانقباض و النفور عن الشىء.

و إنما ذكر من وصفهم عدم إيمانهم بالآخره لأن ذلك هو الأصل فى اشمئزازهم و لو كانوا مؤمنين بالآخره و أنهم يرجعون إلى الله فيجازيهم بأعمالهم عبدوه دون أوليائهم و لم يرغبوا عن ذكره وحده.

و قوله:« وَ إِذٰا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذٰا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ »المراد بالذين من دونه آلهتهم،و الاستبشار سرور القلب بحيث يظهر أثره فى الوجه.

قوله تعالى:« قُلِ اللّٰهُمَّ فٰاطِرَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ عٰالِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَهِ أَنْتَ تَحْكُمُ » إلخ لما بلغ الكلام مبلغا لا يرجى معه فيهم خير لنسيانهم أمر الآخره و إنكارهم الرجوع إليه تعالى حتى كانوا يشمئزون من ذكره تعالى وحده أمره(ص)أن يذكره تعالى وحده و يذكرهم حكمه بين عباده فيما اختلفوا فيه فى صوره الالتجاء إليه تعالى على ما فيه من الإقرار بالبعث و قد وصف الله تعالى بأنه فاطر السماوات و الأرض أى مخرجها من

کتم العدم إلی ساحه الوجود،و عالم الغیب و الشهاده فلا یخفی علیه شیء،و لازمه أن یحکم بالحق و ینفذ حکمه.

قوله تعالی:« وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا مٰا فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذٰابِ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ »إلخ المراد بالذین ظلموا هم الـذین ظلموا فی الدنیا فالفعل یفید مفاد الوصف،و الظالمون هم المنکرون للمعاد کما قال :«أَنْ لَعْنَهُ اللّٰهِ عَلَی الظّٰالِمِینَ الَّذِینَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ وَ یَبْغُونَهٰا عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ کٰافِرُونَ:» الأعراف:-۴۵.

و المعنی:و لو أن للظالمین المنکرین للمعاد ضعفی ما فی الأرض من أموال و ذخائر و کنوز لجعلوه فدیه من سوء العذاب.

و قوله:« وَ بَدٰا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ مٰا لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُونَ » البداء و البدو بمعنی الظهور و الحساب و الحسـبان العد،و الاحتساب الاعتداد بالشـیء بمعنی البنـاء علی عـده شیئا و کثیرا مـا یستعمل الحسـبان و الاحتسـاب بمعنی الظن کمـا قیل و منه قوله:« مٰا لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُونَ »أی ما لم یکونوا یظنون لکن فرق الراغب بین الحسبان و الظن حیث قال:

و الحسـبان أن یحکم لأحد النقیضـین من غیر أن یخطر الآخر بباله و یکون بعرض أن یعتریه فیه شک،و یقارب ذلک الظن لکن الظن أن یخطر النقیضین بباله فیغلب أحدهما علی الآخر.انتهی.

و مقتضـی سیاق الآیه أن المراد بیان أنهم سـیواجهون یوم القیامه أمورا علی صفه هی فوق ما تصوروه و أعظم و أهول مما خطر ببالهم لا أنهم یشاهـدون أمورا ما کانوا یعتقـدونها و یذعنون بها و بالجمله کانوا یسـمعون أن لله حسابا و وزنا للأعمال و قضاء و نارا و ألوانا من العذاب فیقیسون ما سـمعوه-علی إنکار منهم له-علی ما عهدوه من هذه الأمور فی الدنیا فلما شاهدوها إذ ظهرت لهم وجـدوها أعظم مما کان یخطر ببالهم من صـفتها فهذه الآیه فی وصف عذابه نظیر قوله فی وصف نعیم أهل الجنه :«فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ:» السجده:-۱۷.

و أیضا مقتضـی السـیاق أن البدو المذکور من قبیل الظهور بعد الخفاء و الانکشاف بعد الاسـتتار کما یشـیر إلیه قوله تعالی :«لَقَدْ کُنْتَ فِی غَفْلَهٍ مِنْ هٰذٰا فَکَشَفْنٰا عَنْکَ غِطٰاءَکَ فَبَصَرُکَ الْیَوْمَ حَدِیدٌ:» ق:-۲۲.

قوله تعالی:« وَ بَدٰا لَهُمْ سَیِّئٰاتُ مٰا کَسَبُوا »إلی آخر الآیه أی ظهر لهم سیئات

أعمالهم بعد ما كانت خفيه عليهم فهو كقوله :«يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ:» آل عمران:-٣٠.

و قوله:« وَ حٰاقَ بِهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ »أی و نزل عليهم و أصابهم ما كانوا يستهزءون به فی الدنيا إذا سمعوه من أولياء الدين من شدائد يوم القيامه و أهواله و أنواع عذابه.

قوله تعالی:« فَإِذٰا مَسَّ الْإِنْسٰانَ ضُرٌّ دَعٰانٰا ثُمَّ إِذٰا خَوَّلْنٰاهُ نِعْمَةً مِنّٰا قٰالَ إِنَّمٰا أُوتِيتُهُ عَلىٰ عِلْمٍ »إلخ الآيه فی مقام التعليل البيانی لما تقدم من وصف الظالمين و لذا صدرت بالفاء لتتفرع على ما تقدم تفرع البيان على المبين.

فهو تعالی لما ذكر من حالهم أنهم أعرضوا عن كل آيه داله على الحق و لم يصغوا إلى الحجج المقامه عليهم و لم يسمعوا موعظه و لم يعتدوا بعبره فجحدوا ربوبيته تعالی و أنكروا البعث و الحساب و بلغ بهم ذلک أن اشمأزت قلوبهم إذا ذكر الله وحده.

بين أن ذلک مما يستدعيه طبع الإنسان المائل إلى اتباع هوى نفسه و الاغترار بما زين له من نعم الدنيا و الأسباب الظاهريه الحافه بها فالإنسان حليف النسيان إذا مسه الضر أقبل إلى ربه و أخلص له و دعاه ثم إذا خوله ربه نعمه نسبه إلى علم نفسه و خبرته و نسی ربه و جهل أنها فتنه فتن بها.

فقوله:« فَإِذٰا مَسَّ الْإِنْسٰانَ ضُرٌّ »أی مرض أو شده« دَعٰانٰا »أی خصنا بالدعاء و انقطع عن غيرنا.

و قوله:« ثُمَّ إِذٰا خَوَّلْنٰاهُ نِعْمَةً مِنّٰا قٰالَ إِنَّمٰا أُوتِيتُهُ عَلىٰ عِلْمٍ » التخويل الإعطاء على نحو الهبه،و تقييد النعمه بقوله:« مِنّٰا »للدلاله على كون وصف النعمه محفوظا لها و المعنى خولناه نعمه ظاهرا كونها نعمه.

و ضمير« أُوتِيتُهُ »للنعمه بما أنه شیء أو مال و العنايه فی ذلک بالإشاره إلى أنه لا يعترف بكونها نعمه منا بل يقطعها عنا فيسميها شيئا أو مالا و نحوه و لا يسميها نعمه حتى يضطره ذلک إلى الاعتراف بمنعم و الإشاره إليه كما قال:« أُوتِيتُهُ »فصفح عن

الفاعل لذلك و التعبيران أعنى« نِعْمَةً مِنّا »« إِنَّما أُوتِيتُهُ »من لطيف تعبير القرآن، و قد وجهوا تذكير الضمير فى« أُوتِيتُهُ »بوجوه أخر غير موجهه من أرادها فليرجع إلى المفصلات.

و الملائم لسياق الآيه أن يكون معنى« عَلى عِلْمٍ »على علم منى أى أوتيت هذا الذى أوتيت على علم منى و خبره بطرق كسب المعاش و اقتناء الثروه و جمع المال.

و قيل:المراد إنما أوتيته على علم من الله بخير عندى أستحق به أن يؤتينى النعمه،و قيل:المراد على علم منى برضا الله عنى،و أنت خبير بأن ما تقدم من معنى قوله:« ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنّا قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ »لا يلائم شيئا من القولين.

و قوله:« بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ »أى بل النعمه التى خولناه منا فتنه أى ابتلاء و امتحان نمتحنه بذلك و لكن أكثرهم لا يعلمون بذلك.

و قيل:معناه بل تلك النعمه عذاب لهم،و قيل:المعنى بل هذه المقاله فتنه لهم يعاقبون عليها و الوجهان بعيدان سيما الأخير.

قوله تعالى:« قَدْ قالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا »ضمير« قَدْ قالَهَا »راجع إلى القول السابق باعتبار أنه مقاله أو كلمه.

و الآيه رد لقولهم و إثبات لكونها فتنه يمتحنون بها بأنهم لو أوتوها على علم منهم و اكتسبوها بحولهم و قوتهم لأغنى عنهم كسبهم و لم يصبهم سيئات ما كسبوا و حفظوها لأنفسهم و تنعموا بها و لم يهلكوا دونها و ليس كذلك فهؤلاء الذين قبلهم قالوا هذه المقاله فما أغنى عنهم كسبهم و أصابهم سيئات ما كسبوا.

و الظاهر أن الآيه تشير بقوله:« قَدْ قالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ »إلى قارون و أمثاله و قد حكى عنه قول« إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي »فى قصته من سوره القصص.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ ما هُمْ بِمُعْجِزِينَ » الإشاره بهؤلاء إلى قومه(ص)و المعنى أن هؤلاء الذين ظلموا من قومك سبيلهم سبيل من قبلهم سيصيبهم سيئات كسبهم و وبالات عملهم و ما هم بمعجزين لله.

قوله تعالى:« أَ وَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ »إلخ جواب آخر

عن قول القائل منهم:« إِنَّمٰا أُوتِيتُهُ عَلىٰ عِلْمٍ »و قد كان الجواب الأول« قَدْ قٰالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ »إلخ جوابا من طريق النقض و هذا جواب من طريق المعارضه بالإشاره إلى دلاله الدليل على أن الله سبحانه هو الذى يبسط الرزق و يقدر.

بيان ذلك:أن سعى الإنسان عن علم و إراده لتحصيل الرزق ليس سببا تاما موجبا لحصول الرزق و إلا لم يتخلف و من البين خلافه فكم من طالب رجع آيسا و ساع خاب سعيه.

فهناك علل و شرائط زمانيه و مكانيه و موانع مختلفه باختلاف الظروف خارجه عن حد الإحصاء إذا اجتمعت و توافقت أنتج ذلك حصول الرزق.

و ليس اجتماع هذه العلل و الشرائط على ما فيها من الاختلاف و التشتت و التفرق من ماده و زمان و مكان و مقتضيات أخر مرتبطه بها مقارنه أو متقدمه و علل العلل و مقدماتها الذاهبه إلى ما لا يحصى،اجتماعا و توافقا على سبيل الاتفاق فإن الاتفاق لا يكون دائميا و لا- أكثريا و قانون ارتزاق المرتزقين الشامل للموجودات الحيه بل المنبسط على أقطار العالم المشهود و أرجائه ثابت محفوظ فى نظام جار على ما فيه من السعه و الانبساط و لو انقطع لهلكت الأشياء لأول لحظه و من فورها.

و هذا النظام الجارى بوحدته و تناسب أجزائه و تلاؤمها يكشف عن وحدانيه ناظمه و فردانيه مدبره و مديره الخارج عن أجزاء العالم المحفوظه بنفس النظام الباقيه به و هو الله عز اسمه.

على أن النظام من التدبير و التدبير من الخلق كما مر مرارا فخالق العالم مدبره و مدبره رازقه و هو الله تعالى شأنه.

و يشير إلى هذا البرهان فى الآيه قوله:« لِمَنْ يَشٰاءُ »فإنه إذا كان بسط الرزق و قدره بمشيئته تعالى لم يكن بمشيئه الإنسان الذى يتبجح بعلمه و سعيه و لا بمشيئه شىء من العلل و الأسباب و إيجابه كما هو ظاهر و ليس من قبيل الاتفاق بل هو على نظام جار فهو بمشيئه جاعل النظام و مجريه و هو الله سبحانه.

و قد تقدم كلام فى معنى الرزق فى ذيل قوله تعالى :«وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشٰاءُ بِغَيْرِ حِسٰابٍ:» آل عمران:-۲۷ و سيأتى كلام فيه فى تفسير قوله :«فَوَ رَبِّ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مٰا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ:» الذاريات:-۲۳ إن شاء الله تعالى.

(بحث روائی)

فی التوحید،عن علی(ع)فی حدیث: و قد سأله رجل عما اشتبه علیه من الآیات قال:و أما قوله:« یَتَوَفّٰاکُمْ مَلَکُ الْمَوْتِ الَّذِی وُکِّلَ بِکُمْ »و قوله:« اَللّٰهُ یَتَوَفَّی الْأَنْفُسَ حِینَ مَوْتِهٰا »و قوله:« تَوَفَّتْهُ رُسُلُنٰا وَ هُمْ لاٰ یُفَرِّطُونَ »و قوله:« اَلَّذِینَ تَتَوَفّٰاهُمُ الْمَلاٰئِکَةُ ظٰالِمِی أَنْفُسِهِمْ »و قوله:« اَلَّذِینَ تَتَوَفّٰاهُمُ الْمَلاٰئِکَةُ طَیِّبِینَ یَقُولُونَ سَلاٰمٌ عَلَیْکُمْ »فإن الله تبارک و تعالی یدبر الأمر کیف یشاء-و یوکل من خلقه من یشاء بما یشاء-أما ملک الموت-فإن الله یوکله بخاصته ممن یشاء من خلقه-و یوکل رسله من الملائکه خاصه بمن یشاء من خلقه-.

و لیس کل العلم یستطیع صاحب العلم-أن یفسره لکل الناس-لأن فیهم القوی و الضعیف،و لأن منه ما یطاق حمله و منه ما لا یطاق حمله-إلا أن یسهل الله له حمله- و أعانه علیه من خاصه أولیائه.

و إنما یکفیک أن تعلم أن الله المحیی الممیت، و أنه یتوفی الأنفس علی یدی من یشاء من خلقه-من ملائکته و غیرهم.

و فی الخصال،عن علی(ع)فی حدیث الأربعمائه: لا ینام المسلم و هو جنب لا ینام إلا علی طهور-فإن لم یجد الماء فلیتیمم بالصعید-فإن روح المؤمن ترفع إلی الله تعالی- فیقبلها و یبارک علیها-فإن کان أجلها قد حضر جعلها فی کنوز رحمته-و إن لم یکن أجلها قد حضر-بعث بها مع أمنائه من ملائکته فیردونها فی جسده.

و فی المجمع،:روی العیاشی بالإسناد عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن ثابت عن أبی المقدام عن أبیه عن أبی جعفر(ع)قال: ما من أحد ینام إلا عرجت نفسه إلی السماء- و بقیت روحه فی بدنه-و صار بینهما سبب کشعاع الشمس-فإن أذن الله فی قبض الأرواح أجابت الروح النفس-و إن أذن الله فی رد الروح أجابت النفس الروح-و هو قوله سبحانه:

« اَللّٰهُ یَتَوَفَّی الْأَنْفُسَ حِینَ مَوْتِهٰا »الآیه-.

فمهما رأت فی ملکوت السموات فهو مما له تأویل-و ما رأت فیما بین السماء و الأرض- فهو مما یخیله الشیطان و لا تأویل له.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی حاتم و ابن مردویه عن سلیم بن عامر أن عمر بن الخطاب قال: العجب من رؤیا الرجل-أنه یبیت فیری الشیء لم یخطر له علی بال-فیکون رؤیاه کأخذ بالید-و یری الرجل الرؤیا فلا یکون رؤیاه شیئا-.

فقال علی بن أبی طالب:أ فلا أخبرک بذلک یا أمیر المؤمنین یقول الله تعالی:

«اَللّٰهُ یَتَوَفَّی الْأَنْفُسَ حِینَ مَوْتِهٰا وَ الَّتِی لَمْ تَمُتْ فِی مَنٰامِهٰا-فَیُمْسِکُ الَّتِی قَضیٰ عَلَیْهَا الْمَوْتَ- وَ یُرْسِلُ الْأُخْریٰ إِلیٰ أَجَلٍ مُسَمًّی» فالله یتوفی الأنفس کلها-فما رأت و هی عنده فی السماء فهی الرؤیا الصادقه،و ما رأت إذا أرسلت إلی أجسادها-تلقیها الشیاطین فی الهواء- فکذبتها و أخبرتها بالأباطیل-فعجب عمر من قوله.

أقول:تقدم تفصیل الکلام فی الرؤیا فی سوره یوسف و الرجوع إلیه یعین فی فهم معنی الروایتین،و قد أطلق فیهما السماء علی ما اصطلح علیه بعالم المثال الأعظم و ما بین السماء و الأرض علی ما اصطلح علیه بعالم المثال الأصغر فتبصر.

[سوره الزمر (۳۹): الآیات ۵۳ الی ۶۱]

اشاره

قُلْ یٰا عِبٰادِیَ اَلَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ یَغْفِرُ اَلذُّنُوبَ جَمِیعاً إِنَّهُ هُوَ اَلْغَفُورُ اَلرَّحِیمُ (۵۳) وَ أَنِیبُوا إِلیٰ رَبِّکُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَکُمُ اَلْعَذٰابُ ثُمَّ لاٰ تُنْصَرُونَ (۵۴) وَ اِتَّبِعُوا أَحْسَنَ مٰا أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ مِنْ رَبِّکُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَکُمُ اَلْعَذٰابُ بَغْتَهً وَ أَنْتُمْ لاٰ تَشْعُرُونَ (۵۵) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ یٰا حَسْرَتیٰ عَلیٰ مٰا فَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اَللّٰهِ وَ إِنْ کُنْتُ لَمِنَ اَلسّٰاخِرِینَ (۵۶) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اَللّٰهَ هَدٰانِی لَکُنْتُ مِنَ اَلْمُتَّقِینَ (۵۷) أَوْ تَقُولَ حِینَ تَرَی اَلْعَذٰابَ لَوْ أَنَّ لِی کَرَّهً فَأَکُونَ مِنَ اَلْمُحْسِنِینَ (۵۸) بَلیٰ قَدْ جٰاءَتْکَ آیٰاتِی فَکَذَّبْتَ بِهٰا وَ اِسْتَکْبَرْتَ وَ کُنْتَ مِنَ اَلْکٰافِرِینَ (۵۹) وَ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ تَرَی اَلَّذِینَ کَذَبُوا عَلَی اَللّٰهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّهٌ أَ لَیْسَ فِی جَهَنَّمَ مَثْویً لِلْمُتَکَبِّرِینَ (۶۰) وَ یُنَجِّی اَللّٰهُ اَلَّذِینَ اِتَّقَوْا بِمَفٰازَتِهِمْ لاٰ یَمَسُّهُمُ اَلسُّوءُ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ (۶۱)

(بيان)

فی الآيات أمره(ص)أن يـدعوهم إلی الإسـلام و اتباع ما أنزل الله و يحذرهم عما يستعقبه إسـرافهم علی أنفسـهم من الحسـره و الندامه يوم لا ينفعهم ذلک مع استکبارهم فی الدنيا علی الحق و الفوز و النجاه يومئذ للمتقين و النار و الخسـران للکافرين،و فی لسان الآيات من الرأفه و الرحمه ما لا يخفی.

قوله تعالی:« قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ » إلخ أمره(ص)أن يدعوهم من قبله و يناديهم بلفظه يا عبادی و فيه تـذکير بحجه الله سبحانه علی دعوتهم إلی عبادتهم و ترغيب لهم إلی استجابه الـدعوه أما التـذکير بالحجه فلأنه يشير إلی أنهم عباده و هـو مولاهم و من حـق المـولی علی عبـده أن يطيعه و يعبـده فله أن يـدعوه إلی طـاعته و عبـادته، و أما ترغيبهم إلی استجابه الدعوه فلما فيه من الإضافه إليه تعالی الباعث لهم إلی التمسک بذيل رحمته و مغفرته.

و قوله:« اَلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ » الإسـراف -علی ما ذکره الراغب-تجاوز الحـد فی کل فعل يفعله الإنسان و إن کان ذلک فی الإنفاق أشـهر،و کان الفعل مضـمن معنی الجنايه أو ما يقرب منها و لـذا عدی بعلی و الإسـراف علی النفس هو التعدی عليها باقتراف الذنب أعم من الشرک و سائر الذنوب الکبيره و الصغيره علی ما يعطيه السياق.

و قال جمع:إن المراد بالعباد المؤمنون و قد غلب استعماله فيهم مضافا إليه تعالی

فی القرآن فمعنی یا عِبَادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ أیها المؤمنون المذنبون.

و یدفعه أن قوله:« یا عِبَادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا »إلی تمام سبع آیات ذو سیاق واحد متصل یفصح عن دعوتهم و قوله فی ذیل الآیات:« بَلیٰ قَدْ جٰاءَتْکَ آیٰاتِی فَکَذَّبْتَ بِهٰا وَ اسْتَکْبَرْتَ »إلخ کالصریح أو هو صریح فی شمول العباد للمشرکین.

و ما ورد فی کلامه تعالی من لفظ« عِبَادِیَ »و المراد به المؤمنون بضعه عشر موردا جمیعها محفوفه بالقرینه و لیس بحیث ینصرف عند الإطلاق إلی المؤمنین کما أن الموارد التی أطلق فیها و أرید به الأعم من المشرک و المؤمن فی کلامه کذلک.

و بالجمله شمول« عِبَادِیَ »فی الآیه للمشرکین لا ینبغی أن یرتاب فیه،و القول بأن المراد به المشرکون خاصه نظرا إلی سیاق الآیات کما نقل عن ابن عباس أقرب إلی القبول من تخصیصه بالمؤمنین.

و قوله:« لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّٰهِ » القنوط الیأس،و المراد بالرحمه بقرینه خطاب المذنبین و دعوتهم هو الرحمه المتعلقه بالآخره دون ما هی أعم الشامله للدنیا و الآخره و من المعلوم أن الذی یفتقر إلیه المذنبون من شئون رحمه الآخره بلا واسطه هو المغفره فالمراد بالرحمه المغفره و لذا علل النهی عن القنوط من الرحمه بقوله:« إِنَّ اللّٰهَ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِیعاً ».

و فی الآیه التفات من التکلم إلی الغیبه حیث قیل:« إِنَّ اللّٰهَ یَغْفِرُ »و لم یقل:إنی أغفر و ذلک للإشاره إلی أنه الله الذی له الأسماء الحسنی و منها أنه غفور رحیم کأنه یقول لا تقنطوا من رحمتی فإنی أنا الله أغفر الذنوب جمیعا لأن الله هو الغفور الرحیم.

و قوله:« إِنَّ اللّٰهَ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِیعاً تعلیل للنهی عن القنوط و إعلام بأن جمیع الذنوب قابله للمغفره فالمغفره عامه لکنها تحتاج إلی سبب مخصص و لا تکون جزافا،و الذی عده القرآن سببا للمغفره أمران:الشفاعه (۱)و التوبه لکن لیس المراد فی قوله:« إِنَّ اللّٰهَ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِیعاً »المغفره الحاصله بالشفاعه لأن الشفاعه لا تنال

۱- ۱) و قد مر الکلام فیها فی مباحث الشفاعه فی الجزء الأول من الکتاب.

الشرک بنص القرآن فی آیات کثیره و قد مر أیضا أن قوله :«إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِکَ لِمَنْ یَشٰاءُ:» النساء:-۴۸ ناظر إلی الشفاعه و الآیه أعنی قوله:« إِنَّ اللّٰهَ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِیعاً »موردها الشرک و سائر الذنوب.

فلا یبقی إلا أن یکون المراد المغفره الحاصله بالتوبه و کلامه تعالی صریح فی مغفره الذنوب جمیعا حتی الشرک بالتوبه.

علی أن الآیات السبع-کما عرفت-کلام واحد ذو سیاق واحد متصل ینهی عن القنوط-و هو تمهید لما یتلوه-و یأمر بالتوبه و الإسلام و العمل الصالح و لیست الآیه الأولی کلاما مستقلا منقطعا عما یتلوه حتی یحتمل عدم تقیید عموم المغفره فیها بالتوبه و أی سبب آخر مفروض للمغفره.

و الآیه أعنی قوله:« إِنَّ اللّٰهَ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِیعاً »من معارک الآراء بینهم فقد ذهب قوم إلی تقیید عموم المغفره فیها بالشرک و سائر الکبائر التی وعد الله علیها النار مع عدم تقیید العموم بالتوبه فالمغفره لا تنال إلا الصغائر من الذنوب.

و ذهب آخرون إلی إطلاق المغفره و عدم تقیدها بالتوبه و لا بسبب آخر من أسباب المغفره غیر أنهم قیدوها بالشرک لصراحه قوله:« إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِکَ لِمَنْ یَشٰاءُ »الآیه فاستنتجوا عموم المغفره و إن لم یکن هناک سبب مخصص یرجح المذنب المغفور له علی غیره فی مغفرته کالتوبه و الشفاعه و هی المغفره الجزافیه و قد استدلوا علی (۱)ذلک بوجوه غیر سدیده.

و أنت خبیر بأن مورد الآیه هو الشرک و سائر الذنوب،و من المعلوم من کلامه تعالی أن الشرک لا یغفر إلا بالتوبه فتقید إطلاق المغفره فی الآیه بالتوبه مما لا مفر منه.

قوله تعالی:« وَ أَنِیبُوا إِلیٰ رَبِّکُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَکُمُ الْعَذٰابُ ثُمَّ لاٰ تُنْصَرُونَ » عطف علی قوله:« لاٰ تَقْنَطُوا »، و الإنابه إلی الله الرجوع إلیه و هو التوبه،و قوله:

۱- ۱) و قد استدل الآلوسی فی روح المعانی علی عدم تقید إطلاق المغفره فی الآیه بالتوبه بسبعه عشر وجها لا تغنی طائلا،و ناقش فی کون المغفره لا عن سبب مرجح من التوبه و غیرها منافیا للحکمه ثم قید الآیه بتقدیر«لمن یشاء»لوقوعه فی بعض القراءات غیر المشهوره فراجعه إن شئت.

« إِلىٰ رَبِّكُمْ »من وضع الظاهر موضع المضمر و كان مقتضى الظاهر أن يقال:و أنيبوا إليه و الوجه فيه الإشاره إلى التعليل فإن الملاك فى عباده الله سبحانه صفه ربوبيه.

و المراد بالإسلام التسليم لله و الانقياد له فيما يريد،و إنما قال:« وَ أَسْلِمُوا لَهُ »و لم يقل:و آمنوا به لأن المذكور قبل الآيه و بعدها استكبارهم على الحق و المقابل له الإسلام.

و قوله:« مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذٰابُ ثُمَّ لاٰ تُنْصَرُونَ »متعلق بقوله:« أَنِيبُوا و أَسْلِمُوا »و المراد بالعذاب عذاب الآخره بقرينه الآيات التاليه،و يمكن على بعد أن يراد مطلق العذاب الذى لا تقبل معه التوبه و منه عذاب الاستئصال قال تعالى :«فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمٰانُهُمْ لَمّٰا رَأَوْا بَأْسَنٰا سُنَّتَ اللّٰهِ الَّتِی قَدْ خَلَتْ فِی عِبٰادِهِ:» المؤمن:-٨٥.

و المراد بقوله:« ثُمَّ لاٰ تُنْصَرُونَ »أن المغفره لا تدرككم بوجه لعدم تحقق سببها فالتوبه مفروضه العدم و الشفاعه لا تشمل الشرك.

قوله تعالى:« وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذٰابُ بَغْتَةً وَ أَنْتُمْ لاٰ تَشْعُرُونَ »الخطاب عام للمؤمن و الكافر كالخطابات السابقه و القرآن قد أنزل إلى الفريقين جميعا.

و فى الآيه أمر باتباع أحسن ما أنزل من الله قيل:المراد به اتباع الأحكام من الحلال و الحرام دون القصص،و قيل:اتباع ما أمر به و نهى عنه كإتيان الواجب و المستحب و اجتناب الحرام و المكروه دون المباح،و قيل:الاتباع فى العزائم و هى الواجبات و المحرمات،و قيل:اتباع الناسخ دون المنسوخ، و قيل:ما أنزل هو جنس الكتب السماويه و أحسنها القرآن فاتباع أحسن ما أنزل و هو اتباع القرآن.

و الإنصاف أن قوله فى الآيه السابقه:« وَ أَسْلِمُوا لَهُ »يشمل مضمون كل من هذه الأقوال فحمل قوله:« وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ »على شىء منها لا يخلو عن تكرار من غير موجب.

و لعل المراد من أحسن ما أنزل الخطابات التى تشير إلى طريق استعمال حق العبوديه فى امتثال الخطابات الإلهيه الاعتقاديه و العمليه و ذلك كالخطابات الداعيه إلى ذكر الله تعالى بالاستغراق و إلى حبه و إلى تقواه حق تقاته و إلى إخلاص الدين له فإن

اتباع هـذه الخطابات یحیی الإنسان حیاه طیبه و ینفخ فیه روح الإیمان و یصـلح أعماله و یدخله فی ولایه الله تعالی و هی الکرامه لیست فوقها کرامه.

و قوله:« مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَکُمُ الْعَذابُ بَغْتَهً وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ »أنسب لهـذا المعنی فـإن الـدعوه إلی عمـل بـالتخویف من مفاجأه الحرمـان و مبـاغته المانع إنما تکون غالبا فیما یساهل المـدعو فی أمره و یطیب نفسه بسوف و لعل،و هـذا المعنی أمس بإصـلاح البـاطن منه بإصـلاح الظـاهر و الاتیـان بأجسـاد الأعمـال،و یقرب منه قوله تعـالی :«یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْتَجِیبُوا لِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاکُمْ لِما یُحْیِیکُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ:» الأنفال:-۲۴.

قوله تعالی:« أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ یا حَسْرَتی عَلی ما فَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اللّهِ »إلـخ قال فی المجمع،: التفریط إهمال ما یجب أن یتقـدم فیه حتی یفوت وقته،و قال: التحسر الاغتمام مما فات وقته لانحساره عنه بما لا یمکن استدراکه.انتهی.و قال الراغب:

الجنب الجارحه.قال:ثم یستعار فی الناحیه التی تلیها لعادتهم فی استعاره سائر الجوارح لذلک نحو الیمین و الشمال.انتهی.فجنب الله جانبه و ناحیته و هی ما یرجع إلیه تعالی مما یجب علی العبد أن یعامله و مصداق ذلک أن یعبده وحده و لا یعصیه و التفریط فی جنب الله التقصیر فی ذلک.

و قوله:« وَ إِنْ کُنْتُ لَمِنَ السّاخِرِینَ »« أَنْ »مخففه من الثقیله،و الساخرین اسم فاعل من سخر بمعنی استهزأ.

و معنی الآیه إنما نخاطبکم بهـذا الخطاب حـذر أن تقول أو لئلا تقول نفس منکم یا حسـرتا علی ما قصـرت فی جانب الله و إنی کنت من المستهزءین،و موطن القول یوم القیامه.

قوله تعالی:« أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللّهَ هَدانِی لَکُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِینَ »ضمیر تقول للنفس، و المراد بالهدایه الإرشاد و إراءه الطریق،و المعنی ظاهر و هو قطع للعذر.

قوله تعـالی:« أَوْ تَقُولَ حِینَ تَرَی الْعَذابَ لَوْ أَنَّ لِی کَرَّهً فَأَکُونَ مِنَ الْمُحْسِنِینَ »لو للتمنی و الکره الرجعه،و المعنی أو تقول نفس متمنیه حین تری العذاب یوم القیامه:

لیت لی رجعه إلی الدنیا فأکون من المحسنین.

قوله تعالى:« بَلىٰ قَدْ جٰاءَتْکَ آيٰاتِی فَکَذَّبْتَ بِهٰا وَ اسْتَکْبَرْتَ وَ کُنْتَ مِنَ الْکٰافِرِينَ » رد لها و جواب لخصوص قولها ثانيا:« لَوْ أَنَّ اللّٰهَ هَدٰانِی لَکُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ »و مواطن الجواب يوم القيامه كما أن موطن القول ذلک و لسياق الجواب شهاده عليه.

و قد فصل بين قولها و جوابه بقوله:« أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى »إلخ و لم يجب إلا عن قولها:« لَوْ أَنَّ اللّٰهَ هَدٰانِی »إلخ.

و الوجه فی الفصل أن الأقوال الثلاثه المنقوله عنها مرتبه على ترتيب صدورها عن المجرمين يوم القيامه فإذا قامت القيامه و رأى المجرمون أن اليوم يوم الجزاء بالأعمال و قد فرطوا فيها و فاتهم وقتها تحسروا على ما فرطوا و نادوا بالحسره على تفريطهم« يٰا حَسْرَتیٰ عَلىٰ مٰا فَرَّطْتُ »قال تعالى :«حَتّٰى إِذٰا جٰاءَتْهُمُ السّٰاعَةُ بَغْتَةً قٰالُوا يٰا حَسْرَتَنٰا عَلىٰ مٰا فَرَّطْنٰا فِيهٰا:» الأنعام:-٣١.

ثم إذا حوسبوا و أمر المتقون بدخول الجنه و قيل :«وَ امْتٰازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ:» يس:-٥٩ تعللوا بقولهم:« لَوْ أَنَّ اللّٰهَ هَدٰانِی لَکُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ».

ثم إذا أمروا بدخول النار فأوقفوا عليها ثم أدخلوا فيها تمنوا الرجوع إلى الدنيا ليحسنوا فيها فيسعدوا« أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذٰابَ لَوْ أَنَّ لِی کَرَّةً »قال تعالى :«وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النّٰارِ فَقٰالُوا يٰا لَيْتَنٰا نُرَدُّ وَ لاٰ نُکَذِّبَ بِآيٰاتِ رَبِّنٰا وَ نَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ:» الأنعام:-٢٧،و قال حاكيا عنهم :«رَبَّنٰا أَخْرِجْنٰا مِنْهٰا فَإِنْ عُدْنٰا فَإِنّٰا ظٰالِمُونَ:» المؤمنون:-١٠٧.

ثم لما نقل الأقوال على ما بينها من الترتيب أخذ فی الجواب و لو أخر القول المجاب عنه حتى يتصل بالجواب أو قدم الجواب حتى يتصل به اختل النظم (١)و قد خص قولهم الثانی:« لَوْ أَنَّ اللّٰهَ هَدٰانِی »إلخ بالجواب و أمسک عن جواب قولهم الأول و الثالث لأن فی الأول حديث استهزائهم بالحق و أهله و فی الثالث تمنيهم للرجوع إلى الدنيا و الله سبحانه يزجر هؤلاء يوم القيامه و يمنعهم أن يكلموه و لا يجيب عن كلامهم كما يشير إلى ذلک قوله :«قٰالُوا رَبَّنٰا غَلَبَتْ عَلَيْنٰا شِقْوَتُنٰا وَ کُنّٰا قَوْماً ضٰالِّينَ رَبَّنٰا

١- ١) و أصل الوجه مأخوذ من تفسير أبی السعود بإصلاح منا.

أَخْرِجْنٰا مِنْهٰا فَإِنْ عُدْنٰا فَإِنّٰا ظٰالِمُونَ قٰالَ اخْسَؤُا فِيهٰا وَ لاٰ تُكَلِّمُونِ إِنَّهُ كٰانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبٰادِی یَقُولُونَ رَبَّنٰا آمَنّٰا فَاغْفِرْ لَنٰا وَ ارْحَمْنٰا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرّٰاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتّٰى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِی وَ كُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّی جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمٰا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰائِزُونَ:» المؤمنون:-١١١.

قوله تعالى:« وَ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّٰهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَ لَيْسَ فِی جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ »الكذب على الله هو القول بأن له شريكا و أن له ولدا و منه البدعه فی الدين.

و سواد الوجه آيه الذله و هی جزاء تكبرهم و لذا قال:« أَ لَيْسَ فِی جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ ».

قوله تعالى:« وَ يُنَجِّی اللّٰهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفٰازَتِهِمْ لاٰ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ » الظاهر أن مفازه مصدر ميمی بمعنى الفوز و هو الظفر بالمراد،و الباء فی« بِمَفٰازَتِهِمْ » للملابسه أو السببيه فالفوز الذی يقضيه الله لهم اليوم سبب تنجيتهم.

و قوله:« لاٰ يَمَسُّهُمُ »إلخ بيان لتنجيتهم كأنه قيل:ينجيهم لا يمسهم السوء من خارج و لا هم يحزنون فی أنفسهم.

و للآيه نظر إلى قوله تعالى فی ذيل آيات سوره المؤمنون المنقوله آنفا:« إِنِّی جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمٰا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰائِزُونَ »فتدبر و لا تغفل.

(بحث روائی)

فی المجمع،عن أمير المؤمنين(ع)أنه قال: ما فی القرآن آيه أوسع من:« يٰا عِبٰادِیَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ »الآيه.:

أقول:و رواه فی الدر المنثور،عن ابن جرير عن ابن سيرين عنه(ع)

،و ستأتی إن شاء الله فی تفسير سوره الليل الروايه عنه(ع)أن قوله تعالى:« وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضىٰ »أرجى من هذه الآيه.

و فی الدر المنثور،أخرج أحمد و ابن جرير و ابن أبی حاتم و ابن مردويه و البيهقی

فی شعب الإیمان عن ثوبان قال:سمعت رسول الله ص یقول: ما أحب أن لی الدنیا و ما فیها بهذه الآیه«یٰا عِبٰادِیَ اَلَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ »إلی آخر.الآیه-فقال رجل:

یا رسول الله فمن أشرک»فسکت النبی ص ثم قال:إلا من أشرک.

أقول:فی الروایه شیء فقد تقدم أن مورد الآیه هو الشرک و أن الآیه مقیده بالتوبه.

و فیه،أخرج ابن أبی شیبه و مسلم عن أبی أیوب الأنصاری قال سمعت رسول الله ص یقول: لو لا أنکم تذنبون لخلق الله خلقا یذنبون فیغفر لهم.

أقول:ما فی الحدیث من المغفره لا یأبی التقید بأسباب المغفره کالتوبه و الشفاعه.

و فی الجمیع،:قیل:هذه الآیه یعنی قوله:«یٰا عِبٰادِیَ اَلَّذِینَ أَسْرَفُوا »إلخ-نزلت فی وحشی قاتل حمزه-حین أراد أن یسلم و خاف أن لا تقبل توبته-فلما نزلت الآیه أسلم-

فقیل:

یا رسول الله هذه له خاصه أم للمسلمین عامه؟فقال(ص):بل للمسلمین عامه.

و عن کتاب سعد السعود،لابن طاووس نقلا عن تفسیر الکلبی: بعث وحشی و جماعه إلی النبی ص-أنه ما یمنعنا من دینک إلا أننا سمعناک تقرأ فی کتابک-أن من یدعو مع الله إلها آخر-و یقتل النفس و یزنی یلق أثاما و یخلد فی العذاب-و نحن قد فعلنا ذلک کله فبعث إلیهم بقوله تعالی« إِلاّٰ مَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً »فقالوا:نخاف أن لا نعمل صالحا-.

فبعث إلیهم« إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ-وَ یَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِکَ لِمَنْ یَشٰاءُ »فقالوا نخاف أن لا ندخل فی المشیه. فبعث إلیهم«یٰا عِبٰادِیَ اَلَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ-لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِیعاً »فجاءوا و أسلموا-.

فقال النبی ص لوحشی قاتل حمزه:غیب وجهک عنی فإنی لا أستطیع النظر إلیک.قال:فلحق بالشام فمات فی الخمر.

أقول:و روی ما یقرب منه فی الدر المنثور،بعده طرق و فی بعضها أن قوله:

«یٰا عِبٰادِیَ اَلَّذِینَ أَسْرَفُوا »إلخ نزل فیه کما فی خبر المجمع،السابق،و یضعفه أن السوره مکیه و قد أسلم وحشی بعد الهجره.علی أن ظاهر الخبر عدم تقید إطلاق المغفره فی

الآیه بالتوبه و قد عرفت أن السیاق یأباه.

و قوله:فمات فی الخمر لعله بفتح الخاء و تشدید المیم موضع من أعراض المدینه و لعله من غلط الناس و الصحیح الحمص،و لعل المراد به موته عن شرب الخمر فإنه کان مدمن الخمر و قد جلد فی ذلک غیر مره ثم ترک.

و اعلم أن هناک روایات کثیره عن أئمه أهل البیت(ع)فی تطبیق هذه الآیات علی شیعتهم و تطبیق جنب الله علیهم و هی جمیعا من الجری دون التفسیر و لذا ترکنا إیرادها هاهنا.

[سوره الزمر (۳۹): الآیات ۶۲ الی ۷۵]

اشاره

اَللّٰهُ خٰالِقُ کُلِّ شَیْءٍ وَ هُوَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ وَکِیلٌ (۶۲) لَهُ مَقٰالِیدُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا بِآیٰاتِ اَللّٰهِ أُولٰئِکَ هُمُ اَلْخٰاسِرُونَ (۶۳) قُلْ أَ فَغَیْرَ اَللّٰهِ تَأْمُرُونِّی أَعْبُدُ أَیُّهَا اَلْجٰاهِلُونَ (۶۴) وَ لَقَدْ أُوحِیَ إِلَیْکَ وَ إِلَی اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِکَ لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ وَ لَتَکُونَنَّ مِنَ اَلْخٰاسِرِینَ (۶۵) بَلِ اَللّٰهَ فَاعْبُدْ وَ کُنْ مِنَ اَلشّٰاکِرِینَ (۶۶) وَ مٰا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ اَلْأَرْضُ جَمِیعاً قَبْضَتُهُ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ وَ اَلسَّمٰاوٰاتُ مَطْوِیّٰاتٌ بِیَمِینِهِ سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالیٰ عَمّٰا یُشْرِکُونَ (۶۷) وَ نُفِخَ فِی اَلصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِی اَلْأَرْضِ إِلاّٰ مَنْ شٰاءَ اَللّٰهُ ثُمَّ نُفِخَ فِیهِ أُخْریٰ فَإِذٰا هُمْ قِیٰامٌ یَنْظُرُونَ (۶۸) وَ أَشْرَقَتِ اَلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهٰا وَ وُضِعَ اَلْکِتٰابُ وَ جِیءَ بِالنَّبِیِّینَ وَ اَلشُّهَدٰاءِ وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لاٰ یُظْلَمُونَ (۶۹) وَ وُفِّیَتْ کُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمٰا یَفْعَلُونَ (۷۰) وَ سِیقَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا إِلیٰ جَهَنَّمَ زُمَراً حَتّٰی إِذٰا جٰاؤُهٰا فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا وَ قٰالَ لَهُمْ خَزَنَتُهٰا أَ لَمْ یَأْتِکُمْ رُسُلٌ مِنْکُمْ یَتْلُونَ عَلَیْکُمْ آیٰاتِ رَبِّکُمْ وَ یُنْذِرُونَکُمْ لِقٰاءَ یَوْمِکُمْ هٰذٰا قٰالُوا بَلیٰ وَ لٰکِنْ حَقَّتْ کَلِمَهُ اَلْعَذٰابِ عَلَی اَلْکٰافِرِینَ (۷۱) قِیلَ اُدْخُلُوا أَبْوٰابَ جَهَنَّمَ خٰالِدِینَ فِیهٰا فَبِئْسَ مَثْوَی اَلْمُتَکَبِّرِینَ (۷۲) وَ سِیقَ اَلَّذِینَ اِتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَی اَلْجَنَّهِ زُمَراً حَتّٰی إِذٰا جٰاؤُهٰا وَ فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا وَ قٰالَ لَهُمْ خَزَنَتُهٰا سَلاٰمٌ عَلَیْکُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهٰا خٰالِدِینَ (۷۳) وَ قٰالُوا اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِی صَدَقَنٰا وَعْدَهُ وَ أَوْرَثَنَا اَلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ اَلْجَنَّهِ حَیْثُ نَشٰاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ اَلْعٰامِلِینَ (۷۴) وَ تَرَی اَلْمَلاٰئِکَهَ حَافِّینَ مِنْ حَوْلِ اَلْعَرْشِ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِیلَ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۷۵)

(بیان)

فصل من الآیات به تختم السوره یذکر فیه خلاصه ما تنتجه الحجج المذکوره فیها قبل ذلک ثم یؤمر(ص)أن یخاطب المشرکین أن ما اقترحوا به علیه أن یعبد آلهتهم لیس إلا-جهلا-بمقامه تعالی و یذکر النبی ص ما أوحی إلیه و إلی الذین من قبله:لئن أشرکت لیحبطن عمله.

ص :۲۸۷

ثم یـذکر سـبحانه أن المشـرکین مـا عرفوه واجب معرفته و إلاـ لم یرتـابوا فی ربوبیته لهم و لاـ عبـدوا غیره ثم یـذکر تعالی نظام الرجوع إلیه و هو تدبیر جانب المعاد من الخلقه ببیان جامع کاف لا مزید علیه و یختم السوره بالحمد.

قوله تعالی:« اَللّٰهُ خٰالِقُ کُلِّ شَیْءٍ »هـذا هو الذی ذکر اعتراف المشـرکین به من قبل فی قوله :«وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ لَیَقُولُنَّ اللّٰهُ» Xالآیه۳۸-:X من ا سوره و بنی علیه استناد الأشیاء فی تدبیرها إلیه.

و الجمله فی المقام تمهیـد لما یـذکر بعـدها من کون التدبیر مسـتندا إلیه لما تقدم مرارا أن الخلق لا ینفک عن التدبیر فانتقل فی المقـام من اسـتناد الخلق إلیه إلی اختصاص الملک به و هو قوله:« لَهُ مَقٰالِیـدُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ »و من اختصاص الملک به إلی کونه هو الوکیل علی کل شیء القائم مقامه فی تدبیر أمره.

و قـد تقـدم فی ذیـل قوله :«ذٰلِکُمُ اللّٰهُ رَبُّکُمْ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ خٰالِقُ کُلِّ شَیْءٍ:» الأنعام:- ۱۰۲ فی الجزء السـابع من الکتاب کلام فی معنی عموم الخلقه لکل شیء.

قوله تعالی:« وَ هُوَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ وَکِیلٌ »و ذلک لأن انتهاء خلق کل شـیء وجوده إلیه یقتضی أن یکون تعالی هو المالک لکل شیء فلا یملک شـیء من الأشیاء لا نفسه و لا شیئا مما یترشح من نفسه إلا بتملیک الله تعالی،فهو لفقره مطلقا لا یملک تدبیرا و الله المالک لتدبیره.

و أمـا تملیکه تعـالی له نفسه و عمله فهو أیضـا نوع من تـدبیره تعـالی مؤکـد لملکه غیر نـاف و لا مناف من شـئون وکالته تعالی علیهم لا تفویض للأمر و إبطال للوکاله فافهم ذلک.

و بالجمله إذ کان کل شـیء من الأشـیاء لا یملک لنفسه شیئا کان سبحانه هو الوکیل علیه القائم مقامه المدبر لأمره و الأسباب و المسببات فی ذلک سواء فالله سبحانه هو ربها وحده.

فقـد تبین أن الجمله مسوقه للإشاره إلی توحده فی الربوبیه و هو المقصود بیانه فقول بعضـهم إن ذکر ذلک بعد قوله:« اَللّٰهُ خٰالِقُ کُلِّ شَیْءٍ »للدلاله علی أنه هو الغنی المطلق و أن المنافع و المضار راجعه إلی العباد،أو أن المراد أنه تعالی حفیظ علی کل شیء

فیکون إشاره إلی أن الأشیاء محتاجه إلیه فی بقائها کما أنها محتاجه إلیه فی حدوثها، أجنبی عن معنی الآیه بالمره.

قوله تعالی:« لَهُ مَقٰالِیدُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ »إلخ المقالید -کما قیل-بمعنی المفاتیح و لا مفرد له من لفظه.

و مفاتیح السماوات و الأرض مفاتیح خزائنها قال تعالی :«وَ لِلّٰهِ خَزٰائِنُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ:» المنافقون:-٧ و خزائنها غیبها الذی یظهر منه الأشیاء و النظام الجاری فیها فتخرج إلی الشهاده قال تعالی :«وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّٰ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاّٰ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ:» الحجر:-٢١.

و ملک مقالید السماوات و الأرض کنایه عن ملک خزائنها التی منها وجودات الأشیاء و أرزاقها و أعمارها و آجالها و سائر ما یواجهها فی مسیرها من حین تبتدئ منه تعالی إلی حین ترجع إلیه.

و هو أعنی قوله:« لَهُ مَقٰالِیدُ »إلخ فی مقام التعلیل لقوله:« وَ هُوَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ وَکِیلٌ »و لذا جیء به مفصولا من غیر عطف.

و قوله:« وَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیٰاتِ اللّٰهِ أُولٰئِکَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ »قد تقدم أن قوله:

« اَللّٰهُ خٰالِقُ کُلِّ شَیْءٍ إلی قوله- وَ الْأَرْضِ »ذکر خلاصه ما تفیده الحجج المذکوره فی خلال الآیات السابقه،و علیه فقوله:« وَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیٰاتِ اللّٰهِ »إلخ معطوف علی قوله:« اَللّٰهُ خٰالِقُ کُلِّ شَیْءٍ »و المعنی الذی تدل علیه الآیات و الحجج المتقدمه أن الله سبحانه خالق فمالک فوکیل علی کل شیء أی متوحد فی الربوبیه و الألوهیه و الذین کفروا بآیات ربهم فلم یوحدوه و لم یعبدوه أولئک هم الخاسرون.

و قد اختلفوا فیما عطف علیه قوله:« وَ الَّذِینَ کَفَرُوا »إلخ فذکروا فیه وجوها مختلفه کثیره لا جدوی فیها من أرادها فلیرجع إلی المطولات.

قوله تعالی:« قُلْ أَ فَغَیْرَ اللّٰهِ تَأْمُرُونِّی أَعْبُدُ أَیُّهَا الْجٰاهِلُونَ »لما أورد سبحانه خلاصه ما تنطق به الحجج المذکوره فی السوره من توحده تعالی بالخلق و الملک و التدبیر

و لازم ذلک توحده تعالی فی الربوبیه و الألوهیه أمر نبیه ص أن یخاطب المشرکین المقترحین علیه أن یعبد آلهتهم أنه لا یبقی مع هذه الحجج الباهره الظاهره محل لعبادته غیر الله و إجابه اقتراحهم و هل هی إلا الجهل.

فقوله:« أَ فَغَیْرَ اللّٰهِ تَأْمُرُونِّی أَعْبُدُ »الفاء لتفریع مضمون الجمله علی قوله:« اَللّٰهُ خٰالِقُ کُلِّ شَیْءٍ »إلی آخر الآیتین،و الاستفهام إنکاری،و« فَغَیْرَ اللّٰهِ »مفعول « أَعْبُدُ »قدم علیه لتعلق العنایه به،و« تَأْمُرُونِّی »معترض بین الفعل و مفعوله و أصله تأمروننی أدغمت فیه إحدی النونین فی الأخری.

و قوله:« أَیُّهَا الْجٰاهِلُونَ »خطابهم بصفه الجهل للإشاره إلی أن أمرهم إیاه بعباده غیر الله و اقتراحهم بذلک مع ظهور آیات وحدته فی الربوبیه و الألوهیه لیس إلا جهلا منهم.

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ أُوحِیَ إِلَیْکَ وَ إِلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکَ لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ »إلخ فیه تأیید لمدلول الحجج العقلیه المذکوره بالوحی کأنه قیل:لا تعبد غیر الله فإنه جهل و کیف یسوغ لک أن تعبده و قد دل الوحی علی النهی عنه کما دل العقل علی ذلک.

فقوله:« وَ لَقَدْ أُوحِیَ إِلَیْکَ »اللام للقسم،و قوله:« لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ » بیان لما أوحی إلیه،و تقدیر الکلام و أقسم لقد أوحی إلیک لئن أشرکت«إلخ»و إلی الذین من قبلک من الأنبیاء و الرسل لئن أشرکتم لیحبطن عملکم و لتکونن من الخاسرین.

و خطاب النبی ص و سائر الأنبیاء(ع)بالنهی عن الشرک و إنذارهم بحبط العمل و الدخول فی زمره الخاسرین خطاب و إنذار علی حقیقه معناهما کیف؟و غرض السوره-کما تقدمت الإشاره إلیه-بیان أن النبی ص مأمور بالإیمان بما یدعو المشرکین إلی الإیمان به مکلف بما یکلفهم و لا یسعه أن یجیبهم إلی ما یقترحون به علیه من عباده آلهتهم.

و أما کون الأنبیاء معصومین بعصمه إلهیه یمتنع معها صدور المعصیه عنهم فلا یوجب ذلک سقوط التکلیف عنهم و عدم صحه توجهه إلیهم و لو کان کذلک لم تتصور فی حقهم معصیه کسائر من لا تکلیف علیه فلم یکن معنی لعصمتهم.

على أن العصمه-و هى قوه يمتنع معها صدور المعصيه-من شئون مقام العلم-كما تقدمت الإشاره إليه فى تفسير قوله تعالى :«وَ مٰا يُضِلُّونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ:» النساء:-١١٣-لا تنافى ثبوت الاختيار الذى هو من شئون مقام العمل و صحه صدور الفعل و الترک عن الجوارح.

فمنع العلم القطعى بمفسده شىء منعا قطعيا عن صدوره عن العالم به کمنع العلم بأثر السم عن شربه لا ينافى كون العالم بذلک مختارا فى الفعل لصحه صدوره و لا صدوره عن جوارحه فالعصمه لا تنافى بوجه التكليف.

و مما تقدم يظهر ضعف ما يستفاد من بعضهم أن نهيه(ص)عن الشرک و نحوه نهى صورى و المراد به نهى أمته فهو من قبيل«إياک أعنى و اسمعى يا جاره».

و وجه الضعف ظاهر مما تقدم،و أما قولنا كما ورد فى بعض الروايات أن هذه الخطابات القرآنيه من قبيل«إياک أعنى و اسمعى يا جاره»فمعناه أن التكليف لما كان من ظاهر أمره أن يتعلق بمن يجوز عليه الطاعه و المعصيه فلو تعلق بمن ليس منه إلا الطاعه مع مشاركه غيره له كان ذلک تكليفا على وجه أبلغ كالكنايه التى هى أبلغ من التصريح.

و قوله:« وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخٰاسِرِينَ »ظهر معناه مما تقدم و يمكن أن يكون اللام فى الخاسرين مفيدا للعهد،و المعنى و لتكونن من الخاسرين الذين كفروا بآيات الله و أعرضوا عن الحجج الداله على وحدانيته.

قوله تعالى:« بَلِ اللّٰهَ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشّٰاكِرِينَ »إضراب عن النهى المفهوم من سابق الكلام كأنه قيل فلا تعبد غير الله بل الله فاعبد،و تقديم اسم الجلاله للدلاله على الحصر.

و الفاء فى« فَاعْبُدْ »زائده للتأكيد على ما قيل،و قيل:هى فاء الجزاء و قد حذف شرطه و التقدير بل إن كنت عابدا أو عاقلا فاعبد الله.

و قوله:« وَ كُنْ مِنَ الشّٰاكِرِينَ »أى و كن بعبادتک له من الذين يشكرونه على نعمه الداله على توحده فى الربوبيه و الألوهيه،و قد تقدم فى تفسير قوله تعالى :«وَ سَيَجْزِي اللّٰهُ الشّٰاكِرِينَ:» آل عمران:-١٤۴ و قوله :«وَ لاٰ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شٰاكِرِينَ:» الأعراف:-١٧

أن مصداق الشاكرين بحقيقه معنى الكلمه هم المخلصون بفتح اللام فراجع.

قوله تعالى:« وَ مٰا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ »إلى آخر الآيه قدر الشیء هو مقداره و كميته من حجم أو عدد أو وزن و ما أشبه ذلک ثم أستعير للمعنويات من المكانه و المنزله.

فقوله:« وَ مٰا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ »تمثيل أريد به عدم معرفتهم به تعالى واجب المعرفه إذ لم يعرفوه من حيث المعاد و رجوع الأشياء إليه كما يدل عليه تعقيب الجمله بقوله:« وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ »إلى آخر السوره حيث ذكر فيه انقطاع كل سبب دونه يوم القيامه،و قبضه الأرض و طيه السماوات و نفخ الصور لإماته الكل ثم لإحيائهم و إشراق الأرض بنور ربها و وضع الكتاب و المجیء بالنبيين و الشهداء و القضاء و توفيه كل نفس ما عملت و سوق المجرمين إلى النار و المتقين إلى الجنه فمن كان شأنه فی الملک و التصرف هذا الشأن و عرف بذلک أوجبت هذه المعرفه الإقبال إليه بعبادته وحده و الإعراض عن غيره بالكليه.

لكن المشركين لما لم يؤمنوا بالمعاد و لم يقدروه حق قدره و لم يعرفوه واجب معرفته أعرضوا عن عبادته إلى عباده من سواه.

و قوله:« وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ »أی الأرض بما فيها من الأجزاء و الأسباب الفعاله بعضها فی بعض، و القبضه مصدر بمعنى المقبوضه،و القبض على الشیء و كونه فی القبضه كنايه عن التسلط التام عليه أو انحصار التسلط عليه فی القابض و المراد هاهنا المعنى الثانی كما يدل عليه قوله تعالى :«وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ:» الانفطار:-١٩ و غيره من الآيات.

و قد مر مرارا أن معنى انحصار الملک و الأمر و الحكم و السلطان و غير ذلک يوم القيامه فيه تعالى ظهور ذلک لأهل الجمع يومئذ و إلا فهی له تعالى دائما فمعنى كون الأرض جميعا قبضته يوم القيامه ظهور ذلک يومئذ للناس لا أصله.

و قوله:« وَ السَّمٰاوٰاتُ مَطْوِيّٰاتٌ بِيَمِينِهِ » يمين الشیء يده اليمنى و جانبه القوى و يكنى بها عن القدره،و يستفاد من السياق أن محصل الجملتين أعنى قوله:« وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ وَ السَّمٰاوٰاتُ مَطْوِيّٰاتٌ بِيَمِينِهِ »تقطع الأسباب الأرضيه و السماويه و سقوطها و ظهور أن لا مؤثر فی الوجود إلا الله سبحانه.

ص :٢٩٢

و قوله:« سُبْحانَهُ وَ تَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ »تنزيه له تعالى عما أشركوا غيره فى ربوبيته و ألوهيته فنسبوا تدبير العالم إلى آلهتهم و عبدوها.

قوله تعالى:« وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاّٰ مَنْ شٰاءَ اللّٰهُ »إلخ ظاهر ما ورد فى كلامه تعالى فى معنى نفخ الصور أن النفخ نفختان نفخه للإماته و نفخه للإحياء،و هو الذى تدل عليه روايات أئمه أهل البيت(ع) و بعض ما ورد من طرق أهل السنه عن النبى ص و إن كان بعض آخر من رواياتهم لا يخلو عن إبهام و لذا اختار بعضهم أنها ثلاث نفخات نفخه للإماته و نفخه للإحياء و البعث و نفخه للفزع و الصعق و قال بعضهم:إنها أربع نفخات و لكن دون إثبات ذلك من ظواهر الآيات خرط القتاد.

و لعل انحصار النفخ فى نفختى الإماته و الإحياء هو الموجب لتفسيرهم الصعق فى النفخه الأولى بالموت مع أن المعروف من معنى الصعق الغشيه،قال فى الصحاح،:يقال:

صعق الرجل صعقا و تصاعقا أى غشى عليه و أصعقه غيره،ثم قال:و قوله تعالى:

« فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ »أى مات.انتهى.

و قوله:« إِلاّٰ مَنْ شٰاءَ اللّٰهُ »استثناء من أهل السماوات و الأرض و اختلف فى من هم؟ فقيل:هم جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل ساده الملائكه فإنهم إنما يموتون بعد ذلك،و قيل:هم هؤلاء الأربعه و حمله العرش،و قيل:هم رضوان و الحور و مالك و الزبانيه،و قيل:و هو أسخف الأقوال:إن المراد بمن شاء الله هو الله سبحانه.و أنت خبير بأن شيئا من هذه الأقاويل لا يستند إلى دليل من لفظه الآيات يصح الاستناد إليه.

نعم لو تصور لله سبحانه خلق وراء السماوات و الأرض جاز استثناؤهم من أهلهما استثناء منقطعا أو قيل:إن الموت إنما يلحق الأجساد بانقطاع تعلق الأرواح بها و أما الأرواح فإنها لا تموت فالأرواح هم المستثنون استثناء متصلا و يؤيد هذا الوجه بعض الروايات المرويه عن أئمه أهل البيت(ع).[(1)]

1- 1) و هو ما ورد فى قوله تعالى:«لمن الملك اليوم»المؤمن:16 أن الجواب بقوله:«لله الواحد القهار»من أرواح الأنبياء و غير ذلك من الروايات.

و قوله:« ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرىٰ فَإِذٰا هُمْ قِيٰامٌ يَنْظُرُونَ »ضمير« فِيهِ »للصور،و « أُخْرىٰ »صفه محذوف موصوفها أی نفخه أخری،و قیام جمع قائم و« يَنْظُرُونَ » أی ینتظرون أو من النظر بمعناه المعروف.

و المعنی:و نفخ فی الصور نفخه أخری فإذا هم قائمون من قبورهم ینتظرون ما یؤمرون أو ینتظرون ما ذا یفعل بهم أو فإذا هم قائمون ینظرون نظر المبهوت المتحیر.

و لا ینافی ما فی هذه الآیه من کونهم بعد النفخ قیاما ینظرون ما فی قوله :«وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذٰا هُمْ مِنَ الْأَجْدٰاثِ إِلىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ:» یس:-۵۱ أی یسرعون،و قوله :«يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوٰاجاً:» النبأ:-۱۸،و قوله :«وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ:» النمل:-۸۷ فإن فزعهم بالنفخ و إسراعهم فی المشی إلی عرصه المحشر و إتیانهم إلیها أفواجا کقیامهم ینظرون حوادث متقارنه لا یدفع بعضها بعضا.

قوله تعالی:« وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهٰا »إلی آخر الآیه إشراق الأرض إضاءتها،و النور معروف المعنی و قد استعمل النور فی کلامه تعالی فی النور الحسی کثیرا و أطلق أیضا علی الإیمان و علی القرآن بعنایه أن کلا منهما یظهر للمتلبس به ما خفی علیه لولاه قال تعالی :«اللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَى النُّورِ:» البقره:-۲۵۷، و قال :«فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنٰا:» التغابن:-۸.

و قد اختلفوا فی معنی إشراق الأرض بنور ربها فقیل:إنها تضیء بنور یخلقه الله بلا واسطه أجسام مضیئه کالشمس و القمر و إضافته إلیه تعالی من قبیل روحی و « نٰاقَةُ اللّٰهِ ».

و فیه أنه لا یستند إلی دلیل یعتمد علیه.

و قیل:المراد به تجلی الرب تعالی لفصل القضاء کما ورد فی بعض الأخبار من طرق أهل السنه.

و فیه أنه علی تقدیر صحه الروایه لا یدل علی المدعی.

و قیل:المراد به إضاءه الأرض بعدل ربها یوم القیامه لأن نور الأرض بالعدل کما أن نور العلم بالعمل.

و فيه أن صحه استعاره النور للعدل فی نفسه لا تستلزم کون المراد بالنور فی الآیه هو العدل إلا بدليل يدل عليه و لم يأت به.

و فی الکشاف،قد استعار الله عز و جل النور للحق و البرهان فی مواضع من التنزيل و هذا من ذاک،و المعنی و أشرقت الأرض بما يقيمه فيها من الحق و العدل و يبسطه من القسط فی الحساب و وزن الحسنات و السيئات.

و ينادی عليه بأنه مستعار إضافته إلی اسمه لأنه هو الحق العدل،و إضافه اسمه إلی الأرض لأنه يزينها حيث ينشر فيها عدله و ينصب فيها موازين قسطه و يحكم بالحق بين أهلها،و لا تری أزين للبقاع من العدل و لا أعمر لها منه،و فی هذه الإضافه أن ربها و خالقها هو الذی يعدل فيها و إنما يجور فيها غير ربها،ثم ما عطف علی إشراق الأرض من وضع الکتاب و المجیء بالنبيين و الشهداء و القضاء بالحق و هو النور المذکور،و تری الناس يقولون للملک العادل:أشرقت الآفاق بعدلک و أضاءت الدنيا بقسطک کما تقول أظلمت البلاد بجور فلان

قال رسول الله ص: الظلم ظلمات يوم القيامه و کما فتح الآیه بإثبات العدل ختمها بنفی الظلم.انتهی.

و فيه أولا:أن قوله إن النور مستعار فی مواضع کثيره من القرآن للحق و القرآن و البرهان فاستعارته للحق و البرهان غير ظاهر فی شیء من الآيات.

و ثانيا:أن الحق و العدل مفهومان متغايران و إن کانا ربما يتصادقان و کون النور فی الآیه مستعارا للحق لا يستلزم کون العدل مرادا به،و لذا لما أراد بيان إراده العدل من النور ذکر الحق مع العدل ثم استنتج للعدل دون الحق.

و لا يبعد أن يراد-و الله أعلم-من إشراق الأرض بنور ربها ما هو خاصه يوم القيامه من انکشاف الغطاء و ظهور الأشياء بحقائقها و بدو الأعمال من خير أو شر أو طاعه أو معصيه أو حق أو باطل للناظرين،و إشراق الشیء هو ظهوره بالنور و لا ريب أن مظهرها يومئذ هو الله سبحانه إذ الأسباب ساقطه دونه فالأشياء مشرقه بنور مکتسب منه تعالی.

و هذا الإشراق و إن کان عاما لکل شیء يسعه النور لکن لما کان الغرض بيان ما للأرض و أهله يومئذ من الشأن خصها بالبيان فقال:« وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهٰا »

و ذکره تعالی بعنوان ربوبیه الأرض تعریضا للمشرکین المنکرین لربوبیته تعالی للأرض و ما فیها.

و المراد بالأرض مع ذلک الأرض و ما فیها و ما یتعلق بها کما تقدم أن المراد بالأرض فی قوله:« وَ الْأَرْضُ جَمِیعاً قَبْضَتُهُ »ذلک.

و یستفاد ما قدمناه من مواضع کثیره من کلامه تعالی کقوله تعالی :«لَقَدْ کُنْتَ فِی غَفْلَهٍ مِنْ هٰذٰا فَکَشَفْنٰا عَنْکَ غِطٰاءَکَ فَبَصَرُکَ الْیَوْمَ حَدِیدٌ:» ق:-۲۲ و قوله :«یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ:» آل عمران:-۳۰،و قوله :

«یَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحیٰ لَهٰا یَوْمَئِذٍ یَصْدُرُ النّٰاسُ أَشْتٰاتاً لِیُرَوْا أَعْمٰالَهُمْ فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ:» الزلزال:-۸ و آیات أخری کثیره تدل علی ظهور الأعمال و تجسمها و شهاده الأعضاء و غیر ذلک.

و قوله:« وَ وُضِعَ الْکِتٰابُ »قیل:المراد به الحساب و هو کما تری و قیل:المراد به صحائف الأعمال التی یحاسب علیها و یقضی بها،و قیل:المراد به اللوح المحفوظ و یؤیده قوله تعالی :«هٰذٰا کِتٰابُنٰا یَنْطِقُ عَلَیْکُمْ بِالْحَقِّ إِنّٰا کُنّٰا نَسْتَنْسِخُ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ:» الجاثیه:-۲۹.

و قوله:« وَ جِیءَ بِالنَّبِیِّینَ وَ الشُّهَدٰاءِ »أما النبیون فلیسألوا عن أداء رسالتهم کما یشعر به السیاق قال تعالی :«فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِینَ أُرْسِلَ إِلَیْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِینَ:» الأعراف:- ۶،و أما الشهداء و هم شهداء الأعمال فلیؤدوا ما تحملوه من الشهاده قال تعالی :«فَکَیْفَ إِذٰا جِئْنٰا مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِیدٍ وَ جِئْنٰا بِکَ عَلیٰ هٰؤُلاٰءِ شَهِیداً:» النساء:-۴۱.

و قوله:« وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لاٰ یُظْلَمُونَ »ضمیرا الجمع للناس المعلوم من السیاق،و القضاء بینهم هو القضاء فیما اختلفوا فیه الوارد کرارا فی کلامه تعالی قال :

«إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ فِیمٰا کٰانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ:» یونس:-۹۳.

قوله تعالی:« وَ وُفِّیَتْ کُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمٰا یَفْعَلُونَ » التوفیه الإعطاء بالتمام و قد علقت بنفس ما عملت دون جزائه و یقطع ذلک الریب فی کونه قسطا و عدلا من أصله و الآیه بمنزله البیان لقوله:« وَ هُمْ لاٰ یُظْلَمُونَ ».

و قوله:« وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمٰا يَفْعَلُونَ »أى ليس حكمه بهذا النمط من وضع الكتاب و المجىء بالنبيين و الشهداء عن جهل منه و حاجه بل لأن يجرى حكمه على القسط و العدل فهو أعلم بما يفعلون.

و الآيه السابقه تتضمن القضاء و الحكم و هذه الآيه إجراؤه و الآيات اللاحقه تفصيل إجرائه.

قوله تعالى:« وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ جَهَنَّمَ »إلى آخر الآيه السوق بالفتح فالسكون-على ما فى المجمع،-الحث على السير،و الزمر جمع زمره و هى-كما فى الصحاح،-الجماعه من الناس.

و المعنى« وَ سِيقَ »و حث على السير« اَلَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً »جماعه بعد جماعه« حَتّٰى إِذٰا جٰاؤُهٰا »بلغوها« فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا »لأجل دخولهم و هى سبعه قال تعالى :«لَهٰا سَبْعَةُ أَبْوٰابٍ:» الحجر:-۴۴« وَ قٰالَ لَهُمْ خَزَنَتُهٰا »و هم الملائكه الموكلون عليها يقولون لهم تهجينا و إنكارا عليهم« أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ »من نوعكم من البشر « يَتْلُونَ »و يقرءون« عَلَيْكُمْ آيٰاتِ رَبِّكُمْ »من الحجج الداله على وحدانيته و وجوب عبادته « قٰالُوا »بلى قد جاءوا و تلوا« وَ لٰكِنْ »كفرنا و كذبنا و« حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذٰابِ عَلَى الْكٰافِرِينَ » و كلمه العذاب هى قوله تعالى حين أمر آدم بالهبوط :«وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ:» البقره:-۳۹.

قوله تعالى:« قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوٰابَ جَهَنَّمَ خٰالِدِينَ فِيهٰا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ » القائل-على ما يفيده السياق-خزنه جهنم،و فى قوله:« فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ » دلاله على أن هؤلاء الذين كفروا هم المكذبون بآيات الله المعاندون للحق.

قوله تعالى:« وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتّٰى إِذٰا جٰاؤُهٰا وَ فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا »لم يذكر فى الآيه جواب إذا إشاره إلى أنه أمر فوق ما يوصف و وراء ما يقدر بقدر،و قوله:« وَ فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا »حال أى جاءوها و قد فتحت أبوابها،و قوله:

« خَزَنَتُهٰا »هم الملائكه الموكلون عليها.

و المعنى« وَ سِيقَ »و حث على السير« اَلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً »جماعه بعد جماعه« حَتّٰى إِذٰا جٰاؤُهٰا وَ »قد« فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا وَ قٰالَ لَهُمْ خَزَنَتُهٰا »الموكلون عليها

مستقبلين لهم« سَلاٰمٌ عَلَيْكَمْ »أنتم فى سلام مطلق لا يلقاكم إلا ما ترضون« طِبْتُمْ »و لعله تعليل لإطلاق السلام« فَادْخُلُوهٰا خٰالِدِينَ »فيها.و هو أثر طيبهم.

قوله تعالى:« وَ قٰالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى صَدَقَنٰا وَعْدَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ »إلى آخر الآيه.القائلون هم المتقون و المراد بالوعد ما تكرر فى كلامه تعالى و فيما أوحى إلى سائر الأنبياء من وعد المتقين بالجنه قال :«لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰاتٌ:» آل عمران:-١۵ و قال :«إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰاتِ النَّعِيمِ:» القلم:-٣۴،كذا قيل،و قيل: المراد بالوعد الوعد بالبعث و الثواب.

و لا يبعد أن يراد بالوعد الوعد بإيراث الجنه كما فى قوله :«أُولٰئِكَ هُمُ الْوٰارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ:» المؤمنون:-١١ و يكون قوله:« وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ »عطف تفسير لقوله« صَدَقَنٰا وَعْدَهُ ».

و قوله:« وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ »المراد بالأرض-على ما قالوا-أرض الجنه و هى التى عليها الاستقرار فيها و قد تقدم فى أول سوره المؤمنون أن المراد بوراثتهم الجنه بقاؤها لهم بعد ما كانت فى معرض أن يشاركها غيرهم أو يملكها دونهم لكنهم زالوا عنها فانتقلت إليهم.

و قوله:« نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّهِ حَيْثُ نَشٰاءُ »بيان لإيراثهم الأرض،و تبديل ضمير الأرض بالجنه للإشاره إلى أنها المراد بالأرض.

و قيل:المراد بالأرض هى أرض الدنيا و هو سخيف إلا أن يوجه بأن الجنه هى عقبى هذه الدار قال تعالى :«أُولٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدّٰارِ:» الرعد:-٢٢.

و المعنى و قال المتقون بعد دخول الجنه:الحمد لله الذى صدقنا وعده أن سيدخلنا أو أن سيورثنا الجنه نسكن منها حيث نشاء و نختار-فلهم ما يشاءون فيها-.

و قوله:« فَنِعْمَ أَجْرُ الْعٰامِلِينَ »أى فنعم الأجر أجر العاملين لله تعالى،و هو على ما يعطيه السياق قول أهل الجنه،و احتمل أن يكون من قوله تعالى.

قوله تعالى:« وَ تَرَى الْمَلاٰئِكَهَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ »إلى آخر الآيه الحف الإحداق و الإحاطه بالشىء،و العرش هو المقام الذى يصدر منه

الفرامین و الأوامر الإلهیه التی یدبر بها العالم،و الملائکه هم المجرون لمشیته العاملون بأمره،و رؤیه الملائکه علی تلک الحال کنایه عن ظهور ذلک و قد طویت السماوات.

و المعنی:و تری یومئذ الملائکه و الحال أنهم محدقون بالعرش مطیفون به لإجراء الأمر الصادر منه و هم یسبحون بحمد ربهم.

و قوله:« وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ »احتمل رجوع الضمیر إلی الملائکه،و رجوعه إلی الناس و الملائکه جمیعا،و رجوعه إلی جمیع الخلائق،و رجوعه إلی الناس فالقضاء بین أهل الجنه و أهل النار منهم أو بین الأنبیاء و أممهم.

و یضعف الاحتمال الأخیر أن القضاء بین الناس قد ذکر قبلا فی قوله:« وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لاٰ یُظْلَمُونَ »فذکر القضاء بینهم ثانیا تکرار من غیر موجب.

لکن ظاهر القضاء بین جماعه هو الحکم لبعضهم علی بعض لوجود اختلاف ما بینهم و لا تحقق للاختلاف بین الملائکه،و هذا یؤید أن یکون الضمیر لغیرهم و القضاء بین الناس غیر أن القضاء کما یطلق علی نفس حکم الحاکم یصح إطلاقه علی مجموع الحکم و مقدماته و تبعاته من حضور المتخاصمین و طرح الدعوی و شهاده الشهود و حکم الحاکم و إیفاء المحق حقه فمن الممکن أن یکون المراد بالقضاء المذکور أولا نفس الحکم الإلهی و بهذا القضاء المذکور ثانیا هو مجموع ما یجری علیهم من حین یبعثون إلی حین دخول أهل النار النار و أهل الجنه الجنه و استقرارهم فیهما و بذلک یندفع إشکال التکرار من غیر موجب.

و قوله:« وَ قِیلَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِینَ »کلمه خاتمه للبدء و العود و ثناء عام له تعالی أنه لم یفعل و لا یفعل إلا الجمیل.

قیل:قائله المتقون و کان حمدهم الأول علی دخولهم الجنه و الثانی للقضاء بینهم و بین غیرهم بالحق،و قیل:قائله الملائکه و لم ینسب إلیهم صریحا لتعظیم أمرهم،و قیل:

القائل جمیع الخلائق.

و یؤید الأول قوله تعالی فی صفه أهل الجنه :«وَ آخِرُ دَعْوٰاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِینَ:» یونس:-۱۰ و هو حمد عام خاتم للخلقه کما سمعت.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،:فی قوله تعالی:« لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ »فهذه مخاطبه النبی ص و المعنی لأمته،و هو ما

قاله الصادق(ع): إن الله عز و جل بعث نبیه بإیاک أعنی و اسمعی یا جاره.

و عن کتاب التوحید،بإسناده إلی الفضیل بن یسار قال:سمعت أبا عبد الله(ع) یقول: إن الله عز و جل لا یوصف.:

قال:و قال زراره:قال أبو جعفر(ع):إن الله لا یوصف و کیف یوصف و قد قال فی کتابه:« وَ مَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ ؟»فلا یوصف بقدر إلا کان أعظم من ذلک.

و فیه،بإسناده عن سلیمان بن مهران قال: سألت أبا عبد الله(ع)عن قول الله عز و جل:« وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »قال:ملکه لا یملکها معه أحد.

و القبض عن الله تعالی فی موضع آخر المنع-و البسط منه الإعطاء و التوسع کما قال عز و جل:« وَ اللّٰهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »یعنی یعطی و یوسع و یضیق، و القبض منه عز و جل فی وجه آخر الأخذ-و الأخذ فی وجه القبول منه کما قال:« وَ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ »أی یقبلها من أهلها و یثیب علیها.

قلت:فقوله عز و جل:« وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ »؟قال:الیمین الید و الید القدره و القوه-یقول عز و جل:« وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ »أی بقدرته و قوته سبحانه و تعالی عما یشرکون.

أقول:و روی فی الدر المنثور،عن أبی هریره عن النبی ص: فی قوله تعالی:« فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاّٰ مَنْ شَاءَ اللّٰهُ »أنهم الشهداء مقلدون بأسیافهم حول عرشه الخبر و ظاهره أن النفخه غیر نفخه الإماته و قد تقدم أن الآیه ظاهره فی خلافه.

و روی عن أنس عنه(ص)": أنهم جبرئیل و میکائیل و إسرافیل و ملک الموت-و حمله العرش و أنهم یموتون بعدها الخبر.و الآیه ظاهره فی خلافه.

و روی عن جابر": استثنی موسی لأنه کان صعق قبل،الخبر. و فیه أن الصعق

سواء أخذ بمعنی الموت أو بمعنی الغشیه لا یختص الصعق قبل ذلک بموسی(ع).

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« لَها سَبْعَهُ أَبْوابٍ »فیه قولان أحدهما ما

روی عن أمیر المؤمنین(ع)- أن جهنم لها سبعه أبواب أطباق بعضها فوق بعض-و وضع إحدی یدیه علی الأخری فقال:هکذا-و أن الله وضع الجنان علی الأرض،و وضع النیران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم،و فوقها لظی،و فوقها الحطمه،و فوقها سقر،و فوقها الجحیم، و فوقها السعیر،و فوقها الهاویه-و فی روایه الکلبی أسفلها الهاویه و أعلاها جهنم.

و فی الخصال،عن أبی عبد الله عن أبیه عن جده عن علی(ع)قال: إن للجنه ثمانیه أبواب:باب یدخل منه النبیون و الصدیقون،و باب یدخل منه الشهداء و الصالحون،و خمسه أبواب یدخل منها شیعتنا و محبونا-.

فلا أزال واقفا علی الصراط أدعو و أقول:رب سلم شیعتی و محبی و أنصاری-و من تولانی فی دار الدنیا-فإذا النداء من بطنان العرش-قد أجیبت دعوتک و شفعت فی شیعتک- و یشفع کل رجل من شیعتی و من تولانی و نصرنی-و حارب من حاربنی بفعل أو قول-فی سبعین ألفا من جیرانه و أقربائه-.

و باب یدخل منه سائر المسلمین-ممن یشهد أن لا إله إلا الله-و لم یکن فی قلبه مثقال من بغضنا أهل البیت.

(۴۰)سوره المؤمن مکیه و هی خمس و ثمانون آیه(۸۵)

[سوره غافر (۴۰): الآیات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

حم (۱) تَنْزِیلُ اَلْکِتٰابِ مِنَ اَللّٰهِ اَلْعَزِیزِ اَلْعَلِیمِ (۲) غٰافِرِ اَلذَّنْبِ وَ قٰابِلِ اَلتَّوْبِ شَدِیدِ اَلْعِقٰابِ ذِی اَلطَّوْلِ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ إِلَیْهِ اَلْمَصِیرُ (۳) مٰا یُجٰادِلُ فِی آیٰاتِ اَللّٰهِ إِلاَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا فَلاٰ یَغْرُرْکَ تَقَلُّبُهُمْ فِی اَلْبِلاٰدِ (۴) کَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ اَلْأَحْزٰابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ هَمَّتْ کُلُّ أُمَّهٍ بِرَسُولِهِمْ لِیَأْخُذُوهُ وَ جٰادَلُوا بِالْبٰاطِلِ لِیُدْحِضُوا بِهِ اَلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَکَیْفَ کٰانَ عِقٰابِ (۵) وَ کَذٰلِکَ حَقَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ عَلَی اَلَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ (۶)

(بیان)

تتکلم السوره فی استکبار الکافرین و مجادلتهم بالباطل لیدحضوا به الحق الذی یدعون إلیه و لذلک نراها تذکر جدالهم و تعود إلیه عوده بعد عوده« مٰا یُجٰادِلُ فِی آیٰاتِ اللّٰهِ إِلاَّ الَّذِینَ کَفَرُوا فَلاٰ یَغْرُرْکَ تَقَلُّبُهُمْ فِی الْبِلاٰدِ »« اَلَّذِینَ یُجٰادِلُونَ فِی آیٰاتِ اللّٰهِ بِغَیْرِ سُلْطٰانٍ أَتٰاهُمْ کَبُرَ مَقْتاً »« أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ یُجٰادِلُونَ فِی آیٰاتِ اللّٰهِ أَنّٰی یُصْرَفُونَ ».

فتکسر سوره استکبارهم و جدالهم بذکر ما عاقب الله به الماضین من الأمم المکذبین و ما أعد الله لهم من العذاب المهین بذکر طرف مما یجری علیهم فی الآخره.

و تدحض باطل أقاویلهم بوجوه من الحجج الناطقه بتوحده فی الربوبیه و الألوهیه و تأمر النبی ص بالصبر و تعده و المؤمنین به بالنصر،و تأمرهم أن یؤذنهم أنه مسلم لربه غیر تارک لعبادته فلییأسوا منه.

و السوره مکیه کلها لاتصال آیاتها و شهاده مضامینها بذلک،و ما قیل فیه من الآیات إنه نزل بالمدینه لا یعبأ به و سیجیء الإشاره إلیها إن شاء الله.

قوله تعالی« حم تَنْزِیلُ الْکِتٰابِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ »التنزیل مصدر بمعنی المفعول فقوله:« تَنْزِیلُ الْکِتٰابِ »من قبیل إضافه الصفه إلی موصوفها و التقدیر هذا کتاب منزل من الله.

و تخصیص الوصفین:« اَلْعَزِیزِ الْعَلِیمِ »بالذکر قیل:للإشاره إلی ما فی القرآن من الإعجاز و أنواع العلوم التی یضیق عنها نطاق الأفهام،و قیل:هو من باب التفنن.

و الوجه أن یقال:إن السوره لما کانت تتکلم حول جحد الجاحدین و مجادلتهم فی

آیات الله بالباطل جهلا و هم یحسبونه علما و یعتزون به کما حکی ذلک عنهم فی خاتمه السوره بقوله:« فَلَمّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ »و کما حکی عن فرعون قوله لقومه فی موسی:« إِنِّی أَخافُ أَنْ یُبَدِّلَ دِینَکُمْ أَوْ أَنْ یُظْهِرَ فِی الْأَرْضِ الْفَسادَ »و قوله لهم:« ما أُرِیکُمْ إِلاّ ما أَری وَ ما أَهْدِیکُمْ إِلاّ سَبِیلَ الرَّشادِ ».

افتتح الکلام فی السوره بما فیه إشاره إلی أن هذا الکتاب النازل علیهم تنزیل ممن هو عزیز علی الإطلاق لا یغلبه غالب حتی یخاف علی ما نزله من استعلائهم و استکبارهم بحسب أوهامهم،علیم علی الإطلاق لا یدخل علمه جهل و ضلال فلا یقاوم جدالهم بالباطل ما نزله من الحق و بینه بحججه الباهره.

و یؤید هذا الوجه ما فی الآیه التالیه من قوله:« غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ » إلخ علی ما سنبین.

قوله تعالی:« غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ شَدِیدِ الْعِقابِ ذِی الطَّوْلِ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ إِلَیْهِ الْمَصِیرُ »الإتیان بصیغه اسم الفاعل فی« غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ »-لعله- للدلاله علی الاستمرار التجددی فإن المغفره و قبول التوب من صفاته الفعلیه و لا یزال تعالی یغفر الذنب ثم یغفر و یقبل التوب ثم یقبل.

و إنما عطف قابل التوب علی ما قبله دون« شَدِیدِ الْعِقابِ ذِی الطَّوْلِ »لأن غافر الذنب و قابل التوب مجموعهما کصفه واحده متعلقه بالعباد المذنبین یغفر لهم تاره بتوبه و تاره بغیرها کالشفاعه.

و العقاب و المعاقبه المؤاخذه التی تکون فی عاقبه الذنب قال الراغب:و العقب و العقبی یختصان بالثواب نحو خَیْرٌ ثَواباً وَ خَیْرٌ عُقْباً ،و قال تعالی:« أُولئِکَ لَهُمْ عُقْبَی الدّارِ ، و العاقبه إطلاقها یختص بالثواب نحو وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ ،و بالإضافه قد تستعمل فی العقوبه نحو ثُمَّ کانَ عاقِبَهَ الَّذِینَ أَساؤُا ،و قوله: فَکانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِی النّارِ یصح أن یکون ذلک استعاره من ضده،و العقوبه و المعاقبه و العقاب تختص بالعذاب.انتهی.

فشدید العقاب کذی انتقام من أسماء الله الحسنی تحکی صفته تعالی فی جانب العذاب کما یحکی الغفور و الرحیم صفته تعالی فی جانب الرحمه.

و الطول -علی ما فی المجمع،-الإنعام الذی تطول مدته علی صاحبه فذو الطول من أسمائه الحسنی فی معنی المنعم لکنه أخص من المنعم لعدم شموله النعم القصار.

و ذکر هذه الأسماء الأربعه:غافر الذنب و قابل التوب شدید العقاب ذی الطول بعد اسم العلیم للإشاره إلی أن تنزیل هذا الکتاب المشتمل علی دعوته الحقه المبنی علی العلم مبنی علی أساس ما تقتضیه مضامین هذه الأسماء الأربعه.

و ذلک أن العالم الإنسانی کما یتحد قبیلا واحدا فی نیل الطول الإلهی و التنعم بنعمه المستمره المتوالیه مدی الحیاه الدنیا ینقسم من حیث حیاته الآخره قسمین و ینشعب إلی شعبتین:سعید و شقی و الله سبحانه عالم بتفاصیل خلقه و کیف لا یعلم و هو خالقها و فاعلها،و مقتضی کونه غافرا للذنب قابلا للتوب أن یغفر لمن استعد للمغفره و أن یقبل توبه التائب إلیه،و مقتضی کونه شدید العقاب أن یعاقب من استحق ذلک.

و مقتضی ذلک أن یهدی الناس إلی صراط السعاده کما قال :«إِنَّ عَلَیْنا لَلْهُدی وَ إِنَّ لَنا لَلْآخِرَهَ وَ الْأُولی:» اللیل:-۱۳،و قال :«وَ عَلَی اللّهِ قَصْدُ السَّبِیلِ:» النحل:-۹.

لینقسم الناس بذلک قسمین و یتمیز عنده السعید من الشقی و المهتدی من الضال فیرحم هذا و یعذب ذلک.

فتنزیل الکتاب من الله العزیز العلیم مبنی علی علمه المحیط بخلقه أنهم فی حاجه إلی دعوه یهتدی بها قوم و یضل بردها آخرون لیغفر لقوم و یعذب آخرین،و فی حاجه إلیها لینتظم بها نظام معاشهم فی الدنیا فینعموا بطوله و نعمته فی الدنیا ثم فی دار القرار.

فهذا شأن کتابه المنزل بعلمه الذی لا یشوبه جهل و المبنی علی الحق الذی لا یداخله باطل،و أین هو من تکذیب الذین لا یعلمون إلا ظاهرا من الحیاه و جدالهم بالباطل لیدحضوا به الحق.

و علی هذا الذی ذکرنا من العنایه بالعلم یشهد ما سیذکره تعالی من دعاء الملائکه للمؤمنین بالمغفره:« رَبَّنا وَسِعْتَ کُلَّ شَیْءٍ رَحْمَهً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِینَ تابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِیلَکَ »فتدبر فیه.

و قوله:« لا إِلهَ إِلاّ هُوَ إِلَیْهِ الْمَصِیرُ »ذکر کلمه التوحید للإشاره إلی وجوب

عبادته وحده فلا تلغو الدعوه الدينيه بتنزيل الكتاب،و ذكر كون مصير الكل و رجوعهم إليه و هو البعث للإشاره إلى أنه هو السبب العمده الداعى إلى الإيمان بالكتاب و اتباعه فيما يدعو إليه لأن الاعتقاد بيوم الحساب هو الذى يستتبع الخوف و الرجاء خوف العقاب و رجاء الثواب الداعيين إلى عباده الله سبحانه.

قوله تعالى:« مٰا يُجٰادِلُ فِي آيٰاتِ اللّٰهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلاٰ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاٰدِ » لما ذكر تنزيل الكتاب و أشار إلى الحجه الباهره على حقيته،المستفاده من صفاته الكريمه المعدوده فى الآيتين،الداله على أنه منزل بعلمه الذى لا يشوبه جهل و بالحق الذى لا يدحضه باطل تعرض لحال الذين قابلوا حججه الحقه بباطل جدالهم فلوح إلى أن هؤلاء أهل العقاب و ليسوا بفائتين و لا مغفولا عنهم فإنهم كما نزل الكتاب ليغفر الذنب و يقبل التوب كذلك نزله ليعاقب أهل العقاب فلا يسوأن النبى ص جدالهم و لا يغرنه ما يشاهده من حالهم.

فقوله:« مٰا يُجٰادِلُ فِي آيٰاتِ اللّٰهِ »لم يقل:ما يجادل فيه أى فى القرآن ليدل على أن الجدال فى الحق الذى تدل عليه الآيات بما هى آيات.على أن طرف جدالهم هو النبى ص و هو داع إلى الحق الذى تدل عليه الآيات فجدالهم لدفع الحق لا للدفاع عن الحق.على أن الجدال فى الآيه التاليه مقيده بالباطل لإدحاض الحق.

فالمراد بالمجادله فى آيات الله هى المجادله لإدحاضها و دفعها و هى المذمومه و لا تشمل الجدال لإثبات الحق و الدفاع عنه كيف؟و هو سبحانه يأمر نبيه ص بذلك إذا كان جدالا بالتى هى أحسن قال تعالى :«وَ جٰادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ:» النحل:-١٢٥.

قوله:« إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا »ظاهر السياق أنهم الذين رسخ الكفر فى قلوبهم فلا يرجى زواله،و قد قيل:« مٰا يُجٰادِلُ »و لم يقل:لا يجادل،و كذا ظاهر قوله:

« فَلاٰ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاٰدِ »أن المراد بهم الكفار المعاصرون للنبى ص و إن لم يكونوا من أهل مكه.

و تقلبهم فى البلاد انتقالهم من طور من أطوار الحياه إلى طور آخر و من نعمه إلى

نعمه فی سلامه و صحه و عافیه،و توجیه النهی عن الغرور إلی تقلبهم فی البلاد کنایه عن نهی النبی ص عن الاغترار بما یشاهده منهم أن یحسب أنهم أعجزوه سبحانه.

قوله تعالی:« کَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَحْزٰابُ مِنْ بَعْدِهِمْ »إلخ فی مقام الجواب عما یسبق إلی الوهم أنهم استکبروا و جادلوا فی آیات الله فلم یکن بهم بأس و سبقوا فی ذلک.

و محصل الجواب:أن الأمم الماضین کقوم نوح و الأحزاب من بعدهم کعاد و ثمود و قوم لوط و غیرهم سبقوا هؤلاء إلی مثل صنیعهم من التکذیب و الجدال بالباطل و هموا برسولهم لیأخذوه فحل بهم العقاب و کذلک قضی فی حق الکفار العذاب فتوهم أن هؤلاء سبقوا الله إلی ما یرید توهم باطل.

فقوله:« کَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَحْزٰابُ مِنْ بَعْدِهِمْ »دفع للدخل السابق و لذا جیء بالفصل،و قوله:« وَ هَمَّتْ کُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِیَأْخُذُوهُ »یقال: هم به أی قصده و یغلب فیه القصد بالسوء أی قصدوا رسولهم لیأخذوه بالقتل أو الإخراج أو غیرهما کما قصه الله تعالی فی قصصهم.

و قوله:« وَ جٰادَلُوا بِالْبٰاطِلِ لِیُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ » الإدحاض الإزاله و الإبطال و قوله:« فَأَخَذْتُهُمْ »أی عذبتهم،و فیه التفات من الغیبه إلی التکلم وحده و النکته فیه الإشاره إلی أن أمرهم فی هذا الطغیان و الاستکبار إلی الله وحده لا یدخل بینه و بینهم أحد بنصره أو شفاعه کما قال :«فَصَبَّ عَلَیْهِمْ رَبُّکَ سَوْطَ عَذٰابٍ إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصٰادِ:» الفجر:-۱۴.

و قوله:« فَکَیْفَ کٰانَ عِقٰابِ »توجیه لذهن المخاطب إلی ما یعلمه من کیفیه إهلاکهم و قطع دابرهم لیحضر شده ما نزل بهم و قد قصه الله فیما قص من قصصهم.

قوله تعالی:« وَ کَذٰلِکَ حَقَّتْ کَلِمَةُ رَبِّکَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحٰابُ النّٰارِ » ظاهر السیاق أن المشبه به هو ما فی الآیه السابقه من أخذهم و عقابهم،و المراد بالذین کفروا مطلق الکفار من الماضین،و المعنی کما أخذ الله المکذبین من الماضین بعذاب الدنیا کذلک حقت کلمته علی مطلق الکافرین بعذاب الآخره،و الذین کفروا من قومک منهم.

و قیل:المراد بالذین کفروا کفار مکه،و لا یساعد علیه السیاق و التشبیه لا یخلو علیه من اختلال.

و فی قوله:« کَلِمَهُ رَبِّکَ »و لم یقل:کلمتی تطییب لنفس النبی ص و تأیید له بالإشاره إلی أن الرکن الذی یرکن إلیه هو الشدید القوی.

[سوره غافر (۴۰): الآیات ۷ الی ۱۲]

اشاره

اَلَّذِینَ یَحْمِلُونَ اَلْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ یَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ کُلَّ شَیْءٍ رَحْمَهً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِینَ تابُوا وَ اِتَّبَعُوا سَبِیلَکَ وَ قِهِمْ عَذابَ اَلْجَحِیمِ (۷) رَبَّنا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنّاتِ عَدْنٍ اَلَّتِی وَعَدْتَهُمْ وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّیّاتِهِمْ إِنَّکَ أَنْتَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۸) وَ قِهِمُ اَلسَّیِّئاتِ وَ مَنْ تَقِ اَلسَّیِّئاتِ یَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَ ذلِکَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِیمُ (۹) إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا یُنادَوْنَ لَمَقْتُ اَللّهِ أَکْبَرُ مِنْ مَقْتِکُمْ أَنْفُسَکُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَی اَلْإِیمانِ فَتَکْفُرُونَ (۱۰) قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اِثْنَتَیْنِ وَ أَحْیَیْتَنَا اِثْنَتَیْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلی خُرُوجٍ مِنْ سَبِیلٍ (۱۱) ذلِکُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِیَ اَللّهُ وَحْدَهُ کَفَرْتُمْ وَ إِنْ یُشْرَکْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُکْمُ لِلّهِ اَلْعَلِیِّ اَلْکَبِیرِ (۱۲)

ص:۳۰۷

(بیان)

لما ذکر سبحانه تکذیب الذین کفروا و جدالهم فی آیات الله بالباطل و لوح إلی أنهم غیر معجزین و لا مغفول عنهم بل معنیون فی هذه الدعوه و العنایه فیهم أن یتمیزوا فیحق علیهم کلمه العذاب فیعاقبوا عاد إلی بدء الکلام الذی أشار فیه إلی أن تنزیل الکتاب و إقامه الدعوه لمغفره جمع و قبول توبتهم و عقاب آخرین فذکر أن الناس قبال هذه الدعوه قبیلان:قبیل تستغفر لهم حمله العرش و الحافون به من الملائکه و هم التائبون إلی الله المتبعون سبیله و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذریاتهم،و قبیل ممقوتون معذبون و هم الکافرون بالتوحید.

قوله تعالی:« اَلَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ یُؤْمِنُونَ بِهِ »إلی آخر الآیه.لم یعرف سبحانه هؤلاء الحاملین للعرش من هم؟و لا فی کلامه تصریح بأنهم من الملائکه لکن یشعر عطف قوله:« وَ مَنْ حَوْلَهُ علیهم و قد قال فیهم :

«وَ تَرَی الْمَلاٰئِکَهَ حَافِّینَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ:» الزمر:-۷۵ أن حمله العرش أیضا من الملائکه.

و قد تقدم تفصیل الکلام فی معنی العرش فی الجزء الثامن من الکتاب.

فقوله:« اَلَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ »أی الملائکه الذین یحملون العرش الذی منه تظهر الأوامر و تصدر الأحکام الإلهیه التی بها یدبر العالم،و الذین حول العرش من الملائکه و هم المقربون منهم.

و قوله:« یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ »أی ینزهون الله سبحانه و الحال أن تنزیههم له یصاحب ثناؤهم لربهم فهم ینزهونه تعالی عن کل ما لا یلیق بساحه قدسه و من ذلک وجود الشریک فی ملکه و یثنون علیه علی فعله و تدبیره.

و قوله:« وَ یُؤْمِنُونَ بِهِ »إیمانهم به-و الحال هذه الحال عرش الملک و التدبیر لله و هم حاملوه أو مطیفون حوله لتلقی الأوامر و ینزهونه عن کل نقص و یحمدونه علی أفعاله-معناه الإیمان بوحدانیته فی ربوبیته و ألوهیته ففی ذکر العرش و نسبه التنزیه و التحمید و الإیمان إلی الملائکه رد للمشرکین حیث یعدون الملائکه المقربین شرکاء لله فی ربوبیته و ألوهیته و یتخذونهم أربابا آلهه یعبدونهم.

ص :۳۰۸

و قوله:« وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا »أى يسألون الله سبحانه أن يغفر للذين آمنوا.

و قوله:« رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً »إلخ حكايه متن استغفارهم و قد بدءوا فيه بالثناء عليه تعالى بسعه الرحمه و العلم،و إنما ذكروا الرحمه و شفعوها بالعلم لأنه برحمته ينعم على كل محتاج فالرحمه مبدأ إفاضه كل نعمه و بعلمه يعلم حاجه كل محتاج مستعد للرحمه.

و قوله:« فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَ قِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ »تفريع على ما أثنوا به من سعه الرحمه و العلم،و المراد بالسبيل التى اتبعوها هو ما شرع لهم من الدين و هو الإسلام و اتباعهم له هو تطبيق عملهم عليه فالمراد بتوبتهم رجوعهم إليه تعالى بالإيمان و المعنى فاغفر للذين رجعوا إليك بالإيمان بوحدانيتك و سلوك سبيلك الذى هو الإسلام و قهم عذاب الجحيم و هو غايه المغفره و غرضها.

قوله تعالى:« رَبَّنا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ »إلى آخر الآيه تكرار النداء بلفظه ربنا لمزيد الاستعطاف و المراد بالوعد وعده تعالى لهم بلسان رسله و فى كتبه.

و قوله:« وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيّاتِهِمْ »عطف على موضع الضمير فى قوله:« وَ أَدْخِلْهُمْ »و المراد بالصلوح صلاحيه دخول الجنه،و المعنى و أدخل من صلح لدخول الجنه من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم جنات عدن.

ثم من المعلوم من سياق الآيات أن استغفارهم لعامه المؤمنين،و من المعلوم أيضا أنهم قسموهم قسمين اثنين قسموهم إلى الذين تابوا و اتبعوا سبيل الله و قد وعدهم الله جنات عدن،و إلى من صلح و قد جعلوا الطائفه الأولى متبوعين و الثانيه تابعين.

و يظهر منه أن الطائفه الأولى هم الكاملون فى الإيمان و العمل على ما هو مقتضى حقيقه معنى قولهم:« لِلَّذِينَ تابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ »فذكروهم و سألوه أن يغفر لهم و ينجز لهم ما وعدهم من جنات عدن،و الطائفه الثانيه دون هؤلاء فى المنزله ممن لم يستكمل الإيمان و العمل من ناقص الإيمان و مستضعف و سيئ العمل من منسوبى الطائفه الأولى فذكروهم و سألوه تعالى أن يلحقهم بالطائفه الأولى الكاملين فى جناتهم و يقيهم السيئات.

فالآيه فى معنى قوله تعالى :«وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ ما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ:» الطور:-٢١ غير أن الآيه التى نحن فيها أوسع

و أشمل لشمولها الآباء و الأزواج بخلاف آیه سوره الطور،و المأخوذ فیها الصلوح و هو أعم من الإیمان المأخوذ فی آیه الطور.

و قوله:« إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ »تعلیل لقولهم:« فَاغْفِرْ لِلَّذِینَ تٰابُوا »إلی آخر مسألتهم،و کان الذی یقتضیه الظاهر أن یقال:إنک أنت الغفور الرحیم لکنه عدل إلی ذکر الوصفین:العزیز الحکیم لأنه وقع فی مفتتح مسألتهم الثناء علیه تعالی بقولهم:« رَبَّنٰا وَسِعْتَ کُلَّ شَیْءٍ رَحْمَهً وَ عِلْماً ».و لازم سعه الرحمه و هی عموم الإعطاء أن له أن یعطی ما یشاء لمن یشاء و یمنع ما یشاء ممن یشاء و هذا معنی العزه التی هی القدره علی الإعطاء و المنع،و لازم سعه العلم لکل شیء أن ینفذ العلم فی جمیع أقطار الفعل فلا یداخل الجهل شیئا منها و لازمه إتقان الفعل و هو الحکمه.

فقوله:« إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ »فی معنی الاستشفاع بسعه رحمته و سعه علمه تعالی المذکورتین فی مفتتح المسأله تمهیدا و توطئه لذکر الحاجه و هی المغفره و الجنه.

قوله تعالی:« وَ قِهِمُ السَّیِّئٰاتِ وَ مَنْ تَقِ السَّیِّئٰاتِ یَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ »إلخ ظاهر السیاق أن الضمیر فی« قِهِمُ »للذین تابوا و من صلح جمیعا.

و المراد بالسیئات-علی ما قیل- تبعات المعاصی و هی جزاؤها و سمیت التبعات سیئات لأن جزاء السیئ سیئ قال تعالی :«وَ جَزٰاءُ سَیِّئَهٍ سَیِّئَهٌ مِثْلُهٰا:» الشوری:-۴۰.

و قیل:المراد بالسیئات المعاصی و الذنوب نفسها و الکلام علی تقدیر مضاف و التقدیر و قهم جزاء السیئات أو عذاب السیئات.

و الظاهر أن الآیه من الآیات الداله علی أن الجزاء بنفس الأعمال خیرها و شرها، و قد تکرر فی کلامه تعالی أمثال قوله :«إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ:» التحریم:-۷.

و کیف کان فالمراد بالسیئات التی سألوا وقایتهم عنها هی الأهوال و الشدائد التی تواجههم یوم القیامه غیر عذاب الجحیم فلا تکرار فی قولیهم:« وَ قِهِمْ عَذٰابَ الْجَحِیمِ » « وَ قِهِمُ السَّیِّئٰاتِ ».

و قیل:المراد بالسیئات نفس المعاصی التی فی الدنیا،و قولهم:« یَوْمَئِذٍ »إشاره إلی الدنیا،و المعنی و احفظهم من اقتراف المعاصی و ارتکابها فی الدنیا بتوفیقک.

و فیه أن السیاق یؤید کون المراد بیومئذ یوم القیامه کما یشهد به قولهم:« وَ قِهِمْ عَذٰابَ الْجَحِیمِ »و قولهم:« وَ أَدْخِلْهُمْ جَنّٰاتِ عَدْنٍ »إلخ فالحق أن المراد بالسیئات ما یظهر للناس یوم القیامه من الأهوال و الشدائد.

و یظهر من هذه الآیات المشتمله علی دعاء الملائکه و مسألتهم:

أولا:أن من الأدب فی الدعاء أن یبدأ بحمده و الثناء علیه تعالی ثم یذکر الحاجه ثم یستشفع بأسمائه الحسنی المناسبه له.

و ثانیا:أن سؤال المغفره قبل سؤال الجنه و قد کثر ذکر المغفره قبل الجنه فی کلامه تعالی إذا ذکرا معا،و هو الموافق للاعتبار فإن حصول استعداد أی نعمه کانت بزوال المانع قبل حصول نفس النعمه.

و ذکر بعضهم أن فی قوله:« فَاغْفِرْ لِلَّذِینَ تٰابُوا »الآیه دلاله علی أن إسقاط العقاب عند التوبه تفضل من الله تعالی إذ لو کان واجبا لکان لا یحتاج فیه إلی مسألتهم بل کان یفعله الله سبحانه لا محاله.

و فیه أن وجوب صدور الفعل عنه تعالی لا ینافی صحه مسألته و طلبه منه تعالی کما یشهد به قولهم بعد الاستغفار:« رَبَّنٰا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنّٰاتِ عَدْنٍ الَّتِی وَعَدْتَهُمْ »فقد سألوا لهم الجنه مع اعترافهم بأن الله وعدهم إیاها و وعده تعالی واجب الإنجاز فإنه لا یخلف المیعاد،و أصرح من هذه الآیه قوله یحکی عن المؤمنین :«رَبَّنٰا وَ آتِنٰا مٰا وَعَدْتَنٰا عَلیٰ رُسُلِکَ وَ لاٰ تُخْزِنٰا یَوْمَ الْقِیٰامَهِ إِنَّکَ لاٰ تُخْلِفُ الْمِیعٰادَ:» آل عمران:-۱۹۴.

و قبول التوبه مما أوجبه الله تعالی علی نفسه و جعله حقا للتائبین علیه قال تعالی :

«إِنَّمَا التَّوْبَهُ عَلَی اللّٰهِ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهٰالَهٍ ثُمَّ یَتُوبُونَ مِنْ قَرِیبٍ فَأُولٰئِکَ یَتُوبُ اللّٰهُ عَلَیْهِمْ:» النساء:-۱۷ فطلب کل حق أوجبه الله تعالی علی نفسه منه کسؤال المغفره للتائب هو فی الحقیقه رجوع إلیه لاستنجاز ما وعده و إظهار اشتیاق للفوز بکرامته.

و کذا لا یستلزم التفضل منه تعالی کون الفعل جائز الصدور غیر واجبه فکل عطیه من عطایاه تفضل سواء کانت واجبه الصدور أم لم تکن إذ لو کان فعل من أفعاله واجب الصدور عنه لم یکن إیجابه علیه بتأثیر من غیره فیه و قهره علیه إذ هو المؤثر فی کل شیء لا یؤثر فیه غیره بل کان ذلک بإیجاب منه تعالی علی نفسه و یؤول معناه إلی

قضائه تعالی فعل شیء من الأفعال و إفاضه عطیه من العطایا قضاء حتم فیکون سبحانه إنما یفعله بمشیه من نفسه منزها عن إلزام الغیر إیاه علیه متفضلا به فالفعل تفضل منه و إن کان واجب الصدور،و أما لو لم یکن الفعل واجب الصدور فکونه تفضلا أوضح.

قوله تعالی:« إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا یُنٰادَوْنَ لَمَقْتُ اللّٰهِ أَکْبَرُ مِنْ مَقْتِکُمْ أَنْفُسَکُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَی الْإِیمٰانِ فَتَکْفُرُونَ » المقت أشد البغض.لما ذکر المؤمنین ببعض ما لهم من جهه إیمانهم رجع إلی ذکر الکافرین ببعض ما علیهم من جهه کفرهم.

و ظاهر الآیه و الآیه التالیه أن هذا النداء المذکور فیها إنما ینادون به فی الآخره بعد دخول النار حین یذوقون العذاب لکفرهم فیظهر لهم أن کفرهم فی الدنیا إذ کانوا یدعون من قبل الأنبیاء إلی الإیمان کان مقتا و شده بغض منهم لأنفسهم حیث أوردوها بذلک مورد الهلاک الدائم.

و ینادون من جانب الله سبحانه فیقال لهم:أقسم لمقت الله و شده بغضه لکم أکبر من مقتکم أنفسکم و شده بغضکم لها إذ تدعون-حکایه حال ماضیه-إلی الإیمان من قبل الأنبیاء فتکفرون.

قوله تعالی:« قٰالُوا رَبَّنٰا أَمَتَّنَا اثْنَتَیْنِ وَ أَحْیَیْتَنَا اثْنَتَیْنِ فَاعْتَرَفْنٰا بِذُنُوبِنٰا فَهَلْ إِلیٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِیلٍ »سیاق الآیه و ما قبلها یشعر بأنهم یقولون هذا القول بعد استماع النداء السابق،و إنما یقولونه و هم فی النار بدلیل قولهم:« فَهَلْ إِلیٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِیلٍ ».

و تقدیم هذا الاعتراف منهم نوع تسبیب و توسل إلی التخلص من العذاب و لات حین مناص،و ذلک أنهم کانوا-و هم فی الدنیا-فی ریب من البعث و الرجوع إلی الله فأنکروه و نسوا یوم الحساب و کان نسیان ذلک سبب استرسالهم فی الذنوب و ذهابهم لوجوههم فی المعاصی و نسیان یوم الحساب مفتاح کل معصیه و ضلال قال تعالی :«إِنَّ الَّذِینَ یَضِلُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِیدٌ بِمٰا نَسُوا یَوْمَ الْحِسٰابِ:» -ص:-۲۶.

ثم لما أماتهم الله إماته بعد إماته و أحیاهم إحیاءه بعد إحیاءه زال ارتیابهم فی أمر البعث و الرجوع إلی الله بما عاینوا من البقاء بعد الموت و الحیاه بعد الحیاه و قد کانوا یرون أن الموت فناء،و یقولون إن هی إلا حیاتنا الدنیا و ما نحن بمبعوثین.

و بالجمله زال عنهم الارتیاب بحصول الیقین و بقیت الذنوب و المعاصی و لذلک

توسلوا إلى التخلص من العذاب بالاعتراف فتاره اعترفوا بحصول اليقين كما حكاه الله عنهم فى قوله :«وَ لَوْ تَرىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نٰاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنٰا أَبْصَرْنٰا وَ سَمِعْنٰا فَارْجِعْنٰا نَعْمَلْ صٰالِحاً إِنّٰا مُوقِنُونَ:» الم السجده:-١٢،و تاره اعترفوا بذنوبهم كما فى الآيه المبحوث عنها و قد كانوا يرون أنهم أحرار مستقلون فى إرادتهم و أفعالهم لهم أن يشاءوا ما شاءوا و أن يفعلوا ما فعلوا و لا حساب و لا ذنب.

و من ذلك يظهر وجه ترتب قولهم:« فَاعْتَرَفْنٰا بِذُنُوبِنٰا »على قولهم:« أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ »فالاعتراف فى الحقيقه مترتب على حصول اليقين بالمعاد الموجب لحصول العلم بكون انحرافاتهم عن سبيل الله ضلالات و ذنوبا.

و المراد بقولهم:« أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ »-كما قيل-الإماته عن الحياه الدنيا و الإحياء للبرزخ ثم الإماته عن البرزخ و الإحياء للحساب يوم القيامه فالآيه تشير إلى الإماته بعد الحياه الدنيا و الإماته بعد الحياه البرزخيه و إلى الإحياء فى البرزخ و الإحياء ليوم القيامه و لو لا الحياه البرزخيه لم تتحقق الإماته الثانيه لأن كلا من الإماته و الإحياء يتوقف تحققه على سبق خلافه.

و لم يتعرضوا للحياه الدنيا و لم يقولوا:و أحييتنا ثلاثا و إن كانت إحياء لكونها واقعه بعد الموت الذى هو حال عدم ولوج الروح لأن مرادهم ذكر الإحياء الذى هو سبب الإيقان بالمعاد و هو الإحياء فى البرزخ ثم فى القيامه و أما الحياه الدنيويه فإنها و إن كانت إحياء لكنها لا توجب بنفسها يقينا بالمعاد فقد كانوا مرتابين فى المعاد و هم أحياء فى الدنيا.

و بما تقدم من البيان يظهر فساد ما اعترض عليه بأنه لو كان المراد بالإحياءتين ما كان فى البرزخ و فى الآخره لكان من الواجب أن يقال:«أمتنا اثنتين و أحييتنا ثلاثا»إذ ليس المراد إلا ذكر ما مر عليهم من الإماته و الإحياءه و ذلك إماتتان اثنتان و إحياءات ثلاث.

و الجواب أنه ليس المراد هو مجرد ذكر الإماته و الإحياء اللتين مرتا عليهم كيفما كانتا بل ذكر ما كان منهما مورثا لليقين بالمعاد،و ليس الإحياء الدنيوى على هذه الصفه.

و قيل:المراد بالإماته الأولى حال النطفه قبل ولوج الروح،و بالإحياءه الأولى ما هو حال الإنسان بعد ولوجها،و بالإماته الثانيه إماتته فى الدنيا،و بالإحياءه الثانيه

إحياءته بالبعث للحساب يوم القيامه،و الآيه منطبقه على ما فى قوله تعالى :«كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوٰاتاً فَأَحْيٰاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ:» البقره:-٢٨.

و لما أحسوا بعدم صدق الإماته على حال الإنسان قبل ولوج الروح فى جسده لتوقفها على سبق الحياه تمحلوا فى تصحيحه تمحلات عجيبه من أراد الوقوف عليها فليراجع الكشاف،و شروحه.

على أنك قد عرفت أن ذكرهم ما مر عليهم من الإماته و الإحياءه إشاره إلى أسباب حصول يقينهم بالمعاد و الحياه الدنيا و الموت الذى قبلها لا أثر لهما فى ذلك.

و قيل:إن الحياه الأولى فى الدنيا و الثانيه فى القبر،و الموته الأولى فى الدنيا و الثانيه فى القبر و لا تعرض فى الآيه لحياه يوم البعث،و يرد عليه ما تقدم أن الحياه الدنيا لا تعلق لها بالغرض فلا موجب للتعرض لها،و الحياه يوم القيامه بالخلاف من ذلك.

و قيل:المراد بالإحياءتين إحياء البعث و الإحياء الذى قبله و إحياء البعث قسمان إحياء فى القبر و إحياء عند البعث و لم يتعرض لهذا التقسيم فى الآيه فتشمل الآيه الإحياءات الثلاث و الإماتتين جميعا.

و يرد عليه ما يرد على الوجهين السابقين عليه مضافا إلى ما أورد عليه أن ذكر الإماته الثانيه التى فى القبر دليل على أن التقسيم ملحوظ و المراد التعدد الشخصى لا النوعى.

و قيل:المراد إحياء النفوس فى عالم الذر ثم الإماته ثم الإحياء فى الدنيا ثم الإماته ثم الإحياء للبعث،و يرد عليه ما يرد على سوابقه.

و قيل:المراد بالتثنيه التكرار كما فى قوله تعالى :«ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ:» الملك:-۴،و المعنى أمتنا إماته و أحييتنا إحياءه بعد إحياءه.

و أورد عليه أنه إنما يتم لو كان القول:أمتنا إماتتين و أحييتنا إحياءتين أو كرتين مثلا لكن المقول نفس العدد و هو لا يحتمل ذلك كما قيل فى قوله :«إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ:» النحل:-۵١.

و قولهم:« فَهَلْ إِلىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ »دعاء و مسأله فى صوره الاستفهام،و فى تنكير الخروج و السبيل إشاره إلى رضاهم بأى نوع من الخروج كان من أى سبيل كانت

فقد بلغ بهم الجهد و اليوم يوم تقطعت بهم الأسباب فلا سبب يرجى أثره فى تخلصهم من العذاب.

قوله تعالى:« ذٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذٰا دُعِيَ اللّٰهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَ إِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا »إلخ خطاب تشديد للكفار موطنه يوم القيامه،و يحتمل أن يكون موطنه الدنيا خوطبوا بداعى زجرهم عن الشرك.

و الإشاره بقوله:« ذٰلِكُمْ »إلى ما هم فيه من الشده،و فى قوله:« وَ إِنْ يُشْرَكْ بِهِ »دلاله على الاستمرار،و الكلام مسوق لبيان معاندتهم للحق و معاداتهم لتوحيده تعالى فهم يكفرون بكل ما يلوح فيه أثر التوحيد و يؤمنون بكل ما فيه سمه الشرك فهم لا يراعون لله حقا و لا يحترمون له جانبا فالله سبحانه يحرم عليهم رحمته و لا يراعى فى حكمه لهم جانبا.

و بهذا المعنى يتصل قوله:« فَالْحُكْمُ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ »بأول الآيه و يتفرع عليه كأنه قيل:فإذا قطعتم عن الله بالمره و كفرتم بكل ما يريده و آمنتم بكل ما يكرهه فهو يقطع عنكم و يحكم فيكم بما يحكم من غير أى رعايه لحالكم.

فالآيه فى معنى قوله :«نَسُوا اللّٰهَ فَنَسِيَهُمْ:» التوبه:-۶۷،و الجمله أعنى قوله:

« فَالْحُكْمُ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ »خاصه بحسب السياق و إن كانت عامه فى نفسها،و فيها تهديد و يتأكد التهديد باختتامها بالاسمين العلى الكبير.

[سوره غافر (۴۰): الآيات ۱۳ الى ۲۰]

اشاره

هُوَ اَلَّذِي يُرِيكُمْ آيٰاتِهِ وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ اَلسَّمٰاءِ رِزْقاً وَ مٰا يَتَذَكَّرُ إِلاّٰ مَنْ يُنِيبُ (۱۳) فَادْعُوا اَللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اَلدِّينَ وَ لَوْ كَرِهَ اَلْكٰافِرُونَ (۱۴) رَفِيعُ اَلدَّرَجٰاتِ ذُو اَلْعَرْشِ يُلْقِي اَلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ اَلتَّلاٰقِ (۱۵) يَوْمَ هُمْ بٰارِزُونَ لاٰ يَخْفىٰ عَلَى اَللّٰهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ اَلْمُلْكُ اَلْيَوْمَ لِلّٰهِ اَلْوٰاحِدِ اَلْقَهّٰارِ (۱۶) اَلْيَوْمَ تُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ لاٰ ظُلْمَ اَلْيَوْمَ إِنَّ اَللّٰهَ سَرِيعُ اَلْحِسٰابِ (۱۷) وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ اَلْآزِفَةِ إِذِ اَلْقُلُوبُ لَدَى اَلْحَنٰاجِرِ كٰاظِمِينَ مٰا لِلظّٰالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لاٰ شَفِيعٍ يُطٰاعُ (۱۸) يَعْلَمُ خٰائِنَةَ اَلْأَعْيُنِ وَ مٰا تُخْفِي اَلصُّدُورُ (۱۹) وَ اَللّٰهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَ اَلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاٰ يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْبَصِيرُ (۲۰)

(بیان)

احتجاج علی التوحید و إنذار بعد تقسیم الناس إلی راجع إلی الله متبع سبیله و مکذب بالآیات مجادل بالباطل.

قوله تعالی:« هُوَ الَّذِی یُرِیکُمْ آیاتِهِ »إلی آخر الآیه المراد بالآیات هی العلائم و الحجج الداله علی وحدانیته تعالی فی الربوبیه و الألوهیه بدلیل ما سیجیء من تفریع قوله:« فَادْعُوا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ »علیه،و الآیات مطلقه شامله للآیات الکونیه المشهوده فی العالم لکل إنسان صحیح الإدراک و الآیات التی تجری علی أیدی الرسل و الحجج القائمه من طریق الوحی.

و الجمله مشتمله علی حجه فإنه لو کان هناک إله تجب عبادته علی الإنسان و کانت عبادته کمالا للإنسان و سعاده له کان من الواجب فی تمام التدبیر و کامل العنایه أن یهدی الإنسان إلیه،و الذی تدل الآیات الکونیه علی ربوبیته و ألوهیته و یؤید دلالتها الرسل و الأنبیاء بالدعوه و الإتیان بالآیات هو الله سبحانه،و أما آلهتهم الذین یدعونهم من دون الله فلا آیه من قبلهم تدل علی شیء فالله سبحانه هو الإله وحده لا شریک له،و إلی هذه الحجه یشیر علی(ع)بقوله

فیما روی عنه: «لو کان لربک شریک لأتتک رسله ».

و قوله:« وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمٰاءِ رِزْقاً »حجه أخرى على وحدانيته تعالى من جهه الرزق فإن رزق العباد من شئون الربوبيه و الألوهيه و الرزق من الله دون شركائهم فهو الرب الإله دونهم.

و قد فسروا الرزق بالمطر و السماء بجهه العلو،و لا يبعد أن يراد بالرزق نفس الأشياء التى يرتزق بها و بنزولها من السماء بروزها من الغيب إلى الشهاده على ما يفيده قوله :

«وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاّٰ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ:» الحجر:-٢١.

و قوله:« وَ مٰا يَتَذَكَّرُ إِلاّٰ مَنْ يُنِيبُ »معترضه تبين أن حصول التذكر بهذه الحجج إنما هو شأن إحدى الطائفتين المذكورتين من قبل و هم المنيبون الراجعون إلى ربهم دون المجادلين الكافرين فإن الكفر و الجحود يبطل استعداد التذكر بالحجه و الاتباع للحق.

قوله تعالى:« فَادْعُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَ لَوْ كَرِهَ الْكٰافِرُونَ »الأنسب للسياق أن يكون الخطاب عاما للمؤمنين و غيرهم متفرعا على الحجه السابقه غير أنه لا يشمل الكافرين المذكورين فى آخر الآيه و هم المكذبون المجادلون بالباطل.

كأنه قيل:إذا كانت الآيات تدل على وحدانيته تعالى و هو الرازق فعلى غير الكافرين الذين كذبوا و جادلوا أن يدعوا الله مخلصين له الدين،و أما الكافرون الكارهون للتوحيد فلا مطمع فيهم و لا آيه تفيدهم و لا حجه تقنعهم فاعبدوه بالإخلاص و دعوا الكافرين يكرهون ذلك.

قوله تعالى:« رَفِيعُ الدَّرَجٰاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ »إلخ صفات ثلاث له تعالى و كل منها خبر بعد خبر للضمير فى قوله:« هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيٰاتِهِ »و الآيه و ما بعدها مسوقه للإنذار.

و قد أورد لقوله:« رَفِيعُ الدَّرَجٰاتِ »تفاسير شتى فقيل:معناه رافع درجات الأنبياء و الأولياء فى الجنه،و قيل:رافع السماوات السبع التى منها تصعد الملائكه إلى عرشه،و قيل:رفيع مصاعد عرشه،و قيل:كنايه عن رفعه شأنه و سلطانه.

و الذى يعطيه التدبر أن الآيه و ما بعدها يصفان ملكه تعالى على خلقه أن له عرشا تجتمع فيه أزمه أمور الخلق و يتنزل منه الأمر متعاليا بدرجات رفيعه هى

مراتب خلقه و لعلها السماوات التی وصفها فی کلامه بأنها مساکن ملائکته و أن أمره یتنزل بینهن و هی التی تحجب عرشه عن الناس.

ثم إن له یوما هو یوم التلاق یرفع فیه الحجاب ما بینه و بین الناس بکشف الغطاء عن بصائرهم و طی السماوات بیمینه و إظهار عرشه لهم فینکشف لهم أنه هو الملیک علی کل شیء لا ملک إلا ملکه فیحکم بینهم.

فالمراد بالدرجات الدرجات التی یرتقی منها إلی عرشه و یعود قوله:« رَفِیعُ الدَّرَجٰاتِ ذُو الْعَرْشِ »کنایه استعاریه عن تعالی عرش ملکه عن مستوی الخلق و غیبته و احتجابه عنهم قبل یوم القیامه بدرجات رفیعه و مراحل بعیده.

و قوله:« یُلْقِی الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلیٰ مَنْ یَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ »إشاره إلی أمر الرساله التی من شأنها الإنذار،و تقیید الروح بقوله:« مِنْ أَمْرِهِ »دلیل علی أن المراد بها الروح التی ذکرها فی قوله :«قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی:» الإسراء:-۸۵و هی التی تصاحب ملائکه الوحی کما یشیر إلیه قوله :«یُنَزِّلُ الْمَلاٰئِکَهَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلیٰ مَنْ یَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا:» النحل:-۲.

فالمراد بإلقاء الروح علی من یشاء تنزیلها مع ملائکه الوحی علیه،و المراد بقوله:« مَنْ یَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ »الرسل الذین اصطفاهم الله لرسالته،و فی معنی الروح الملقاه علی النبی أقوال أخر لا یعبأ بها.

و قوله:« لِیُنْذِرَ یَوْمَ التَّلاٰقِ »و هو یوم القیامه سمی به لالتقاء الخلائق فیه أو لالتقاء الخالق و المخلوق أو لالتقاء أهل السماء و الأرض أو لالتقاء الظالم و المظلوم أو لالتقاء المرء و عمله و لکل من هذه الوجوه قائل.

و یمکن أن یتأید القول الثانی بما تکرر فی کلامه تعالی من حدیث اللقاء کقوله :

«بِلِقٰاءِ رَبِّهِمْ لَکٰافِرُونَ:» الروم:-۸، و قوله :«إِنَّهُمْ مُلاٰقُوا رَبِّهِمْ:» هود:-۲۹،و قوله :

«یٰا أَیُّهَا الْإِنْسٰانُ إِنَّکَ کٰادِحٌ إِلیٰ رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاٰقِیهِ:» الانشقاق:-۶ و معنی اللقاء تقطع الأسباب الشاغله و ظهور أن الله هو الحق المبین و بروزهم لله.

قوله تعالی:« یَوْمَ هُمْ بٰارِزُونَ لاٰ یَخْفیٰ عَلَی اللّٰهِ مِنْهُمْ شَیْءٌ »إلخ تفسیر لیوم التلاق،و معنی بروزهم لله ظهور ذلک لهم و ارتفاع الأسباب الوهمیه التی کانت تجذبهم

إلى نفسها و تحجبهم عن ربهم و تغفلهم عن إحاطه ملكه و تفرده فى الحكم و توحده فى الربوبيه و الألوهيه.

فقوله:« يَوْمَ هُمْ بٰارِزُونَ »إشاره إلى ارتفاع كل سبب حاجب،و قوله:« لاٰ يَخْفىٰ عَلَى اللّٰهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ »تفسير لمعنى بروزهم لله و توضيح فقلوبهم و أعمالهم بعين الله و ظاهرهم و باطنهم و ما ذكروه و ما نسوه مكشوفه غير مستوره.

و قوله:« لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ »سؤال و جواب من ناحيته سبحانه تبين بهما حقيقه اليوم و هى ظهور ملكه و سلطانه تعالى على الخلق على الإطلاق.

و فى توصيفه تعالى بالواحد القهار تعليل لانحصار الملك فيه لأنه إذ قهر كل شىء ملكه و تسلط عليه بسلب الاستقلال عنه و هو واحد فله الملك وحده.

قوله تعالى:« اَلْيَوْمَ تُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ لاٰ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسٰابِ »الباء فى« بِمٰا كَسَبَتْ »للصله و المراد بيان خصيصه اليوم و هى أن كل نفس تجزى عين ما كسبت فجزاؤها عملها،قال تعالى :«يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاٰ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ:» التحريم:-٧.

و قوله:« إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسٰابِ »تعليل لنفى الظلم فى قوله:« لاٰ ظُلْمَ الْيَوْمَ » أى إنه تعالى سريع فى المحاسبه لا يشغله حساب نفس عن حساب أخرى حتى يخطئ فيجزى نفسا غير جزائها فيظلمها.

و هذا التعليل ناظر إلى نفى الظلم الناشئ عن الخطإ و أما الظلم عن عمد و علم فانتفاؤه مفروغ عنه لأن الجزاء لما كان بنفس العمل لم يتصور معه ظلم.

قوله تعالى:« وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَهِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنٰاجِرِ كٰاظِمِينَ »إلى آخر الآيه.الآزفه من أوصاف القيامه و معناها القريبه الدانيه قال تعالى :«إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرٰاهُ قَرِيباً:» المعارج:-٧.

و قوله:« إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنٰاجِرِ كٰاظِمِينَ » الحناجر جمع حنجره و هى رأس الغلصمه من خارج و كون القلوب لدى الحناجر كنايه عن غايه الخوف كأنها تزول عن مقرها و تبلغ الحناجر من شده الخوف،و كاظمين من الكظم و هو شده الاغتمام.

و قوله:« مٰا لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لاٰ شَفِيعٍ يُطٰاعُ » الحميم القريب أی ليس لهم قريب يقوم بنصرهم بحميه القرابه قال تعالی :«فَلاٰ أَنْسٰابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ:» المؤمنون:-١٠١، و لا شفيع يطاع فی شفاعته.

قوله تعالی:« يَعْلَمُ خٰائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ مٰا تُخْفِی الصُّدُورُ »قيل:الخائنه مصدر كالخيانه نظيره الكاذبه و اللاغيه بمعنی الكذب و اللغو،و ليس المراد بخائنه الأعين كل معصيه من معاصيها بل المعاصی التی لا تظهر للغير كسارقه النظر بدليل ذكرها مع ما تخفی الصدور.

و قيل:« خٰائِنَةَ الْأَعْيُنِ »من قبيل إضافه الصفه إلی الموصوف،و لازمه كون العلم بمعنی المعرفه و المعنی يعرف الأعين الخائنه،و الوجه هو الأول.

و قوله:« وَ مٰا تُخْفِی الصُّدُورُ »و هو ما تسره النفس و تستره من وجوه الكفر و النفاق و هيئات المعاصی.

قوله تعالی:« وَ اللّٰهُ يَقْضِی بِالْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاٰ يَقْضُونَ بِشَیْءٍ » إلخ هذه حجه أخری علی توحده تعالی بالألوهيه أقامها بعد ما ذكر حديث انحصار الملك فيه يوم القيامه و علمه بخائنه الأعين و ما تخفی الصدور تمهيدا و توطئه.

و محصلها أن من اللازم الضروری فی الألوهيه أن يقضی الإله فی عباده و بينهم و الله سبحانه هو يقضی بين الخلق و فيهم يوم القيامه و الذين يدعون من دونه لا يقضون بشیء لأنهم عباد مملوكون لا يملكون شيئا.

و من قضائه تعالی تدبيره جزئيات أمور عباده بالخلق بعد الخلق فإنه مصداق القضاء و الحكم قال تعالی :«إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ:» يس:- ٨٢و قال :«إِذٰا قَضیٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ:» آل عمران: -۴٧،و لا نصيب لغيره تعالی فی الخلق فلا نصيب له فی القضاء.

و من قضائه تعالی تشريع الدين و ارتضاؤه سبيلا لنفسه قال تعالی :«وَ قَضیٰ رَبُّكَ أَلاّٰ تَعْبُدُوا إِلاّٰ إِيّٰاهُ» XالآيهX:الإسراء:-٢٣.

و قوله:« إِنَّ اللّٰهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »أی له حقيقه العلم بالمسموعات و المبصرات لذاته،و ليس لغيره من ذلك إلا ما ملكه الله و أذن فيه لا لذاته.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،:فی قوله تعالی:« يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ » قال:روح القدس-و هو خاص برسول الله و الأئمه(ص).

و فی المعانی،بإسناده عن حفص بن غیاث عن أبی عبد الله(ع)قال: یوم التلاق یوم یلتقی أهل السماء و أهل الأرض.:

أقول:و رواه القمی فی تفسیره،مضمرا مرسلا .

و فی التوحید،بإسناده عن ابن فضال عن الرضا عن آبائه عن علی(ع)فی حدیث قال: و یقول الله عز و جل:« لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ »ثم ینطق أرواح أنبیائه و رسله و حججه فیقولون:« لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ »ثم یقول الله جل جلاله:« اَلْيَوْمَ تُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ »الآیه.

و فی نهج البلاغه،: و أنه سبحانه یعود بعد فناء الدنیا وحده لا شیء معه،کما کان قبل ابتدائها کذلک یکون بعد فنائها،بلا وقت و لا زمان و لا حین و لا مکان،عدمت عند ذلک الآجال و الأوقات،و زالت السنون و الساعات،-فلا شیء إلا الله الواحد القهار-الذی إلیه مصیر جمیع الأمور،بلا قدره منها کان ابتداء خلقها،و بغیر امتناع منها کان فناؤها،و لو قدرت علی الامتناع لدام بقاؤها

و فی تفسیر القمی،بإسناده عن ثویر بن أبی فاخته عن علی بن الحسین(ع)قال:

سئل عن النفختین کم بینهما؟قال:ما شاء-.

ثم ذکر(ع)کیفیه النفخ و موت أهل الأرض و السماء-إلی أن قال-فیمکثون فی ذلک ما شاء الله-ثم یأمر السماء فتمور و یأمر الجبال فتسیر-و هو قوله:« يَوْمَ تَمُورُ السَّمٰاءُ مَوْراً وَ تَسِيرُ الْجِبٰالُ سَيْراً »یعنی یبسط و تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ -یعنی بأرض لم تکسب علیها الذنوب-بارزه لیس علیها جبال و لا نبات کما دحاها أول مره،و یعید عرشه علی الماء کما کان أول مره-مستقلا بعظمته و قدرته-.

قال:فعند ذلک ینادی الجبار جل جلاله-بصوت من قبله جهوری-یسمع أقطار السماوات و الأرضین« لِمَنِ الْمُلْکُ الْیَوْمَ »فلم یجبه مجیب-فعند ذلک یقول الجبار عز و جل مجیبا لنفسه« لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ » الحدیث.

أقول:التدبر فی الروایات الثلاث الأخیره یهدی إلی أن الذی یفنی من الخلق استقلال وجودها و النسب و روابط التأثیر التی بینها کما تفیده الآیات القرآنیه و أن الأرواح لا تموت،و أن لا وقت بین النفختین فلا تغفل،و فی الروایات لطائف من الإشارات تظهر للمتدبر،و فیها ما یخالف بظاهره ما تقدم.

و فی روضه الکافی،بإسناده عن ابن أبی عمیر عن موسی بن جعفر(ع)فی حدیث قال: یا أبا أحمد ما من مؤمن یرتکب ذنبا-إلا أساءه ذلک و ندم علیه-و قد قال النبی ص «کفی بالندم توبه»و قال:«من سرته حسنته و ساءته سیئته فهو مؤمن»فإن لم یندم علی ذنب یرتکبه فلیس بمؤمن-و لم تجب له شفاعه و کان ظالما و الله تعالی یقول:« ما لِلظّالِمِینَ مِنْ حَمِیمٍ وَ لا شَفِیعٍ یُطاعُ ».

و فی المعانی،بإسناده إلی عبد الرحمن بن سلمه الحریری قال: سألت أبا عبد الله (ع)عن قول الله عز و جل:« یَعْلَمُ خائِنَهَ الْأَعْیُنِ »فقال:أ لم تر إلی الرجل ینظر إلی الشیء و کأنه لا ینظر-فذلک خائنه الأعین.

و فی الدر المنثور،أخرج أبو داود و النسائی و ابن مردویه عن سعد قال: لما کان یوم فتح مکه أمن رسول الله ص الناس-إلا أربعه نفر و امرأتین،و قال:اقتلوهم و إن وجدتموهم متعلقین بأستار الکعبه-منهم عبد الله بن سعد بن أبی سرح-فاختبأ عند عثمان بن عفان-.

فلما دعا رسول الله ص الناس إلی البیعه جاء به فقال:یا رسول الله بایع عبد الله -فنظر إلیه ثلاثا کل ذلک یأبی أن یبایعه-ثم بایعه ثم أقبل علی أصحابه فقال:أ ما کان فیکم رجل رشید یقوم إلی هذا إلی حین رآنی-کففت یدی عن بیعته فیقتله؟فقالوا:

ما یدرینا یا رسول الله ما فی نفسک-هلا أومأت إلینا بعینک.قال:إنه لا ینبغی لنبی أن یکون له خائنه الأعین.

[سوره غافر (۴۰): الآيات ۲۱ الى ۵۴]

اشاره

أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي اَلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ اَلَّذِينَ كٰانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كٰانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثٰاراً فِي اَلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اَللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ مٰا كٰانَ لَهُمْ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ وٰاقٍ (۲۱) ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كٰانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اَللّٰهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ اَلْعِقٰابِ (۲۲) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا مُوسىٰ بِآيٰاتِنٰا وَ سُلْطٰانٍ مُبِينٍ (۲۳) إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ قٰارُونَ فَقٰالُوا سٰاحِرٌ كَذّٰابٌ (۲۴) فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنٰا قٰالُوا اُقْتُلُوا أَبْنٰاءَ اَلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اِسْتَحْيُوا نِسٰاءَهُمْ وَ مٰا كَيْدُ اَلْكٰافِرِينَ إِلاّٰ فِي ضَلاٰلٍ (۲۵) وَ قٰالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسىٰ وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخٰافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي اَلْأَرْضِ اَلْفَسٰادَ (۲۶) وَ قٰالَ مُوسىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاٰ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ اَلْحِسٰابِ (۲۷) وَ قٰالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمٰانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اَللّٰهُ وَ قَدْ جٰاءَكُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يَكُ كٰاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صٰادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ اَلَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذّٰابٌ (۲۸) يٰا قَوْمِ لَكُمُ اَلْمُلْكُ اَلْيَوْمَ ظٰاهِرِينَ فِي اَلْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنٰا مِنْ بَأْسِ اَللّٰهِ إِنْ جٰاءَنٰا قٰالَ فِرْعَوْنُ مٰا أُرِيكُمْ إِلاّٰ مٰا أَرىٰ وَ مٰا أَهْدِيكُمْ إِلاّٰ سَبِيلَ اَلرَّشٰادِ (۲۹) وَ قٰالَ اَلَّذِي آمَنَ يٰا قَوْمِ إِنِّي أَخٰافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ اَلْأَحْزٰابِ (۳۰) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَ عٰادٍ وَ ثَمُودَ وَ اَلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ مَا اَللّٰهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبٰادِ (۳۱) وَ يٰا قَوْمِ إِنِّي أَخٰافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ اَلتَّنٰادِ (۳۲) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مٰا لَكُمْ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ عٰاصِمٍ وَ مَنْ يُضْلِلِ اَللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ (۳۳) وَ لَقَدْ جٰاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنٰاتِ فَمٰا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمّٰا جٰاءَكُمْ بِهِ حَتّٰى إِذٰا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اَللّٰهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اَللّٰهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتٰابٌ (۳۴) اَلَّذِينَ يُجٰادِلُونَ فِي آيٰاتِ اَللّٰهِ بِغَيْرِ سُلْطٰانٍ أَتٰاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اَللّٰهِ وَ عِنْدَ اَلَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اَللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّٰارٍ (۳۵) وَ قٰالَ فِرْعَوْنُ يٰا هٰامٰانُ اِبْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ اَلْأَسْبٰابَ (۳۶) أَسْبٰابَ اَلسَّمٰاوٰاتِ فَأَطَّلِعَ إِلىٰ إِلٰهِ مُوسىٰ وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كٰاذِباً وَ كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَ صُدَّ عَنِ اَلسَّبِيلِ وَ مٰا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاّٰ فِي تَبٰابٍ (۳۷) وَ قٰالَ اَلَّذِي آمَنَ يٰا قَوْمِ اِتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ اَلرَّشٰادِ (۳۸) يٰا قَوْمِ إِنَّمٰا هٰذِهِ اَلْحَيٰاةُ اَلدُّنْيٰا مَتٰاعٌ وَ إِنَّ اَلْآخِرَةَ هِيَ دٰارُ اَلْقَرٰارِ (۳۹) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاٰ يُجْزىٰ إِلاّٰ مِثْلَهٰا وَ مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ اَلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهٰا بِغَيْرِ حِسٰابٍ (۴۰) وَ يٰا قَوْمِ مٰا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى اَلنَّجٰاةِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى اَلنّٰارِ (۴۱) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللّٰهِ وَ أُشْرِكَ بِهِ مٰا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى اَلْعَزِيزِ اَلْغَفّٰارِ (۴۲) لاٰ جَرَمَ أَنَّمٰا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي اَلدُّنْيٰا وَ لاٰ فِي اَلْآخِرَةِ وَ أَنَّ مَرَدَّنٰا إِلَى اَللّٰهِ وَ أَنَّ اَلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ (۴۳) فَسَتَذْكُرُونَ مٰا أَقُولُ لَكُمْ وَ أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ بَصِيرٌ بِالْعِبٰادِ (۴۴) فَوَقٰاهُ اَللّٰهُ سَيِّئٰاتِ مٰا مَكَرُوا وَ حٰاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ اَلْعَذٰابِ (۴۵) اَلنّٰارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهٰا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ اَلسّٰاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ اَلْعَذٰابِ (۴۶) وَ إِذْ يَتَحٰاجُّونَ فِي اَلنّٰارِ فَيَقُولُ اَلضُّعَفٰاءُ لِلَّذِينَ اِسْتَكْبَرُوا إِنّٰا كُنّٰا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّٰا نَصِيباً مِنَ اَلنّٰارِ (۴۷) قٰالَ اَلَّذِينَ اِسْتَكْبَرُوا إِنّٰا كُلٌّ فِيهٰا إِنَّ اَللّٰهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ اَلْعِبٰادِ (۴۸) وَ قٰالَ اَلَّذِينَ فِي اَلنّٰارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ اُدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنّٰا يَوْماً مِنَ اَلْعَذٰابِ (۴۹) قٰالُوا أَ وَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ قٰالُوا بَلىٰ قٰالُوا فَادْعُوا وَ مٰا دُعٰاءُ اَلْكٰافِرِينَ إِلاّٰ فِي ضَلاٰلٍ (۵۰) إِنّٰا لَنَنْصُرُ رُسُلَنٰا وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا فِي اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا وَ يَوْمَ يَقُومُ اَلْأَشْهٰادُ (۵۱) يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ اَلظّٰالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اَللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ اَلدّٰارِ (۵۲) وَ لَقَدْ آتَيْنٰا مُوسَى اَلْهُدىٰ وَ أَوْرَثْنٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ اَلْكِتٰابَ (۵۳) هُدىً وَ ذِكْرىٰ لِأُولِي اَلْأَلْبٰابِ (۵۴)

(بیان)

فی الآیات موعظتهم بالإرجاع إلی آثار الأمم الماضین و قصصهم للنظر و الاعتبار فلینظروا فیها و لیعتبروا بها و یعلموا أن الله سبحانه لا تعجزه قوه الأقویاء و استکبار المستکبرین و مکر الماکرین و تذکر منها من باب الأنموذج طرفا من قصص موسی و فرعون و فیها قصه مؤمن آل فرعون.

قوله تعالی:« أَ وَ لَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا »إلی آخر الآیه الاستفهام إنکاری،و الواقی اسم فاعل من الوقایه بمعنی حفظ الشیء مما یؤذیه و یضره.

و المعنی:أ و لم یسیروا هؤلاء الذین أرسلناک إلیهم« فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا »نظر تفکر و اعتبار« کَیْفَ کٰانَ عٰاقِبَهُ الَّذِینَ کٰانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ »من الأمم الدارجه المکذبین لرسلهم« کٰانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّهً »أی قدره و تمکنا و سلطه« وَ آثٰاراً »کالمدائن الحصینه و القلاع المنیعه و القصور العالیه المشیده« فِی الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ »و أهلکهم بأعمالهم« وَ مٰا کٰانَ لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وٰاقٍ »یقیهم و حافظ یحفظهم.

ص :۳۲۶

قوله تعالى:« ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كٰانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ »إلخ الإشاره بذلك إلى الأخذ الإلهى،و المراد بالبينات الآيات الواضحات،و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا مُوسىٰ بِآيٰاتِنٰا وَ سُلْطٰانٍ مُبِينٍ »لعل المراد بالآيات الخوارق المعجزه التى أرسل بها كالعصا و اليد و غيرهما و بالسلطان المبين السلطه الإلهيه القاهره التى أيد بها فمنعت فرعون أن يقتله و يطفئ نوره،و قيل:المراد بالآيات الحجج و الدلالات و بالسلطان معجزاته من العصا و اليد و غيرهما،و قيل:غير ذلك.

قوله تعالى:« إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ قٰارُونَ فَقٰالُوا سٰاحِرٌ كَذّٰابٌ »فرعون جبار القبط و مليكهم،و هامان وزيره و قارون من طغاه بنى إسرائيل ذو الخزائن المليئه؟ و إنما اختص الثلاثه من بين الأمتين بالذكر لكونهم أصولا ينتهى إليهم كل فساد و فتنه فيهما.

قوله تعالى:« فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنٰا قٰالُوا اقْتُلُوا أَبْنٰاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ »إلخ مقايسه بين ما جاءهم به موسى و دعاهم إليه و بين ما قابلوه به من كيدهم فقد جاءهم بالحق و كان من الواجب أن يقبلوه لأنه حق و كان ما جاء به من عند الله و كان من الواجب أن يقبلوه و لا يردوه فقابلوه بالكيد و قالوا ما قالوا لئلا يؤمن به أحد لكن الله أضل كيدهم فلم يصب المؤمنين معه.

و يشعر السياق أن من القائلين بهذا القول قارون و هو من بنى إسرائيل و لا ضير فيه لأن الحكم بقتل الأبناء و استحياء النساء كان قبل الدعوه صادرا فى حق بنى إسرائيل عامه و هذا الحكم فى حق المؤمنين منهم خاصه فلعل قارون وافقهم عليه لعداوته و بغضه موسى و المؤمنين من قومه.

و فى قوله:« اَلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ »و لم يقل:آمنوا به إشاره إلى مظاهرتهم موسى فى دعوته.

قوله تعالى:« وَ قٰالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسىٰ وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ »إلخ« ذَرُونِي »أى اتركونى،خطاب يخاطب به ملأه،و فيه دلاله على أنه كان هناك قوم يشيرون عليه أن لا يقتل موسى و يكف عنه كما يشير إليه قوله تعالى :«قٰالُوا أَرْجِهْ وَ أَخٰاهُ:» الشعراء:-٣۶.

و قوله:« وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ »كلمه قالها كبرا و عتوا يقول:اتركونى أقتله و ليدع ربه

فلينجه من يدى و ليخلصه من القتل إن قدر.

و قوله:« إِنِّی أَخٰافُ أَنْ یُبَدِّلَ دِینَکُمْ أَوْ أَنْ یُظْهِرَ فِی الْأَرْضِ الْفَسٰادَ »تعليل لما عزم عليه من القتل و قد ذكر أنه يخافه عليهم من جهه دينهم و من جهه دنياهم،أما من جهه دينهم-و هو عباده الأصنام-فأن يبدله و يضع موضعه عباده الله وحده،و أما من جهه دنياهم فكأن يعظم أمره و يتقوى جانبه و يكثر متبعوه فيتظاهروا بالتمرد و المخالفه فيئول الأمر إلى المشاجره و القتال و انسلاب الأمن.

قوله تعالى:« وَ قٰالَ مُوسیٰ إِنِّی عُذْتُ بِرَبِّی وَ رَبِّکُمْ مِنْ کُلِّ مُتَکَبِّرٍ لاٰ یُؤْمِنُ بِیَوْمِ الْحِسٰابِ »مقابله منه(ع)لتهديد فرعون إياه بالقتل و استعاذه منه بربه،و قوله:

« عُذْتُ بِرَبِّی وَ رَبِّکُمْ »فيه مقابله منه أيضا لفرعون فى قوله:« وَ لْیَدْعُ رَبَّهُ »حيث خص ربوبيته تعالى بموسى فأشار موسى بقوله:« عُذْتُ بِرَبِّی وَ رَبِّکُمْ »إلى أنه تعالى ربهم كما هو ربه نافذ حكمه فيهم كما هو نافذ فيه فله أن يقى عائذه من شرهم و قد وقى.

و من هنا يظهر أن الخطاب فى قوله:« وَ رَبِّکُمْ »لفرعون و من معه دون قومه من بنى إسرائيل.

و قوله:« مِنْ کُلِّ مُتَکَبِّرٍ لاٰ یُؤْمِنُ بِیَوْمِ الْحِسٰابِ »يشير به إلى فرعون و كل من يشاركه فى صفتى التكبر و عدم الإيمان بيوم الحساب و لا يؤمن ممن اجتمعت فيه الصفتان شر أصلا.

قوله تعالى:« وَ قٰالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَکْتُمُ إِیمٰانَهُ »إلى آخر الآيه.

ظاهر السياق أن« مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ »صفه رجل و« یَکْتُمُ إِیمٰانَهُ »صفه أخرى فكان الرجل من القبط من خاصه فرعون و هم لا يعلمون بإيمانه لكتمانه إياهم ذلك تقيه.

و قيل:قوله:« مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ »مفعول ثان لقوله:« یَکْتُمُ »قدم عليه ، و الغالب فيه و إن كان التعدى إلى المفعول الثانى بنفسه كما فى قوله :«وَ لاٰ یَکْتُمُونَ اللّٰهَ حَدِیثاً:» النساء:-۴۲ لكنه قد يتعدى إليه بمن كما صرح به فى المصباح،.

و فيه أن السياق يأباه فلا نكته ظاهره تقتضى تقدم المفعول الثانى على الفعل من حصر و نحوه.على أن الرجل يكرر نداء فرعون و قومه بلفظه« یٰا قَوْمِ »و لو لم يكن منهم لم يكن له ذلك.

و قوله:« أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّهُ وَ قَدْ جٰاءَكُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ مِنْ رَبِّكُمْ »إنكار لعزمهم على قتله،و فى قوله:« مِنْ رَبِّكُمْ »دليل على أن فى البينات التى جاء بها دلاله على أن الله ربهم أيضا كما اتخذه ربا فقتله قتل رجل جاء بالحق من ربهم.

و قوله:« وَ إِنْ يَكُ كٰاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ »قيل:إن ذكره هذا التقدير تلطف منه لا أنه كان شاكا فى صدقه.

و قوله:« وَ إِنْ يَكُ صٰادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ »فيه تنزل فى المخاصمه بالاكتفاء على أيسر التقادير و أقلها كأنه يقول:و إن يك صادقا يصبكم ما وعدكم من أنواع العذاب و لا أقل من إصابه بعض ما يعدكم مع أن لازم صدقه إصابه جميع ما وعد.

و قوله:« إِنَّ اللّهَ لاٰ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذّٰابٌ »تعليل للتقدير الثانى فقط و المعنى إن يك كاذبا كفاه كذبه و إن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم لأنكم حينئذ مسرفون متعدون طوركم كذابون فى نفى ربوبيه ربكم و اتخاذ أرباب من دونه و الله لا يهدى من هو مسرف كذاب،و أما على تقدير كذبه فلا ربوبيه لمن اتخذه ربا حتى يهديه أو لا يهديه.

و من هنا يظهر أن ما ذكره بعضهم من كون الجمله تعليلا للتقديرين جميعا متعلقه بكلتا الجملتين غير مستقيم.

قوله تعالى:« يٰا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظٰاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنٰا مِنْ بَأْسِ اللّهِ إِنْ جٰاءَنٰا » ظهورهم غلبتهم و علوهم فى الأرض،و الأرض أرض مصر،و بأس الله أخذه و عذابه و الاستفهام للإنكار.

و المعنى:يا قوم لكم الملك حال كونهم غالبين عالين فى أرض مصر على من دونكم من بنى إسرائيل فمن ينصرنا من أخذ الله و عذابه كما يعدنا به موسى إن جاءنا؟و قد أدخل نفسه فيهم على تقدير مجىء البأس ليكون أبلغ فى النصح و أوقع فى قلوبهم أنه يريد لهم من العافيه ما يريده لنفسه.

قوله تعالى:« قٰالَ فِرْعَوْنُ مٰا أُرِيكُمْ إِلاّٰ مٰا أَرىٰ وَ مٰا أَهْدِيكُمْ إِلاّٰ سَبِيلَ الرَّشٰادِ » أى طريق الصواب المطابقه للواقع يريد أنه على يقين مما يهدى إليه قومه من الطريق

و هی مع کونها معلومه له مطابقه للواقع،و هذا کان تمویها منه و تجلدا.

قوله تعالی:« وَ قٰالَ اَلَّذِی آمَنَ یٰا قَوْمِ إِنِّی أَخٰافُ عَلَیْکُمْ مِثْلَ یَوْمِ اَلْأَحْزٰابِ إلی قوله- لِلْعِبٰادِ »المراد بالذی آمن هو مؤمن آل فرعون،و لا یعبأ بما قیل:إنه موسی لقوه کلامه، و المراد بالأحزاب الأمم المذکورون فی الآیه التالیه قوم نوح و عاد و ثمود و الذین من بعدهم،و قوله:« مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ »بیان للمثل السابق و الدأب هو العاده.

و المعنی:یا قوم إنی أخاف علیکم مثل یوم الأقوام الماضین مثل العاده الجاریه من العذاب علیهم واحدا بعد واحد لکفرهم و تکذیبهم الرسل،أو مثل جزاء عادتهم الدائمه من الکفر و التکذیب و ما الله یرید ظلما للعباد.

قوله تعالی:« وَ یٰا قَوْمِ إِنِّی أَخٰافُ عَلَیْکُمْ یَوْمَ اَلتَّنٰادِ إلی قوله- مِنْ هٰادٍ »یوم التناد یوم القیامه،و لعل تسمیته بذلک لکون الظالمین فیه ینادی بعضهم بعضا و ینادون بالویل و الثبور علی ما اعتادوا به فی الدنیا.

و قیل:المراد بالتنادی المناداه التی تقع بین أصحاب الجنه و أصحاب النار علی ما ذکره الله تعالی فی سوره الأعراف،و هناک وجوه أخر ذکروها لا جدوی فیها.

و قوله:« یَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِینَ مٰا لَکُمْ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ عٰاصِمٍ »المراد به یوم القیامه و لعل المراد أنهم یفرون فی النار من شده عذابها لیتخلصوا منها فردوا إلیها کما قال تعالی :«کُلَّمٰا أَرٰادُوا أَنْ یَخْرُجُوا مِنْهٰا مِنْ غَمٍّ أُعِیدُوا فِیهٰا وَ ذُوقُوا عَذٰابَ اَلْحَرِیقِ:» الحج:-٢٢.

و قوله:« وَ مَنْ یُضْلِلِ اَللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ »بمنزله التعلیل لقوله:« مٰا لَکُمْ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ عٰاصِمٍ »أی تفرون مدبرین ما لکم من عاصم و لو کان لکان من جانب الله و لیس و ذلک لأن الله أضلهم و من یضلل الله فما له من هاد.

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ جٰاءَکُمْ یُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَیِّنٰاتِ »إلی آخر الآیه.لما ذکر أن الله أضلهم و لا هادی لهم استشهد له بما عاملوا به یوسف(ع)فی رسالته إلیهم حیث شکوا فی نبوته ما دام حیا ثم إذا مات قالوا:لا نبی بعده.

فالمعنی:و أقسم لقد جاءکم یوسف من قبل بالآیات البینات التی لا تدع ریبا فی

رسالته من الله فما زلتم فی شک مما جاءکم به ما دام حیا حتی إذا هلک و مات قلتم لن یبعث الله من بعده رسولا فناقضتم أنفسکم و لم تبالوا.

ثم أکده-و هو فی معنی التعلیل-بقوله:« کَذٰلِکَ یُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتٰابٌ ».

قوله تعالی:« اَلَّذِینَ یُجٰادِلُونَ فِی آیٰاتِ اللّٰهِ بِغَیْرِ سُلْطٰانٍ أَتٰاهُمْ »إلخ وصف لکل مسرف مرتاب فإن من تعدی طوره بالإعراض عن الحق و اتباع الهوی و استقر فی نفسه الارتیاب فکان لا یستقر علی علم و لا یطمئن إلی حجه تهدیه إلی الحق جادل فی آیات الله بغیر برهان إذا خالفت مقتضی هواه.

و قوله:« کَذٰلِکَ یَطْبَعُ اللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ قَلْبِ مُتَکَبِّرٍ جَبّٰارٍ »یفید أن قلوبهم مطبوع علیها فلا یفقهون حجه و لا یرکنون إلی برهان.

قوله تعالی:« وَ قٰالَ فِرْعَوْنُ یٰا هٰامٰانُ ابْنِ لِی صَرْحاً إلی قوله- فِی تَبٰابٍ » أمر منه لوزیره هامان أن یبنی له بناء یتوصل به إلی الاطلاع إلی إله موسی و لعله أصدر هذا الأمر أثناء محاجه الذی آمن و بعد الانصراف عن قتل موسی و لذلک وقع ذکره بین مواعظ الذی آمن و احتجاجاته.

و الصرح -علی ما فی المجمع،-البناء الظاهر الذی لا یخفی علی عین الناظر و إن بعد،و الأسباب جمع سبب و هو ما تتوصل به إلی ما یبتعد عنک.

و قوله:« لَعَلِّی أَبْلُغُ الْأَسْبٰابَ »فی معنی التعلیل لأمره ببناء الصرح،و المعنی آمرک ببنائه لأنی أرجو أن أبلغ بالصعود علیه الأسباب ثم فسر الأسباب بقوله:

« أَسْبٰابَ السَّمٰاوٰاتِ »و فرع علیه قوله:« فَأَطَّلِعَ إِلیٰ إِلٰهِ مُوسیٰ »کأنه یقول:إن الإله الذی یدعوه و یدعو إلیه موسی لیس فی الأرض إذ لا إله فیها غیری فلعله فی السماء فابن لی صرحا لعلی أبلغ بالصعود علیه الأسباب السماویه الکاشفه عن خبایا السماء فأطلع من جهتها إلی إله موسی و إنی لأظنه کاذبا.

و قیل:إن مراده أن یبنی له رصدا یرصد فیه الأوضاع السماویه لعله یعثر فیها علی ما یستدل به علی وجود إله موسی بعد الیأس عن الظفر علیه بالوسائل الأرضیه

و هو حسن،و على أى حال لا يستقيم ما ذكره على شىء من مذاهب الوثنيه فلعله كان منه تمويها على الناس أو جهلا منه و ما هو من الظالمين ببعيد.

و قوله:« وَ كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ »مفاد السياق أنه فى معنى إعطاء الضابط لما واجه به فرعون الحق الذى كان يدعوه إليه موسى فقد زين الشيطان له قبيح عمله فرآه حسنا و صده عن سبيل الرشاد فرأى انصداده عنها ركوبا عليها فجادل فى آيات الله بالباطل و أتى بمثل هذه الأعمال القبيحه و المكائد السفيهه لإدحاض الحق.

و لذلك ختمت الآيه بقوله:« وَ مٰا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاّٰ فِي تَبٰابٍ »أى هلاك و انقطاع.

قوله تعالى:« وَ قٰالَ الَّذِي آمَنَ يٰا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشٰادِ »يدعوهم إلى اتباعه ليهديهم،و اتباعه اتباع موسى،و سبيل الرشاد السبيل التى فى سلوكها إصابه الحق و الظفر بالسعاده،و الهدايه بمعنى إراءه الطريق،و فى قوله:« أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشٰادِ »تعريض لفرعون حيث قال:« وَ مٰا أَهْدِيكُمْ إِلاّٰ سَبِيلَ الرَّشٰادِ »و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« يٰا قَوْمِ إِنَّمٰا هٰذِهِ الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا مَتٰاعٌ وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دٰارُ الْقَرٰارِ » هذا هو السناد الذى يستند إليه سلوك سبيل الرشاد و التدين بدين الحق لا غنى عنه بحال و هو الاعتقاد بأن للإنسان حياه خالده مؤبده هى الحياه الآخره و أن هذه الحياه الدنيا متاع فى الآخره و مقدمه مقصوده لأجلها،و لذلك بدأ به فى بيان سبيل الرشاد ثم ذكر السيئه و العمل الصالح.

قوله تعالى:« مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاٰ يُجْزىٰ إِلاّٰ مِثْلَهٰا »إلى آخر الآيه.أى إن الذى يصيبه و يعيش به فى الآخره يشاكل ما أتى به فى هذه الحياه الدنيا التى هى متاع فيها فإنما الدنيا دار عمل و الآخره دار جزاء.

من عمل فى الدنيا سيئه ذات صفه المساءه فلا يجزى فى الآخره إلا مثلها مما يسوؤه و من عمل صالحا من ذكر أو أنثى من غير فرق بينهما فى ذلك و الحال أنه مؤمن فأولئك يدخلون الجنه يرزقون فيها بغير حساب.

و فيه إشاره إلى المساواه بين الذكر و الأنثى فى قبول العمل و تقييد العمل الصالح

فی تأثیره بالإیمان لکون العمل حبطا بـدون الإیمان قال تعالی :«وَ مَنْ یَکْفُرْ بِالْإِیمٰانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ:» المائـده:-۵ إلی غیرها من الآیات.

و قد جمع الدین الحق و هو سبیل الرشاد فی أوجز بیان و هو أن للإنسان دار قرار یجزی فیها بما عمل فی الدنیا من عمل سیئ أو صالح فلیعمل صالحا و لا یعمل سیئا، و زاد بیانا إذ أفاد أنه إن عمل صالحا یرزق بغیر حساب.

قوله تعالی:« وَ یٰا قَوْمِ مٰا لِی أَدْعُوکُمْ إِلَی النَّجٰاهِ وَ تَـدْعُونَنِی إِلَی النّٰارِ إلی قوله- اَلْعَزِیزِ الْغَفّٰارِ »کأنه لما دعاهم إلی التوحیـد قابلوه بدعوته إلی عباده آلهتهم أو قدرها لهم لما شاهد جدالهم بالباطل و إصـرارهم علی الشـرک فنسب إلیهم الدعوه بشـهاده حالهم فأظهر العجب من مقابلتهم دعوته الحقه بدعوتهم الباطله.

فقال:و یا قوم ما لی أدعوکم إلی النجاه أی النجاه من النار و تـدعوننی إلی النار و قـد کان یـدعوهم إلی سـبب النجاه و یـدعونه إلی سبب دخول النار فجعل الدعوه إلی السببین دعوه إلی المسببین أو لأن الجزاء هو العمل بوجه.

ثم فسر ما دعوه إلیه و ما دعاهم إلیه فقال: تَدْعُونَنِی لِأَکْفُرَ أی إلی أن أکفر بِاللّٰهِ وَ أُشْـرِکَ بِهِ مٰا لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ أی أشـرک به شیئا لا حجه لی علی کونه شریکا فأفتری علی الله بغیر علم، وَ أَنَا أَدْعُوکُمْ إِلَی الْعَزِیزِ ،الذی یغلب و لا یغلب اَلْغَفّٰارِ لمن تاب إلیه و آمن به أی أدعوکم إلی الإیمان به و الإسلام له.

قوله تعالی:« لاٰ جَرَمَ أَنَّمٰا تَدْعُونَنِی إِلَیْهِ لَیْسَ لَهُ دَعْوَهٌ فِی الدُّنْیٰا وَ لاٰ فِی الْآخِرَهِ »إلخ لا جرم بمعنی حقا أو بمعنی لا بد،و مفاد الآیه إقامه الحجه علی عـدم کون ما یـدعون إلیه إلها من طریق عـدم الدعوه إلیه و فی ذلک تأیید لقوله فی الآیه السابقه « مٰا لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ ».

و المعنی:ثبت ثبوتا أن ما تـدعوننی إلیه مما تسـمونه شـریکا له سـبحانه لیس له دعوه فی الدنیا إذ لم یعهد نبی أرسل إلی الناس من نـاحیته لیـدعوهم إلی عبادته،و لا فی الآخره إذ لا رجوع إلیه فیها من أحـد،و أما الـذی أدعوکم إلیه و هو الله سـبحانه فإن له دعوه فی الدنیا و هی التی تصداها أنبیاؤه و رسله المبعوثون من عنده المؤیدون بالحجج و البینات،

و فى الآخره و هى التى يتبعها رجوع الخلق إليه لفصل القضاء بينهم،قال تعالى :«يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ:» إسراء:-۵۲.

و من المعلوم كما قررناه فى ذيل قوله تعالى :«هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ» XالآيهX:-۱۳ من السوره أن الربوبيه لا تتم بدون دعوه فى الدنيا و نظيرتها الدعوه فى الآخره،و إذ كان الذى يدعوهم إليه ذا دعوه فى الدنيا و الآخره دون ما يدعونه إليه فهو الإله دون ما يدعون إليه.

و قوله:« وَ أَنَّ مَرَدَّنا إِلَى اللّهِ وَ أَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحابُ النّارِ »معطوف على قوله:

« أَنَّما تَدْعُونَنِي »أى لا جرم أن مردنا إلى الله فيجب الإسلام له و اتباع سبيله و رعايه حدود العبوديه،و لا جرم أن المسرفين و هم المتعدون طور العبوديه-و هم أنتم- أصحاب النار فالذى أدعوكم إليه فيه النجاه دون ما تدعوننى إليه.

قوله تعالى:« فَسَتَذْكُرُونَ ما أَقُولُ لَكُمْ وَ أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ »صدر الآيه موعظه و تخويف لهم و هو تفريع على قوله:« وَ أَنَّ مَرَدَّنا إِلَى اللّهِ » إلخ أى إذ كان لا بد من الرجوع إلى الله و حلول العذاب بالمسرفين و أنتم منهم و لم تسمعوا اليوم ما أقول لكم فستذكرون ما أقول لكم حين عاينتم العذاب و تعلمون عند ذاك أنى كنت ناصحا لكم.

و قوله:« وَ أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللّهِ » التفويض على ما فسره الراغب هو الرد فتفويض الأمر إلى الله رده إليه فيقرب من معنى التوكل و التسليم و الاعتبار مختلف:

فالتفويض من العبد رده ما نسب إليه من الأمر إلى الله سبحانه و حال العبد حينئذ حال من هو أعزل لا أمر راجعا إليه،و التوكل من العبد جعله ربه وكيلا يتصرف فيما له من الأمر،و التسليم من العبد مطاوعته المحضه لما يريده الله سبحانه فيه و منه من غير نظر إلى انتساب أمر إليه فهى مقامات ثلاث من مقامات العبوديه:التوكل ثم التفويض و هو أدق من التوكل ثم التسليم و هو أدق منهما.

و قوله:« إِنَّ اللّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ »تعليل لتفويضه أمره إلى الله،و فى وضع اسم الجلاله موضع ضميره-و كان مقتضى الظاهر الإضمار إشاره إلى عله بصيرته بالعباد كأنه قيل:إنه بصير بالعباد لأنه الله عز اسمه.

قوله تعالی:« فَوَقٰاهُ اللّٰهُ سَیِّئٰاتِ مٰا مَکَرُوا »تفریع علی تفویضه الأمر إلی الله فکفاه الله شرهم و وقاه سیئات مکرهم،و فیه إشاره إلی أنهم قصدوه بالسوء لکن الله دفعهم عنه.

قوله تعالی:« وَ حٰاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذٰابِ إلی قوله- أَشَدَّ الْعَذٰابِ »أی نزل بهم و أصابهم العذاب السیئ فسوء العذاب من إضافه الصفه إلی موصوفها و فی التوصیف بالمصدر مبالغه،و آل فرعون أشیاعه و أتباعه،و ربما یقال آل فلان و یشمل نفسه.

و قوله:« اَلنّٰارُ یُعْرَضُونَ عَلَیْهٰا غُدُوًّا وَ عَشِیًّا وَ یَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَهُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذٰابِ »ظاهر السیاق أنه بیان لسوء العذاب و لیس من الاستئناف فی شیء.

و الآیه صریحه أولا فی أن هناک عرضا علی النار ثم إدخالا فیها و الإدخال أشد من العرض،و ثانیا:فی أن العرض علی النار قبل قیام الساعه التی فیها الإدخال و هو عذاب البرزخ-عالم متوسط بین الموت و البعث-و ثالثا:أن التعذیب فی البرزخ و یوم تقوم الساعه بشیء واحد و هو نار الآخره لکن البرزخیین یعذبون بها من بعید و أهل الآخره بدخولها.

و فی قوله:« غُدُوًّا وَ عَشِیًّا »إشاره إلی التوالی من غیر انقطاع،و لعل لأهل البرزخ لعدم انقطاعهم عن الدنیا بالکلیه نسبه ما إلی الغداه و العشی.

و فی قوله:« وَ یَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَهُ أَدْخِلُوا »إیجاز بالحذف و التقدیر یقال:أدخلوا آل فرعون أشد العذاب.

قوله تعالی:« وَ إِذْ یَتَحٰاجُّونَ فِی النّٰارِ فَیَقُولُ الضُّعَفٰاءُ لِلَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا إلی قوله- بَیْنَ الْعِبٰادِ »یفید السیاق أن الضمیر فی« یَتَحٰاجُّونَ »لآل فرعون و من الدلیل علی ذلک تغییر السیاق فی قوله بعد:« وَ قٰالَ الَّذِینَ فِی النّٰارِ »و المعنی و حاق بآل فرعون سوء العذاب إذ یتحاجون فی النار أو اذکر من سوء عذابهم إذ یتحاجون فی النار فیقول الضعفاء منهم للذین استکبروا إنا کنا فی الدنیا لکم تبعا و کان لازم ذلک أن تکفونا فی الحوائج و تنصرونا فی الشدائد و لا شده أشد مما نحن فیه فهل أنتم مغنون عنا نصیبا من النار و إن لم یکن جمیع عذابها فقد قنعنا بالبعض.

و هذا ظهور مما رسخ فی نفوسهم فی الدنیا من الالتجاء بکبریائهم و متبوعیهم من دون الله یظهر منهم ذلک یوم القیامه و هم یعلمون أنهم فی یوم لا تغنی فیه نفس عن نفس شیئا و الأمر یومئذ لله و له نظائر محکیه عنهم فی کلامه تعالی من کذبهم یومئذ و خلفهم و إنکارهم أعمالهم و تکذیب بعضهم لبعض و غیر ذلک.

و قوله:« قَالَ الَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا إِنّٰا کُلٌّ فِیهٰا إِنَّ اللّٰهَ قَدْ حَکَمَ بَیْنَ الْعِبٰادِ »جواب من مستکبریهم عن قولهم و محصله أن الیوم یوم جزاء لا یوم عمل فالأسباب ساقطه عن التأثیر و قد طاحت منا ما کنا نتوهمه لأنفسنا فی الدنیا من القوه و القدره فحالنا و حالکم - و نحن جمیعا فی النار-واحده.

فقولهم:« إِنّٰا کُلٌّ فِیهٰا إِنَّ اللّٰهَ قَدْ حَکَمَ بَیْنَ الْعِبٰادِ »مفاده أن ظهور الحکم الإلهی قد أبطل أحکام سائر الأسباب و تأثیراتها و أثبتنا علی ما نحن فیه من الحال فی حد سواء فلسنا نختص دونکم بقوه حتی نغنی عنکم شیئا من العذاب.

و مما قیل فی الآیه أن الضمیر فی قوله« یَتَحٰاجُّونَ »لمطلق الکفار من أهل النار و هو بعید کما عرفت،و قیل:الضمیر لقریش و هو أبعد.

قوله تعالی:« وَ قٰالَ الَّذِینَ فِی النّٰارِ لِخَزَنَهِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّکُمْ یُخَفِّفْ عَنّٰا یَوْماً مِنَ الْعَذٰابِ »مکالمه بین أهل النار-و منهم آل فرعون-و بین خزنه جهنم أوردها سبحانه تلو قصه آل فرعون،و هم إنما سألوا الخزنه أن یدعوا لهم لیأسهم من أن یستجاب منهم أنفسهم.

و المراد بالیوم من العذاب ما یناسب من معنی الیوم لعالمهم الذی هم فیه،و یؤول معناه إلی قطعه من العذاب.

قوله تعالی:« قٰالُوا أَ وَ لَمْ تَکُ تَأْتِیکُمْ رُسُلُکُمْ بِالْبَیِّنٰاتِ قٰالُوا بَلیٰ قٰالُوا فَادْعُوا وَ مٰا دُعٰاءُ الْکٰافِرِینَ إِلاّٰ فِی ضَلاٰلٍ »أجابوهم بالاستخبار عن إتیان رسلهم إیاهم بالبینات فاعترفوا بذلک و هو اعتراف منهم بأنهم کفروا بهم مع العلم بکونهم علی الحق و هو الکفر بالنبوه فلم یجبهم الخزنه فیما سألوهم من الدعاء إثباتا و لا نفیا بل ردوهم إلی أنفسهم مشیرین إلی أنهم لا یستجاب لهم دعاء.

و قوله:« وَ مٰا دُعٰاءُ الْكٰافِرِينَ إِلاّٰ فِي ضَلاٰلٍ »أی إن دعاءهم قد أحاط به الضلال فلا یهتدی إلی هدف الإجابه و هو تتمه كلام الخزنه علی ما یعطیه السیاق،و یحتمل أن یكون من كلامه تعالی،علی بعد.

و الجمله علی أی حال تفید معنی التعلیل و المحصل:ادعوا فلا یستجاب لكم فإنكم كافرون،و الكافرون لا یستجاب لهم دعاء.

و تعلیق حكم عدم الاستجابه بوصف الكفر مشعر بعلیته و ذلک أن الله سبحانه و إن وعد عباده وعدا قطعیا أن یجیب دعوه من دعاه منهم فقال :«أُجِیبُ دَعْوَهَ الدّٰاعِ إِذٰا دَعٰانِ:» البقره-۱۸۶،و الدعاء إذا كان واقعا علی حقیقته لا یرد البته لكن الذی یتضمنه متن هذا الوعد هو أن یكون هناک دعاء و طلب حقیقه و أن یتعلق ذلک بالله حقیقه أی یدعو الداعی و یطلب جدا و ینقطع فی ذلک إلی الله عن سائر الأسباب التی یسمیها أسبابا.

و الكافر بعذاب الآخره و هو الذی ینكرها و یستر حقیقتها لا یتمشی منه طلب جدی لرفعه أما فی الدنیا فظاهر،و أما فی الآخره فلأنه و إن أیقن به بالمعاینه و انقطع إلی الله سبحانه لما هو فیه من الشده و قد انقطعت عنه الأسباب لكن صفه الإنكار لزمته وبالا و قد جوزی بها فلا تدعه یطلب ما كان ینكره طلبا جدیا.

علی أن الكلام فی انقطاعه إلی الله أیضا كالكلام فی طلبه الجدی للتخلص و أنی له الانقطاع إلی الله هناک و لم یتلبس به فی الدنیا فافهمه.

و بذلک یظهر ضعف الاستدلال بالآیه علی أن دعاء الكافر لا یستجاب مطلقا فإنک عرفت أن مدلول الآیه عدم استجابه دعائه فی ما یكفر به و ینكره لا مطلقا كیف؟ و هناک آیات كثیره تذكر استجابه دعائه فی موارد الاضطرار.

قوله تعالی:« إِنّٰا لَنَنْصُرُ رُسُلَنٰا وَ الَّذِینَ آمَنُوا فِی الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ یَوْمَ یَقُومُ الْأَشْهٰادُ » الأشهاد جمع شهید بمعنی شاهد،و الآیه وعد نوعی لا وعد شخصی لكل واحد شخصی منهم فی كل واقعه شخصیه،و قد تقدم كلام فی معنی النصر الإلهی فی تفسیر قوله تعالی

:«إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ:» الصافات:-۱۷۲.

قوله تعالى:« يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ الظّٰالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدّٰارِ »تفسير ليوم يقوم الأشهاد،و ظاهر إضافه المصدر إلى فاعله فى قوله« مَعْذِرَتُهُمْ »و لم يقل:إن يعتذروا،تحقق معذره ما منهم يومئذ،و أما قوله :«هٰذٰا يَوْمُ لاٰ يَنْطِقُونَ وَ لاٰ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ:» المرسلات:-۳۶ فمحمول على بعض مراحل يوم القيامه و عقباته لدلاله آيات أخرى على وقوع تكلم ما منهم يومئذ.

و قوله:« وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ »أى البعد من رحمه الله،و قوله« لَهُمْ سُوءُ الدّٰارِ »أى الدار السيئه و هى جهنم.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ آتَيْنٰا مُوسَى الْهُدىٰ وَ أَوْرَثْنٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ الْكِتٰابَ إلى قوله- اَلْأَلْبٰابِ »خاتمه لما تقدم من إرسال موسى بالآيات و السلطان المبين و مجادله آل فرعون فى الآيات بالباطل و محاجه مؤمن آل فرعون،يشير بها و قد صدرت بلام القسم إلى حقيه ما أرسل به و ظلمهم فى ما قابلوه به.

و المراد بالهدى الدين الذى أوتيه موسى،و بإيراث بنى إسرائيل الكتاب» إبقاء التوراه بينهم يعملون بها و يهتدون.

و قوله:« هُدىً وَ ذِكْرىٰ لِأُولِي الْأَلْبٰابِ »أى حال كون الكتاب هدى يهتدى به عامتهم و ذكرى يتذكر به خاصتهم من أولى الألباب.

(بحث روائى)

فى العلل،بإسناده عن إسماعيل بن منصور أبى زياد عن رجل عن أبى عبد الله (ع): فى قول فرعون:« ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسىٰ »ما كان يمنعه؟قال:منعته رشدته، و لا يقتل الأنبياء و لا أولاد الأنبياء إلا أولاد الزنا.

و فى المجمع،قال أبو عبد الله: التقيه دينى و دين آبائى،و لا دين لمن لا تقيه له، و التقيه ترس الله فى الأرض-لأن مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لقتل.

أقول:و الروايات من طرق الشيعه فيها كثيره و الآيات تؤيدها كقوله :«إِلاّٰ أَنْ

تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقٰاةً:» آل عمران:-۲۸ و قوله :«إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمٰانِ:» النحل:-۱۰۶.

و فى المحاسن،بإسناده عن أيوب بن الحر عن أبى عبد الله(ع): فى قول الله:

« فَوَقٰاهُ اللّٰهُ سَيِّئٰاتِ مٰا مَكَرُوا »قال:أما لقد سطوا عليه و قتلوه-و لكن أ تدرون ما وقاه؟وقاه أن يفتنوه فى دينه.

أقول:و فى معناه بعض روايات أخر و فى بعض ما ورد من طرق أهل السنه أن الله نجاه من القتل.

و فى الخصال،عن الصادق(ع)قال: عجبت لمن يفزع من أربع كيف لا يفزع إلى أربع؟-إلى أن قال-و عجبت لمن مكر به كيف لا يفزع إلى قوله:« وَ أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ بَصِيرٌ بِالْعِبٰادِ »فإنى سمعت الله تعالى يقول بعقبها:« فَوَقٰاهُ اللّٰهُ سَيِّئٰاتِ مٰا مَكَرُوا ».

أقول:و هو مروى فى غير هذا الكتاب.

و فى تفسير القمى،:قال رجل لأبى عبد الله(ع): ما تقول فى قول الله عز و جل:

« اَلنّٰارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهٰا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا »فقال أبو عبد الله(ع):ما يقول الناس؟فقال:

يقولون:إنها فى نار الخلد-و هم لا يعذبون فيما بين ذلك-فقال:فهم من السعداء.فقيل له:

جعلت فداك فكيف هذا؟فقال:إنما هذا فى الدنيا فأما فى دار الخلد فهو قوله:« يَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذٰابِ ».

أقول:مراده(ع)بالدنيا البرزخ و هو كثير الورود فى رواياتهم.

و فى المجمع،عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ص قال: إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداه و العشى-فإن كان من أهل الجنه فمن الجنه،و إن كان من أهل النار فمن النار-يقال:هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامه:أورده البخارى و مسلم فى الصحيح،.

أقول:و رواه السيوطى فى الدر المنثور،عنهما و عن ابن أبى شيبه و ابن مردويه .

و هذا المعنى كثير الورود فى روايات أئمه أهل البيت(ع)،و قد مر كثير منها فى البحث عن البرزخ فى الجزء الأول من الكتاب و غيره من المواضع.

[سوره غافر (۴۰): الآيات ۵۵ الى ۶۰]

اشاره

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اَللّٰهِ حَقٌّ وَ اِسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَ اَلْإِبْكٰارِ (۵۵) إِنَّ اَلَّذِينَ يُجٰادِلُونَ فِي آيٰاتِ اَللّٰهِ بِغَيْرِ سُلْطٰانٍ أَتٰاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاّٰ كِبْرٌ مٰا هُمْ بِبٰالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ إِنَّهُ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْبَصِيرُ (۵۶) لَخَلْقُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ اَلنّٰاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ (۵۷) وَ مٰا يَسْتَوِي اَلْأَعْمىٰ وَ اَلْبَصِيرُ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ وَ لاَ اَلْمُسِيءُ قَلِيلاً مٰا تَتَذَكَّرُونَ (۵۸) إِنَّ اَلسّٰاعَةَ لَآتِيَةٌ لاٰ رَيْبَ فِيهٰا وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ يُؤْمِنُونَ (۵۹) وَ قٰالَ رَبُّكُمُ اُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ اَلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دٰاخِرِينَ (۶۰)

(بيان)

لما قص قصه موسى و إرساله بالحق إلى فرعون و قومه،و مجادلتهم فى آيات الله بالباطل و مكرهم فيها و نصره تعالى لنبيه و إبطاله كيدهم و ما آل إليه أمرهم من خيبه السعى و سوء المنقلب فرع على ذلك أمر نبيه ص بالصبر منبها له أن وعد الله بالنصر حق و أن كيد قومه و جدالهم بالباطل و استكبارهم عن قبول دعوته سيبطل و يعود وبالا على أنفسهم فليسوا بمعجزى الله و ستقوم الساعه الموعوده و يدخلون جهنم داخرين.

قوله تعالى:« فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ »إلى آخر الآيه.تفريع على ما تقدم

من الأمر بالاعتبار فی قوله:« أَ وَ لَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کٰانَ عٰاقِبَهُ الَّذِینَ کٰانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ »و ما أورد بعده من قصه موسی و مآل أمر المستکبرین المجادلین بالباطل و نصره تعالی للحق و أهله.

و المعنی:إذا کان الأمر علی ذلک فاصبر علی إیذاء المشرکین و مجادلتهم بالباطل إن وعد الله حق و سیفی لک بما وعد،و المراد بالوعد ما فی قوله قبیل هذا:« إِنّٰا لَنَنْصُرُ رُسُلَنٰا وَ الَّذِینَ آمَنُوا »الآیه من وعد النصر.

و قوله:« وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِکَ »أمر له بالاستغفار لما یعد بالنسبه إلیه ذنبا و إن لم یکن ذنبا بمعنی المخالفه للأمر المولوی لمکان عصمته(ص)،و قد تقدم کلام فی معنی الذنب و المغفره فی أواخر الجزء السادس من الکتاب.

و للذنب المنسوب إلیه(ص)معنی آخر سنشیر إلیه فی تفسیر أول سوره الفتح إن شاء الله تعالی،و قیل:المراد بذنبه(ص)ذنب أمته أعطی الشفاعه فیه.

و قوله:« وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ بِالْعَشِیِّ وَ الْإِبْکٰارِ »أی نزهه سبحانه مصاحبا لحمده علی جمیل آلائه مستمرا متوالیا بتوالی الأیام أو فی کل صباح و مساء،و کونه بالعشی و الإبکار علی المعنی الأول من قبیل الکنایه.

و قیل:المراد به صلاتا الصبح و العصر،و الآیه مدنیه.

و فیه أن المسلم من الروایات و منها أخبار المعراج أن الصلوات الخمس فرضت جمیعا بمکه قبل الهجره فلو کان المراد به الفریضتین کان ذلک بمکه قبل فرض بقیه الصلوات الخمس.

قوله تعالی:« إِنَّ الَّذِینَ یُجٰادِلُونَ فِی آیٰاتِ اللّٰهِ بِغَیْرِ سُلْطٰانٍ أَتٰاهُمْ إِنْ فِی صُدُورِهِمْ إِلاّٰ کِبْرٌ مٰا هُمْ بِبٰالِغِیهِ »إلخ تأکید لما تقدم فی الآیه السابقه من أمره(ص)بالصبر و تطییب نفسه بتأیید وعد النصر،و محصله أن هؤلاء المجادلین لا ینالون بغیتهم و لن ینالوا فلا یحزنک جدالهم و طب نفسا من ناحیتهم.

فقوله:« إِنْ فِی صُدُورِهِمْ إِلاّٰ کِبْرٌ »حصر للسبب الموجب لمجادلتهم فی الکبر أی لیس عاملهم فی ذلک طلب الحق أو الارتیاب فی آیاتنا و الشک فیها حتی یریدوا بها

ظهور الحق و لا حجه و لا سلطان عندهم حتى يريدوا إظهارها بل الذى فى صدورهم و هو الداعى لهم إلى الجدال،الكبر، يريدون به إدحاض الحق الصريح.

و قوله:« مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ »الضمير لكبر باعتبار مسببه فإن الكبر سبب للجدال و الجدال يراد به إبطال الحق و محق الدعوه الحقه،و المعنى ما هم ببالغى مرادهم و بغيتهم من الجدال الذى يأتون به لكبرهم.

و قوله:« فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ »أى فاستعذ بالله منهم بما لهم من الكبر كما استعاذ موسى من كل متكبر مجادل كما قال:« وَ قٰالَ مُوسىٰ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاٰ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسٰابِ ».

و قوله:« إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »أى السميع لدعاء عباده البصير بحوائجهم و الذى يبصر ما هم فيه من شده أو رخاء.

قوله تعالى:« لَخَلْقُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّٰاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ »اللام للقسم،و المراد بالسماوات و الأرض مجموع العالم،و معنى الآيه حسب ما يعطيه المقام أنهم ليسوا ببالغى بغيتهم و ليسوا بمعجزين فإن الله الذى قدر على خلق مجموع العالم و لم يعجزه ذلك على ما فيه من العظمه ليس يعجزه جزء يسير منه و هو الناس المخلوقون الذين هم أهون عليه و لكن أكثر الناس جاهلون يظنون بجهلهم أنهم يعجزون الله بجدال يجادلونه أو أى كيد يكيدونه.

قوله تعالى:« وَ مٰا يَسْتَوِى الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ »إلخ لما ذكر أن أكثر الناس لا يعلمون أكده بأنهم ليسوا على وتيره واحده فإن منهم الأعمى و البصير و لا يستويان و عطف عليهما الذين آمنوا و عملوا الصالحات و المسيء فالطائفه الأولى أولو بصيره يتذكرون بها و الثانيه أعمى الله قلوبهم فلا يتذكرون.

و قوله:« قَلِيلاً مٰا تَتَذَكَّرُونَ »خطاب للناس بداعى التوبيخ و هو الوجه فى الالتفات من الغيبه إلى الحضور.

قوله تعالى:« إِنَّ السّٰاعَةَ لَآتِيَةٌ لاٰ رَيْبَ فِيهٰا وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يُؤْمِنُونَ » ذكرهم تعالى فى هذه الآيه بإتيان الساعه و فى الآيه التاليه بدعوه ربهم إياهم إلى دعائه

و عبادته کما نبه الذی آمن من آل فرعون فی القصه السابقه بإتیان الساعه و بأن لله الدعوه و لیس لآلهتهم دعوه فی الدنیا و لا فی الآخره.

قوله تعالی:« وَ قٰالَ رَبُّکُمُ ادْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ »دعوه منه تعالی لعباده إلی دعائه و وعد بالاستجابه،و قد أطلق الدعوه و الدعاء و الاستجابه إطلاقا،و قد أشبعنا الکلام فی معنی الدعاء و الإجابه فی ذیل قوله تعالی :«أُجِیبُ دَعْوَهَ الدّٰاعِ إِذٰا دَعٰانِ:» البقره:-۱۸۶ فی الجزء الأول من الکتاب.

و قوله:« إِنَّ الَّذِینَ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِی سَیَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دٰاخِرِینَ » الدخور الذله،و قد بدل الدعاء عباده فدل علی أن الدعاء عباده.

(بحث روائی)

فی الصحیفه السجادیه،: و قلت:« اُدْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ -إِنَّ الَّذِینَ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِی -سَیَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دٰاخِرِینَ »فسمیت دعاءک عباده و ترکه استکبارا-و توعدت علی ترکه دخول جهنم داخرین.

و فی الکافی،بإسناده عن حماد بن عیسی عن أبی عبد الله(ع)قال:سمعته یقول:

ادع و لا تقل:قد فرغ من الأمر -فإن الدعاء هو العباده إن الله عز و جل یقول:« إِنَّ الَّذِینَ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِی -سَیَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دٰاخِرِینَ »و قال:« اُدْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ ».

أقول:قوله(ع):فإن الدعاء-إلی قوله- دٰاخِرِینَ احتجاج علی ما ندب إلیه أولا بقوله:ادع،و قوله:و قال:« اُدْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ »احتجاج علی ما قاله ثانیا:و لا تقل:قد فرغ من الأمر و لذا قدم(ع)فی بیانه ذیل الآیه علی صدرها.

و فی الخصال،عن معاویه بن عمار عن أبی عبد الله(ع)قال: یا معاویه من أعطی ثلاثه لم یحرم ثلاثه:من أعطی الدعاء أعطی الإجابه،و من أعطی الشکر أعطی الزیاده- و من أعطی التوکل أعطی الکفایه-فإن الله عز و جل یقول فی کتابه:« وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ »و قال:« لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ »،و قال:« اُدْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ ».

و فی التوحید،بإسناده إلی موسی بن جعفر(ع)قال: قال قوم للصادق(ع):

ندعوه فلا یستجاب لنا.قال:لأنکم تدعون من لا تعرفونه.

أقول:و قد أوردنا جمله من روایات الدعاء فی ذیل قوله :«أُجِیبُ دَعْوَهَ اَلدّٰاعِ إِذٰا دَعٰانِ:» البقره:-۱۸۶ فی الجزء الأول من الکتاب.

[سوره غافر (۴۰): الآیات ۶۱ الی ۶۸]

اشاره

اَللّٰهُ اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اَللَّیْلَ لِتَسْکُنُوا فِیهِ وَ اَلنَّهٰارَ مُبْصِراً إِنَّ اَللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی اَلنّٰاسِ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ یَشْکُرُونَ (۶۱) ذٰلِکُمُ اَللّٰهُ رَبُّکُمْ خٰالِقُ کُلِّ شَیْءٍ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فَأَنّٰی تُؤْفَکُونَ (۶۲) کَذٰلِکَ یُؤْفَکُ اَلَّذِینَ کٰانُوا بِآیٰاتِ اَللّٰهِ یَجْحَدُونَ (۶۳) اَللّٰهُ اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اَلْأَرْضَ قَرٰاراً وَ اَلسَّمٰاءَ بِنٰاءً وَ صَوَّرَکُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَکُمْ وَ رَزَقَکُمْ مِنَ اَلطَّیِّبٰاتِ ذٰلِکُمُ اَللّٰهُ رَبُّکُمْ فَتَبٰارَکَ اَللّٰهُ رَبُّ اَلْعٰالَمِینَ (۶۴) هُوَ اَلْحَیُّ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِینَ لَهُ اَلدِّینَ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۶۵) قُلْ إِنِّی نُهِیتُ أَنْ أَعْبُدَ اَلَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ لَمّٰا جٰاءَنِی اَلْبَیِّنٰاتُ مِنْ رَبِّی وَ أُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۶۶) هُوَ اَلَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَهٍ ثُمَّ یُخْرِجُکُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّکُمْ ثُمَّ لِتَکُونُوا شُیُوخاً وَ مِنْکُمْ مَنْ یُتَوَفّٰی مِنْ قَبْلُ وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّی وَ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (۶۷) هُوَ اَلَّذِی یُحْیِی وَ یُمِیتُ فَإِذٰا قَضیٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (۶۸)

(بیان)

رجع سبحانه ثانیا إلی الإشاره إلی آیات التوحید توحید الربوبیه و الألوهیه بعد ما بدأ بها فی السوره أولا بقوله:« هُوَ الَّذِی یُرِیکُمْ آیاتِهِ ».

قوله تعالی:« اَللّهُ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ لِتَسْکُنُوا فِیهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً »الآیه.

أی جعل لأجلکم اللیل مظلما لتسکنوا فیه من التعب الذی عرض لکم وجه النهار من جهه السعی فی طلب الرزق،و النهار مبصرا لتبتغوا من فضل ربکم و تکسبوا الرزق، و هذا من أرکان تدبیر الحیاه الإنسانیه.

و قد ظهر بذلک أن نسبه الإبصار إلی النهار من المجاز العقلی لکن لیس من المبالغه فی شیء کما ادعاه بعضهم.

و قوله:« إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی النّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا یَشْکُرُونَ »امتنان علیهم بالفضل و تقریع لهم بعدم شکرهم له قبال هذا الفضل العظیم و لو شکروه لعبدوه و وضع« اَلنّاسِ »الثانی موضع الضمیر للإشاره إلی أن من طبع الناس بما هم ناس کفران النعم کما قال :«إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ کَفّارٌ:» إبراهیم:-۳۴.

قوله تعالی:« ذلِکُمُ اللّهُ رَبُّکُمْ خالِقُ کُلِّ شَیْءٍ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ فَأَنّی تُؤْفَکُونَ » أی ذلکم الذی یدبر أمر حیاتکم و رزقکم بسکون اللیل و سعی النهار هو الله تعالی و هو ربکم لأن تدبیر أمرکم إلیه.

و قوله:« خالِقُ کُلِّ شَیْءٍ »أی و رب کل شیء لأنه خالق کل شیء و الخلق لا ینفک عن التدبیر و لازم ذلک أن لا یکون فی الوجود رب غیره لا لکم و لا لغیرکم و لذلک عقبه بقوله:« لا إِلهَ إِلاّ هُوَ »أی فإذن لا معبود بالحق غیره إذ لو کان هناک معبود آخر کان رب آخر فإن الألوهیه من شئون الربوبیه.

و قوله:« فَأَنّی تُؤْفَکُونَ »أی فکیف تصرفون عن عبادته إلی عباده غیره.

قوله تعالی:« کَذلِکَ یُؤْفَکُ الَّذِینَ کانُوا بِآیاتِ اللّهِ یَجْحَدُونَ »أی کمثل هذا الإفک یؤفک الجاحدون لآیات الله فإن الآیات ظاهره غیر خفیه فالانصراف عن مدلولها لا سبب له إلا الجحد.

قوله تعالی:« اَللّهُ الَّذِی جَعَلَ لَکَمُ الْأَرْضَ قَراراً وَ السَّماءَ بِناءً »إلی آخر الآیه القرار المستقر الذی یستقر علیه،و البناء -علی ما قیل- القبه و منه أبنیه العرب للقباب المضروبه علیهم.یذکر تعالی نعمه استقرار الإنسان علی الأرض و تحت السماء.

و قوله:« وَ صَوَّرَکُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَکُمْ »الفاء للتفسیر و المعنی أحسن خلق صورکم و ذلک أن الإنسان جهز من دقائق التجهیز فی صورته بما یقوی به من الأعمال المتنوعه العجیبه علی ما لا یقوی علیه شیء من سائر الموجودات الحیه،و یلتذ من مزایا الحیاه بما لا یتیسر لغیره أبدا.

و قوله:« وَ رَزَقَکُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ »هی الأرزاق المتنوعه التی تلائم بطبائعها طبیعه الإنسان من الحبوب و الفواکه و اللحوم و غیرها،و لیس فی الحیوان متنوع فی الرزق کالإنسان.

و قوله:« ذٰلِکُمُ اللّهُ رَبُّکُمْ »أی المدبر لأمرکم،و قوله:« فَتَبارَکَ اللّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ »ثناء علیه عز و جل بربوبیته لجمیع العالمین،و قد فرعه علی ربوبیته و تدبیره للإنسان إشاره إلی أن الربوبیه واحده و تدبیره لأمر الإنسان عین تدبیره لأمر العالمین جمیعا فإن النظام الجاری نظام واحد روعی فی انطباقه علی کل،انطباقه علی الکل فهو سبحانه متبارک منشأ للخیر الکثیر فتبارک الله رب العالمین.

قوله تعالی:« هُوَ الْحَیُّ لا إِلٰهَ إِلاّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ »إلخ فی جمله « هُوَ الْحَیُّ »إطلاق لا مقید لا عقلا و لا نقلا مضافا إلی إفاده الحصر فمفادها أن له تعالی وحده حیاه لا یداخلها موت و لا یزیلها فناء فهو تعالی حی بذاته و غیره کائنا ما کان حی بإحیاء غیره.

و إذا فرض هناک حی بذاته و حی بغیره لم یستحق العباده بذاته إلا من کان حیا بذاته، و لذلک عقب قوله:« هُوَ الْحَیُّ »بقوله:« لا إِلٰهَ إِلاّ هُوَ ».

و قد سیقت الجملتان توطئه للأمر بدعائه و لا مطلق دعائه بل دعائه بالتوحید و إخلاص الدین له وحده لأنه الحی بذاته دون غیره و لأنه المعبود بالاستحقاق الذاتی دون غیره،و لذلک فرع علی قوله:« هُوَ الْحَیُّ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ »قوله:« فَادْعُوهُ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ ».

و قوله:« اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ »ثناء عليه بربوبيته للعالمين.

قوله تعالى:« قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَمّٰا جٰاءَنِيَ الْبَيِّنٰاتُ مِنْ رَبِّي وَ أُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعٰالَمِينَ »معنى الآيه ظاهر،و فيه إياس للمشركين من موافقته لهم فى عباده آلهتهم»و قد تكرر هذا المعنى فى سوره الزمر و يمكن أن يستأنس منه أن هذه السوره نزلت بعد سوره الزمر.

قوله تعالى:« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ »إلخ المراد بخلقهم من تراب خلق أبيهم آدم من تراب فإن خلق غيره ينتهى إليه فخلقه من تراب هو خلقهم منه أو المراد بخلقهم من تراب تكوين النطفه من البسائط الأرضيه.

و قوله:« ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ »إلخ أى ثم خلقناكم من نطفه حقيره معلومه الحال« ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ »كذلك« ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ »من بطون أمهاتكم« طِفْلاً »أى أطفالا-و الطفل -كما قيل-يطلق على الواحد و الجمع قال تعالى :«أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلىٰ عَوْرٰاتِ النِّسٰاءِ:» النور:-٣١.

« ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ »اللام للغايه و كان متعلقها محذوف و التقدير ثم ينشئكم لتبلغوا أشدكم و هو من العمر زمان اشتداد القوى« ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً »معطوف على « لِتَبْلُغُوا »« وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّٰى مِنْ قَبْلُ »فلا يبلغ أحد هذه المراحل من العمر كالشيخوخه و بلوغ الأشد و غيرهما.

« وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى »و هو النهايه من الأمد المضروب الذى لا سبيل للتغير إليه أصلا،و هو غايه عامه لجميع الناس كيفما عمروا قال تعالى :«وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ:» الأنعام:-٢.و لذلك لم تعطف الجمله بثم حتى تتميز من الغايتين المذكورتين سابقا.

و قوله:« وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ »أى تدركون الحق بالتعقل المغروز فيكم،و هذا غايه خلقه الإنسان بحسب حياته المعنويه كما أن بلوغ الأجل المسمى غايه حياته الدنيا الصوريه.

قوله تعالى:« هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ »إلخ أى هو الذى يفعل الإحياء و الإماته و فيهما نقل الأحياء من عالم إلى عالم و كل منهما مبدأ لتصرفاته بالنعم التى يتفضل بها على من يدبر أمره.

و قوله:« فَإِذٰا قَضىٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »تقدم تفسيره كرارا.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،أخرج عبد بن حمید و ابن أبی حاتم بسند صحیح عن أبی العالیه قال:

إن الیهود أتوا النبی ص و قالوا-إن الدجال یکون منا فی آخر الزمان-و یکون من أمره فعظموا أمره و قالوا یصنع کذا-فأنزل الله:« إِنَّ الَّذِینَ یُجادِلُونَ فِی آیاتِ اللّهِ بِغَیْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ-إِنْ فِی صُدُورِهِمْ إِلاّ کِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغِیهِ »قال:لا یبلغ الذی یقول: « فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ »فأمر نبیه ص أن یتعوذ من فتنه الدجال« لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَکْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ »الدجال.

و فیه،أخرج ابن أبی حاتم عن کعب الأحبار": فی قوله:« إِنَّ الَّذِینَ یُجادِلُونَ فِی آیاتِ اللّهِ بِغَیْرِ سُلْطانٍ »قال:هم الیهود نزلت فیهم فیما ینتظرونه من أمر الدجال.

و فیه،أخرج ابن المنذر عن ابن جریح":فی قوله:« لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَکْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ »قال:زعموا أن الیهود قالوا:یکون منا ملک فی آخر الزمان البحر إلی رکبتیه،و السحاب دون رأسه،یأخذ الطیر بین السماء و الأرض،معه جبل خبز و نهر فنزلت:« لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَکْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ ».

أقول:قد عرفت فیما تقدم أن غرض السوره-کما یستفاد من سیاق آیاتها- التکلم حول استکبارهم و مجادلتهم فی آیات الله بغیر الحق فمنها ابتداء الکلام و إلیها یعود عوده بعد عوده کقوله:« ما یُجادِلُ فِی آیاتِ اللّهِ إِلاَّ الَّذِینَ کَفَرُوا »و قوله:« وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ لِیُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ »،و قوله:« اَلَّذِینَ یُجادِلُونَ فِی آیاتِ اللّهِ بِغَیْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ کَبُرَ مَقْتاً »،و قوله:« إِنَّ الَّذِینَ یُجادِلُونَ فِی آیاتِ اللّهِ بِغَیْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِی صُدُورِهِمْ إِلاّ کِبْرٌ »،و قوله:« أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ یُجادِلُونَ فِی آیاتِ اللّهِ أَنّی یُصْرَفُونَ ».

فسیاق آیات السوره یأبی أن یکون بعضها یختص بسبب فی نزولها لا یشارکها فیه غیرها کما هو مؤدی هذه الروایات الثلاث.

علی أن ما فی الروایات من قصه إخبار الیهود بالدجال لا ینطبق علی الآیتین انطباقا ظاهرا بعد التأمل فی مضمون الآیتین نفسهما أعنی قوله:« إِنَّ الَّذِینَ یُجادِلُونَ -إلی قوله- وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا یَعْلَمُونَ ».

و من هذا یظهر أن القول بکون الآیتین مدنیتین استنادا إلی هذه الروایات کما تری.

[سوره غافر (۴۰): الآیات ۶۹ الی ۷۸]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اَللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (۶۹) اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَ بِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (۷۰) إِذِ اَلْأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَ اَلسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ (۷۱) فِي اَلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي اَلنَّارِ يُسْجَرُونَ (۷۲) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (۷۳) مِنْ دُونِ اَللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اَللَّهُ اَلْكَافِرِينَ (۷۴) ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي اَلْأَرْضِ بِغَيْرِ اَلْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (۷۵) اُدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى اَلْمُتَكَبِّرِينَ (۷۶) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اَللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ اَلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (۷۷) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اَللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اَللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ اَلْمُبْطِلُونَ (۷۸)

(بیان)

رجوع بعد رجوع إلى حديث المجادلين فى آيات الله و قد تعرض لبيان مآل أمرهم بذكر ما آل إليه أمر أشباههم من الأمم الخاليه و نصره تعالى لدينه فى أول السوره

إجمالا- ثم بذكر الحال فى دعوه موسى(ع)بالخصوص فيما قصه من قصته و نصره له بالخصوص ثم فى ضمن أمر النبى ص بالصبر و وعده بالنصر.

و هذا آخر كره عليهم يذكر فيها مآل أمرهم و ما يصرفون إليه و هو العذاب المخلد ثم يأمر النبى ص بالصبر و بعده بالنصر و يطيب نفسه بأن وعد الله حق.

قوله تعالى:« أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ »« أَ لَمْ تَرَ » مفيد للتعجيب و« أَنَّى »بمعنى كيف،و المعنى أ لا تعجب أو أ لم تعجب من أمر هؤلاء المجادلين فى آيات الله كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل و عن الهدى إلى الضلال.

و التعرض لحال المجادلين هاهنا من حيث الإشاره إلى كونهم مصروفين عن الحق و الهدى و مآل ذلك،و فيما تقدم من قوله:« إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ »من حيث إن الداعى لهم إلى ذلك الكبر و أنهم لا يبلغون ما يريدون فلا تكرار.

و منه يظهر ما فى قول بعضهم:إن تكرير ذكر المجادله محمول على تعدد المجادل بأن يكون المجادلون المذكورون فى الآيه السابقه غير المذكورين فى هذه الآيه أو على اختلاف ما فيه المجادله كأن يكون المجادله هناك فى أمر البعث و هاهنا فى أمر التوحيد على أن فيه غفله عن غرض السوره كما عرفت.

قوله تعالى:« اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَ بِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ » الذى يعطيه سياق الآيات التاليه أن المراد بهؤلاء المجادلين هم المجادلون من قوم النبى ص،و عليه فالأنسب أن يكون المراد بالكتاب هو القرآن الكريم،و بقوله:« بِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا »ما جاءت به الرسل(ع)من عند الله من كتاب و دين فالوثنيه منكرون للنبوه.

و قوله:« فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ »تفريع على مجادلتهم و تكذيبهم و تهديد لهم أى سوف يعلمون حقيقه مجادلتهم فى آيات الله و تكذيبهم بالكتاب و بالرسل.

قوله تعالى:« إِذِ الْأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَ السَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ »فى المجمع،: الأغلال جمع غل و هو طوق يدخل فى العنق للذل و الألم و أصله الدخول،و قال: السلاسل جمع سلسله و هى الحلق منتظمه فى جهه الطول مستمره

و قال: السحب جر الشیء علی الأرض.هذا أصله،و قال: السجر أصله إلقاء الحطب فی معظم النار کالتنور الذی یسجر بالوقود.انتهی.

و قوله:« إِذِ الْأَغْلاٰلُ فِی أَعْنٰاقِهِمْ وَ السَّلاٰسِلُ »ظرف لقوله:« فَسَوْفَ یَعْلَمُونَ » قیل:الإتیان بإذ-و هو للماضی-للدلاله علی تحقق الوقوع و إن کان موقعه المستقبل فلا تنافی،فی الجمع بین سوف و إذ.

و« اَلْأَغْلاٰلُ فِی أَعْنٰاقِهِمْ »مبتدأ و خبر،و« اَلسَّلاٰسِلُ »معطوف علی الأغلال، و« یُسْحَبُونَ فِی الْحَمِیمِ »خبر بعد خبر،و« فِی النّٰارِ یُسْجَرُونَ »معطوف علی« یُسْحَبُونَ ».

و المعنی:سوف یعلمون حقیقه عملهم حین تکون الأغلال و السلاسل فی أعناقهم یجرون فی الماء الحار الشدید الحراره ثم یقذفون فی النار.

و قیل:معنی قوله:« ثُمَّ فِی النّٰارِ یُسْجَرُونَ »ثم یصیرون وقود النار،و یؤیده قوله تعالی فی صفه جهنم :«وَقُودُهَا النّٰاسُ وَ الْحِجٰارَةُ:» البقره:-۲۴،و قوله :«إِنَّکُمْ وَ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ:» الأنبیاء:-۹۸.

قوله تعالی:« ثُمَّ قِیلَ لَهُمْ أَیْنَ مٰا کُنْتُمْ تُشْرِکُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ قٰالُوا ضَلُّوا عَنّٰا » إلی آخر الآیه.أی قیل لهم و هم یتقلبون بین السحب و السجر:أین ما کنتم تشرکون من شرکائکم من دون الله حتی ینصروکم بالإنجاء من هذا العذاب أو یشفعوا لکم کما کنتم تزعمون أنهم سیشفعون لکم قبال عبادتکم لهم؟.

و قوله:« قٰالُوا ضَلُّوا عَنّٰا »أی غابوا عنا من قولهم:ضلت الدابه إذا غابت فلم یعرف مکانها،و هذا جوابهم عما قیل لهم:أین ما کنتم تشرکون من دون الله.

و قوله:« بَلْ لَمْ نَکُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَیْئاً »إضراب منهم عن الجواب الأول لما یظهر لهم أن الآلهه الذین کانوا یزعمونهم شرکاء لم یکونوا إلا أسماء لا مسمیات لها و مفاهیم لا یطابقها شیء و لم یکن عبادتهم لها إلا سدی،و لذلک نفوا أن یکونوا یعبدون شیئا قال تعالی :«فَزَیَّلْنٰا بَیْنَهُمْ:» یونس:-۲۸ و قال :«لَقَدْ تَقَطَّعَ بَیْنَکُمْ وَ ضَلَّ عَنْکُمْ مٰا کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ:» الأنعام:-۹۴.

و قیل:هذا من کذبهم یوم القیامه علی حد قوله :«وَ اللّٰهِ رَبِّنٰا مٰا کُنّٰا مُشْرِکِینَ:»

الأنعام:-٢٣.

و قوله:« كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللّٰهُ الْكٰافِرِينَ »أی إضلاله تعالی للكافرين و هم الساترون للحق يشبه هذا الضلال و هو أنهم يرون الباطل حقا فيقصدونه ثم يتبين لهم بعد ضلال سعيهم أنه لم يكن إلا باطلا فی صوره حق و سرابا فی سيماء الحقيقه.

و المعنی:علی الوجه الثانی أعنی كون قولهم:« بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً » كذبا منهم:كمثل هذا الإضلال يضل الله الكافرين فيئول أمرهم إلی الكذب حيث لا ينفع مع علمهم بأنه لا ينفع.

و قد فسرت الجمله بتفاسير أخری متقاربه و قريبه مما ذكرناه.

قوله تعالی:« ذٰلِكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمٰا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ » الفرح مطلق السرور،و المرح الإفراط فيه و هو مذموم،و قال الراغب:الفرح انشراح الصدر بلذه عاجله و أكثر ما يكون ذلك فی اللذات البدنيه،و قال:المرح شده الفرح و التوسع فيه.انتهی.

و قوله:« ذٰلِكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ »الإشاره إلی ما هم فيه من العذاب و الباء فی« بِمٰا كُنْتُمْ »للسببيه أو المقابله.

و المعنی:ذلكم العذاب الذی أنتم فيه بسبب كونكم تفرحون فی الأرض بغير الحق من اللذات العاجله و بسبب كونكم تفرطون فی الفرح و ذلك لتعلق قلوبهم بعرض الدنيا و زينتها و معاداتهم لكل حق يخالف باطلهم فيفرحون و يمرحون بإحياء باطلهم و إماته الحق و اضطهاده.

قال فی المجمع،:قيد الفرح و أطلق المرح لأن الفرح قد يكون بحق فيحمد عليه و قد يكون بالباطل فيذم عليه،و المرح لا يكون إلا باطلا.انتهی.

قوله تعالی:« اُدْخُلُوا أَبْوٰابَ جَهَنَّمَ خٰالِدِينَ فِيهٰا فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَكَبِّرِينَ »أی ادخلوا أبوابها المقسومه لكم خالدين فيها فبئس مقام الذين يتكبرون عن الحق جهنم، و قد تقدم أن أبواب جهنم دركاتها.

قوله تعالی:« فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ »لما بين مآل أمر المجادلين فی آيات الله

و هی النار و أن الله یضلهم بکفرهم فرع علیه أمر نبیه ص بالصبر معللا ذلک بأن وعد الله حق.

و قوله:« فَإِمّٰا نُرِیَنَّکَ بَعْضَ الَّذِی نَعِدُهُمْ »هو عذاب الدنیا« أَوْ نَتَوَفَّیَنَّکَ » بالموت فلم نرک ذلک« فَإِلَیْنٰا یُرْجَعُونَ »و لا یفوتوننا فننجز فیهم ما وعدناه.

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا رُسُلاً مِنْ قَبْلِکَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنٰا عَلَیْکَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَیْکَ »إلخ بیان لکیفیه النصر المذکور فی الآیه السابقه أن آیه النصر-التی جرت سنه الله علی إنزالها للقضاء بین کل رسول و أمته و إظهار الحق علی الباطل کما یشیر إلیه قوله :«وَ لِکُلِّ أُمَّهٍ رَسُولٌ فَإِذٰا جٰاءَ رَسُولُهُمْ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لاٰ یُظْلَمُونَ:» یونس:-۴۷-لم یفوض أمرها إلی رسول من الرسل من قبلک بل کان یأتی بها من یأتی منهم بإذن الله،و حالک حالهم،فمن الممکن أن نأذن لک فی الإتیان بها فنریک بعض ما نعدهم،و من الممکن أن نتوفاک فلا نریک غیر أن أمر الله إذا جاء قضی بینهم بالحق و خسر هنالک المبطلون.هذا ما یفیده السیاق.

فقوله:« وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا رُسُلاً مِنْ قَبْلِکَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنٰا عَلَیْکَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَیْکَ »مسوق للإشاره إلی کون ما سیذکره سنه جاریه منه تعالی.

و قوله:« وَ مٰا کٰانَ لِرَسُولٍ أَنْ یَأْتِیَ بِآیَهٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ »الآیه و إن کانت أعم من الآیه المعجزه التی یؤتاها الرسول لتأیید رسالته،و الآیه التی تنصر الحق و تقضی بین الرسول و بین أمته و الکل بإذن الله لکن مورد الکلام کما استفدناه من السیاق القسم الثانی و هی القاضیه بین الرسول و أمته.

و قوله:« فَإِذٰا جٰاءَ أَمْرُ اللّٰهِ قُضِیَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنٰالِکَ الْمُبْطِلُونَ »أی فإذا جاء أمر الله بالعذاب قضی بالحق فأظهر الحق و أزهق الباطل و خسر عند ذلک المتمسکون بالباطل فی دنیاهم بالهلاک و فی آخرتهم بالعذاب الدائم.

و استدل بالآیه علی أن من الرسل من لم تذکر قصته فی القرآن،و فیه أن الآیه مکیه لا تدل علی أزید من عدم ذکر قصه بعض الرسل إلی حین نزولها بمکه،و قد ورد

فی سوره النساء :«وَ رُسُلاً قَدْ قَصَصْنٰاهُمْ عَلَیْکَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَیْکَ:» النساء:-۱۶۴ و لم یذکر فی السور النازله بعد سوره النساء اسم أحد من الرسل المذکورین بأسمائهم فی القرآن.

و

فی المجمع،و روی عن علی(ع)أنه قال: بعث الله نبیا أسود لم یقص علینا قصته ،و روی فی الدر المنثور عن الطبرانی فی الأوسط و ابن مردویه عنه ما فی معناه.

[سوره غافر (۴۰): الآیات ۷۹ الی ۸۵]

اشاره

اَللّٰهُ اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اَلْأَنْعٰامَ لِتَرْکَبُوا مِنْهٰا وَ مِنْهٰا تَأْکُلُونَ (۷۹) وَ لَکُمْ فِیهٰا مَنٰافِعُ وَ لِتَبْلُغُوا عَلَیْهٰا حٰاجَةً فِی صُدُورِکُمْ وَ عَلَیْهٰا وَ عَلَی اَلْفُلْکِ تُحْمَلُونَ (۸۰) وَ یُرِیکُمْ آیٰاتِهِ فَأَیَّ آیٰاتِ اَللّٰهِ تُنْکِرُونَ (۸۱) أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی اَلْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کٰانَ عٰاقِبَةُ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ کٰانُوا أَکْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ آثٰاراً فِی اَلْأَرْضِ فَمٰا أَغْنیٰ عَنْهُمْ مٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ (۸۲) فَلَمّٰا جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّنٰاتِ فَرِحُوا بِمٰا عِنْدَهُمْ مِنَ اَلْعِلْمِ وَ حٰاقَ بِهِمْ مٰا کٰانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ (۸۳) فَلَمّٰا رَأَوْا بَأْسَنٰا قٰالُوا آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ وَ کَفَرْنٰا بِمٰا کُنّٰا بِهِ مُشْرِکِینَ (۸۴) فَلَمْ یَکُ یَنْفَعُهُمْ إِیمٰانُهُمْ لَمّٰا رَأَوْا بَأْسَنٰا سُنَّتَ اَللّٰهِ اَلَّتِی قَدْ خَلَتْ فِی عِبٰادِهِ وَ خَسِرَ هُنٰالِکَ اَلْکٰافِرُونَ (۸۵)

ص: ۳۵۴

(بیان)

رجوع بعد رجوع إلی ذکر بعض آیات التوحید و إرجاع لهم إلی الاعتبار بحال الأمم الدارجه الهالکه و سنه الله الجاریه فیهم بإرسال رسله إلیهم ثم القضاء بین رسلهم و بینهم المؤدی إلی خسران الکافرین منهم،و عند ذلک تختتم السوره.

قوله تعالی:« اَللّٰهُ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَنْعٰامَ لِتَرْکَبُوا مِنْهٰا وَ مِنْهٰا تَأْکُلُونَ »ذکر سبحانه مما ینتفع به الإنسان فی حیاته و یدبر به أمره الأنعام و المراد بها الإبل و البقر و الغنم،و قیل:المراد بها هاهنا الإبل خاصه.

فقوله:« جَعَلَ لَکُمُ الْأَنْعٰامَ لِتَرْکَبُوا مِنْهٰا وَ مِنْهٰا تَأْکُلُونَ »الجعل هنا الخلق أو التسخیر،و اللام فی« لِتَرْکَبُوا »للغرض و«من»للتبعیض،و المعنی خلق لأجلکم أو سخر لکم الأنعام و الغرض من هذا الجعل أن ترکبوا بعضها کبعض الإبل و بعضها کبعض الإبل و البقر و الغنم تأکلون.

قوله تعالی:« وَ لَکُمْ فِیهٰا مَنٰافِعُ »إلخ کانتفاعکم بألبانها و أصوافها و أوبارها و أشعارها و جلودها و غیر ذلک،و قوله:« وَ لِتَبْلُغُوا عَلَیْهٰا حٰاجَةً فِی صُدُورِکُمْ »أی و من الغرض من جعلها أن تبلغوا،حال کونکم علیها بالرکوب،حاجه فی صدورکم و هی الانتقال من مکان إلی مکان لأغراض مختلفه.

و قوله:« وَ عَلَیْهٰا وَ عَلَی الْفُلْکِ تُحْمَلُونَ »کنایه عن قطع البر و البحر بالأنعام و الفلک.

قوله تعالی:« وَ یُرِیکُمْ آیٰاتِهِ فَأَیَّ آیٰاتِ اللّٰهِ تُنْکِرُونَ »تقدم معنی إراءته تعالی آیاته فی تفسیر أوائل السوره،و کأن الجمله أعنی قوله:« وَ یُرِیکُمْ آیٰاتِهِ »غیر مقصوده لنفسها حتی یلزم التکرار و إنما هی تمهید و توطئه للتوبیخ الذی فی قوله:« فَأَیَّ آیٰاتِ اللّٰهِ تُنْکِرُونَ »أی أی هذه الآیات التی یریکم الله إیاها عیانا و بیانا،تنکرون إنکارا یمهد لکم الإعراض عن توحیده.

قوله تعالی:« أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا »إلی آخر الآیه توبیخ لهم و عطف لأنظارهم إلی ما جری من سنه القضاء و الحکم فی الأمم السالفه،و قد تقدمت نظیره الآیه فی أوائل السوره و کان الغرض هناک أن یتبین لهم أن الله أخذ کلا منهم بذنوبهم

لما كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فيكفرون بهم و لذا ذيل الآيه بقوله:« فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ »،و الغرض هاهنا أن يتبين لهم أنهم لم يغنهم ما كسبوا و لم ينفعهم فى دفع عذاب الله ما فرحوا به من العلم الذى عندهم و لا توبتهم و ندامتهم مما عملوا.

و قد صدرت الآيه بفاء التفريع فقيل:« أَ فَلَمْ يَسِيرُوا »إلخ مع الالتفات من الخطاب إلى الغيبه،و كأن الكلام تفريع على قوله:« فَأَيَّ آيـاتِ اللّهِ تُنْكِرُونَ »فكأنه لما ذمهم و أنكر إنكارهم لآياته رجع و انصرف عنهم إلى النبى ص مشيرا إلى سقوطه من منزله الخطاب و قال:إذا كانت آياته تعالى ظاهره بينه لا تقبل الإنكار و من جملتها ما فى آثار الماضين من الآيات الناطقه و هم قد ساروا فى الأرض و شاهدوها فلم لم ينظروا فيها فيتبين لهم أن الماضين مع كونهم أقوى من هؤلاء كما و كيفا لم ينفعهم ما فرحوا به من علم و قوه.

قوله تعالى:« فَلَمّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ »إلخ ضمائر الجمع فى الآيه-و هى سبع-للذين من قبلهم،و المراد بما عندهم من العلم ما وقع فى قلوبهم و شغل نفوسهم من زينه الحياه الدنيا و فنون التدبير للظفر بها و بلوغ لذائذها و قد عد الله سبحانه ذلك علما لهم و قصر علمهم فيه،قال تعالى :«يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَهِ هُمْ غافِلُونَ:» الروم:-٧،و قال :«فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّى عَنْ ذِكْرِنا وَ لَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَياهَ الدُّنْيا ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ:» النجم:-٣٠.

و المراد بفرحهم بما عندهم من العلم شده إعجابهم بما كسبوه من الخبره و العلم الظاهرى و انجذابهم إليه الموجب لإعراضهم عن المعارف الحقيقيه التى جاءت بها رسلهم،و استهانتهم بها و سخريتهم لها،و لذا عقب فرحهم بما عندهم من العلم بقوله:« وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ».

و فى معنى قوله:« فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ »أقوال أخر:

منها:أن المراد بما عندهم من العلم عقائدهم الفاسده و آراؤهم الباطله و تسميتها علما للتهكم فهم كانوا يفرحون بها و يستحقرون لذلك علم الرسل،و أنت خبير بأنه تصوير من غير دليل.

و منها:أن المراد بالعلم هو علوم الفلاسفه من اليونان و الدهريين فكانوا إذا سمعوا بالوحى و معارف النبوه صغروا علم الأنبياء و تبجحوا بما عندهم،و هو كسابقه على أنه

لا ينطبق على أحد من الأمم التى قص القرآن قصتهم كقوم نوح و عاد و ثمود و قوم إبراهيم و قوم لوط و قوم شعيب و غيرهم.

و منها:أن أصل المعنى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات لم يفرحوا بما جاءهم من العلم فوضع موضعه فرحوا بما عندهم من الجهل ثم بدل الجهل علما تهكما فقيل:فرحوا بما عندهم من العلم،و هذا الوجه-على ما فيه من التكلف و البعد من الفهم-يرد عليه ما يرد على الأول.

و منها:أن ضمير فَرِحُوا للكفار و ضمير« عِنْدَهُمْ »للرسل،و المعنى فرح الكفار بما عند الرسل من العلم فرح ضحك و استهزاء و فيه أن لازمه اختلاف الضمائر المتسقه مضافا إلى أن الضحك و الاستهزاء لا يسمى فرحا و لا قرينه.

و منها:أن ضميرى« فَرِحُوا بِمٰا عِنْدَهُمْ »للرسل،و المعنى أن الرسل لما جاءوهم و شاهدوا ما هم فيه من الجهل و التمادى على الكفر و الجحود و علموا عاقبه أمرهم فرحوا بما عندهم من العلم الحق و شكروا الله على ذلك.

و فيه أن سياق الآيات أصدق شاهد على أنها سيقت لبيان حال الكفار بعد إتيان رسلهم بالبينات و كيف آلت إلى نزول العذاب و لم ينفعهم الإيمان بعد مشاهده البأس؟ و أى ارتباط له بفرح الرسل بعلومهم الحقه؟على أن لازمه أيضا اختلاف الضمائر.

قوله تعالى:« فَلَمّٰا رَأَوْا بَأْسَنٰا قٰالُوا آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنٰا بِمٰا كُنّٰا بِهِ مُشْرِكِينَ » البأس شده العذاب،و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمٰانُهُمْ لَمّٰا رَأَوْا بَأْسَنٰا »إلخ و ذلك لعدم استناد الإيمان حينئذ إلى الاختيار،و قوله:« سُنَّتَ اللّٰهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبٰادِهِ »أى سنها الله سنه ماضيه فى عباده أن لا تقبل توبه بعد رؤيه البأس« وَ خَسِرَ هُنٰالِكَ الْكٰافِرُونَ ».

(۴۱) (سوره حم السجده مكيه و هى أربع و خمسون آيه)(۵۴)

[سوره فصلت (۴۱): الآيات ۱ الى ۱۲]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

حم (۱) تَنْزِيلٌ مِنَ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ (۲) كِتٰابٌ فُصِّلَتْ آيٰاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۳) بَشِيراً وَ نَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاٰ يَسْمَعُونَ (۴) وَ قٰالُوا قُلُوبُنٰا فِي أَكِنَّةٍ مِمّٰا تَدْعُونٰا إِلَيْهِ وَ فِي آذٰانِنٰا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنٰا وَ بَيْنِكَ حِجٰابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنٰا عٰامِلُونَ (۵) قُلْ إِنَّمٰا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّمٰا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَ اِسْتَغْفِرُوهُ وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (۶) اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْتُونَ اَلزَّكٰاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كٰافِرُونَ (۷) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (۸) قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ اَلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدٰاداً ذٰلِكَ رَبُّ اَلْعٰالَمِينَ (۹) وَ جَعَلَ فِيهٰا رَوٰاسِيَ مِنْ فَوْقِهٰا وَ بٰارَكَ فِيهٰا وَ قَدَّرَ فِيهٰا أَقْوٰاتَهٰا فِي أَرْبَعَةِ أَيّٰامٍ سَوٰاءً لِلسّٰائِلِينَ (۱۰) ثُمَّ اِسْتَوىٰ إِلَى اَلسَّمٰاءِ وَ هِيَ دُخٰانٌ فَقٰالَ لَهٰا وَ لِلْأَرْضِ اِئْتِيٰا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قٰالَتٰا أَتَيْنٰا طٰائِعِينَ (۱۱) فَقَضٰاهُنَّ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحىٰ فِي كُلِّ سَمٰاءٍ أَمْرَهٰا وَ زَيَّنَّا اَلسَّمٰاءَ اَلدُّنْيٰا بِمَصٰابِيحَ وَ حِفْظاً ذٰلِكَ تَقْدِيرُ اَلْعَزِيزِ اَلْعَلِيمِ (۱۲)

(بيان)

تتكلم السوره حول إعراضـهم عن الكتـاب المنزل عليهم و هو القرآن الكريم فهو الغرض الأصـلى و لـذلك ترى طـائف الكلام يطوف حوله و يبتدئ به ثم يعود إليه فصلا

ص: ۳۵۸

بعد فصل فقد افتتح بقوله:« تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ »إلخ ثم قيل:« وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاٰ تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ »إلخ،و قيل:« إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيٰاتِنٰا لاٰ يَخْفَوْنَ عَلَيْنٰا »إلخ،و قيل:« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمّٰا جٰاءَهُمْ »إلخ،و قيل-و هو فى خاتمه الكلام-:« قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كٰانَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ »إلخ.

و لازم إعراضهم عن كتاب الله إنكار الأصول الثلاثه التى هى أساس دعوته الحقه و هى الوحدانيه و النبوه و المعاد فبسطت الكلام فيها و ضمنته التبشير و الإنذار.

و السوره مكيه لشهاده مضامين آياتها على ذلك و هى من السور النازله فى أوائل البعثه على ما يستفاد من الروايات.

قوله تعالى:« حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ »خبر مبتدإ محذوف،و المصدر بمعنى المفعول،و التقدير هذا منزل من الرحمن الرحيم،و التعرض للصفتين الكريمتين:

الرحمن الدال على الرحمه العامه للمؤمن و الكافر،و الرحيم الداله على الرحمه الخاصه بالمؤمنين للإشاره إلى أن هذا التنزيل يصلح للناس دنياهم كما يصلح لهم آخرتهم.

قوله تعالى:« كِتٰابٌ فُصِّلَتْ آيٰاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ »خبر بعد خبر، و التفصيل يقابل الإحكام و الإجمال،و المراد بتفصيل آيات القرآن تمييز أبعاضه بعضها من بعض بإنزاله إلى مرتبه البيان بحيث يتمكن السامع العارف بأساليب البيان من فهم معانيه و تعقل مقاصده و إلى هذا يشير قوله تعالى :«كِتٰابٌ أُحْكِمَتْ آيٰاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ:» هود:-١،و قوله :«وَ الْكِتٰابِ الْمُبِينِ إِنّٰا جَعَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتٰابِ لَدَيْنٰا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ:» الزخرف:-۴.

و قوله:« قُرْآناً عَرَبِيًّا »حال من الكتاب أو من آياته،و قوله:« لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » اللام للتعليل أو للاختصاص،و مفعول« يَعْلَمُونَ »إما محذوف و التقدير لقوم يعلمون معانيه لكونهم عارفين باللسان الذى نزل به و هم العرب و إما متروك و المعنى لقوم لهم علم.

و لازم المعنى الأول أن يكون هناك عنايه خاصه بالعرب فى نزول القرآن عربيا و هو الذى يشعر به أيضا قوله الآتى:« وَ لَوْ جَعَلْنٰاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقٰالُوا لَوْ لاٰ فُصِّلَتْ آيٰاتُهُ ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ »الآيه و قريب منه قوله :«وَ لَوْ نَزَّلْنٰاهُ عَلىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ

عَلَيْهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ:» الشعراء:-١٩٩.

و لا- ينافى ذلك عموم دعوته(ص)لعامه البشر لأن دعوته(ص)كانت مرتبه على مراحل فأول ما دعا دعا الناس بالموسم فقوبل بإنكار شديد منهم ثم كان يدعو بعد ذلك سرا مده ثم أمر بدعوه عشيرته الأقربين كما يشير إليه قوله تعالى :«وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ:» الشعراء:-٢١۴ ثم أمر بدعوه قومه كما يشير إليه قوله :«فَاصْدَعْ بِمٰا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ:» الحجر:-٩۴ ثم أمر بدعوه الناس عامه كما يشير إليه قوله :«قُلْ يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّٰهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً:» الأعراف:-١۵٨،و قوله :

«وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ:» الأنعام:-١٩.

على أن من المسلم تاريخا أنه كان من المؤمنين به سلمان و كان فارسيا،و بلال و كان حبشيا،و صهيب و كان روميا،و دعوته لليهود و وقائعه(ص)معهم،و كذا كتابه إلى ملك إيران و مصر و الحبشه و الروم فى دعوتهم إلى الإسلام كل ذلك دليل على عموم الدعوه.

قوله تعالى:« بَشِيراً وَ نَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاٰ يَسْمَعُونَ »« بَشِيراً وَ نَذِيراً » حالان من الكتاب فى الآيه السابقه،و المراد بالسمع المنفى سمع القبول كما يدل عليه قرينه الإعراض.

قوله تعالى:« وَ قٰالُوا قُلُوبُنٰا فِي أَكِنَّةٍ مِمّٰا تَدْعُونٰا إِلَيْهِ »إلى آخر الآيه.قال الراغب: الكن ما يحفظ فيه الشىء قال: الكنان الغطاء الذى يكن فيه الشىء و الجمع أكنه نحو غطاء و أغطيه قال تعالى:« وَ جَعَلْنٰا عَلىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ».انتهى.

فقوله:« قُلُوبُنٰا فِي أَكِنَّةٍ مِمّٰا تَدْعُونٰا إِلَيْهِ »كنايه عن كون قلوبهم بحيث لا تفقه ما يدعو(ص)إليه من التوحيد كأنها مغطاه بأغطيه لا يتطرق إليها شىء من خارج.

و قوله:« وَ فِي آذٰانِنٰا وَقْرٌ »أى ثقل من الصمم فلا- تسمع شيئا من هذه الدعوه، و قوله:« وَ مِنْ بَيْنِنٰا وَ بَيْنِكَ حِجٰابٌ »أى حاجز يحجزنا منك فلا نجتمع معك على شىء مما تريد فقد أيأسوه(ص)من قبول دعوته بما أخبروه أولا بكون قلوبهم فى أكنه فلا تقع فيها دعوته حتى يفقهوها،و ثانيا بكون طرق ورودها إلى القلوب و هى الآذان مسدوده فلا تلجها دعوه و لا ينفذ منها إنذار و تبشير،و ثالثا بأن بينهم و بينه(ص)

حجابا مضروبا لا يجمعهم معه جامع و فيه تمام الإياس.

و قوله:« فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ »تفريع على ما سبق،و لا يخلو من شوب تهديد، و عليه فالمعنى إذا كان لا سبيل إلى التفاهم بيننا فاعمل بما يمكنك العمل به فی إبطال أمرنا إننا عاملون فی إبطال أمرک.

و قيل:المعنى فاعمل على دينک فإننا عاملون على ديننا،و قيل:المعنى فاعمل فی هلاکنا فإننا عاملون فی هلاکک،و لا يخلوان من بعد.

قوله تعالى:« قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَغْفِرُوهُ »فی مقام الجواب عن قولهم:« قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمّا تَدْعُونا إِلَيْهِ »على ما يعطيه السياق فمحصله قل لهم:إنما أنا بشر مثلکم أعاشرکم کما يعاشر بعضکم بعضا و أکلمکم کما يکلم أحدکم صاحبه فلست من جنس يباينکم کالملک حتى يکون بينی و بينکم حجاب مضروب أو لا ينفذ کلامی فی آذانکم أو لا يرد قولی فی قلوبکم غير أن الذی أقول لکم و أدعوکم إليه وحی يوحى إلی و هو إنما إلهکم الذی يستحق أن تعبدوه إله واحد لا آلهه متفرقون.

و قوله:« فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَغْفِرُوهُ »أی فإذا لم يکن إلا إلها واحدا لا شريک له فاستووا إليه بتوحيده و نفی الشرکاء عنه و استغفروه فيما صدر عنکم من الشرک و الذنوب.

قوله تعالى:« وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْتُونَ اَلزَّكٰاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كٰافِرُونَ » تهديد للمشرکين الذين يثبتون لله شرکاء و لا يوحدونه،و قد وصفهم من أخص صفاتهم بصفتين هما عدم إيتائهم الزکاه و کفرهم بالآخره.

و المراد بإيتاء الزکاه مطلق إنفاق المال للفقراء و المساکين لوجه الله فإن الزکاه بمعنى الصدقه الواجبه فی الإسلام لم تکن شرعت بعد عند نزول السوره و هی من أقدم السور المکيه.

و قيل:المراد بإيتاء الزکاه تزکيه النفس و تطهيرها من أوساخ الذنوب و قذارتها و إنماؤها نماء طيبا بعباده الله سبحانه،و هو حسن لو حسن إطلاق إيتاء الزکاه على ذلک.

و قوله:« وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ هُمْ کافِرُونَ »وصف آخر للمشرکین هو من لوازم مذهبهم و هو إنکار المعاد،و لذلک أتی بضمیر الفصل لیفید أنهم معروفون بالکفر بالآخره.

قوله تعالی:« إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ »أی غیر مقطوع بل متصل دائم کما فسره بعضهم،و فسره آخرون بغیر معدود کما قال تعالی :

«یُرْزَقُونَ فِیها بِغَیْرِ حِسابٍ:» المؤمن:-۴۰.

و جوز أن یکون المراد أنه لا أذی فیه من المن الذی یکدر الصنیعه،و یمکن أن یوجه هذا الوجه بأن فی تسمیه ما یؤتونه بالأجر دلاله علی ذلک لإشعاره بالاستحقاق و إن کان هذا الاستحقاق بجعل من الله تعالی لا لهم من عند أنفسهم قال تعالی :«إِنَّ هٰذا کانَ لَکُمْ جَزاءً وَ کانَ سَعْیُکُمْ مَشْکُوراً:» الدهر:-۲۲.

قوله تعالی:« قُلْ أَ إِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً »الآیه.أمره ثانیا أن یستفهم عن کفرهم بالله بمعنی شرکهم مع ظهور آیات وحدانیه فی خلق السماوات و الأرض و تدبیر أمرهما بعد ما أمره أولا بدفع قولهم:

« قُلُوبُنا فِی أَکِنَّهٍ »إلخ.

و الاستفهام للتعجیب و لذا أکد المستفهم عنه بأن و اللام کأن المستفهم لا یکاد یذعن بکفرهم بالله و قولهم بالأنداد مع ظهور المحجه و استقامه الحجه.

و قوله:« وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً »تفسیر لقوله:« لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ » إلخ،و الأنداد جمع ند و هو المثل،و المراد بجعل الأنداد له اتخاذ شرکاء له یماثلونه فی الربوبیه و الألوهیه.

و قوله:« ذٰلِکَ رَبُّ الْعالَمِینَ »فی الإشاره بلفظ البعید رفع لساحته تعالی و تنزیهه عن أمثال هذه الأوهام فهو رب العالمین المدبر لأمر الخلق أجمعین فلا مسوغ لأن یتوهم ربا آخر سواه و إلها آخر غیره.

و المراد بالیوم فی قوله:« خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ »برهه من الزمان دون مصداق الیوم الذی نعهده و نحن علی بسیط أرضنا هذه و هو مقدار حرکه الکره الأرضیه حول نفسها مره واحده فإنه ظاهر الفساد،و إطلاق الیوم علی قطعه من الزمان تحوی حادثه من الحوادث کثیر الورود شائع الاستعمال،و من ذلک قوله تعالی :«وَ تِلْکَ الْأَیّامُ

نُدٰاوِلُهٰا بَيْنَ النّٰاسِ:» آل عمران:-۱۴۰،و قوله :«فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلاّٰ مِثْلَ أَيّٰامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ:» يونس:-۱۰۲،و غير ذلک.

فاليومان اللذان خلق الله فيهما الأرض قطعتان من الزمان تم فيهما تكون الأرض أرضا تامه،و فى عدهما يومين لا يوما واحدا دليل على أن الأرض لاقت زمان تكونها الأولى مرحلتين متغايرتين كمرحله النىء و النضج أو الذوبان و الانعقاد أو نحو ذلک.

قوله تعالى:« وَ جَعَلَ فِيهٰا رَوٰاسِيَ مِنْ فَوْقِهٰا »إلى آخر الآيه.معطوف على قوله:« خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ »و لا ضير فى تخلل الجملتين:« وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدٰاداً ذٰلِكَ رَبُّ الْعٰالَمِينَ »بين المعطوف و المعطوف عليه لأن الأولى تفسير لقوله:« لَتَكْفُرُونَ » و الثانيه تقرير للتعجيب الذى يفيده الاستفهام.

و الرواسى صفه لموصوف محذوف و التقدير جبالا رواسى أى ثابتات على الأرض و ضمائر التأنيث الخمس فى الآيه للأرض.

و قوله:« وَ بٰارَكَ فِيهٰا »أى جعل فيها الخير الكثير الذى ينتفع به ما على الأرض من نبات و حيوان و إنسان فى حياته أنواع الانتفاعات.

و قوله:« وَ قَدَّرَ فِيهٰا أَقْوٰاتَهٰا فِي أَرْبَعَةِ أَيّٰامٍ سَوٰاءً لِلسّٰائِلِينَ »قيل:الظرف أعنى قوله:« فِي أَرْبَعَةِ أَيّٰامٍ »بتقدير مضاف و هو متعلق بقدر،و التقدير قدر الأقوات فى تتمه أربعه أيام من حين بدء الخلق-فيومان لخلق الأرض و يومان-و هما تتمه أربعه أيام-لتقدير الأقوات.

و قيل:متعلق بحصول الأقوات و تقدير المضاف على حاله،و التقدير قدر حصول أقواتها فى تتمه أربعه أيام-فيها خلق الأرض و أقواتها جميعا-.

و قيل:متعلق بحصول جميع الأمور المذكوره من جعل الرواسى من فوقها و المباركه فيها و تقدير أقواتها و التقدير و حصول ذلک كله فى تتمه أربعه أيام و فيه حذف و تقدير كثير.

و جعل الزمخشرى فى الكشاف،الظرف متعلقا بخبر مبتدإ محذوفين من غير تقدير مضاف و التقدير كل ذلک كائن فى أربعه أيام فيكون قوله:« فِي أَرْبَعَةِ أَيّٰامٍ »من قبيل الفذلكه كأنه قيل:خلق الأرض فى يومين و أقواتها و غير ذلک فى يومين فكل ذلک فى أربعه أيام.

قالوا:و إنما لم يجز حمل الآيه على أن جعل الرواسى و ما ذكر عقيبه أو تقدير الأقوات فى أربعه أيام لأن لازمه كون خلق الأرض و ما فيها فى سته أيام و قد ذكر بعده أن السماوات خلقت فى يومين فيكون المجموع ثمانيه أيام و قد تكرر فى كلامه تعالى أنه خلق السماوات و الأرض فى سته أيام فهذا هو الوجه فى حمل الآيه على أحد الوجوه السابقه على ما فيها من ارتكاب الحذف و التقدير.

و الإنصاف أن الآيه أعنى قوله:« وَ قَدَّرَ فِيهٰا أَقْوٰاتَهٰا فِی أَرْبَعَهِ أَيّٰامٍ سَوٰاءً لِلسّٰائِلِينَ » ظاهره فى غير ما ذكروه و القرائن الحافه بها تؤيد كون المراد بها تقدير أقواتها فى الفصول الأربعه التى يكونها ميل الشمس الشمالى و الجنوبى بحسب ظاهر الحس فالأيام الأربعه هى الفصول الأربعه.

و الذى ذكر فى هذه الآيات من أيام خلق السماوات و الأرض أربعه أيام يومان لخلق الأرض و يومان لتسويه السماوات سبعا بعد كونها دخانا و أما أيام الأقوات فقد ذكرت أياما لتقديرها لا لخلقها،و ما تكرر فى كلامه تعالى هو خلق السماوات و الأرض فى سته أيام لا مجموع خلقها و تقدير أمرها فالحق أن الظرف قيد للجمله الأخيره فقط و لا حذف و لا تقدير فى الآيه و المراد بيان تقدير أقوات الأرض و أرزاقها فى الفصول الأربعه من السنه.

و قوله:« سَوٰاءً لِلسّٰائِلِينَ »مفعول مطلق لفعل مقدر أى استوت الأقوات المقدره استواء للسائلين أو حال من الأقوات أى قدرها حال كونها مستويه للسائلين يقتاتون بها جميعا و تكفيهم من دون زياده أو نقيصه.

و السائلون هم أنواع النبات و الحيوان و الإنسان فإنهم محتاجون فى بقائهم إلى الأرزاق و الأقوات فهم سائلون ربهم (1)قال تعالى :«يَسْئَلُهُ مَنْ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ:» الرحمن:-29،و قال :«وَ آتٰاكُمْ مِنْ كُلِّ مٰا سَأَلْتُمُوهُ:» إبراهيم:-34.

قوله تعالى:« ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّمٰاءِ وَ هِیَ دُخٰانٌ فَقٰالَ لَهٰا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيٰا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قٰالَتٰا أَتَيْنٰا طٰائِعِينَ »

1- 1) ظاهر الآيتين و إن كان اختصاصهما بذوى العقول لكنهما و خاصه الثانيه تفيدان أن المراد بالسؤال هو الحاجه و الاستعداد و عليه فالآيه تعم النبات و الإتيان بضمير أولى العقل للتغليب.

الاستواء -على ما ذكره الراغب-إذا عدى بعلى أفاد معنى الاستيلاء نحو اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ ،و إذا عدى بإلى أفاد معنى الانتهاء إليه.

و أيضا فى المفردات،أن الكره بفتح الكاف المشتقه التى تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه،و الكره بضم الكاف ما تناله من ذاته و هو يعافه.

فقوله:« ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّمٰاءِ »أى توجه إليها و قصدها بالخلق دون القصد المكانى الذى لا يتم إلا بانتقال القاصد من مكان إلى مكان و من جهه إلى جهه لتنزهه تعالى على ذلك.

و ظاهر العطف بثم تأخر خلق السماوات عن الأرض لكن قيل:إن« ثُمَّ » لإفاده التراخى بحسب الخبر لا بحسب الوجود و التحقق و يؤيده قوله تعالى :«أَمِ السَّمٰاءُ بَنٰاهٰا -Xإلى أن قالX- وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰاهٰا أَخْرَجَ مِنْهٰا مٰاءَهٰا وَ مَرْعٰاهٰا وَ الْجِبٰالَ أَرْسٰاهٰا:» النازعات:-٣٢ فإنه يفيد تأخر الأرض عن السماء خلقا.

و الاعتراض عليه بأن مفاده تأخر دحو الأرض عن بناء السماء و دحوها غير خلقها مدفوع بأن الأرض كرويه فليس دحوها و بسطها غير تسويتها كره و هو خلقها على أنه تعالى أشار بعد ذكر دحو الأرض إلى إخراج مائها و مرعاها و إرساء جبالها و هذه بعينها جعل الرواسى من فوقها و المباركه فيها و تقدير أقواتها التى ذكرها فى الآيات التى نحن فيها مع خلق الأرض و عطف عليها خلق السماء بثم فلا مناص عن حمل ثم على غير التراخى الزمانى فإن قوله فى آيه النازعات:« بَعْدَ ذٰلِكَ »أظهر فى التراخى الزمانى من لفظه« ثُمَّ »فيه فى آيه حم السجده و الله أعلم.

و قوله:« وَ هِيَ دُخٰانٌ »حال من السماء أى استوى إلى السماء بالخلق حال كونها شيئا سماه الله دخانا و هو مادتها التى ألبسها الصوره و قضاها سبع سماوات بعد ما لم تكن معدوده متميزا بعضها من بعض،و لذا أفرد السماء فقال:« اِسْتَوىٰ إِلَى السَّمٰاءِ ».

و قوله:« فَقٰالَ لَهٰا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيٰا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً »تفريع على استوائه إلى السماء و المورد مورد التكوين بلا شك فقوله لها و للأرض:« اِئْتِيٰا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً » كلمه إيجاد و أمر تكوينى كقوله لشىء أراد وجوده:كن،قال تعالى :«إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ:» يس:-٨٣.

و مجموع قوله لهما:« اِئْتِيٰا »إلخ و قولهما له:« أَتَيْنٰا »إلخ تمثيل لصفه الإيجاد و التكوين على الفهم الساذج العرفى و حقيقه تحليليه بناء على ما يستفاد من كلامه تعالى من سرايه العلم فى الموجودات و كون تكليم كل شىء بحسب ما يناسب حاله،و قد أوردنا بعض الكلام فيه فيما تقدم من المباحث، و سيجىء شطر من الكلام فيه فى تفسير قوله :

«قٰالُوا أَنْطَقَنَا اللّٰهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ:» الآيه-۲۱ من السوره إن شاء الله.

و قول بعضهم:إن المراد بقوله:« اِئْتِيٰا »إلخ أمرهما بإظهار ما فيهما من الآثار و المنافع دون الأمر بأن توجدا و تكونا مدفوع بأن تكون السماء مذكور فيما بعد و لا معنى لتقديم الأمر بإظهار الآثار و المنافع قبل ذكر التكون.

و فى قوله:« اِئْتِيٰا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً »إيجاب الإتيان عليهما و تخييرهما بين أن تفعلا ذلك بطوع أو كره،و لعل المراد بالطوع و الكره-و هما بوجه قبول الفعل و نوع ملاءمه و عدمه-هو الاستعداد السابق للكون و عدمه فيكون قوله:« اِئْتِيٰا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً »كنايه عن وجوب إتيانهما بلا مناص و أنه أمر لا يتخلف البته أرادتا أو كرهتا سألتاه أو لم تسألا فأجابتا أنهما يمتثلان الأمر عن استعداد سابق و قبول ذاتى و سؤال فطرى إذ قالتا: أَتَيْنٰا طٰائِعِينَ .

و قول بعضهم:إن قوله:« طَوْعاً أَوْ كَرْهاً »تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما و استحاله امتناعهما من ذلك لا إثبات الطوع و الكره لهما.مدفوع بقوله بعد:

« قٰالَتٰا أَتَيْنٰا طٰائِعِينَ »إذ لو كان الترديد المذكور تمثيلا فقط من غير إثبات كما ذكره لم يكن لإثبات الطوع فى الجواب وجه.

و قوله:« قٰالَتٰا أَتَيْنٰا طٰائِعِينَ »جواب السماء و الأرض لخطابه تعالى باختيار الطوع، و التعبير باللفظ الخاص بأولى العقل-طائعين-لمكان المخاطبه و الجواب و هما من خواص أولى العقل، و التعبير بلفظ الجمع دون أن تقولا:أتينا طائعتين لعله تواضع منهما بعد أنفسهما غير متميزه من سائر مخلوقاته تعالى المطيعه لأمره فأجابتا عن لسان الجميع،نظير ما قيل فى قوله تعالى :«إِيّٰاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّٰاكَ نَسْتَعِينُ:» الحمد:-۵.

ثم إن تشريك الأرض مع السماء فى خطاب« اِئْتِيٰا »إلخ مع ذكر خلقها و تدبير أمرها قبلا لا يخلو من إشعار بأن بينهما نوع ارتباط فى الوجود و اتصال فى النظام الجارى

فیهما و هو کذلک فإن الفعل و الانفعال و التأثیر و التأثر دائر بین أجزاء العالم المشهود.

و فی قوله:« فَقٰالَ لَهٰا وَ لِلْأَرْضِ »تلویح علی أی حال إلی کون« ثُمَّ »فی قوله:

« ثُمَّ اسْتَویٰ »للتراخی بحسب رتبه الکلام.

قوله تعالی:« فَقَضٰاهُنَّ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ فِی یَوْمَیْنِ وَ أَوْحیٰ فِی کُلِّ سَمٰاءٍ أَمْرَهٰا » الأصل فی معنی القضاء فصل الأمر،و ضمیر« فَقَضٰاهُنَّ »للسماء علی المعنی،و« سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ »حال من الضمیر و« فِی یَوْمَیْنِ »متعلق بقضاهن فتفید الجمله أن السماء لما استوی سبحانه إلیها و هی دخان کان أمرها مبهما غیر مشخص من حیث فعلیه الوجود ففصل تعالی أمرها بجعلها سبع سماوات فی یومین.

و قیل:إن القضاء فی الآیه مضمن معنی التصییر و« سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ »مفعوله الثانی،و قیل فیها وجوه أخر لا یهمنا إیرادها.

و الآیه و ما قبلها ناظره إلی تفصیل ما أجمل فی قوله :«أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ کٰانَتٰا رَتْقاً فَفَتَقْنٰاهُمٰا»: الأنبیاء:-۳۰.

و قوله:« وَ أَوْحیٰ فِی کُلِّ سَمٰاءٍ أَمْرَهٰا »قیل:المراد بأمر السماء ما تستعد له أو تقتضیه الحکمه فیها من وجود ملک أو کوکب و ما أشبه ذلک،و الوحی هو الخلق و الإیجاد،و الجمله معطوفه علی قوله:« فَقَضٰاهُنَّ »مقیده بالوقت المذکور للمعطوف علیه،و المعنی و خلق فی کل سماء ما فیها من الملائکه و الکواکب و غیرها.

و أنت خبیر بأن إراده الخلق من الوحی و أمثال الملک و الکوکب من الأمر تحتاج إلی عنایه زائده لا تثبت إلا بدلیل بین،و کذا تقید الجمله المعطوفه بالوقت المذکور فی المعطوف علیها.

و قیل:المراد بالأمر التکلیف الإلهی المتوجه إلی أهل کل سماء من الملائکه و الوحی بمعناه المعروف و المعنی و أوحی إلی أهل کل سماء من الملائکه ما أمرهم به من العباده.

و فیه أن ظاهر الآیه و قد قال تعالی:« فِی کُلِّ سَمٰاءٍ »و لم یقل:إلی کل سماء لا یوافقه تلک الموافقه.

و قیل:المراد بأمرها ما أراده الله منها،و هذا الوجه فی الحقیقه راجع إلی أحد

الوجهين السابقين فإن أريد بالوحى الخلق و الإيجاد رجع إلى أول الوجهين و إن أريد به معناه المعروف رجع إلى ثانيهما.

و الذى وقع فى كلامه تعالى من الأمر المتعلق بوجه بالسماء يلوح إلى معنى أدق مما ذكروه فقد قال تعالى :«يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ:» الم السجده:-۵،و قال :«اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ:» الطلاق:-۱۲،و قال :«وَ لَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَ مَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ:» المؤمنون:-۱۷.

دلت الآيه الأولى على أن السماء مبدأ لأمره تعالى النازل إلى الأرض بوجه و الثانيه على أن الأمر يتنزل بين السماوات من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى الأرض،و الثالثه على أن السماوات طرائق لسلوك الأمر من عند ذى العرش أو لسلوك الملائكه الحاملين للأمر إلى الأرض كما يشير إليه قوله :«تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَهُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ:» القدر:-۴،و قوله :«فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ:» الدخان:-۴.

و لو كان المراد بالأمر أمره تعالى التكوينى و هو كلمه الإيجاد كما يستفاد من قوله :

«إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ:» يس:-۸۲،أفادت الآيات بانضمام بعضها إلى بعض أن الأمر الإلهى الذى مضيه فى العالم الأرضى هو خلق الأشياء و حدوث الحوادث تحمله الملائكه من عند ذى العرش تعالى و تسلك فى تنزيله طرق السماوات فتنزله من سماء إلى سماء حتى تنتهى به إلى الأرض.

و إنما تحمله ملائكه كل سماء إلى من دونهم كما يستفاد من قوله :«حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَا ذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ:» سبأ:-۲۳ و قد تقدم الكلام فيه و السماوات مساكن الملائكه كما يستفاد من قوله :«وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَاوَاتِ:» النجم:-۲۶،و قوله :«لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَ يُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ:» الصافات:-۸.

فللأمر نسبه إلى كل سماء باعتبار الملائكه الساكنين فيها،و نسبه إلى كل قبيل من الملائكه الحاملين له باعتبار تحميله لهم و هو وحيه إليهم فإن الله سبحانه سماه قولا كما قال :«إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ:» النحل:-۴۰.

فتحصل بما مر أن معنى قوله:« وَ أَوْحَى فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا »أوحى فى كل

سماء إلى أهلها من الملائكه الأمر الإلهی.المنسوب إلی تلک السماء المتعلق بها،و أما کون الیومین المذکورین فی الآیه ظرفا لهذا الوحی کما هما ظرف لخلق السماوات سبعا فلا دلیل علیه من لفظ الآیه.

قوله تعالی:« وَ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ حِفْظاً ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » توصیف هذه السماء بالدنیا للدلاله علی أنها أقرب السماوات من الأرض و هی طباق بعضها فوق بعض کما قال :«خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً:» الملک:-۳.

و الظاهر من معنی تزیینها بمصابیح و هی الکواکب کما قال :«إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ:» الصافات:-۶ أن الکواکب فی السماء الدنیا أو دونها کالقنادیل المعلقه و لو کانت متفرقه فی جمیع السماوات من غیر حجب بعضها بعضا لکون السماوات شفافه کما قیل کانت زینه لجمیعها و لم تختص الزینه ببعضها کما یفیده السیاق فلا وجه لقول القائل:إنها فی الجمیع لکن لکونها تری متلألئه علی السماء الدنیا عدت زینه لها.

و أما قوله :«أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّٰهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً:» نوح:-۱۶ فهو بالنسبه إلینا معاشر المستضیئین باللیل و النهار کقوله :«وَ جَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً:» النبأ:-۱۳.

و قوله:« وَ حِفْظاً »أی و حفظناها من الشیاطین حفظا کما قال :«وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ:» الحجر:-۱۸.

و قوله:« ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ »إشاره إلی ما تقدم من النظم و الترتیب.

(کلام فیه تتمیم) [فی معنی السماء.]

قد تحصل مما تقدم:

أولا:أن المستفاد من ظاهر الآیات الکریمه-و لیست بنص-أن السماء الدنیا من هذه السبع هی عالم النجوم و الکواکب فوقنا.

و ثانیا:أن هذه السماوات السبع المذکوره جمیعا من الخلق الجسمانی فکأنها طبقات

سبع متطابقه من عـالم الأجسـام أقربها منا عالم النجوم و الكواكب،و لم يصف القرآن شـيئا من السـماوات الست الباقيه دون أن ذكر أنها طباق.

و ثالثا:أن ليس المراد بالسماوات السبع الأجرام العلويه أو خصوص بعضها كالشمس و القمر أو غيرهما.

و رابعـا:أن مـا ورد من كون السـماوات مساكن للملائكه و أنهم ينزلون منها بأمر الله حاملين له و يعرجون إليها بكتب الأعمال،و أن للسـماء أبوابا لا تفتح للكفار و أن الأشـياء و الأرزاق تنزل منها و غير ذلك مما تشـير إليه متفرقات الآيات و الروايات يكشف عن أن لهـذه الأمور نوع تعلق بهذه السـماوات لا كتعلق ما نراه من الأجسام بمحالها و أماكنها الجسـمانيه الموجبه لحكومه النظام المادی فيها و تسرب التغير و التبدل و الدثور و الفتور إليها.

و ذلک أن من الضروری اليوم أن لهذه الأجرام العلويه كائنه ما كانت كينونه عنصريه جسمانيه تجری فيها نظائر الأحكام و الآثار الجـاريه فی عالمنا الأرضـی العنصـری و النظام الـذی يثبت للسـماء و أهلها و الأمور الجاريه فيها مما أشـرنا إليه يباين هـذا النظام العنصـری المشـهود.أضف إلی ذلک ما ورد أن الملائكه خلقوا من نور،و أن غذاءهم التسبيح،و ما ورد من توصيف خلقهم،و ما ورد فی توصيف خلق السماوات و ما خلق فيها إلی غير ذلک.

فللملائكه عوالم ملكوتيه سـبعه مترتبه سـميت سماوات سبعا و نسبت ما لها من الخواص و الآثار إلی ظاهر هذه السماوات بلحاظ ما لها من العلو و الإحاطه بالنسبه إلی الأرض تسهيلا للفهم الساذج.

(بحث روائی)

فی الـدر المنثور،أخرج ابن أبی شـيبه و عبد بن حميد و أبو يعلی و الحاكم و صـححه و ابن مردويه و أبو نعيم و البيهقی كلاهما فی الدلائل و ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: اجتمع قريش يوما فقالوا:انظروا أعلمكم بالسـحر و الكهانه و الشعر-فليأت هذا الرجل الذی قد فرق جماعتنا،و شتت أمرنا و عاب ديننا-فليكلمه و لينظر ما ذا يرد

عليه؟فقالوا:ما نعلم أحدا غير عتبه بن ربيعه-قالوا:أنت يا أبا الوليد-.

فأتاه فقال:يا محمد أنت خير أم عبد الله؟أنت خير أم عبد المطلب؟فسكت رسول الله ص-قال:فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك-فقد عبدوا الآلهه التى عبدت- و إن كنت تزعم أنك خير منهم-فتكلم حتى نسمع منك-.

أما و الله ما رأينا سلحه قط أشأم على قومك منك-فرقت جماعتنا،و شتت أمرنا و عبت ديننا،و فضحتنا فى العرب-حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحرا، و أن فى قريش كاهنا-و الله ما ننتظر إلا مثل صيحه الحبلى-أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف.يا أيها الرجل إن كان نما بك الحاجه جمعنا لك-حتى تكون أغنى قريش رجلا واحدا-و إن كان نما بك الباءه فاختر أى نساء قريش شئت-فلنزوجك عشرا-.

فقال رسول الله ص:فرغت؟قال:نعم.فقال رسول الله ص:

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ- حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ- كِتٰابٌ فُصِّلَتْ آيٰاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ »حتى بلغ« فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صٰاعِقَةً-مِثْلَ صٰاعِقَهِ عٰادٍ وَ ثَمُودَ ».

فقال عتبه:حسبک.ما عندک غير هذا؟قال:لا -فرجع إلى قريش فقالوا:

ما وراءک؟قال:ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمون به إلا كلمته-قالوا:فهل أجابک؟ قال:و الذى نصبها بنيه ما فهمت شيئا مما قال-غير أنه قال:« أَنْذَرْتُكُمْ صٰاعِقَةً مِثْلَ صٰاعِقَهِ عٰادٍ وَ ثَمُودَ »قالوا:ويلك يكلمك الرجل بالعربيه و ما تدرى ما قال؟قال:

لا و الله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقه.:

أقول:و رواه عن عده من الكتب قريبا منه

،

و فى بعض الطرق:قالوا: ما وراءک يا أبا الوليد؟قال:و الله إنى قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط،و الله ما هو بالشعر و لا بالسحر و لا بالكهانه،و الله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ،و فى بعضها غير ذلک.

و فى تلاوته(ص)آيات أول السوره على الوليد بن المغيره روايه أخرى ستوافيک إن شاء الله فى تفسير سوره المدثر فى ذيل قوله تعالى:« ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً »الآيات.

و فيه،أخرج ابن جرير عن أبى بكر قال: جاء اليهود إلى رسول الله ص فقالوا:يا محمد-أخبرنا ما خلق الله من الخلق فى هذه الأيام السته؟فقال:خلق الله

الأرض یوم الأحد و الإثنین،و خلق الجبال یوم الثلاثاء،و خلق المدائن و الأقوات و الأنهار- و عمرانها و خرابها یوم الأربعاء،و خلق السماوات و الملائکه یوم الخمیس-إلی ثلاث ساعات یعنی من یوم الجمعه،و خلق فی أول ساعه الآجال-و فی الثانیه الآفه و فی الثالثه آدم.قالوا:صدقت إن تممت-فعرف النبی ص ما یریدون فغضب فأنزل الله« وَ مٰا مَسَّنٰا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلیٰ مٰا یَقُولُونَ ».

أقول:و روی ما یقرب منه عن ابن عباس و عبد الله بن سلام و عن عکرمه و غیره و قد ورد فی بعض أخبار الشیعه،و قوله:قالوا:صدقت إن تممت أی تممت کلامک فی الخلق بأن تقول: إنه تعالی فرغ من الخلق یوم السبت و استراح فیه.

و الروایات لا تخلو من شیء:

أما أولا:فمن جهه اشتمالها علی تصدیق الیهود ما ذکر فیها من ترتیب الخلق و هو مخالف لما ورد فی أول سفر التکوین من التوراه مخالفه صریحه ففیها أنه خلق النور و الظلمه-النهار و اللیل-یوم الأحد،و خلق السماء یوم الإثنین،و خلق الأرض و البحار و النبات یوم الثلاثاء و خلق الشمس و القمر و النجوم یوم الأربعاء و خلق دواب البحر و الطیر یوم الخمیس،و خلق حیوان البر و الإنسان یوم الجمعه و فرغ من الخلق یوم السبت و استراح فیه،و القول بأن التوراه الحاضره غیر ما کان فی عهد النبی ص کما تری.

و أما ثانیا:فلأن الیوم من الأسبوع و هو نهار مع لیلته یتوقف فی کینونته علی حرکه الأرض الوضعیه دوره واحده قبال الشمس فما معنی خلق الأرض فی یومین و لم یخلق السماء و السماویات بعد و لا تمت الأرض کره متحرکه؟و نظیر الإشکال جار فی خلق السماء و السماویات و منها الشمس و لا یوم حیث لا شمس بعد.

و أما ثالثا:فلأنه عد فیها یوم لخلق الجبال و قد جزم الفحص العلمی بأنها تخلق تدریجا،و نظیر الإشکال جار فی خلق المدائن و الأنهار و الأقوات.

و فی روضه الکافی،بإسناده عن محمد بن عطیه عن أبی جعفر(ع)أنه قال:

و خلق الشیء الذی جمیع الأشیاء منه-و هو الماء الذی خلق الأشیاء منه-فجعل نسب کل شیء إلی الماء-و لم یجعل للماء نسبا یضاف إلیه،و خلق الریح من الماء-.

ثم سلط الریح علی الماء فشققت الریح متن الماء -حتی ثار من الماء زبد علی قدر

ما شاء أن يثور-فخلق من ذلک الزبد أرضا بيضاء نقيه-ليس فيها صدع و لا ثقب-و لا صعود و لا هبوط و لا شجره-ثم طواها فوضعها فوق الماء-.

ثم خلق الله النار من الماء فشقت النار متن الماء-حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور-فخلق من ذلک الدخان سماء صافيه نقيه-ليس فيها صدع و لا ثقب- و ذلک قوله:« اَلسَّماءُ بَناها ».

أقول:و في هذه المعنى بعض روايات أخر،و يمكن تطبيق ما في الروايه و كذا مضامين الآيات على ما تسلمته الأبحاث العلميه اليوم في خلق العالم و هيئته غير أنا تركنا ذلک احترازا من تحديد الحقائق القرآنيه بالأحداس و الفرضيات العلميه ما دامت فرضيه غير مقطوع بها من طريق البرهان العلمي.

و في نهج البلاغه،: فمن شواهد خلقه خلق السماوات-موطدات بلا عمد قائمات بلا سند،دعاهن فأجبن طائعات مذعنات-غير متلكئات و لا مبطئات،و لو لا إقرارهن له بالربوبيه،و إذعانهن له بالطواعيه-لما جعلهن موضعا لعرشه،و لا مسكنا لملائكته-و لا مصعدا للكلم الطيب و العمل الصالح من خلقه.

و في كمال الدين،بإسناده إلى فضيل الرسان قال: كتب محمد بن إبراهيم إلى أبي عبد الله(ع):أخبرنا ما فضلكم أهل البيت؟فكتب إليه أبو عبد الله(ع):إن الكواكب جعلت أمانا لأهل السماء-فإذا ذهبت نجوم السماء-جاء أهل السماء ما كانوا يوعدون،و قال رسول الله ص:جعل أهل بيتي أمانا لأمتي-فإذا ذهب أهل بيتي جاء أمتي ما كانوا يوعدون.

أقول:و ورد هذا المعنى في غير واحد من الروايات.

و في البحار،عن كتاب الغارات بإسناده عن ابن نباته قال: سئل أمير المؤمنين (ع)كم بين السماء و الأرض؟قال:مد البصر و دعوه المظلوم.

أقول:و هو من لطائف كلامه(ع)يشير به إلى ظاهر السماء و باطنها كما تقدم.

[سوره فصلت (۴۱): الآيات ۱۳ الى ۲۵]

اشاره

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ (۱۳) إِذْ جاءَتْهُمُ اَلرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اَللّهَ قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (۱۴) فَأَمّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي اَلْأَرْضِ بِغَيْرِ اَلْحَقِّ وَ قالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنّا قُوَّةً أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اَللّهَ اَلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ (۱۵) فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيّامٍ نَحِساتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ اَلْخِزْيِ فِي اَلْحَياةِ اَلدُّنْيا وَ لَعَذابُ اَلْآخِرَةِ أَخْزى وَ هُمْ لا يُنْصَرُونَ (۱۶) وَ أَمّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا اَلْعَمى عَلَى اَلْهُدى فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ اَلْعَذابِ اَلْهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (۱۷) وَ نَجَّيْنَا اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (۱۸) وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اَللّهِ إِلَى اَلنّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (۱۹) حَتّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (۲۰) وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اَللّهُ اَلَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۲۱) وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ

یَشْهَدَ عَلَیْکَمْ سَمْعُکَمْ وَ لاٰ أَبْصٰارُکُمْ وَ لاٰ جُلُودُکُمْ وَ لٰکِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اَللّٰهَ لاٰ یَعْلَمُ کَثِیراً مِمّٰا تَعْمَلُونَ (۲۲) وَ ذٰلِکَمْ ظَنُّکَمُ اَلَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّکُمْ أَرْدٰاکُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ اَلْخٰاسِرِینَ (۲۳) فَإِنْ یَصْبِرُوا فَالنّٰارُ مَثْویً لَهُمْ وَ إِنْ یَسْتَعْتِبُوا فَمٰا هُمْ مِنَ اَلْمُعْتَبِینَ (۲۴) وَ قَیَّضْنٰا لَهُمْ قُرَنٰاءَ فَزَیَّنُوا لَهُمْ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ حَقَّ عَلَیْهِمُ اَلْقَوْلُ فِی أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ إِنَّهُمْ کٰانُوا خٰاسِرِینَ (۲۵)

(بيان)

الآيات تتضمن الإنذار بالعذاب الدنيوى الذى ابتليت به عاد و ثمود بكفرهم بالرسل و جحدهم لآيات الله،و بالعذاب الأخروى الذى سيبتلى به أعداء الله من أهل الجحود الذين حقت عليهم كلمه العذاب،و فيها إشاره إلى كيفيه إضلالهم فى الدنيا و إلى استنطاق أعضائهم فى الآخره.

قوله تعالى:« فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ »قال فى المجمع،: الصاعقه المهلكه من كل شىء انتهى،و قال الراغب:قال بعض أهل اللغه:

الصاعقه على ثلاثه أوجه:الموت كقوله:« فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ »و قوله:« فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ »و العذاب كقوله:« أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ »و النار كقوله:

« وَ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ »و ما ذكره فهو أشياء حاصله من الصاعقه فإن الصاعقه هى الصوت الشديد من الجو ثم يكون نار فقط أو عذاب أو موت و هى فى ذاتها شىء واحد،و هذه الأشياء تأثيرات منها.انتهى.

و على ما مر تنطبق الصاعقه على عذابى عاد و ثمود و هما الريح و الصيحه،و التعبير بالماضى فى قوله:« أَنْذَرْتُكُمْ » للدلاله على التحقق و الوقوع.

قوله تعالى:« إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللّٰهَ » إلخ ظرف للصاعقه الثانيه فإن الإنذار بالصاعقه بالحقيقه إنذار بوقوعها و حلولها فالمعنى مثل حلول صاعقه عاد و ثمود إذ جاءتهم إلخ.

و نسبه المجىء إلى الرسل و هو جمع-مع أن الذى ذكر فى قصتهم رسولان هما هود و صالح-باعتبار أن الرسل دعوتهم واحده و المبعوث منهم إلى قوم مبعوث لآخرين

و كـذا القوم المكـذبون لأحـدهم مكـذبون لآـخرين قـال تعالى :«كَذَّبَتْ عٰادٌ الْمُرْسَلِينَ:» الشعراء:-١٢٣ و قـال :«كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ:» الشعراء:-١٤١،و قال :«كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ:» الشعراء:-١٦٠ إلى غير ذلك.

و قول بعضـهم:إن إطلاـق الرسل و هو جمع على هود و صالـح(ع)و هما اثنان من إطلاق الجمع على ما دون الثلاثه و هو شائع،و من هذا القبيل إرجاع ضمير الجمع فى قوله:« إِذْ جٰاءَتْهُمُ »إلى عاد و ثمود.

ممنوع بما تقدم،و أما إرجاع ضمير الجمع إلى عاد و ثمود فإنما هو لكون مجموع الجمعين جمعا مثلهما.

و قوله:« مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ »أى من جميع الجهات فاستعمال هاتين الجهتين فى جميع الجهات شائع،و جوز أن يكون المراد به الماضـى و المستقبل فقـوله:« جٰاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ »كنـايه عن دعـوتهم لهم من جميـع الطرق الممكنه خلوه و جلوه و فرادى و مجتمعين بالتبشير و الإنذار و لذلك فسر مجيئهم كذلك بعد بقوله:

« أَلاّٰ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللّٰهَ »و هو التوحيد.

و قوله:« قٰالُوا لَوْ شٰاءَ رَبُّنٰا لَأَنْزَلَ مَلاٰئِكَةً »رد منهم لرسالتهم بأن الله لو شاء إرسال رسول إلينا لأرسل من الملائكه،و قـد تقدم كرارا معنى قولهم هذا و أنه مبنى على إنكارهم نبوه البشر.

و قوله:« فَإِنّٰا بِمٰا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كٰافِرُونَ »تفريع على النفى المفهوم من الجمله السابقه أى فإذا لم يشأ و لم يرسل فإنا بما أرسـلتم به و هو التوحيد كافرون.

قوله تعـالى:« فَأَمّٰا عٰادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ »إلـخ رجوع إلى تفصـيل حال من كل الفريقين على حـدته،من كفرهـم و وبال ذلك،و قوله:« بِغَيْرِ الْحَقِّ »قيد توضيحى للاستكبار فى الأرض فإنه بغير الحق دائما،و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« فَأَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيّٰامٍ نَحِسٰاتٍ »إلخ فسر الصرصـر بالريح الشديده السـموم،و بالريح الشديده البرد،و بالريـح الشديده الصوت و تلازم شده الهبوب،و النحسات بكسـر الحاء صـفه مشـبهه من نحس ينحس نحسا خلاف سـعد فالأيام النحسات الأيام المشئومات.

و قیل:أیام نحسات أی ذوات الغبار و التراب لا یری فیها بعضهم بعضا، و یؤیده قوله فی سوره الأحقاف :«فَلَمّا رَأَوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِیَتِهِمْ قالُوا هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِیحٌ فِیها عَذابٌ أَلِیمٌ:» الأحقاف:-۲۴.

و قوله:« وَ هُمْ لا یُنْصَرُونَ »أی لا منج ینجیهم و لا شفیع یشفع لهم.

و الباقی ظاهر.

قوله تعالی:« وَ أَمّا ثَمُودُ فَهَدَیْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمی عَلَی الْهُدی »إلخ المراد بهدایتهم إراءتهم الطریق و دلالتهم علی الحق ببیان حق الاعتقاد و العمل لهم،و المراد بالاستحباب الإیثار و الاختیار،و لعله بالتضمین و لذا عدی إلی المفعول الثانی بعلی و المراد بالعمی الضلال استعاره،و فی مقابله الهدی له إیماء إلی أن الهدی بصر کما أن الضلاله عمی، و الهون مصدر بمعنی الذل و توصیف العذاب به للمبالغه أو بحذف ذی و التقدیر صاعقه العذاب ذی الهون.

و المعنی:و أما قوم ثمود فدللناهم علی طریق الحق و عرفناهم الهدی بتمییزه من الضلال فاختاروا الضلال الذی هو عمی علی الهدی الذی هو بصر فأخذتهم صیحه العذاب ذی المذله-أو أخذهم العذاب بناء علی کون الصاعقه بمعنی العذاب و الإضافه بیانیه-بما کانوا یکسبون.

قوله تعالی:« وَ نَجَّیْنَا الَّذِینَ آمَنُوا وَ کانُوا یَتَّقُونَ »ضم التقوی إلی الإیمان معبرا عن التقوی بقوله:« وَ کانُوا یَتَّقُونَ »الدال علی الاستمرار للدلاله علی جمعهم بین الإیمان و العمل الصالح و ذلک هو السبب لنجاتهم من عذاب الاستئصال علی ما وعده الله بقوله :

«وَ کانَ حَقًّا عَلَیْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِینَ:» الروم:-۴۷.

و الظاهر أن الآیه متعلقه بالقصتین جمیعا متممه لهما و إن کان ظاهر المفسرین تعلقها بالقصه الثانیه.

قوله تعالی:« وَ یَوْمَ یُحْشَرُ أَعْداءُ اللّهِ إِلَی النّارِ فَهُمْ یُوزَعُونَ » الحشر إخراج الجماعه عن مقرهم و إزعاجهم عنه إلی الحرب و نحوها.کذا قال الراغب،و« یُوزَعُونَ » من الوزع و هو حبس أول القوم لیلحق بهم آخرهم فیجتمعوا.

قیل:المراد بحشرهم إلی النار إخراجهم إلی المحشر للسؤال و الحساب،و جعل

النار غایه لحشرهم لأن عاقبتهم إلیها،و الدلیل علیه ما ذکره من أمر شهاده الأعضاء فإنها فی الموقف قبل الأمر بهم إلی النار.

و قیل:المراد حشرهم إلی النار نفسها و من الممکن أن یستشهد علیهم مرتین مره فی الموقف و مره علی شفیر جهنم و هو کما تری.

و المراد بأعداء الله-علی ما قیل-المکذبون بالنبی ص من مشرکی قومه لا مطلق الکفار و الدلیل علیه قوله الآتی:« وَ حَقَّ عَلَیْهِمُ الْقَوْلُ فِی أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ »الآیه.

قوله تعالی:« حَتّٰی إِذٰا مٰا جٰاؤُهٰا شَهِدَ عَلَیْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصٰارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ »« مٰا »فی« إِذٰا مٰا جٰاؤُهٰا »زائد للتأکید و الضمیر للنار.

و شهاده الأعضاء أو القوی یوم القیامه ذکرها و إخبارها ما تحملته فی الدنیا من معصیه صاحبها فهی شهاده أداء لما تحملته،و لو لا التحمل فی الدنیا حین العمل کما لو جعل الله لها شعورا و نطقا یوم القیامه فعلمت ثم أخبرت بما عملته أو أوجد الله عندها صوتا یفید معنی الإخبار من غیر شعور منها به لم یصدق علیه الشهاده،و لا تمت بذلک علی العبد المنکر حجه و هو ظاهر.

و بذلک یظهر فساد قول بعضهم:إن الله یخلق یوم القیامه للأعضاء علما و قدره علی الکلام فتخبر بمعاصی صاحبیها و هو شهادتها و قول بعضهم:إنه یخلق عندها أصواتا فی صوره کلام مدلوله الشهاده،و کذا قول بعضهم:إن معنی الشهاده دلاله الحال علی صدور معصیه کذائیه منهم.

و ظاهر الآیه أن شهاده السمع و البصر أداؤهما ما تحملاه و إن لم یکن معصیه مأتیا بها بواسطتهما کشهاده السمع أنه سمع آیات الله تتلی علیه فأعرض عنها صاحبه أو أنه سمع صاحبه یتکلم بکلمه الکفر،و شهاده البصر أنه رأی الآیات الداله علی وحدانیه الله تعالی فأعرض عنها صاحبه أو أنه رأی صاحبه یستمع إلی الغیبه أو سائر ما یحرم الإصغاء إلیه فتکون الآیه علی حد قوله تعالی:«إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤٰادَ کُلُّ أُولٰئِکَ کٰانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً:» إسراء:-۳۶.

و على هذا يختلف السمع و الأبصار و الجلود فيما شهدت عليه فالسمع و الأبصار تشهد على معصيه العبد و إن لم تكن بسببهما و الجلود تشهد على المعصيه التى كانت هى آلات لها بالمباشره،و هذا الفرق هو السبب لتخصيصهم الجلود بالخطاب فى قولهم:« لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا »على ما سيجىء.

و المراد بالجلود على ظاهر إطلاق الآيه مطلق الجلود و شهادتها على أنواع المعاصى التى تتم بالجلود من التمتعات المحرمه كالزنا و نحوه،و يمكن حينئذ أن تعمم الجلود بحيث تشمل شهادتها ما شهدت الأيدى و الأرجل المذكوره فى قوله :«الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلىٰ أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ:» يس:-۶۵ على بعد.

و قيل:المراد بالجلود الفروج و قد كنى بها عنها تأدبا.

قوله تعالى:« وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا »اعتراض و عتاب منهم لجلودهم فى شهادتها عليهم،و قيل:الاستفهام للتعجب فهو سؤال عن السبب لرفع التعجب و إنما خصوها بالسؤال دون سمعهم و أبصارهم مع اشتراكها فى الشهاده لأن الجلود شهدت على ما كانت هى بنفسها أسبابا و آلات مباشره له بخلاف السمع و الأبصار فإنها كسائر الشهداء تشهد بما ارتكبه غيرها.

و قيل:تخصيص الجلود بالذكر تقريع لهم و زياده تشنيع و فضاحه و خاصه لو كان المراد بالجلود الفروج و قيل غير ذلك.

قوله تعالى:« قالُوا أَنْطَقَنَا اللّٰهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ »إلخ إرجاع ضمير أولى العقل إلى الجوارح لمكان نسبه الشهاده و النطق إليها و ذلك من شئون أولى العقل.

و المتيقن من معنى النطق إذا استعمل على الحقيقه من غير تجوز هو إظهار ما فى الضمير من طريق التكلم فيتوقف على علم و كشفه لغيره،قال الراغب:و لا يكاد يستعمل النطق فى غير الإنسان إلا تبعا و بنوع من التشبيه و ظاهر سياق الآيات و ما فيها من ألفاظ القول و التكلم و الشهاده و النطق أن المراد بالنطق ما هو حقيقه معناه.

فشهاده الأعضاء على المجرمين كانت نطقا و تكلما حقيقه عن علم تحملته سابقا بدليل قولها:« أَنْطَقَنَا اللّٰهُ ».ثم إن قولها:« أَنْطَقَنَا اللّٰهُ »جوابا عن قول المجرمين:

« لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنٰا »؟إراءه منها للسبب الذى أوجب نطقها و كشف عن العلم المدخر عندها المكنون فى ضميرها فهى ملجؤه إلى التكلم و النطق،و لا يضر ذلک نفوذ شهادتها و تمام الحجه بذلک فإنها إنما ألجئت إلى الكشف عما فى ضميرها لا على الستر عليه و الإخبار بخلافه كذبا و زورا حتى ينافى جواز الشهاده و تمام الحجه.

و قوله:« اَلَّذِی أَنْطَقَ كُلَّ شَیْءٍ »توصيف لله سبحانه و إشاره إلى أن النطق ليس مختصا بالأعضاء حتى تختص هى بالسؤال بل هو عام شامل لكل شىء و السبب الموجب له هو الله سبحانه.

و قوله:« وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »من تتمه الكلام السابق أو هو من كلامه،و هو احتجاج على علمه بأعمالهم و قد أنطق الجوارح بما علم.

يقول:إن وجودكم يبتدئ منه تعالى و ينتهى إليه تعالى فعند ما تظهرون من كتم العدم-و هو خلقكم أول مره-يعطيكم الوجود و يملككم الصفات و الأفعال فتنسب إليكم ثم ترجعون و تنتهون إليه فيرجع ما عندكم من ظاهر الملک الموهوب إليه فلا يبقى ملک إلا و هو لله سبحانه.

فهو سبحانه المالک لجميع ما عندكم أولا و آخرا فما عندكم من شىء فى أول وجودكم هو الذى أعطاكموه و ملكه لكم و هو أعلم بما أعطى و أودع،و ما عندكم من شىء حينما ترجعون إليه هو الذى يقبضه منكم إليه و يملكه فكيف لا يعلمه،و انكشافه له سبحانه حينما يرجع إليه إنطاقه لكم و شهادتكم على أنفسكم عنده.

و بما مر من البيان يظهر وجه تقييد قوله:« وَ هُوَ خَلَقَكُمْ »بقوله:« أَوَّلَ مَرَّهٍ »فالمراد به أول وجودهم.

و لهم فى قوله:« قٰالُوا أَنْطَقَنَا اللّٰهُ »فى معنى الإنطاق نظائر ما تقدم فى قوله:

« شَهِدَ عَلَيْهِمْ »من الأقوال فمن قائل:إن الله يخلق لهم يومئذ العلم و القدره على النطق فينطقون،و من قائل:إنه يخلق عند الأعضاء أصواتا شبيهه بنطق الناطقين و هو المراد بنطقهم،و من قائل:إن المراد بالنطق دلاله ظاهر الحال على ذلک.

و كذا فى عموم قوله:« أَنْطَقَ كُلَّ شَیْءٍ »فقيل:هو مخصص بكل حى نطق إذ

ليس كل شيء و لا كل حى ينطق بالنطق الحقيقى و مثل هذا التخصيص شائع و منه قوله تعالى فى الريح المرسله إلى عاد :«تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ» الأحقاف:-٢٥.

و قيل:النطق فى« أَنْطَقَنَا »بمعناه الحقيقى و فى قوله:« أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ »بمعنى الدلاله فيبقى الإطلاق على حاله.

و يرد عليهما أن تخصيص الآيه أو حملها على المعنى المجازى مبنى على تسلم كون غير ما نعده من الأشياء حيا ناطقا كالإنسان و الحيوان و الملك و الجن فاقدا للعلم و النطق على ما نراه من حالها.

لكن لا دليل على فقدان الأشياء غير ما استثنيناه للشعور و الإراده سوى أنا فى حجاب من بطون ذواتها لا طريق لنا إلى الاطلاع على حقيقه حالها، و الآيات القرآنيه و خاصه الآيات المتعرضه لشئون يوم القيامه ظاهره فى عموم العلم.

(بحث إجمالى قرآنى [فى سرايه العلم).]

كررنا الإشاره فى الأبحاث المتقدمه إلى أن الظاهر من كلامه تعالى أن العلم صار فى الموجودات عامه كما تقدم فى تفسير قوله تعالى :«وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ:» إسراء:-۴۴ فإن قوله:« وَ لٰكِنْ لا تَفْقَهُونَ »نعم الدليل على كون التسبيح منهم عن علم و إراده لا بلسان الحال.

و من هذا القبيل قوله:« فَقٰالَ لَهٰا وَ لِلْأَرْضِ اِئْتِيٰا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قٰالَتٰا أَتَيْنٰا طٰائِعِينَ »و قد تقدم تفسيره فى السوره.

و من هذا القبيل قوله :«وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَنْ لاٰ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَهِ وَ هُمْ عَنْ دُعٰائِهِمْ غٰافِلُونَ وَ إِذٰا حُشِرَ النّٰاسُ كٰانُوا لَهُمْ أَعْدٰاءً وَ كٰانُوا بِعِبٰادَتِهِمْ كٰافِرِينَ:» الأحقاف:-۶ فالمراد بمن لا يستجيب الأصنام فقط أو هى و غيرها،و قوله :

«يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحىٰ لَهٰا:» الزلزال:-۵.

و من هذا القبيل الآيات الداله على شهاده الأعضاء و نطقها و تكليمها لله و السؤال

منها و خاصه ما ورد فی ذیل الآیات الماضیه آنفا من قوله:« أَنْطَقَنَا اللّهُ الَّذِی أَنْطَقَ کُلَّ شَیْءٍ »الآیه.

لاـ یقال:لو کان غیر الإنسان و الحیوان کالجماد و النبات ذا شعور و إراده لبانت آثاره و ظهر منها ما یظهر من الإنسان و الحیوان من الأعمال العلمیه و الأفعال و الانفعالات الشعوریه.

لأنه یقال:لا دلیل علی کون العلم ذا سنخ واحد حتی تتشابه الآثار المترشحه منه فمن الممکن أن یکون ذا مراتب مختلفه تختلف باختلافها آثارها.

علی أن الآثار و الأعمال العجیبه المتقنه المشهوده من النبات و سائر الأنواع الطبیعیه فی عالمنا هذا لا تقصر فی إتقانها و نظمها و ترتیبها عن آثار الأحیاء کالإنسان و الحیوان.

(بحث إجمالی فلسفی) [فی سرایه العلم.]

حقق فی مباحث العلم من الفلسفه أن العلم و هو حضور شیء لشیء یساوق الوجود المجرد لکونه ما له من فعلیه الکمال حاضرا عنده من غیر قوه فکل وجود مجرد یمکنه أن یوجد حاضرا لمجرد غیره أو یوجد له مجرد غیره و ما أمکن لمجرد بالإمکان العام فهو له بالضروره.

فکل عالم فهو مجرد و کذا کل معلوم و ینعکسان بعکس النقیض إلی أن الماده و ما تألف منها لیس بعالم و لا معلوم.

فالعلم یساوق الوجود المجرد،و الوجودات المادیه لا یتعلق بها علم و لا لها علم بشیء لکن لها،علی کونها مادیه متغیره متحرکه لا تستقر علی حال،ثبوتا من غیر تغیر و لا تحول لا ینقلب عما وقع علیه.

فلها من هذه الجهه تجرد و العلم سار فیها کما هو سار فی المجردات المحضه العقلیه و المثالیه فافهم ذلک.

[(بیان)]

قوله تعالی:« وَ مٰا کُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ یَشْهَدَ عَلَیْکُمْ سَمْعُکُمْ وَ لاٰ أَبْصٰارُکُمْ وَ لاٰ جُلُودُکُمْ »

إلخ لا شك أن الله سبحانه خالق كل شىء لا موجد غيره فلا يحول بين خلقه و بينه شىء و لا يحجب خلقه من حاجب فهو تعالى مع كل شىء أينما كان و كيفما كان قال تعالى :

«إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ:» الحج:-١٧ و قال :«وَ كٰانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً:» الأحزاب:-٥٢.

فالإنسان أينما كان كان الله معه،و أى عمل عمله كان الله مع عمله،و أى عضو من أعضائه استعمله و أى سبب أو أداه أو طريق اتخذه لعمله كان مع ذلك العضو و السبب و الأداه و الطريق قال تعالى :«وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ:» الحديد:-۴،و قال :«أَ فَمَنْ هُوَ قٰائِمٌ عَلىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ:» الرعد:-٣٣،و قال :«إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصٰادِ:» الفجر:-١۴.

و من هنا يستنتج أن الإنسان-و هو جار فى عمله-واقع بين مراصد كثيره يرصده من كل منها ربه و يرقبه و يشهده فمرتكب المعصيه و هو متوغل فى سيئته غافل عنه تعالى فى جهل عظيم بمقام ربه و استهانه به سبحانه و هو يرصده و يرقبه.

و هذه الحقيقه هى التى تشير إليه الآيه أعنى قوله:« وَ مٰا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ »إلخ على ما يعطيه السياق.

فقوله:« وَ مٰا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ »نفى لاستتارهم و هم فى المعاصى قبلا و هم فى الدنيا و قوله:« أَنْ يَشْهَدَ »إلخ منصوب بنزع الخافض و التقدير من أن يشهد إلخ.

و قوله:« وَ لٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللّٰهَ لاٰ يَعْلَمُ »استدراك فى معنى الإضراب عن محذوف يدل عليه صدر الآيه،و التقدير و لم تظنوا أنها لا تعلم أعمالكم و لكن ظننتم إلخ و الآيه تقريع و توبيخ للمشركين أو لمطلق المجرمين يوجه إليهم يوم القيامه من قبله تعالى.

و محصل المعنى و ما كنتم تستخفون فى الدنيا عند المعاصى من شهاده أعضائكم التى تستعملونها فى معصيه الله و لم يكن ذلك لظنكم أنها لا إدراك فيها لعملكم بل لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون أى لم تستهينوا عند المعصيه بشهاده أعضائكم و إنما استهنتم بشهادتنا.

فالاستدراك و معنى الإضراب فى الآيه نظير ما فى قوله تعالى :«وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ رَمىٰ:» الأنفال:-١٧،و قوله :«وَ مٰا ظَلَمُونٰا وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ:» البقره:-۵۷.

و قوله:« كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ »و لم يقل:لا يعلم ما تعملون و لعل ذلك لكونهم معتقدين بالله و بصفاته العليا التى منها العلم فهم يعتقدون فيه العلم فى الجمله لكن حالهم فى المعاصى حال من لا يرى علمه بكثير من أعماله.

و يستفاد من الآيه أن شهاده الشهود شهادته تعالى بوجه قال تعالى :«وَ لاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ:» يونس:-۶۱.

و لهم فى توجيه معنى الآيه أقوال أخر لا يساعد عليها السياق و لا تخلو من تكلف أضربنا عن التعرض لها.

قوله تعالى:« وَ ذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدٰاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخٰاسِرِينَ » الإرداء من الردى بمعنى الهلاك،و «ذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ »مبتدأ و خبر و« أَرْدٰاكُمْ »خبر بعد خبر،و يمكن أن يكون« ظَنُّكُمُ »بدلا من ذٰلِكُمْ .

و معنى الآيه على الأول و ذلكم الظن الذى ذكر ظن ظننتموه لا يغنى من الحق شيئا و العلم و الشهاده على حالها أهلككم ذلك الظن فأصبحتم من الخاسرين.

و على الثانى و ظنكم الذى ظننتم بربكم أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون أهلككم إذ هون عليكم أمر المعاصى و أدى بكم إلى الكفر فأصبحتم من الخاسرين.

قوله تعالى:« فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنّٰارُ مَثْوىً لَهُمْ وَ إِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمٰا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ » فى المفردات،: الثواء الإقامه مع الاستقرار.انتهى،و فى المجمع، الاستعتاب طلب العتبى و هى الرضا و هو الاسترضاء،و الإعتاب الإرضاء،و أصل الإعتاب عند العرب استصلاح الجلد بإعادته فى الدباغ ثم أستعير فيما يستعطف به البعض بعضا لإعادته ما كان من الألفه.انتهى.

و معنى الآيه فإن يصبروا فالنار مأواهم و مستقرهم و إن يطلبوا الرضا و يعتذروا لينجوا من العذاب فليسوا ممن يرضى عنهم و يقبل أعتابهم و معذرتهم فالآيه فى معنى قوله :«اصْلَوْهٰا فَاصْبِرُوا أَوْ لاٰ تَصْبِرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْكُمْ:» الطور:-۱۶.

قوله تعالى:« وَ قَيَّضْنٰا لَهُمْ قُرَنٰاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ »إلى آخر

الآیه.أصل التقییض -کما فی المجمع،-التبدیل،و القرناء جمع قرین و هو معروف.

فقوله:« وَ قَیَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ »إشاره إلی أنهم لو آمنوا و اتقوا لأیدهم الله بمن یسددهم و یهدیهم کما قال :«أُولٰئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِیمٰانَ وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ:» المجادله:- ۲۲ لکنهم کفروا و فسقوا فبدل الله لهم قرناء من الشیاطین یقارنونهم و یلازمونهم، و إنما یفعل ذلک بهم مجازاه لکفرهم و فسوقهم.

و قیل:المعنی بدلناهم قرناء سوء من الجن و الإنس مکان قرناء الصدق الذین أمروا بمقارنتهم فلم یفعلوا،و لعل ما قدمناه أحسن.

و قوله:« فَزَیَّنُوا لَهُمْ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ »لعل المراد التمتعات المادیه التی هم مکبون علیها فی الحال و ما تعلقت به آمالهم و أمانیهم فی المستقبل.

و قیل:ما بین أیدیهم ما قدموه من أعمالهم السیئه حتی ارتکبوها،و ما خلفهم ما سنوه لغیرهم ممن یأتی بعدهم،و یمکن إدراج هذا الوجه فی سابقه.

و قیل:ما بین أیدیهم هو ما یحضرهم من أمر الدنیا فیؤثرونه و یقبلون إلیه و یعملون له،و ما خلفهم هو أمر الآخره حیث یدعوهم قرناؤهم إلی أنه لا بعث و لا نشور و لا حساب و لا جنه و لا نار،و هو وجه بعید إذ لا یقال لمن ینکر الآخره أنها زینت له.

و قوله:« وَ حَقَّ عَلَیْهِمُ الْقَوْلُ فِی أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ »أی ثبت و وجب علیهم کلمه العذاب حال کونهم فی أمم مماثلین لهم ماضین قبلهم من الجن و الإنس و کلمه العذاب قوله تعالی :«وَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ:» کقوله البقره:-۳۹ :«لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکَ وَ مِمَّنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ أَجْمَعِینَ:» -ص:-۸۵.و قوله:« إِنَّهُمْ کٰانُوا خٰاسِرِینَ »تعلیل لوجوب کلمه العذاب علیهم أو لجمیع ما تقدم.

و یظهر من الآیه أن حکم الموت جار فی الجن مثل الإنس.

(بحث روائی)

فی الفقیه،عن أمیر المؤمنین(ع)فی وصیته لابن الحنفیه: قال الله تعالی:« وَ مٰا کُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ-أَنْ یَشْهَدَ عَلَیْکُمْ سَمْعُکُمْ وَ لاٰ أَبْصٰارُکُمْ وَ لاٰ جُلُودُکُمْ »یعنی بالجلود الفروج.

و فی تفسیر القمی،بإسناده عن أبی عمرو الزبیری عن أبی عبد الله(ع): فی الآیه:

یعنی بالجلود الفروج و الأفخاذ.

و فی المجمع،قال الصادق(ع): ینبغی للمؤمن أن یخاف الله خوفا کأنه یشرف علی النار،و یرجوه رجاء کأنه من أهل الجنه-إن الله تعالی یقول:« وَ ذٰلِکُمْ ظَنُّکُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّکُمْ »الآیه،ثم قال:إن الله عند ظن عبده-إن خیرا فخیر و إن شرا فشر.

و فی تفسیر القمی،بإسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبی عبد الله(ع)فی حدیث قال رسول الله ص: لیس من عبد یظن بالله عز و جل خیرا-إلا کان عند ظنه به و ذلک قوله عز و جل:« وَ ذٰلِکُمْ ظَنُّکُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّکُمْ »الآیه.

و فی الدر المنثور،أخرج أحمد و الطبرانی و عبد بن حمید و مسلم و أبو داود و ابن ماجه و ابن حبان و ابن مردویه عن جابر قال:قال رسول الله ص: لا یموتن أحدکم إلا و هو یحسن الظن بالله-فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله عز و جل-قال الله:

« وَ ذٰلِکُمْ ظَنُّکُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّکُمْ-أَرْدٰاکُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخٰاسِرِینَ ».

أقول:و قد روی فی سبب نزول بعض الآیات السابقه ما لا یلائم سیاقها تلک الملاءمه و لذلک أغمضنا عن إیراده.

[سوره فصلت (۴۱): الآیات ۲۶ الی ۳۹]

اشاره

وَ قٰالَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لاٰ تَسْمَعُوا لِهٰذَا اَلْقُرْآنِ وَ اِلْغَوْا فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَغْلِبُونَ (۲۶) فَلَنُذِیقَنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا عَذٰاباً شَدِیداً وَ لَنَجْزِیَنَّهُمْ أَسْوَأَ اَلَّذِی کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۲۷) ذٰلِکَ جَزٰاءُ أَعْدٰاءِ اَللّٰهِ اَلنّٰارُ لَهُمْ فِیهٰا دٰارُ اَلْخُلْدِ جَزٰاءً بِمٰا کٰانُوا بِآیٰاتِنٰا یَجْحَدُونَ (۲۸) وَ قٰالَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا رَبَّنٰا أَرِنَا اَلَّذَیْنِ أَضَلاّٰنٰا مِنَ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ نَجْعَلْهُمٰا تَحْتَ أَقْدٰامِنٰا لِیَکُونٰا مِنَ اَلْأَسْفَلِینَ (۲۹) إِنَّ اَلَّذِینَ قٰالُوا رَبُّنَا اَللّٰهُ ثُمَّ اِسْتَقٰامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَیْهِمُ اَلْمَلاٰئِکَهُ أَلاّٰ تَخٰافُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّهِ اَلَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ (۳۰) نَحْنُ أَوْلِیٰاؤُکُمْ فِی اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا وَ فِی اَلْآخِرَهِ وَ لَکُمْ فِیهٰا مٰا تَشْتَهِی أَنْفُسُکُمْ وَ لَکُمْ فِیهٰا مٰا تَدَّعُونَ (۳۱) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِیمٍ (۳۲) وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعٰا إِلَی اَللّٰهِ وَ عَمِلَ صٰالِحاً وَ قٰالَ إِنَّنِی مِنَ اَلْمُسْلِمِینَ (۳۳) وَ لاٰ تَسْتَوِی اَلْحَسَنَهُ وَ لاَ اَلسَّیِّئَهُ اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا اَلَّذِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ عَدٰاوَهٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ (۳۴) وَ مٰا یُلَقّٰاهٰا إِلاَّ اَلَّذِینَ صَبَرُوا وَ مٰا یُلَقّٰاهٰا إِلاّٰ ذُو حَظٍّ عَظِیمٍ (۳۵) وَ إِمّٰا یَنْزَغَنَّکَ مِنَ اَلشَّیْطٰانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ إِنَّهُ هُوَ اَلسَّمِیعُ اَلْعَلِیمُ (۳۶) وَ مِنْ آیٰاتِهِ اَللَّیْلُ وَ اَلنَّهٰارُ وَ اَلشَّمْسُ وَ اَلْقَمَرُ لاٰ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لاٰ لِلْقَمَرِ وَ اُسْجُدُوا لِلّٰهِ اَلَّذِی خَلَقَهُنَّ إِنْ کُنْتُمْ إِیّٰاهُ تَعْبُدُونَ (۳۷) فَإِنِ اِسْتَکْبَرُوا فَالَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ یُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّیْلِ وَ اَلنَّهٰارِ وَ هُمْ لاٰ یَسْأَمُونَ (۳۸) وَ مِنْ آیٰاتِهِ أَنَّکَ تَرَی اَلْأَرْضَ خٰاشِعَهً فَإِذٰا أَنْزَلْنٰا عَلَیْهَا اَلْمٰاءَ اِهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ إِنَّ اَلَّذِی أَحْیٰاهٰا لَمُحْیِ اَلْمَوْتیٰ إِنَّهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۳۹)

(بيان)

رجوع إلى حديث كفرهم بالقرآن المذكور فى أول السوره و ذكر كيدهم لإبطال حجته،و فى الآيات ذكر الكفار و بعض ما فى عقبى ضلالتهم و أهل الاستقامه من المؤمنين و بعض ما لهم فى الآخره و متفرقات أخر.

قوله تعالى:« وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاٰ تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ » اللغو من الأمر ما لا أصل له و من الكلام ما لا معنى له يقال:لغا يلغى و يلغو لغوا أى أتى باللغو،و الإشاره إلى القرآن مع ذكر اسمه دليل على كمال عنايتهم بالقرآن لإعفاء أثره.

و الآيه تدل على نهايه عجزهم عن مخاصمه القرآن بإتيان كلام يعادله و يماثله أو إقامه حجه تعارضه حتى أمر بعضهم بعضا أن لا ينصتوا له و يأتوا بلغو الكلام عند قراءه النبى ص القرآن ليختل به قراءته و لا تقرع أسماع الناس آياته فيلغو أثره و هو الغلبه.

قوله تعالى:« فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذٰاباً شَدِيداً »إلخ اللام للقسم،و المراد بالذين كفروا بحسب مورد الآيه هم الذين قالوا:لا تسمعوا لهذا القرآن و إن كانت الآيه مطلقه بحسب اللفظ.

و قوله:« وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى كٰانُوا يَعْمَلُونَ »قيل:المراد العمل السيئ الذى كانوا يعملون بتجريد أفعل عن معنى التفضيل،و قيل:المراد بيان جزاء ما هو أسوأ أعمالهم و سكت عن الباقى مبالغه فى الزجر.

قوله تعالى:« ذٰلِكَ جَزٰاءُ أَعْدٰاءِ اللّٰهِ النّٰارُ »إلخ« ذٰلِكَ جَزٰاءُ »مبتدأ و خبر و « اَلنّٰارُ »بدل أو عطف بيان من« ذٰلِكَ »أو خبر مبتدإ محذوف و التقدير هى النار أو مبتدأ خبره« لَهُمْ فِيهٰا دٰارُ الْخُلْدِ ».

و قوله:« لَهُمْ فِيهٰا دٰارُ الْخُلْدِ »أى النار محيطه بهم جميعا و لكل منهم فيها دار

ص:٣٨٨

تخصه خالدا فيها.

و قوله:« جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا يَجْحَدُونَ »مفعول مطلق لفعل مقدر،و التقدير يجزون جزاء أو للمصدر المتقدم أعنى قوله:« ذٰلِكَ جَزٰاءُ »نظير قوله :«فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزٰاؤُكُمْ جَزٰاءً مَوْفُوراً:» إسراء:-۶۳.

قوله تعالى:« وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنٰا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاّٰنٰا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ » محكى قول يقولونه و هم فى النار،يسألون الله أن يريهم متبوعيهم من الجن و الإنس ليجعلوهما تحت أقدامهم إذلالا لهما و تشديدا لعذابهما كما يشعر به قولهم ذيلا:« نَجْعَلْهُمٰا تَحْتَ أَقْدٰامِنٰا لِيَكُونٰا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ».

قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ قٰالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقٰامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاٰئِكَةُ »إلخ قال الراغب: الاستقامه تقال فى الطريق الذى يكون على خط مستو،و به شبه طريق الحق نحو« اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ ».قال:و استقامه الإنسان لزومه المنهج المستقيم نحو قوله:« إِنَّ الَّذِينَ قٰالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقٰامُوا ».انتهى.و فى الصحاح،:الاستقامه الاعتدال يقال:استقام له الأمر.انتهى.

فالمراد بقوله:« ثُمَّ اسْتَقٰامُوا لزوم وسط الطريق من غير ميل و انحراف و الثبات على القول الذى قالوه،قال تعالى :«فَمَا اسْتَقٰامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ:» التوبه:-۷ و قال :«وَ اسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ وَ لاٰ تَتَّبِعْ أَهْوٰاءَهُمْ:» الشورى:-۱۵ و ما ورد فيها من مختلف التفاسير يرجع إلى ما ذكر.

و الآيه و ما يتلوها بيان حسن حال المؤمنين كما كانت الآيات قبلها بيان سوء حال الكافرين.

و قوله:« تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاٰئِكَةُ أَلاّٰ تَخٰافُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ »إخبار عما سيستقبلهم به الملائكه من تقويه قلوبهم و تطييب نفوسهم و البشرى بالكرامه.

فالملائكه يؤمنونهم من الخوف و الحزن،و الخوف إنما يكون من مكروه متوقع كالعذاب الذى يخافونه و الحرمان من الجنه الذى يخشونه،و الحزن إنما يكون من

مکروه واقع و شر لازم کالسیئات التی یحزنون من اکتسابها و الخیرات التی یحزنون لفوتها عنهم فیطیب الملائکه أنفسهم أنهم فی أمن من أن یخافوا شیئا أو یحزنوا لشیء فالذنوب مغفوره لهم و العذاب مصروف عنهم.

ثم یبشرونهم بالجنه الموعوده بقولهم:« وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّهِ الَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ »و فی قولهم:« کُنْتُمْ تُوعَدُونَ »دلاله علی أن تنزلهم بهذه البشری علیهم إنما هو بعد الحیاه الدنیا.

قوله تعالی:« نَحْنُ أَوْلِیاؤُکُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ فِی الْآخِرَهِ »إلخ من تتمه البشاره، و علی هذا فذکر ولایتهم لهم فی الحیاه الدنیا مع انقضاء وقتها کما تقدم من باب التوطئه و التمهید إلی ذکر الآخره للإشاره إلی أن ولایه الآخره مترتبه علی ولایه الدنیا فکأنه قیل نحن أولیاؤکم فی الآخره کما کنا-لما کنا-أولیاءکم فی الحیاه الدنیا و سنتولی أمرکم بعد هذا کما تولیناه قبل.

و کون الملائکه أولیاء لهم لا ینافی کونه تعالی هو الولی لأنهم وسائط الرحمه و الکرامه لیس لهم من الأمر شیء،و لعل ذکر ولایتهم لهم فی الآیه دون ولایته تعالی للمقابله و المقایسه بین أولیائه تعالی و أعدائه إذ قال فی حق أعدائه:« وَ قَیَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ »إلخ و قال فی حق أولیائه عن لسان ملائکته:« نَحْنُ أَوْلِیاؤُکُمْ ».

و بالمقابله یستفاد أن المراد ولایتهم لهم بالتسدید و التأیید فإن الملائکه المسددین هم المخصوصون بأهل ولایه الله و أما الملائکه الحرس و موکلو الأرزاق و الآجال و غیرهم فمشترکون بین المؤمن و الکافر.

و قیل:الآیه من کلام الله دون الملائکه.

و قوله:« وَ لَکُمْ فِیها ما تَشْتَهِی أَنْفُسُکُمْ وَ لَکُمْ فِیها ما تَدَّعُونَ »ضمیر« فِیها »فی الموضعین للآخره،و أصل الشهوه نزوع النفس بقوه من قواها إلی ما تریده تلک القوه و تلتذ به کشهوه الطعام و الشراب و النکاح،و أصل الادعاء -و هو افتعال من الدعاء- هو الطلب فالجمله الثانیه أعنی قوله:« وَ لَکُمْ فِیها ما تَدَّعُونَ »أوسع نطاقا من الأولی أعنی قوله:« لَکُمْ فِیها ما تَشْتَهِی أَنْفُسُکُمْ »فإن الشهوه طلب خاص و مطلق الطلب أعم منها.

فالآیه تبشرهم بأن لهم فی الآخره ما یمکن أن تتعلق به شهواتهم من أکل و شرب و نکاح و غیر ذلک بل ما هو أوسع من ذلک و أعلی کعبا و هو أن لهم ما یشاءون فیها کما قال تعالی :«لَهُمْ مَا یَشَاؤُنَ فِیهَا :ق-۳۵.

قوله تعالی:« وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَی اللَّهِ وَ عَمِلَ صَالِحاً وَ قَالَ إِنَّنِی مِنَ الْمُسْلِمِینَ »الآیه اتصال بقوله السابق:« وَ قَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ، وَ الْغَوْا فِیهِ »الآیه فإنهم کانوا یخاصمون النبی ص کما ینازعون القرآن،و قد ذکر فی أول السوره قولهم:« قُلُوبُنَا فِی أَکِنَّهٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَیْهِ »الآیه فأید سبحانه فی هذه الآیه نبیه بأن قوله و هو دعوته أحسن القول.

فقوله:« وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَی اللَّهِ »المراد به النبی ص و إن کان لفظ الآیه یعم کل من دعا إلی الله و لما أمکن أن یدعو الداعی إلی الله لغرض فاسد و لیست الدعوه التی هذا شأنها من القول الأحسن قیده بقوله:« وَ عَمِلَ صَالِحاً »فإن العمل الصالح یکشف عن نیه صالحه غیر أن العمل الصالح لا یکشف عن الاعتقاد الحق و الالتزام به، و لا حسن فی قول لا یقول به صاحبه و لذا قیده بقوله:« وَ قَالَ إِنَّنِی مِنَ الْمُسْلِمِینَ » و المراد بالقول الرأی و الاعتقاد علی ما یعطیه السیاق.

فإذا تم الإسلام لله و العمل الصالح للإنسان ثم دعا إلی الله کان قوله أحسن القول لأن أحسن القول أحقه و أنفعه و لا قول أحق من کلمه التوحید و لا أنفع منها و هی الهادیه للإنسان إلی حاق سعادته.

قوله تعالی:« لاَ تَسْتَوِی الْحَسَنَهُ وَ لاَ السَّیِّئَهُ »الآیه لما ذکر أحسن القول و أنه الدعوه إلی الله و القائم به حقا هو النبی ص التفت إلیه ببیان أحسن الطریق إلی الدعوه و أقربها من الغایه المطلوبه منها و هی التأثیر فی النفوس فخاطبه بقوله:

« لاَ تَسْتَوِی »إلخ.

فقوله:« لاَ تَسْتَوِی الْحَسَنَهُ وَ لاَ السَّیِّئَهُ »أی الخصله الحسنه و السیئه من حیث حسن التأثیر فی النفوس،و« لاَ »فی« لاَ السَّیِّئَهُ »زائده لتأکید النفی.

و قوله:« اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ »استئناف فی معنی دفع الدخل کأن المخاطب لما سمع قوله:« لاَ تَسْتَوِی »إلخ قال:فما ذا أصنع؟فقیل:« اِدْفَعْ »إلخ و المعنی

ادفع بالخصله التی هی أحسن الخصله السیئه التی تقابلها و تضادها فادفع بالحق الذی عندک باطلهم لا بباطل آخر و بحلمک جهلهم و بعفوک إساءتهم و هکذا.

و قوله:« فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ عَداوَهٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ »بیان لأثر الدفع بالأحسن و نتیجته و المراد أنک إن دفعت بالتی هی أحسن فاجأک أن عدوک صار کأنه ولی شفیق.

قیل:« اَلَّذِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ عَداوَهٌ »أبلغ من«عدوک»و لذا اختاره علیه مع اختصاره.

ثم عظم الله سبحانه الدفع بالتی هی أحسن و مدحه أحسن التعظیم و أبلغ المدح بقوله:« وَ ما یُلَقّاها إِلاَّ الَّذِینَ صَبَرُوا وَ ما یُلَقّاها إِلاّ ذُو حَظٍّ عَظِیمٍ »أی ذو نصیب وافر من کمال الإنسانیه و خصال الخیر.

و فی الآیه مع ذلک دلاله ظاهره علی أن الحظ العظیم إنما یوجد لأهل الصبر خاصه.

قوله تعالی:« وَ إِمّا یَنْزَغَنَّکَ مِنَ الشَّیْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ » النزغ النخس و هو غرز جنب الدابه أو مؤخرها بقضیب و نحوه لیهیج،و« إِمّا »فی « إِمّا یَنْزَغَنَّکَ »زائده و الأصل و إن ینزغنک فاستعذ.

و النازغ هو الشیطان أو تسویله و وسوسته،و الأول هو الأنسب لمقام النبی ص فإنه لا سبیل للشیطان إلیه بالوسوسه غیر أنه یمکن أن یقلب له الأمور بالوسوسه علی المدعوین من أهل الکفر و الجحود فیبالغوا فی جحودهم و مشاقتهم و إیذائهم له فلا یؤثر فیهم الدفع بالأحسن و یؤول هذا إلی نزغ من الشیطان بتشدید العداوه فی البین کما فی قوله:«مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّیْطانُ بَیْنِی وَ بَیْنَ إِخْوَتِی:» یوسف:-۱۰۰،قال تعالی :«وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ إِلاّ إِذا تَمَنّی أَلْقَی الشَّیْطانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ» XالآیهX:الحج:-۵۲.

و لو حمل علی الوجه الثانی فالمتعین حمله علی مطلق الدستور تتمیما للأمر،و هو بوجه من باب«إیاک أعنی و اسمعی یا جاره».

و قوله:« فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ » العوذ و العیاذ بکسر العین و المعاذ و الاستعاذه بمعنی و هو الالتجاء و المعنی فالتجئ بالله من نزغه إنه هو السمیع لمسألتک العلیم بحالک أو السمیع لأقوالکم العلیم بأفعالکم.

قوله تعالی:« وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ »إلخ لما ذکر سبحانه

کون دعوته(ص)أحسن القول و وصاه أن یدفع بأحسن الخصال عاد إلی أصل الدعوه فاحتج علی الوحدانیه و المعاد فی هذه الآیات الثلاث.

فقوله:« وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ »إلخ احتجاج بوحده التدبیر و اتصاله علی وحده الرب المدبر،و بوحده الرب علی وجوب عبادته وحده،و لذلک عقبه بقوله« لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ »إلخ.

فالکلام فی معنی دفع الدخل کأنه لما قیل:« وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ »إلخ فأثبت وحدته فی ربوبیته قیل:فما ذا نصنع؟فقیل« لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ »هما مخلوقان مدبران من خلقه بل خصوه بالسجده و اعبدوه وحده،و عامه الوثنیین کانوا یعظمون الشمس و القمر و إن لم یعبدهما غیر الصابئین علی ما قیل، و ضمیر« خَلَقَهُنَّ » للیل و النهار و الشمس و القمر.

و قوله:« إِنْ کُنْتُمْ إِیّاهُ تَعْبُدُونَ »أی إن عبادته لا تجامع عباده غیره.

قوله تعالی:« فَإِنِ اسْتَکْبَرُوا فَالَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ یُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا یَسْأَمُونَ » السأمه الملال،و المراد ب« فَالَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ »الملائکه و المخلصون من عباد الله و قد تقدم کلام فی ذلک فی تفسیر قوله :«إِنَّ الَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ لا یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ یُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ یَسْجُدُونَ:» الأعراف:-۲۰۶.

و قوله:« یُسَبِّحُونَ لَهُ »و لم یقل:یسبحونه للدلاله علی الحصر و الاختصاص أی یسبحونه خاصه،و قوله:« بِاللَّیْلِ وَ النَّهارِ »أی دائما لا ینقطع فإن الملائکه لیس عندهم لیل و لا نهار.

و المعنی:فإن استکبر هؤلاء الکفار عن السجده لله وحده فعبادته تعالی لا ترتفع من الوجود فهناک من یسبحه تسبیحا دائما لا ینقطع من غیر سأمه و هم الذین عند ربک.

قوله تعالی:« وَ مِنْ آیاتِهِ أَنَّکَ تَرَی الْأَرْضَ خاشِعَهً »إلخ الخشوع التذلل، و الاهتزاز التحرک الشدید،و الربو النشوء و النماء و العلو،و اهتزاز الأرض و ربوها تحرکها بنباتها و ارتفاعه.

و فی الآیه استعاره تمثیلیه شبهت فیها الأرض فی جدبها و خلوها عن النبات ثم اخضرارها و نمو نباتها و علوه بشخص کان وضیع الحال رث الثیاب متذللا خاشعا ثم أصاب ما لا یقیم أوده فلبس أفخر الثیاب و انتصب ناشطا متبخترا یعرف فی وجهه نضره النعیم.

و الآیه مسوقه للاحتجاج علی المعاد، و قد تکرر البحث عن مضمونها فی السور المتقدمه.

(بحث روائی)

فی المجمع،: فی قوله تعالی:« أَرِنَا الَّذَیْنِ أَضَلاّٰنٰا »یعنون إبلیس الأبالسه-و قابیل بن آدم أول من أبدع المعصیه: روی ذلک عن علی(ع) .

أقول:و لعله من نوع الجری فالآیه عامه.

و فیه،: فی قوله تعالی:« إِنَّ الَّذِینَ قٰالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقٰامُوا »:روی عن أنس قال:قرأ علینا رسول الله ص هذه الآیه ثم قال:قد قالها ناس ثم کفر أکثرهم-فمن قالها حتی یموت فقد استقام علیها.

و فیه،: فی قوله تعالی:« تَتَنَزَّلُ عَلَیْهِمُ الْمَلاٰئِکَهُ »یعنی عند الموت:عن مجاهد و السدی و روی ذلک عن أبی عبد الله(ع) .

و فی تفسیر القمی،:فی قوله تعالی:« نَحْنُ أَوْلِیٰاؤُکُمْ فِی الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا »قال:کنا نحرسکم من الشیاطین« وَ فِی الْآخِرَهِ »أی عند الموت.

و فی المجمع،":فی الآیه قیل:« نَحْنُ أَوْلِیٰاؤُکُمْ فِی الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا »أی نحرسکم فی الدنیا و عند الموت فی الآخره.

و فی تفسیر القمی،:فی قوله تعالی:« اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ »قال:ادفع سیئه من أساء إلیک بحسنتک-حتی یکون الذی بینک و بینه عداوه کأنه ولی حمیم.

[سوره فصلت (۴۱): الآيات ۴۰ الی ۵۴]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاٰ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَ فَمَنْ يُلْقىٰ فِي اَلنّٰارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ اِعْمَلُوا مٰا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۴۰) إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمّٰا جٰاءَهُمْ وَ إِنَّهُ لَكِتٰابٌ عَزِيزٌ (۴۱) لاٰ يَأْتِيهِ اَلْبٰاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (۴۲) مٰا يُقٰالُ لَكَ إِلاّٰ مٰا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقٰابٍ أَلِيمٍ (۴۳) وَ لَوْ جَعَلْنٰاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقٰالُوا لَوْ لاٰ فُصِّلَتْ آيٰاتُهُ ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَ شِفٰاءٌ وَ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ فِي آذٰانِهِمْ وَقْرٌ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولٰئِكَ يُنٰادَوْنَ مِنْ مَكٰانٍ بَعِيدٍ (۴۴) وَ لَقَدْ آتَيْنٰا مُوسَى اَلْكِتٰابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَ لَوْ لاٰ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (۴۵) مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسٰاءَ فَعَلَيْهٰا وَ مٰا رَبُّكَ بِظَلاّٰمٍ لِلْعَبِيدِ (۴۶) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ اَلسّٰاعَةِ وَ مٰا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرٰاتٍ مِنْ أَكْمٰامِهٰا وَ مٰا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثىٰ وَ لاٰ تَضَعُ إِلاّٰ بِعِلْمِهِ وَ يَوْمَ يُنٰادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكٰائِي قٰالُوا آذَنّٰاكَ مٰا مِنّٰا مِنْ شَهِيدٍ (۴۷) وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَ ظَنُّوا مٰا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (۴۸) لاٰ يَسْأَمُ اَلْإِنْسٰانُ مِنْ دُعٰاءِ اَلْخَيْرِ وَ إِنْ مَسَّهُ اَلشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ (۴۹) وَ لَئِنْ أَذَقْنٰاهُ رَحْمَةً مِنّٰا مِنْ بَعْدِ ضَرّٰاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هٰذٰا لِي وَ مٰا أَظُنُّ اَلسّٰاعَةَ قٰائِمَةً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِمٰا عَمِلُوا وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذٰابٍ غَلِيظٍ (۵۰) وَ إِذٰا أَنْعَمْنٰا عَلَى اَلْإِنْسٰانِ أَعْرَضَ وَ نَأىٰ بِجٰانِبِهِ وَ إِذٰا مَسَّهُ اَلشَّرُّ فَذُو دُعٰاءٍ عَرِيضٍ (۵۱) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كٰانَ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقٰاقٍ بَعِيدٍ (۵۲) سَنُرِيهِمْ آيٰاتِنٰا فِي اَلْآفٰاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۵۳) أَلاٰ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقٰاءِ رَبِّهِمْ أَلاٰ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (۵۴)

(بیان)

عوده أخری إلی حدیث القرآن و کفرهم به علی ظهور آیته و رفعه درجته و ما فرطوا فی جنبه و رمیهم النبی ص و جحدهم الحق و کفرهم بالآیات و ما یتبع ذلک، و تختتم السوره.

و الآیه الأولی أعنی قوله:« إِنَّ الَّذِینَ یُلْحِدُونَ فِی آیاتِنا »الآیه کالبرزخ الرابط بین هذا الفصل و الفصل السابق من الآیات لما وقعت بین قوله:« إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِالذِّکْرِ لَمّا جاءَهُمْ »الآیه و بین قوله:« وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ »الآیه و قوله:

« وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ »إلخ.

قوله تعالی:« إِنَّ الَّذِینَ یُلْحِدُونَ فِی آیاتِنا لا یَخْفَوْنَ عَلَیْنا »إلخ سیاق تهدید

ص: ۳۹۶

لملحدى هذه الأمه كما يؤيده الآيه التاليه،و الإلحاد الميل.

و إطلاق قوله:« يُلْحِدُونَ »و قوله:« آيَاتِنَا »يشـمل كل إلحاد فى كل آيه فيشـمل الإلحاد فى الآيات التكوينيه كالشـمس و القمر و غيرهما فيعدونها آيات لله سبحانه ثم يعودون فيعبدونها،و يشـمل آيات الوحى و النبوه فيعدون القرآن افتراء على الله و تقولا من النبى ص أو يلغون فيه لتختل تلاوته فلا يسـمعه سامع أو يفسـرونه من عنـد أنفسـهم أو يؤولونه ابتغاء الفتنه فكل ذلك إلحاد فى آيات الله بوضعها فى غير موضعها و الميل بها إلى غير مستقرها.

و قوله:« أَ فَمَنْ يُلْقىٰ فِي النّٰارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيٰامَةِ »إيـذان بالجزاء و هو الإلقاء فى النار يوم القيامه قسـرا من غير أى مؤمن متوقع كشـفيع أو ناصر أو عذر مسموع فليس لهم إلا النار يلقون فيها،و الظاهر أن قوله« أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيٰامَةِ » لإبانه أنهما قبيلان لا ثالث لهما فمستقيم فى الإيمان بالآيات و ملحد فيها و يظهر به أن أهل الاستقامه فى أمن يوم القيامه.

و قوله:« اِعْمَلُوا مٰا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ »تشديد فى التهديد.

قوله تعـالى:« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالـذِّكْرِ لَمّٰا جٰاءَهُمْ إلى قوله- مِنْ حَكِيمٍ حَمِيـدٍ » المراد بالـذكر القرآن لما فيه من ذكر الله،و تقييد الجمله بقوله:« لَمّٰا جٰاءَهُمْ »يدل على أن المراد بالذين كفروا هم مشركو العرب المعاصرين للقرآن من قريش و غيرهم.

و قـد اختلفوا فى خبر« إِنَّ »و يمكن أن يستظهر من السـياق أنه محـذوف يـدل عليه قوله:« إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيٰاتِنٰا »إلخ فإن الكفر بـالقرآن من مصـاديق الإلحاد فى آيات الله فالتقـدير إن الـذين كفروا بالـذكر لما جاءهم يلقون فى النار يوم القيامه،و إنما حذف ليذهب فيه وهم السامع أى مذهب ممكن و الكلام مسوق للوعيد.

و إلى هذا المعنى يرجع قول الزمخشرى فى الكشاف،:إن قوله:« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا »إلخ بدل من قوله:« إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيٰاتِنٰا ».

و قيل:خبر إن قوله الآتى:« أُولٰئِكَ يُنٰادَوْنَ مِنْ مَكٰانٍ بَعِيـدٍ »،و قيل:الخبر قوله:« لاٰ يَأْتِيهِ الْبٰاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ »بحذف ضمير عائد إلى اسم إن

و التقدير لا يأتيه منهم أى لا يأتيه من قبلهم ما يبطله و لا يقدرون على ذلك أو بجعل أل فى الباطل عوضا من الضمير و المعنى لا يأتيه باطلهم.

و قيل:إن قوله:« وَ إِنَّهُ لَكِتٰابٌ عَزِيزٌ »إلخ قائم مقام الخبر،و التقدير إن الذين كفروا بالذكر كفروا به و إنه لكتاب عزيز.

و قيل:الخبر قوله:« مٰا يُقٰالُ لَكَ »إلخ بحذف الضمير و هو«فيهم»و المعنى ما يقال لك فى الذين كفروا بالذكر إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن لهم عذاب الاستئصال فى الدنيا و عذاب النار فى الآخره،و وجوه التكلف فى هذه الوجوه غير خفيه على المتأمل البصير.

و قوله:« وَ إِنَّهُ لَكِتٰابٌ عَزِيزٌ »الضمير للذكر و هو القرآن،و العزيز عديم النظير أو المنيع الممتنع من أن يغلب،و المعنى الثانى أنسب لما يتعقبه من قوله:« لاٰ يَأْتِيهِ الْبٰاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ ».

و قوله:« لاٰ يَأْتِيهِ الْبٰاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ »إتيان الباطل إليه وروده فيه و صيروره بعض أجزائه أو جميعها باطلا بأن يصير ما فيه من المعارف الحقه أو بعضها غير حقه أو ما فيه من الأحكام و الشرائع و ما يلحقها من الأخلاق أو بعضها لغا لا ينبغى العمل به.

و عليه فالمراد بقوله:« مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاٰ مِنْ خَلْفِهِ »زمانا الحال و الاستقبال أى زمان النزول و ما بعده إلى يوم القيامه،و قيل:المراد بما بين يديه و من خلفه جميع الجهات كالصباح و المساء كنايه عن الزمان كله فهو مصون من البطلان من جميع الجهات و هذا العموم على الوجه الأول مستفاد من إطلاق النفى فى قوله:« لاٰ يَأْتِيهِ ».

و المدلول على أى حال أنه لا تناقض فى بياناته،و لا كذب فى إخباره،و لا بطلان يتطرق إلى معارفه و حكمه و شرائعه،و لا يعارض و لا يغير بإدخال ما ليس منه فيه أو بتحريف آيه من وجه إلى وجه.

فالآيه تجرى مجرى قوله :«إِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنّٰا لَهُ لَحٰافِظُونَ:» الحجر:-٩.

و قوله:« تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »بمنزله التعليل لكونه كتابا عزيزا لا يأتيه

الباطل«إلخ»أى كيف لا يكون كذلك و هو منزل من حكيم متقن فى فعله لا يشوب فعله وهن،محمود على الإطلاق.

قوله تعالى:« مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ »إلخ« مَا »فى« مَا يُقَالُ لَكَ »نافيه،و القائلون هم الذين كفروا حيث قالوا:إنه ساحر أو مجنون أو شاعر لاغ فى كلامه أو يريد أن يتأمر علينا،و القائلون لما قد قيل للرسل أممهم.

و المعنى:ما يقال لك من قبل كفار قومك حيث أرسلت إليهم فدعوتهم فرموك بما رموك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أى مثل ما قد قيل لهم.

و قوله:« إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ »فى موضع التهديد و الوعيد أى إن ربك ذو هاتين الصفتين أى فانظر أو فلينظروا ما ذا يصيبهم من ربهم و هم يقولون ما يقولونه لرسوله؟أ هو مغفره أم عقاب؟فالآيه فى معنى قوله:« اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ »أى ما عملتم من حسنه أو سيئه أصابكم جزاؤه بعينه.

و قيل:المعنى ما يوحى إليك فى أمر هؤلاء الذين كفروا بالذكر إلا ما قد أوحى للرسل من قبلك و هو أن ربك لذو مغفره و ذو عقاب أليم فالمراد بالقول الوحى،و « إِنَّ رَبَّكَ »إلخ بيان لما قد قيل.

قوله تعالى:« وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْ لاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ » قال الراغب،: العجمه خلاف الإبانه.قال:و العجم خلاف العرب و العجمى منسوب إليهم،و الأعجم من فى لسانه عجمه عربيا كان أو غير عربى اعتبارا بقله فهمهم عن العجم.انتهى.فالأعجمى غير العربى البليغ سواء كان من غير أهل اللغه العربيه أو كان منهم و هو غير مفصح للكنه فى لسانه،و إطلاق الأعجمى على الكلام كإطلاق العربى من المجاز.

فالمعنى:و لو جعلنا القرآن أعجميا غير مبين لمقاصده غير بليغ فى نظمه لقال الذين كفروا من قومك:هلا فصلت و بينت آياته و أجزاؤه فانفصلت و بانت بعضها من بعض بالعربيه و البلاغه أ كتاب مرسل أعجمى و مرسل إليه عربى؟أى يتنافيان و لا يتناسبان.

و إنما قال:« عَرَبِيٌّ »و لم يقل:عربيون أو عربيه مع كون من أرسل إليه جمعا و هم جماعه العرب،إذ القصد إلى مجرد العربيه من دون خصوصيه للكثره بل المراد بيان التنافى بين الكلام و بين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا أو كثيرا.

قال فى الكشاف،:فإن قلت:كيف يصح أن يراد بالعربى المرسل إليهم و هم أمه العرب؟قلت:هو على ما يجب أن يقع فى إنكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب إلى قوم من العرب يقول:كتاب أعجمى و مكتوب إليه عربى و ذلك لأن مبنى الإنكار على تنافر حالتى الكتاب و المكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعه فوجب أن يجرد لما سيق إليه من الغرض و لا يوصل به ما يخل غرضا آخر أ لا تراك تقول و قد رأيت لباسا طويلا على امرأه قصيره: اللباس طويل و اللابس قصير و لو قلت و اللابس قصيره جئت بما هو لكنه و فضول قول لأن الكلام لم يقع فى ذكوره اللابس و أنوثته إنما وقع فى غرض وراءهما.

و قوله:« قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَ شِفاءٌ »بيان أن أثر القرآن و خاصته لا يدور مدار لغته بل الناس تجاهه صنفان و هم الذين آمنوا و الذين لا يؤمنون،و هو هدى و شفاء للذين آمنوا يهديهم إلى الحق و يشفى ما فى قلوبهم من مرض الشك و الريب.و هو عمى على الذين لا يؤمنون-و هم الذين فى آذانهم وقر-يعميهم فلا يبصرون الحق و سبيل الرشاد.

و فى توصيف الذين لا يؤمنون بأن فى آذانهم وقرا إيماء إلى اعترافهم بذلك المنقول عنهم فى أول السوره:« وَ فِي آذانِنا وَقْرٌ ».

و قوله:« أُولٰئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ »أى فلا يسمعون الصوت و لا يرون الشخص و هو تمثيل لحالهم حيث لا يقبلون العظه و لا يعقلون الحجه.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ »إلخ تسليه للنبى ص عن جحود قومه و كفرهم بكتابه.

و قوله:« وَ لَوْ لاٰ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ »الكلمه هى قوله :«وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلىٰ حِينٍ:» الأعراف:-٢۴.

و قوله:« وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ »أى فى شك مريب من كتاب موسى (ع).بيان حال قومه ليتسلى به النبى ص فيما يرى من قومه.

قوله تعالى:« مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها »إلخ أى إن العمل قائم بصاحبه ناعت له فلو كان صالحا نافعا انتفعت به نفسه و إن كان سيئا ضارا تضررت به نفسه فليس فى إيصاله تعالى نفع العمل الصالح إلى صاحبه و هو الثواب و لا فى إيصال ضرر العمل السيئ إلى صاحبه و هو العقاب ظلم و وضع للشىء فى غير موضعه.

و لو كان ذلك ظلما كان تعالى فى إثابته و تعذيبه من لا يحصى من العباد فى ما لا يحصى من الأعمال ظلاما للعبيد لكنه ليس بظلم و لا أنه تعالى ظلام لعبيده و بذلك يظهر وجه التعبير باسم المبالغه فى قوله:« وَ ما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ »و لم يقل:و ما ربك بظالم.

قوله تعالى:« إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السّاعَهِ إلى قوله- إِلاّ بِعِلْمِهِ »ارتداد علم الساعه إليه اختصاصه به فلا يعلمها إلا هو،و قد تكرر ذلك فى كلامه تعالى.

و قوله:« وَ ما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أَكْمامِها »« ثَمَراتٍ »فاعل« تَخْرُجُ »و« مِنْ » زائده للتأكيد كقوله :«وَ كَفى بِاللّهِ شَهِيداً:» النساء:-٧٩،و أكمام جمع كم و هو وعاء الثمره و« ما »مبتدأ خبره« إِلاّ بِعِلْمِهِ »و المعنى و ليس تخرج ثمرات من أوعيتها و لا تحمل أنثى و لا تضع حملها إلا مصاحبا لعلمه أى هو تعالى يعلم جزئيات حالات كل شىء.

فهو تعالى على كونه خالقا للأشياء محولا ـ لأحوالها عالم بها و بجزئيات حالاتها مراقب لها،و هذا هو أحسن التدبير فهو الرب وحده،ففى الآيه إشاره إلى توحده تعالى فى الربوبيه و الألوهيه،و لذا ذيل هذا الصدر بقوله:« وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي »إلخ.

قوله تعالى:« وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي قالُوا آذَنّاكَ ما مِنّا مِنْ شَهِيدٍ إلى قوله- مِنْ مَحِيصٍ »الظرف متعلق بقوله:« قالُوا »و قيل:ظرف لمضمر مؤخر قد ترك إيذانا بقصور البيان عنه كما فى قوله تعالى:« يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ »،و قيل:متعلق بمحذوف نحو اذكر،و لعل الوجه الأول أنسب لصدر الآيه بالمعنى الذى ذكرناه فتكون الآيه مسوقه لنفى الشركاء ببيان قيام التدبير به تعالى و اعتراف المشركين بذلك يوم القيامه.

و الإيذان الاعلام،و المراد بالشهاده الشهاده القوليه أو الشهاده بمعنى الرؤيه الحضوريه و على الثانى فقوله:« وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ »عطف تفسير يبين به سبب انتفاء الشهاده.

و قوله:« وَ ظَنُّوا مٰا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ »الظن-على ما قيل-بمعنى اليقين،و المحيص المهرب و المفر،و المعنى: و يوم ينادى الله المشركين:أين شركائى؟-على زعمكم-قالوا:

أعلمناك ما منا من يشهد عليك بالشركاء-أو ما منا من يشاهد الشركاء و غاب عنهم ما كانوا يدعون من دون الله فى الدنيا،و أيقنوا أن ليس لهم مهرب من العذاب.

قوله تعالى:« لاٰ يَسْأَمُ الْإِنْسٰانُ مِنْ دُعٰاءِ الْخَيْرِ وَ إِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ » السأمه الملال،و اليأس و القنوط بمعنى و هو انقطاع الرجاء،و الدعاء الطلب.

شروع فى ختم الكلام فى السوره ببيان ما هو السبب فى جحودهم و دفعهم الحق الصريح،و هو أن الإنسان مغتر بنفسه فإذا مسه شر يعجز عن دفعه يئس من الخير و تعلق بذيل الدعاء و المسأله و توجه إلى ربه،و إذا مسه خير اشتغل به و أعجب بنفسه و أنساه ذلك كل حق و حقيقه.

و المعنى:لا يمل الإنسان من طلب الخير و هو ما يراه نافعا لحياته و معيشته و إن مسه الشر فكثير اليأس و القنوط لما يرى من سقوط الأسباب التى كان يستند إليها، و هذا لا ينافى تعلق رجائه إذ ذاك بالله سبحانه كما سيأتى.

قوله تعالى:« وَ لَئِنْ أَذَقْنٰاهُ رَحْمَةً مِنّٰا مِنْ بَعْدِ ضَرّٰاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هٰذٰا لِي »إلخ الأصل بالنظر إلى مضمون الآيه السابقه أن يقال:و إن ذاق خيرا قال:هذا لى لكن بدل ذاق من« أَذَقْنٰاهُ »و خيرا»من قوله:« رَحْمَةً مِنّٰا »ليدل على أن الخير الذى ذاقه هو رحمه من الله أذاقه إياها و ليس بمصيبه برأسه و لا هو يملكه و لو كان يملكه لم ينفك عنه و لم يمسسه الضراء،و لذا قيد قوله:« وَ لَئِنْ أَذَقْنٰاهُ »إلخ بقوله:

« مِنْ بَعْدِ ضَرّٰاءَ مَسَّتْهُ ».

و قوله:« لَيَقُولَنَّ هٰذٰا لِي »أى أنا أملكه فلى أن أفعل فيه ما أشاء و أتصرف فيه كيف أريد، فليس لأحد أن يمنعنى من شىء منه أو يحاسبنى على فعل،و لهذا المعنى عقبه بقوله:« وَ مٰا أَظُنُّ السّٰاعَةَ قٰائِمَةً »فإن الساعه هى يوم الحساب.

و قوله:« وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنىٰ »أى للمثوبه الحسنى أو للعاقبه الحسنى،و هذا مبنى على ما يراه لنفسه من الكرامه و استحقاق الخير كأنه يقول:ما ملكته من الخير لو كان من الله فإنما هو لكرامه نفسى عليه و على هذا فإن قامت الساعه و رجعت إلى ربى كانت لى عنده العاقبه الحسنى.

فالمعنى:و أقسم لئن أذقنا الإنسان رحمه هى منا و لا يستحقها و لا يملكها فأذقناها من بعد ضراء مسته و ذلك يدله على أنه لا يملك ما أذيقه نسى ما كان من قبل و قال:

هذا لى-يشير إلى شخص النعمه و لا يسميها رحمه-و ليس لأحد أن يمنعنى عما أفعل فيه و يحاسبنى عليه و ما أظن الساعه-و هى يوم الحساب-قائمه،و أقسم لئن رجعت إلى ربى و قامت ساعه كانت لى عنده العاقبه الحسنى لكرامتى عليه كما أنعم على من النعمه.

و الآيه نظيره قوله فى قصه صاحب الجنه :«مٰا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَداً وَ مٰا أَظُنُّ السّٰاعَةَ قٰائِمَةً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهٰا مُنْقَلَباً:» الكهف:-٣۶.

و قد تقدم بعض الكلام فيه.

و قوله:« فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمٰا عَمِلُوا وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذٰابٍ غَلِيظٍ »تهديد و وعيد.

قوله تعالى:« وَ إِذٰا أَنْعَمْنٰا عَلَى الْإِنْسٰانِ أَعْرَضَ وَ نَأىٰ بِجٰانِبِهِ وَ إِذٰا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعٰاءٍ عَرِيضٍ » النأى الابتعاد،و المراد بالجانب الجارحه و هى الجنب أو المراد الجهه و المكان فقوله:« نَأىٰ بِجٰانِبِهِ »كنايه عن الابتعاد بنفسه و هو كنايه عن التكبر و الخيلاء،و المراد بالعريض الوسيع،و الدعاء العريض كالدعاء الطويل كنايه عما استمر و أصر عليه الداعى،و الآيه فى مقام ذم الإنسان و توبيخه أنه إذا أنعم الله عليه أعرض عنه و تكبر و إذا سلب النعمه ذكر الله و أقبل عليه بالدعاء مستمرا مصرا.

قوله تعالى:« قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كٰانَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقٰاقٍ بَعِيدٍ »« أَ رَأَيْتُمْ »أى أخبرونى،و الشقاق و المشاقه الخلاف،و الشقاق البعيد الخلاف الذى لا يقارب الوفاق و هو شديده،و قوله:« مِمَّنْ هُوَ فِى شِقٰاقٍ بَعِيدٍ »كنايه عن المشركين و لم يقل:منكم بل أتى بالموصول و الصله و ذلك فى معنى الصفه ليدل على عله الحكم و هو الشقاق البعيد من الحق.

و المعنى:قل للمشركين أخبرونى إن كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به من أضل منكم؟أى لا أضل منكم لأنكم فى خلاف بعيد من حق ما فوقه حق.

فمفاد الآيه أن القرآن يدعوكم إلى الله ناطقا بأنه من عند الله فلا أقل من احتمال صدقه فى دعواه و هذا يكفى فى وجوب النظر فى أمره دفعا للضرر المحتمل و أى ضرر أقوى من الهلاك الأبدى فلا معنى لإعراضكم عنه بالكليه.

قوله تعالى:« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » إلخ، الآفاق جمع أفق و هو الناحيه،و الشهيد بمعنى الشاهد أو بمعنى المشهود و هو المناسب لسياق الآيه.

و ضمير« أَنَّهُ »للقرآن على ما يعطيه سياق الآيه و يؤيده الآيه السابقه التى تذكر كفرهم بالقرآن،و على هذا فالآيه تعد إراءه آيات فى الآفاق و فى أنفسهم حتى يتبين بها كون القرآن حقا،و الآيات التى شأنها إثبات حقيه القرآن هى الحوادث و المواعيد التى أخبر القرآن أنها ستقع كإخباره بأن الله سينصر نبيه ص و المؤمنين و يمكن لهم فى الأرض و يظهر دينهم على الدين كله و ينتقم من مشركى قريش إلى غير ذلك.

فأمر الله تعالى نبيه ص بالهجره إلى المدينه و قد اشتد الأمر عليه و على من آمن به غايتها فلا سماء تظلهم و لا أرض تقلهم ثم قتل صناديد قريش فى بدر و لم يزل يرفع ذكره و يفتح على يديه حتى فتح مكه و دانت له جزيره العرب ثم فتح بعد رحلته للمسلمين معظم المعموره فأرى سبحانه المشركين آياته فى الآفاق و هى النواحى التى فتحها للمسلمين و نشر فيها دينهم،و فى أنفسهم و هو قتلهم الذريع فى بدر.

و ليست هذه آيات فى أنفسها فكم من فتح و غلبه يذكره التاريخ و مقاتل ذريعه يقصها لكنها آيات بما أن الله سبحانه وعد بها و القرآن الكريم أخبر بها قبل وقوعها ثم وقعت على ما أخبر بها.

و يمكن أن يكون المراد بإراءه الآيات و تبين الحق بذلك ما يستفاد من آيات أخرى أن الله سيظهر دينه بتمام معنى الظهور على الدين كله فلا يعبد على الأرض إلا الله وحده و تظل السعاده على النوع الإنسانى و هى الغايه لخلقتهم،و قد تقدم استفاده ذلك من قوله تعالى :«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» XالآيهX:النور:-۵۵ و غيره و أيدناه بالدليل العقلى.

و الفرق بين الوجهين أن وجه الكلام على الأول إلى مشركى مكه و من يتبعهم خاصه و على الثانى إلى مشركى الأمه عامه و الخطاب على أى حال اجتماعى،و يمكن الجمع بين الوجهين.

و يمكن أن يكون المراد ما يشاهده الإنسان فى آخر لحظه من لحظات حياته الدنيا حيث تطير عنه الأوهام و تضل عنه الدعاوى و تبطل الأسباب و لا يبقى إلا الله عز اسمه

و یؤیده ذیل الآیه و الآیه التالیه،و ضمیر« أَنَّهُ الْحَقُّ »علی هذا لله سبحانه.

و لهم فی الآیه أقوال أخری أغمضنا عن إیرادها.

و قوله:« أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ »فاعل« لَمْ یَکْفِ »هو « بِرَبِّکَ »و الباء زائده،و« أَنَّهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ »بدل من الفاعل،و الاستفهام للإنکار،و المعنی أ و لم یکف فی تبین الحق کون ربک مشهودا علی کل شیء إذ ما من شیء إلا و هو فقیر من جمیع جهاته إلیه متعلق به و هو تعالی قائم به قاهر فوقه فهو تعالی معلوم لکل شیء و إن لم یعرفه بعض الأشیاء.

و اتصال الجمله أعنی قوله:« أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ »إلخ بقوله:« سَنُرِیهِمْ »إلخ علی الوجه الأخیر من الوجوه الثلاثه الماضیه ظاهر،و أما علی الوجهین الأولین فلعل الوجه فیه أن المشرکین إنما کفروا بالقرآن لدعوته إلی التوحید فانتقل من الدلاله علی حقیه القرآن للدلاله علی حقیه ما یدعو إلیه إلی الدلاله علی حقیه ما یدعو إلیه مستقیما من غیر واسطه کأنه قیل:سنریهم آیاتنا لیتبین لهم أن القرآن الذی یخبرهم بها حق فیتبین أن ربک واحد لا شریک له ثم قیل:و هذا طریق بعید هناک ما هو أقرب منه أ و لم یکفهم أن ربک مشهود علی کل شیء؟ قوله تعالی:« أَلاٰ إِنَّهُمْ فِی مِرْیَهٍ مِنْ لِقٰاءِ رَبِّهِمْ »إلخ الذی یفیده السیاق أن فی الآیه تنبیها علی أنهم لا ینتفعون بالاحتجاج علی وحدانیته تعالی بکونه شهیدا علی کل شیء و هو أقوی براهین التوحید و أوضحها لمن تعقل لأنهم فی مریه و شک من لقاء ربهم و هو کونه تعالی غیر محجوب بصفاته و أفعاله عن شیء من خلقه.

ثم نبه بقوله:« أَلاٰ إِنَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ مُحِیطٌ »علی ما ترتفع به هذه المریه و تنبت من أصلها و هو إحاطته تعالی بکل شیء علی ما یلیق بساحه قدسه و کبریائه فلا یخلو عنه مکان و لیس فی مکان و لا یفقده شیء و لیس فی شیء.

و للمفسرین فی الآیه أقوال لو راجعتها لرأیت عجبا.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،أخرج ابن عساکر عن عکرمه":فی قوله:« أَ فَمَنْ یُلْقیٰ فِی النّٰارِ

خَیْرٌ-أَمْ مَنْ یَأْتِی آمِناً یَوْمَ الْقِیامَهِ

»نزلت فی عمار بن یاسر و فی أبی جهل.":

أقول:و رواه أیضا عن عده من الکتب عن بشر بن تمیم،و روی أیضا عن ابن مردویه عن ابن عباس":« أَ فَمَنْ یُلْقی فِی النّارِ »قال:أبو جهل بن هشام،و« أَمْ مَنْ یَأْتِی آمِناً یَوْمَ الْقِیامَهِ »قال:أبو بکر الصدیق، و الروایات من التطبیق.

و فی تفسیر القمی،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله تعالی:« إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِالذِّکْرِ لَمّا جاءَهُمْ »یعنی القرآن« لا یَأْتِیهِ الْباطِلُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ »قال:لا یأتیه الباطل من قبل التوراه-و لا من قبل الإنجیل و الزبور« وَ لا مِنْ خَلْفِهِ »قال:لا یأتیه من بعده کتاب یبطله.

و فی المجمع،فی الآیه قیل فیه أقوال-إلی أن قال-و ثالثها معناه:

أنه لیس فی إخباره عما مضی باطل-و لا فی إخباره عما یکون فی المستقبل باطل-بل أخباره کلها موافقه لمخبراتها: و هو المروی عن أبی جعفر و أبی عبد الله(ع) .

و فی تفسیر القمی،:فی قوله تعالی:« أَعْجَمِیٌّ وَ عَرَبِیٌّ »قال:لو کان هذا القرآن أعجمیا لقالوا:کیف نتعلمه و لساننا عربی و أتیتنا بقرآن أعجمی-فأحب الله أن ینزله بلسانهم و قد قال الله عز و جل:« وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ بِلِسانِ قَوْمِهِ ».

و فی روضه الکافی،بإسناده عن الطیار عن أبی عبد الله(ع): فی قول الله عز و جل:

« سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ-حَتّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ »قال خسف و مسخ و قذف.قال:قلت:« حَتّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ »قال:دع ذا ذاک قیام القائم.

و فی إرشاد المفید،عن علی بن أبی حمزه عن أبی الحسن موسی(ع): فی الآیه قال:

الفتن فی آفاق الأرض-و المسخ فی أعداء الحق.

و فی روضه الکافی،بإسناده عن أبی عبد الله(ع): فی الآیه قال:یریهم فی أنفسهم المسخ،و یریهم فی الآفاق انتقاض الآفاق علیهم-فیرون قدره الله عز و جل فی أنفسهم و فی الآفاق.قلت له: حَتّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ؟قال:خروج القائم هو الحق عند الله عز و جل یراه الخلق.

تم و الحمد لله.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فی طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز القائمية اصبهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org



www.Ghaemiyeh.ir

و للايصاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩